NYU BOBST LIBRARY
3 1142 04729141 7

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
http://library.nyu.edu
Circulation policies
http://library.nyu.edu/about

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

الجامع

في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره

ألفه
محمد سليم الجندي

الجزء الأول

علق عليه وأشرف على طبعه
عبد الهادي هاشم

دمشق
١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م

3 21 8

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

الجامع

في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره

له

محمد سليم الجندي

الجزء الأول

سو عيه وأشرف على طبعه

عبد الهادي هاشم

دمشق

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م

[illegible]
.A[illegible]5
.Z7
v. 1
.[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لم [illegible] [illegible] العربية [illegible] العصور [illegible] من يفوق أبا العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) في [illegible] [illegible] ، و[illegible] البصيرة ، وصدق [illegible] وروعة الخيال ، وإحكام القول ، وسلامة التعبير ، والإحاطة [illegible] وعلومها. ولم [illegible] [illegible] والباحثين [illegible] [illegible] [illegible] شغلهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (٣٥٠) مصدراً ، [illegible] مؤلفاته المعروفة [illegible] [illegible] [illegible] ومؤلفات أخرى لا [illegible] [illegible]

وقد كتب في أخبار المعري [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] العصور ، و[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] الناس [illegible] [illegible] [illegible] كتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعري [illegible] [illegible] [illegible] الكتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النظر في مخطوطة الكتاب ، وضبط [illegible] [illegible] وصدق [illegible] في [illegible] والإشراف على طبعها ، [illegible] بذلك على [illegible] [illegible]

ويتسع له الوقت . وقد آزرني في ذلك كله الصديق الكريم الأستاذ عدنان الدرويش

٢ — والأستاذ محمد سليم الجندي (١٢٩٨ — ١٣٧٥ هـ) مثال العالم المتمكن ، والمحقق الثبت والباحث الثقة . كان واسع المعرفة والرواية ، ضليعاً في اللغة وعلومها وآدابها ، بصيراً بأسرارها ، وكان الى ذلك كله معجباً بالمعري ، حافظاً لأشعاره ، متتبعاً لآثاره وأخباره ، عارفاً بما قاله وما قيل فيه .

ولد الأستاذ الجندي في معرة النعمان بلدة أبي العلاء ، ونشأه والده نشأة أدبية صالحة ، وحمله منذ الصغر على حفظ البارع من الشعر والحكم من النثر ، وأولع الجندي الفتى « بشعر أبي العلاء المعري منذ حداثة سنه وحفظ منه شيئاً كثيراً . . . وقد تخرج بالشعر والأدب واللغة بما درسه وحفظه من شعر أبي العلاء وغيره » (١)

وتحول عن المعرة مهاجراً مع والده الى دمشق عام ١٣١٩ هـ ، وقضى [illegible] من سني حياته ، ولقي فيها جماعة من علمائها الأعلام ، فتخرج بهم ، وأفاد من صحبتهم ، وقرأ عليهم الكثير من الكتب التي كانت تدرس لطلابهم في شتى العلوم المعروفة يومئذ ، وذاع صيته وعرف فضله .

ولما قامت الحكومة العربية في دمشق ، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أرادت تعريب الدواوين وتقويم أسلوب الكتابة فيها ، فوكلت الى الأستاذ الجندي وبعض زملائه أن ينهضوا بهذا العبء ، وسمته (منشئاً أول)

(١) من ترجمة كتبها الأستاذ الجندي لنفسه ولم تنشر في حياته

في ديوان رسائلها؛ ثم انضم إلى الرعيل الأول من علماء الشام الذين أقاموا المجمع العلمي العربي الذي ما يزال حتى يوم الناس هذا موئل العاملين في الحفاظ على اللغة وآدابها، ونشر تراث أعلامها.

ولما دالت الدولة العربية [illegible] انتقل الأستاذ الجندي من ديوان رئاسة الحكومة إلى التدريس في مدارس [illegible]، وفي مدرسة الآداب العليا من بعد، فتخرج بالكثيرين من [illegible] الشام [illegible]، ثم أحيل إلى التقاعد [illegible] العلمية [illegible]، فتفرغ للتأليف [illegible] من [illegible] الوطنية، ومن ذلك إتمامه [illegible] عن المعري.

وكان قد ألف قبل ذلك [illegible]؛ من ذلك ثلاثة كتب سماها [illegible] جمع [illegible] من كلام [illegible] سنة ١٣٤٥ هـ، ثم ألف سلسلة أخرى من الكتب [illegible] جمع في كل منها ما يتعلق بكاتب [illegible] كامرئ القيس وابن المقفع [illegible] وعلي بن أبي طالب، وهنالك الكثير من الكتب [illegible] التي شرع فيها في حياته، وأكثر [illegible] لم ينشر إلى اليوم، ككتاب [illegible] في تاريخ معرة [illegible] الذي لا يزال مخطوطاً، وله في مجلة المجمع العلمي العربي وفي غيرها دراسات وانتقادات لغوية وأدبية كثيرة.

ووقعت له مخطوطة تامة نادرة من رسالة الملائكة للمعري، فشرحها وحققها ونشر [illegible] وقد طبعها المجمع

المجمع العربي في دمشق عام ١٣٦٣ هـ بمناسبة المهرجان الذي أقيم يومئذ لمرور ألف عام على ولادة المعري .

٣ — ومن أعظم الكتب التي ألفها الأستاذ الجندي ولم تنشر في حياته هذا الكتاب الذي يرى القارىء جزءه الأول في الصفحات التالية ، وهو أجمع كتاب جمع لأخبار أبي العلاء ودرس أشعاره وآثاره ، وفيه تحقيق كثير لما كتب عن أبي العلاء أو نسب إليه ، وتصحيح لما اعترى هذا أو ذاك من الخطأ .

وقد جمع المرحوم الجندي ما كتب عن حكيم المعرة ، وقص آثاره أثراً بعد أثر ، ووضع هذه المادة الضخمة العزيزة من الأخبار والآثار في ميزان نقده وتمحيصه الدقيق ، فخرج منها إلى نتائج فيها الجدة والإصابة والحجة القاطعة .

وهو إذ نص على أكثر هذه الأخبار في مصادرها التي تستطيع الوقوف عليها وأفاد منها وتكلم عنها أشار أحياناً إلى هذه المظان وأحال عليها ، إلاّ أنه كثيراً ما اقتصد في ذلك ، كما ترك بعض النصوص والمقطعات والأبيات العلائية وغيرها مهملة من الضبط بالشكل . ويبدو أن الأستاذ الجندي بعد أن أنجز كتابه الجليل هذا ، وأتم تنقيحه ، لم يقطع برأي في تسمية الكتاب ، ولذلك ترك مكان اسم الكتاب في التوطئة ص ٩ أبيض ، فرأى المجمع أن يسميه « الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره » توخياً للدلالة بالعنوان على مضمونه .

وحينما شرعنا في النظر في الكتاب وإعداده للطبع استوقفنا ما تقدم به الأستاذ الجندي ، فضبطنا نصوص الأبيات المنظومة والمنثورة بالشكل

الكامل ، وأما النقول فصلنا منها ما يخدش أن [illegible] بعض النص على القارىء ، وأحلنا النقول إلى مظانها ، وتركنا بعض النصوص العلائية حسب بمقتضيه مقدم [illegible] [illegible] مواضعها في [illegible] أبي العلاء .

ثم أوضحنا بعض ما يشكل في [illegible] النصوص [illegible] بالتعليق والشرح ، وأثبتنا كل ذلك في حواشي الكتاب .

ولكيلا يقع اللبس [illegible] أستاذ [illegible] من تعليقات وشروح وإحالات ، [illegible] أشرنا في ذلك [illegible] يكن [illegible] وإحالة [illegible] بالحرف (ح) [illegible] وتركنا [illegible] من تعليقات [illegible] عملا [illegible] أو إشارة .

وكانت عدتنا في هذا العمل الكتب والمصادر التالية :

ديوان [illegible] ـ الطبعة [illegible] سنة ١٣٠٣ هـ وقد رمزنا إليها في الحواشي بالحرف ([illegible])

رسالة الغفران [illegible] تحقيق [illegible] بنت الشاطىء [illegible] الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠ القاهرة

رسالة [illegible] تحقيق [illegible] كيلاني طبع القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ

سقط [illegible] للمعري ـ تحقيق كامل كيلاني طبع القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ

رسائل أبي العلاء المعري ـ شرح شاهين عطية ـ طبعة بيروت سنة ١٨٩٤ م

رسالة الملائكة ـ للمعري ـ تحقيق [illegible] الطبع [illegible] عربي سنة ١٣٦٣ هـ

الفصول والغايات ـ للمعري ـ شرح [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ

شروح سقط الزند — طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٥–١٩٤٨م

تعريف القدماء بأبي العلاء — طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م .

أبو العلاء وما إليه وتتمة وبعض شعر أبي العلاء الميمني الراجكوتي طبعة مصر سنة ١٣٤٤ ه .

ذكرى أبي العلاء الدكتور طه حسين الطبعة الثانية مصر سنة ١٩٢٢م

أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري — يوسف البديعي تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني نشر المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٤٤م .

زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم تحقيق سامي الدهان منشورات المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٤ م

ديوان عمر بن الفارض — طبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣[illegible] ه

العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لليازجي طبعة بيروت سنة ١٣٠٥ ه

ديوان أبي تمام شرح الخياط طبعة بيروت سنة ١٣٢٣ ه

الأعلام — خير الدين الزركلي الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٣٧٨ ه

ديوان البحتري — طبعة بيروت سنة ١٩٢٤ م

ديوان ذي الرمة طبع مطبعة كامبردج سنة ١٩١٩ م

ديوان جرير طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ م الطبعة الأولى .

ديوان ابن الرومي — شرح كامل كيلاني — طبعة القاهرة

ديوان ابن أبي حصينة — تحقيق محمد أسعد طلس — منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٧٥ ه‍ .

هذا ونقدر أن نضع الكتاب في ثلاثة أجزاء أو أربعة ، وهذا يلي الجزء الأول

دمشق في صفر سنة ١٣٨٢
وتموز سنة ١٩٦٢

عبد الهادي هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله على نعمه التي لا تحد ولا تعد ، لا نحصي عليه ثناء ، ولا نحصي له شكراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصطفاه من صفوة خلقه ، وأرسله رحمة للعالمين ، وهدى للصالحين ، فأوضح الحجة ، وأنار المحجة ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بآياته البينة وحكمته الباهرة ، ومواعظه البالغة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه الى يوم الدين

أول اتصالي بأبي العلاء المعري وسببه

وبعد ، فإن والدي ، محمداً رحمه الله ، كان مولعاً بأبي العلاء ، حريصاً على الاطلاع على أخباره وآثاره ، وقد كنتُ شرعت في الدراسة في المعرة منذ سنة ١٣١٠ هـ إلى سنة ١٣١٩ هـ تقريباً ، ولم يكن في ذلك العهد في المعرة ، من أدناها إلى أقصاها ، شيء من كتب أبي العلاء [سوى نسخة مخطوطة من « سقط الزند » مكتوبة منذ مئتي سنة كانت ملكاً لعم أبي السيد أحمد ، بين المعرة ودمشق ، فاستولى عليها بعض أقاربنا ، وأخفاها عنا هو وعقبه ، ثم رأيتها عند بعض حفدته في نحو سنة ١٣٦٥ هـ] .

فكان والدي كلما وقع له شيء من كلام أبي العلاء نقله ودونه في دفتره . ثم هاجرت إلى دمشق سنة ١٣١٩ هـ ، فاطلعتُ على جملة من

كتب الأدب ، وعلى طائفة مما كتبه العلماء في أبي العلاء ، وعلى جملة من آثاره المخطوطة والمطبوعة ، وكنت شدوت شيئاً من العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية ، ورأيت فريقاً من الأدباء يستشهد بأقوال أبي العلاء في المباحث اللغوية والأدبية والدينية والاجتماعية والسياسية ، وفريقاً آخر ينقد أقواله وينقد آراءه

وكان قد اجتمع لدي جملة صالحة من كلامه المنظوم والمنثور ، واطلعت على ما صنع من نثره وشعره ، وأمعنت النظر في أقواله وآرائه وتفكيره ، فهاك من ذلك أمثلة : (١) ألفاظه ومعانيه ، (٢) آداب العلماء والآباء عليه ، والدعوة الخبيثة في شعره والتحذير منه

(١) ألفاظ أبي العلاء ومعانيه :

الأمر الأول : ما رأيته في كلامه من الدقـــة في استعمال الكلمات وإحكام وضعها في مواضعها اللائقة بها ، ومن قوة التأليف مع طلاوة وانسجام ، وكثرة المعاني المبتكرة ، وروعة الصور المتخيلة ، ووفرة الأمثال والحكم ، والتلميح إلى مصطلحات علوم متعددة ، وحوادث تاريخية .

ومن غريب ما رأيته من قدرته وقوته تصغيره المعنى الكبير وإفراغه في قالب موجز مصون واف بالمقصود ، كما يتراءى ذلك في قوله من أبيات يصف فيها سفره في فلاة واسعة

وتكتم فيه العاصفات نفوسها ... فلو عصفت بالنبت لم يتأود (١)

فقد صغّر العواصف ، ووصف الهبوب ، وفرّع هذا المعنى فصحح في هذا البيت الموجز السهل الممتنع ، وأبدع في قوله : (وتكتم ..)

(١) شروح سقط الزند ق ١ ، ص ٣٧٧ ، وفيها : « فلو عصفت بالنبت » . وفي شرح الخوارزمي : « ولو عصفت » .

ولا يقل عنه في ذلك قوله من أبيات يصف فيها منهلا :

يمرّ به رأد الضحى متنكّرا   مخافة أن يغتاله بقتامه (١)

فإنه جعل الضحى متنكرا يخفي نوره مخافة اغتياله ، ومثل هذا كثير في كلامه

ومن الغريب أيضا ، الكثير في كلامه ، انتزاعه من الأشياء القريبة التي لا يكترث بها غيره معاني [illegible] يستعملها في أغراض عالية كالحكمة والتشبيه وما أشبهها ، فانظر إلى معاني أي انتزعها من الإنسان وأعضائه حيث قال في العين

أحس جوارا للفتاة وعندها   أخت الشمال على دنوّ الدار

كتجاور العينين لن تتلاقيا   وحجاز بينهما قصير جدار (٢)

* * *

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته   والذنب للطرف لا للنجم في الصغر (٣)

وفي الجفن

كما أغضى الفتى ليذوق غمضا   فصادف جفنه جفنا قريحا (٤)

* * *

حصلنا على التمويه وارتاب بعضنا   ببعض فعند العين ريب من الشفر (٥)

(١) شروح سقط الزند ، ق ٢ ، ص ٤٩٨ ، والقتام كسحاب : [illegible]
(٢) اللزوميات ، ص ١٦٤ وفيه [illegible] ، وفي القاموس [illegible] وتصل بين الأرنبين .
(٣) شروح سقط الزند ، ق ١ ، ص ١٩٢ ، وفيه « الأبصار صورته » ، ولعلها أصح
(٤) شروح سقط الزند ، ق ١ ، ص ٢٣٨
(٥) اللزوميات ، ص ١٤٧ ، و[illegible] الشفر أصل منبت الشعر في الجفن

وفي الأذن والفم :

أصمت وإن شئت فانطق نصف ما سمعت
أذناك فالفمُ نصفُ اثنين في العدد (١)

وفي الريق :

وربما ضرّ حلوٌ نافعٌ أبدا كالريق يحدث منه عارضُ الشرق (٢)

* * *

كأنما فاته من عمره ومساغه من الريق عذبٌ لا يحسّ له طعما (٣)

وفي قوله من أبيات يصف فيها حسن إمامه

وحيدا بشعر المسلمين كأنه فيه معنى من نواجد أدرد (٤)

وفي القلب

ونسيل كوجهة الحب في الوهب وقلب المحب في الخفقان (٥)

* * *

مهجتي ضدٌّ يحاربني أنا مني كيف أحترسُ (٦)

وفي اليد

والكفُّ تقطعُ إن خيف البلاءُ بها على الذراع بتقدير وتسبيب (٧)

* * *

فلو بان عضدي ما تأسف منكبي ولو بان زندي ما بكته الأنامل (٨)

(١) الروميات ، ص ١٠٩ ، وفيها : « شطر ما سمعت » .
(٢) شروح سقط الزند ق ٢ ، ص ٦٨٧ ، وفيها : « يحدث عنه عارض » .
(٣) الروميات ، ص ٢٣٩
(٤) شروح سقط الزند ق ١ ، ص ٣٦٣
(٥) شروح سقط الزند ق ١ ، ص ٤٣٣ .
(٦) الروميات ، ص ٣١١
(٧) الروميات ، ص ٥
(٨) شروح سقط الزند ق ٢ ، ص ٢٣١ ، وفيه : « ولو بان زندي » .

وفي الصفة :

أنفق ... رق فالثراء الصفر إن ... يثري ويعود حين نقلم (١)

وفي ... :

وقس بما كان ، امرأ لم يكن ، ... تره

فالرحل تعرف بعض الموت بالخدر (٢)

وفي ... :

يفني الزمن وأنفس الايام له ... حتى بين إلى الاجال يزدلف (٣)

* * *

عمري عدو كل أعاسي به ... حزن نعادره كأمس الناضب (٤)

وفي الشيب

هذا البياض رسول الموت يبعثه ... في كل عصر إلى الاجيال والأمم (٥)

وفي الجسم :

والجسم ظرف نوائب وكأنه ... ظرف ... حز تارة ونقدم (٦)

ومثل هذا كثير في شعره ... بعض ... واحد في أغراض مختلفة ، وصور متعددة .

ومن ... ترك ... حكمه ... من شعر ... و ... إلى كبير شيء ، ... ومثل هو .

(١) الديوان ص ٢٣٣
(٢) الديوان ص ١٩٩ [illegible]
(٣) الديوان ص ٢٠٦
(٤) الديوان ص ٤١
(٥) الديوان ص ٢٤٨
(٦) الديوان ص ٢٣٩

من يفقد الحس لا يعرف بمخزيه   إن الذباب متى يعلو الجنى ينم (١)

* * *

والنحل يجني المر من نور الربى   فيعود شهداً في طريق رضابه (٢)

* * *

فإن أبا الأشبال يخشاه مثله   ويأمنُ منه أرضٌ وبمال (٣)

* * *

حسا طائرٌ في صمته من ذم الفتى   فصغّر ذاك الصمت معظم ذنبه
ولم يك في حال المعوص إذا شدا   له نعمٌ عالٍ وأنت أذى به (٤)

* * *

ولا تحتقر شيئاً تستعف به   فكم من حصاة أيدت ظهر جندل (٥)

ومن [illegible] أن يذكر الكلمة التي [illegible] أكثر من معنى واحد ويريد [illegible] معنى [illegible] ، ولكنه يذكر شيئاً من خصائص معنى آخر ليوهم أنه يريده ، [illegible] مثل قوله [illegible] (وحيد [illegible] المسلمين . . . . الخ) فإن الثغر يطلق على الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو . وهو المراد هنا ، ويطلق الثغر على الفم ومعنى [illegible] ، فلما ذكر الثغر ذكر بعده الفم والنواجذ والأدرة وهي من خصائص معنى آخر [illegible] التوشيح ، ومنه قوله :

إذا صدق الجد افترى العم للفتى   مكارم لا تكري وإن كذب الخال (٦)

(١) [illegible] ص ٢٤٨ ، [illegible]
[illegible] (ح)
(٢) شروح سقط الزند ج ٣ ص ٧٢ [illegible] شهداً »
(٣) شروح سقط الزند ج ٣ ص [illegible]
[illegible]
[illegible] (ج)
(٤) [illegible] ص ٨[illegible]
[illegible] لأذى .
(٥) [illegible] ص ٢١٠ [illegible]
(٦) شروح سقط الزند ج ٣ ص [illegible] [illegible]

فإن الجد يطلق على الجد وهو ... وهنا ، ويطلق على أبي الوالد ، وقد ذكر ... ولكن لتوهم أنه يريد المعنى الآخر ، وكذلك العم يطلق على الجماعة وعلى أخي الأب ، وكذلك الخال يطلق على الطل ، وعلى أخي الأم ، وهذا يدخل في كل واحد ... ومن هذا القبيل قوله في السقط :

حروف سُرًى جاءت لمعنى أردته ‖ برتني أسماء لهن وأفعال

وقوله :

كأن الثريا شائك لو سما رُحل ‖ إلى السماك رآه يشكي العزلا [2]

فإن الحروف ... على النوق ، وهي ... المعروفة عند النحويين ، وقد ذكر المعنى والأسماء والأفعال ... من ... معنى الأسماء وإن لفظ (شائك ... من شوكة ... ، وجد مقلوبا من شائك من الشوكة وهي الحد والقوة في السلاح ، يقال شائك السلاح وشاكي السلاح ، وقد ذكر ... وهو اسم من قولهم : رجل أعزل أي لا سلاح معه ... لا رمح له ... وفي النجوم سماكان : أحدهما السماك الرامح وهو الذي قدامه كوكب كأنه رمح له ، والثاني السماك الأعزل وهو الذي لا كوكب أمامه ، سمي بالأعزل ؛ لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا سلاح معه ، وقد ذكر العزل ... بعد شائك ... لأنه من شاكي السلاح

... في قوله ... الوقوف عليه من عند ... يحصل ... مع جميع ... والأمثال والتشبيهات ... ونحو ذلك من ... الشعر ...

وقد تبين لي ... البحث ... العلاء ...

(١) شروح سقط الزند ج ٣ ، ص ١٢٥٥
(٢) اللزوميات ص ٤ ٢

كثيرة ، وله في كل من هذه الفنون معارضات وآراء تدل على رسوخه فيه ، لا سيما العلوم الشرعية واللغوية ، وبراعة لسانه واستئناسه بالألفاظ التي يراها غيره غريبة ، وحبه للجناس ونحوه ، ومراعاة النظير وغيرها من الصناعات البديعية ، وميله إلى الأسلوب الجزل حمله على استعمال لفظ وحشي أدى إلى أن يخفى كثيراً من حكمته الفائقة ومعانيه البديعة فلا تتيسر لكل أحد فهمها إلا بالمراجعة إلى كتب اللغة والأدب لفهم المراد منه وإدراك النكتة التي تشتمل عليه . وكذلك كثرة ما في كلامه من الإشارة إلى المصطلحات العلمية والحوادث التاريخية جعل فهم المقصود منه موقوفاً على معرفة تلك ، وإلا فلا يمكن فهمه ولا التمتع به .

وربما يظهر بعض أقواله متناقضاً بعضها مع بعض بحسب الظاهر ، ولكنه عند التأمل لا تظهر فيه مخالفة ولا تناقض ، لأنه يتكلم كل مقال في مقام يوائمه .

(٢) ثلب العلماء والأدباء عليه والدعوة السيئة الى شعره بتفسير منه

وللعلماء في زندقته كلمات عديدة في أبي العلاء مختلفة ، وآراؤهم متفاوتة ، وعلى أكثر أقوالهم مسحة من حسد أو التعصب الشديد والتقليد الأعمى والجهالة .

فإنه ربما منهم ينقل عنه ما روي وما سمع من غير تثبت ولا تمحيص ، وربما يلحق بكلامه ما ليس منه وآخر ينسب إليه أموراً لا يؤيدها العقل ولا يلتئم بالتاريخ والنقل ، وبعضهم ينتخب أبياته ويتصرف في أقواله ، فهو يروي منها ما يشاء كما يشاء ، ويفسرها بما تطيب نفسه لا بما يوافق الحقيقة والواقع . وإن جمهوراً عظيماً من هؤلاء يعتقد أن أبا العلاء زنديق أو كافر ، فرسخت هذه العقيدة في نفسه ، فهو يصرف كل أقواله إليها ، ويفسرها ويرجعها إلى هذه العقيدة ، وإن كان خطؤه في ذلك أوضح من فلق الصبح . ومنهم من إذا رأى في أقوال أبي العلاء ما يدل على اعتقاد حسن قال : إنه قاله تقية ، أو لا يؤمن به ورعاً . ومنهم من لو استطاع

أن ينسب إلى أبي العلاء كل قول فيه كفر أو ما يوهم الكفر إذا تأخر، بناه على ما وضع في نفسه .

وأغرب ما رأيت في هذه المسألة أن منهم من يحكم بأن أبا العلاء متبعة أمره، وربما كان لم يجمع على شيء من كلامه، ومنهم من طعن فيه بمقال به معتقد أن العلاء، وربما يحمل على نفسه بسبب اعتقاده أنه جاهل لا يدري ما يقول، ومنهم من قصر فهمه عن [illegible] وجده أبو العلاء من كلامه، فخبط خبط عشواء، وسنذكر [illegible] في حقيقته من هؤلاء وغيرهم وأقوال كل منهم .

ورأيت أكثر هؤلاء [illegible] يستفرغون المجهود في التعبير من شعره إلا [illegible] على ما [illegible] وأمراء المذاهب والحكومات وحرية الفكر في مباحث الدين والسياسة [illegible] ونحو ذلك مما لا نظير له في غير كلام أبي العلاء [illegible] في [illegible] كاد ينحصر في أمور من [illegible] من [illegible] وأمراء الأديان والمذاهب، وطلب الشهرة على حسابه، وتقصير الفهم عن إدراك معانيه ومقاصده .

سبب تأليف هذا الكتاب

[illegible] رأيت كثيراً من [illegible] وقعه لواسع وحكمه الرائعة وآرائه الحرة، [illegible] من جمهور [illegible] من معتقده، وإيضاح الغامض من قوله، و [illegible] في موضع [illegible] والعثرة منه والإشارة إلى موضع [illegible] من [illegible] من آرائه، وبعض كذب المفترين عليه، وتحريف [illegible] بقدر ما تساعدني به الأيام، عزمت على وضع هذا الكتاب وسميته [. . . .] [1] .

وقد اقتصرت [illegible] أرمت به [illegible] أمور :

(١) بياض في الأصل وقد [illegible] أبي العلاء و [illegible]

١ – أن أعزو أكثر النصوص إلى مظانها ومصادرها ، كيلا يظن في حرفتها أو صرفتها إلى ما أريد .

٢ – أن أذكر نص أبي العلاء بنفسه ، وربما اضطررت إلى ذكر ما قبله أو ما بعده لتتضح الغرض المقصود من ذكره أو إيثاره .

٣ – أن أكرر ذكر النص أو ما هو أكثر منه في مواطن متعددة ، للاستدلال به في كل موطن ، لأن الحاجة قد تدعو إلى الاستشهاد بالبيت الواحد في أغراض متعددة .

٤ – أن أكرر النصوص لتقوية الاستشهاد بها أيضا في مواطن مختلفة .

٥ – أن أشرح بعض الكلمات شرحا يقتضي إيضاح معانيها ، وربما دعت الضرورة إلى ذكر أصل المعنى في اللغة .

٦ – أن أضع بعض العناوين والمذاهب والآراء ، لتتضح علاقة قول أبي العلاء بها .

الغاية من وضع هذا الكتاب

وقد أرمي فيه من وراء هذه الأمور أن يكون موردا جما وريا ، منها :

١ – اطلاع القارئ على ما في هذا الكتاب من الأقوال والآراء منقولة ، لتكون معه إلى قرب من صاحبه .

٢ – واطلاعه على أقوال أبي العلاء بنصها ، آمنا التحريف والتلاعب بها ، وليطمئن على ما يسمع عنه من آرائه ، ويستغني عن الرجوع إلى كتبه لمعرفة قوله ، ولترى نفسه ما فيه من حسن تأليفه وطلاوة ديباجته وعباراته وبلاغته وكلامه ونحو ذلك من محسنات وأضدادها وتحريف وعبث .

٣ – واطلاعه على ما وقع لبعض الفئات من تصرف في كلام أبي العلاء بزيادة أو نقص أو تحريف أو تصحيف ، ومن افترائه عليه ، وصرف

لأقواله إلى ما لم يرد، ومن ضعفت مداركهم منهم عن فهم كلامه حتى عبثوا به وكفروه ظلماً وجهلاً.

ويصاحب مثل هذا وأشباهه أو خصائصه وعوامله دلالة عليه إثباتاً ونفياً، والاستشهاد له أو عليه وما شاكل ذلك، بعوز في بسط وتطويل وإعادة وتكرير.

تقسيم الكتاب وترتيبه

ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة وأربع مقالات برمته.

أما المقدمة فإنها تتضمن لمحة موجزة من أحوال الشعر والشعراء وعلاقة أبي العلاء بهم ومدرسته فيهم. وفيها ذكر مولده واسمه ونسبه وميلاده وعصره، وتشتمل على عرض عن الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعقلية في عصره، وبحث هذا أنواع من العلوم المعروفة في عصره، والحديث والكتابة والشعر والرواية لتمثل أمام القارئ صورة من هذه الأمة بجميع أنواعها المذكورة.

وأما المقالات، فالمقالة الأولى منها تشتمل على جزء من حياته من سنة ٣٦٣ هـ إلى ٤٠٠ هـ وفيه الكلام على نشأته وتعلمه وبعض علماء المعرة وأدبائها في عهده، والطريقة التي تعلم عليها، وشيوخه والزمان والمكان الذي أم فيها بعضه، ورحلاته إلى بعض البلاد الشامية وبغداد ومن عرفه فيهم والمجالس العلمية فيها، ووداعه إياها وحنينه إليهم.

وأما المقالة الثانية: فإنها تشتمل على حياته في المعرة بعيد رجوعه من بغداد سنة ٤٠٠ هـ إلى آخر عمره سنة ٤٤٩ هـ وفيها الكلام على ماله وطعامه ولباسه وفراشه ومسكنه وأخلاقه واعتقاده في الخير والشر وتشاؤمه ورأفته ورجائه وخوفه ومعتقده ومزاعم الناس فيه ورميه بالإلحاد والشك، ورميه بأنه معتزلي وجبري وبرهمي ونحو ذلك، ووصفه بالتقية

وخلاصة [illegible] في اعتقاده بالله ورسله والملائكة والجن والحشر والنشر ولزومه بيته [illegible] ومرضه [illegible] ووفاته وقبره [illegible] وكيف رؤي في النوم بعد موته

وأما المقالة الثالثة [illegible] على شهرته، وتلاميذه والذين كانوا [illegible] في [illegible] ومنزلته عند الملوك والعظماء، وأقوال العلماء فيه [illegible] وذما، وقصة الضيوف الخمسين وسقوط الدار عليهم، وما [illegible] في مدحه [illegible] وكذلك [illegible] من الكتب، [illegible] في [illegible] في العلوم الشرعية واللغوية وغيرها [illegible] في كلامه وأسماء العلماء والأدباء والشعراء الذين ذكرهم

وأما المقالة الرابعة : فهي تشتمل على بحث [illegible] كلامه في نثره [illegible] والأغراض [illegible] والتقليد والتجديد في نثره وتقسيمه [illegible] في الاحتذاء على مثاله [illegible]

وتشتمل [illegible] على [illegible] : علاقته بالشعر، وابتداء قوله إياه، [illegible] وأبياته، و[illegible] ومقدمته وشخصيته فيها وأسلوبه فيه، والتقليد في شعره [illegible] غيره، والأغراض التي يشتمل عليها [illegible] لا يلزم، ومقدمته وشخصيته [illegible] من تحريف [illegible] في [illegible] والشرح، [illegible] وقيمتها ومصادره [illegible] وعددها وموضوعها، [illegible] الطبيعية [illegible]،

واعتقاده في الكواكب وغيرها ، وفلسفته الإلهية : الروح والجسم بعد الموت [illegible] والملائكة والجن والسموات والكتب والشرائع [illegible] ، وما أنكر عليه من كلامه بعض الفرق [illegible] من الإنسان وغرائزه [illegible] ، وأحكام عامة على [illegible] الناس [illegible] في [illegible] والولد [illegible] والأخلاق [illegible] وسياسة [illegible] والحيوان والجماد والصمت والنطق والحسد والمال [illegible] .

وأما الخاتمة فهي تشتمل على [illegible] من أقواله من الأخلاق والآداب [illegible]

مقدمة الكتاب

لمحة عن الشعر والشعراء

أتى على الأمة العربية حين من الدهر كان فيه الشعر أعظم مظهر للحياة العقلية عندهم ، وأجل معرض عرضت فيه ثمرات القرائح ونتائج الفكر ، وأوسع ميدان يتبارى فيه فرسان الفصاحة واللسن . وقد كان الشعر العربي ، ولا يزال ، يحتفظ لنفسه بأكثر هذه الخصائص . وإذا استقرينا أحواله وأطواره في العصور الماضية وجدناه قبل الإسلام خاضعاً لحس قائله ، جارياً على وفق الأهواء التي تستهويها أهل ذلك العصر ، بعيداً عن الاتصال بالعلم . والأمر واقع على صدق الاتفاق ، لأن جمهور الأمة في ذلك العهد ليست لها صلة بالعلم ، ولا سبب وصلة جامعة تجمعها

ثم لما جاء الإسلام واستنقذ العرب من هوة الجهل ، وفتح لهم طريقاً لاحباً إلى العلم ، اتجه الشعر نحو العلم ، واتصل بأطرافه ، وقد عرضت مقدمات ذلك في صدر الإسلام ، ثم حصل عودها في أخريات العصر الأموي ثم أينعت في النصف الأول من العصر العباسي ، وبلغت ما لم تبلغه في عصر قبله . ثم ذوى عودها وصوّح نبتها بعد ، حتى أصبح هشيماً تذروه الرياح . ولم أر شاعراً يضاهي أبا العلاء المعري أو يدانيه في إخضاع العلم والفلسفة للشعر .

تقسيم الشعراء

وإذا استقصينا أحوال الشعراء ، وسبرنا أغوارهم في كل عصر نجد

عرف العرب الشعر إلى هذا العهد ، تبين لنا أن الشعراء أربعة : شاعر قصر أكثر شعره على أغراض نفسه وأهوائه فهو شاعر فردي ، ومن هذا النوع شعراء الغزل ، كعمر بن أبي ربيعة ومن ضرب على غراره ، وشاعر أضاف إلى أغراض نفسه ما يتصل بقبيلته ، فهو شاعر قبلي أو شاعر قبيلة ، كالنابغة ومن نسج على منواله ، وشاعر يجاوز ذلك إلى ما يتعلق بالأمة كلها أو جلها فهو شاعر أمة ، كالفرزدق ومن احتذى على مثاله ، فإنه لم يقتصر في شعره على حاجة نفسه وقبيلته ، وإنما تعداها إلى غيرها من القبائل ، وتصدى في شعره إلى أعمال الخلفاء والولاة والأمراء والخصوم ، ولكنه لم يتعرض كثيرا إلى غير العرب ، وشاعر لم يقصر شعره على أمة واحدة وإنما تناول في شعره أمما مختلفة ، فتصدى لعاداتهم ونظمهم وعقائدهم وما شاكل ذلك فهو شاعر عالمي

علاقته بالشعر ومنزلته بين الشعراء

ولا أعرف أحدا من شعراء العرب يجدر بلقب (الشاعر العالمي) من أبي العلاء ، ولا من سبقه في شعوره ، حتى الأمم التي كان لها في عهده شأن يؤهلها للتصدي لذكره ، وليست لأبي العلاء هاتان الخاصتان فحسب ، وإنما له من الخصائص والمزايا كثير مما ليس في غيره من الشعراء ، وسنذكر جملة منها نبين فيها أنه جدير بالدرس والبحث والعناية بإظهار قيمته العلمية والأدبية أكثر من غيره من الشعراء ، وأن حقيقته العلمية لا تزال بعيدة عن متناول كثير من الناس ، وإن عرفوا منها ما قرب وهان ، وألموا به إلمامة الطرائي بالحرج ، و [illegible] صغير الماء بالقبس

عناية العلماء بأبي العلاء

وقد عني جماعة من المستشرقين بأبي العلاء ، فترجموا (لزوم ما لا يلزم)

والدرس [illegible]

إلى اللغة [illegible] ، [illegible] (رسالة الغفران) إلى اللغة الإنكليزية ، وترجموا قطعاً من [illegible] [illegible] ، [illegible] في بيان فلسفته ، وأطالوا القول في بيان [illegible] [illegible]

وعني جماعة من [illegible] [illegible] في القديم والحديث بأبي العلاء عناية شديدة ، و [illegible] القول في [illegible] وإلحاده ، وتولى الانتصار له فريق منهم

وفي هؤلاء فريق [illegible] فضل أبي العلاء ، وآخر أراد أن يظهر فضل [illegible] على [illegible] أبي العلاء ، وفي كلا الفريقين من لم يوفق في بعض عمله ؛ [illegible] في كثير من الآراء و [illegible] ، ومن [illegible] لا [illegible] على [illegible] [illegible] ، [illegible] و [illegible] ، و [illegible] ذلك في فصل خصصناه [illegible] في أبي العلاء ، إن شاء الله تعالى .

[illegible] أبي العلاء ، وغرس حبه في صدري [1] قبل أن أبلغ الحلم ، [illegible] شعره [illegible] كانا في المعرة في ذلك العهد أعز من الأبلق العقوق [2] ، ومن بيض الأنوق [3] ، فكان والدي رحمه الله إذا ظفر بشيء من [illegible] [illegible] ، وحبب شعره ، [illegible] وبينه من الصلات والجوامع ، إذ يجمع بيت [illegible] و [illegible] والجنس ، وقد [illegible] في المرى والنزعات كثيراً ؛ وقد صرحت به في الشعر

ولم [illegible] في [illegible] [illegible] لا يتسع

(١) [illegible] (ج)
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

لترجمة أبي العلاء ، وحسب أن أدلي دلوي في الدلاء ، و[illegible] الآراء ، ولا أبالي أن عد من كتب فيه الصور نفسه ، و ليظهر بعض نفسه على حساب ، بعد أن [illegible] في البحث و الاستقراء و جمع ما تفرق من أخباره و[illegible] ذلك ثم

وآثرت الاستدلال [illegible] و[illegible] ، [illegible] في [illegible] بعض من كتب فيه [illegible] البحث [illegible]

* * *

مولد أبي العلاء (١)

ولد أبو العلاء في مدينة معرة النعمان. وقد اختلف علماء اللغة في الأصل الذي اشتق منه لفظ المعرة، وفي المراد منه، ونص اللغوي في لفظ المعرة هو موضع العرّ في الحرب، وقد جاء في اللغة بمعان كثيرة، منها: الإثم والغرم والدية والخيانة وتلون الوجه من الغضب والأمر القبيح والأذى والشدة والمسبة والأمر المكروه، وكوكب دون المجرة من ناحية القطب الشمالي، وقد قيل لرجل نزل بحي من العرب: أين نزلت؟ فقال: نزلت بين المعرّة والمجرّة، والمعرة التي في السماء: البياض المعروف، والمعرة ما وراءها من ناحية القطب الشمالي، سميت معرة لكثرة النجوم فيها. وقد زاد بعض اللغويين معنى عظيماً لكثرة النجوم، والعرب تسمي السماء الجرباء، لكثرة النجوم فيها تشبيهاً بالجرب في بدن الإنسان. وقالوا: أرض معرة: إذا تجرد نبتها، وأرض معرة: إذا كانت قليلة النبات.

وقد جاء في كلام عمر بن الخطاب [رض]: «اللهم إني أبرأ إليك من معرّة الجيش»، قيل: هي أن ينزلوا بقوم فيأكلوا من زروعهم شيئاً بغير علم، وقيل: أن يقاتلوا بدون إذن الأمير.

والمعرة اسم لهذه المدينة ولقرى كثيرة من عملها وعمل حماة ودمشق ونصيبين وحلب وغيرها، منها ما هو باق إلى هذا العهد، ومنها ما انطمست معالمه واندرس أثره ولم يبق إلا ذكره وخبره.

(١) المولد [illegible] زمان الولادة ومكانها [illegible] (ج)

وفي عمل المعرة إلى هذا اليوم قرية يقال لها معرة حرمة ، وأخرى معرة بطر ، وثالثة معرة [illegible] ، ورابعة معرة الصين وغيرها . وكان في المعرة محلة يقال لها معرة [illegible] وقد لا تعرف الآن

وفي عمل المعرة قرى كثيرة [illegible] المعرة مضافة إلى اسم آخر مثل معرشمشي (١) ومعرشمارين وغيرها ، وقد ذكرنا أسماء كثير منها في كتابنا (تاريخ المعرة) ، ونقلنا عن [illegible] أن [illegible] هذا الاسم لإحدى عشرة قرية كلها بأعمال حماة . وأن معرة [illegible] قرى [illegible] وفي غيره

وهذه المدينة مسماة بهذا الاسم قبل الإسلام ، وفي [illegible] كان يقال لها معرة حمص كما [illegible] في [illegible] مقدمة التي [illegible] عنها لفظ المعرة لا يكاد [illegible] معنى [illegible] لأن يكون هذا الاسم مشتقا منه .

وقد تكلف بعض الأدباء في عصرنا من المستشرقين وغيرهم وعنوا أنفسهم لإيجاد مناسبة بين هذا الاسم ومعناه ، ولكنهم سلكوا في التأويل سبلا بعيدة لا تستند إلى نص يؤيدها

فقال بعضهم : ان لفظ المعرة أصله في السريانية « معرتا » ثم حرف إلى معرة ، ومعناه الكهف [illegible] المعرة [illegible] على هذا القول : وسميت بذلك لأن هذه المدينة مشتملة على كثير من [illegible] في [illegible] للنائبات [illegible] باللغة السريانية [illegible] أصلها « معرتا » ومعناها المغارة ، واتخذ [illegible] الخاصة .

وقال آخر (٢) يجيل [illegible] معرة [illegible] ، ثم [illegible]

(١) [illegible] (ح) .
(٢) صاحب ذكرى أبي العلاء ص [illegible] (ح)

التاء من السعي ، وتلك لغة من لغات العرب ، ثم لما طال العهد على استعمال هذه الكلمة فتحت ميم تستقيم مع [illegible] التي يلفظ بها العرب المتكلمون بها .. وقال آخرون [illegible] كله من [illegible] مسكون ومبات » ، ولما افترض الأحد [illegible] من كان يودي [illegible] له موضعاً عند [illegible] الناس المعرة وسميت [illegible] لحق [illegible] من [illegible] ، وذهب آخرون إلى غير ذلك ، وهذا كله من [illegible] الإتيان بالغريب ، ومثله لا يصح أن [illegible] عليه حكم قاطع ، ولا يحتج [illegible] دليل تاريخي موثوق به . [illegible] لا [illegible] نستطيع معرفة لدي حرف [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] تشديد الواو مع أن الغالب في التحريف التخفيف لا التشديد

ولو أننا سلمنا إمكان القول الثالث [illegible] لاستعصى [illegible] ذلك التوجيه والتأويل في بقية البلدان [illegible] آخر ، مثل معرة الصين [illegible] الإخوان [illegible] ومعرة مصرين [illegible] التاريخ أن الصين نزلوا المعرة ، ولم يعرفنا من هم الإخوان ومن هو بيطر ، ومصرين [illegible] كل واحد منها [illegible] العلاء

يعيّرنا لفظ المعرّة أهله   منَ العرِّ قومٌ في العلا غرباء

وما لحق التثريب سكان يثرب   من الناس لا بل في الرجال غباء (1)

[illegible] على أن هذا اللفظ مأخوذ من العر ، وهو (2) لا يعيب أهل هذه المدينة ، كما أن أخذ يثرب من التثريب لم يضر [illegible] ولم يعبهم ،

(1) [illegible]

(2) [illegible]

ولا يصح أن يراد غير هذا المعنى من هذا البيت ، إذ لا يستقيم التمثيل بالبيت الثاني إلا على هذا الأول .

والذي نعتقده أن جميع [illegible] لا [illegible] أن يكون منها [illegible] في [illegible] لا يستقيم في كثير منها ، [illegible] للأشخاص والأماكن .

وإذا لم يكن [illegible] فأقرب الوجوه أن تكون مأخوذة من [illegible] على [illegible] في ذلك من التكلف والتعسف .

وأما النعمان الذي [illegible] هذه الأسماء ، فذهب قوم إلى أنه [illegible] الأصغر [illegible] في حمص [illegible] معرة حمص .

وقد ذكر [illegible] ابن خلكان (٢) والبلاذري (٣)

(١) [illegible]

(ح)

(٢) [illegible]

(ح)

(٣) [illegible]

(ح)

وأبو الفداء (١) ، وابن بطوطة (٢) في رحلته ، وابن العديم (٣) وابن الأثير في (الكامل) (٤) .

وقال ياقوت (٥) : «هذا في رأيي سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة ، والذي أظنه أنها مسماة بالنعمان وهو الملقب بالساطع وهو النعمان بن عدي ابن غطفان التنوخي» .

سياث أو المعرة الصغرى

وقال ياقوت في (معجم البلدان) (٦) : سياث كانت بليدة بظاهر معرة النعمان وهي الصغرى ، والمعرة اليوم محدثة ، كذا ذكره ابن المهذب في تاريخه ، وحضر [illegible] القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصين المعري ، والناس ينقضون [illegible] موضع حجر ، فقال [أربعة أبيات أولها] (٧) :

مررت برسم في سياث فراعني ... به زجل الأحجار تحت المعاول

(١) هو [illegible] إسماعيل بن علي صاحب حماة توفي سنة ٧٣٢ هـ له كتب منها : (تقويم البلدان) و(المختصر في أخبار البشر) رتبه على السنين وانتهى فيه إلى سنة ٧٢٩ هـ [illegible] (ج) .

(٢) هو [illegible] المعروف بابن بطوطة ، بدأ رحلته سنة ٧٢٥ هـ وعمره [illegible] وعشرون سنة (ج) .

(٣) هو [illegible] الحلبي المعروف بابن العديم [illegible] توفي سنة [illegible] هـ ، له كتب منها (بغية الطلب في تاريخ حلب) ومنها [illegible] عن أبي العلاء المعري ، وورد ضمنه كتاب (الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري) (ج) .

(٤) هو [illegible] المعروف بابن الأثير الجزري توفي سنة ٦٣٠ هـ له كتب [illegible] (الكامل في التاريخ) [illegible] انتهى فيه [illegible] سنة ٦٢٨ هـ (ج) .

(٥) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي توفي سنة ٦٢٦ هـ له كتب كثيرة منها (معجم البلدان) و(معجم الأدباء [illegible] إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) وغيرهما . (ج) .

(٦) تعريف القدماء بأبي العلاء [illegible] ص ٤٩١ عن معجم البلدان [illegible] سياث .

(٧) تصحيح أن الأبيات المذكورة لأبي [illegible] أبي العلاء المعري . (ج) .

وقد أنكر ابن العديم قول ياقوت وشنع على قائله ، حيث قال في (الإنصاف) عند كلامه في المقاطع [النعمان] (١) : وبعض الجهال يقول : إن معرة النعمان تنسب إليه ، وليس بصحيح بل تنسب إلى النعمان ابن بشير الأنصاري ، وكان واليًا على حمص وقنسرين في ولاية معاوية وابنه يزيد . ومات للنعمان بها ولد ، وجددت عمارتها فنسبت إليه ، وكانت تسمى أولًا ذات القصور . وقيل : إن صيات كانت المدينة ، وهي تحلة مخرج ابن النعمان بن بشير للتصيد ، وكان موضع المعرة نحوه ، فافترسه السبع فجزع عليه ودفنه بها مؤرخًا عند قبره ، فبنى الناس لبنائه ، فنسبت معرة النعمان إليه لذلك ، وربما نسبت الجهال المعرة إلى النعمان بن عدي المعروف بالمقطع لأن هذا كله أو بعضهم من في المقاطع فظنوا أنها منسوبة إليه .

وقال أبو العباس الشريشي في (شرح المقامة المعرية) للحريري النعمان اسم الجبل المطل على المعرة فنسبت إليه ، وقال ابن بطوطة في رحلته مثل هذا (٢)

وقال مغلطاي في (تاريخ ملوك مصر والشام) في ذكر ما فتحه مريح : معرة النعمان بن المنذر . ونسبها آخر إلى النعمان بن امرئ القيس لأنه غزا بلاد الشام غير مرة وأكثر مصائب والسبي في عهدها وقيل . وقال

هذا كلام طائفة من العلماء والمؤرخين في المعرة والنعمان . ويظهر للمتأمل أن كل ما ذكروه من الوجوه والعلل في تسميتها ونسبتها قائم على الظن ، لا يعتمد على دليل يوثق به ، ولا نص يعول عليه ، وكله بعيد عن الحقيقة . أما قول ياقوت (٣) : إن هذا نسب صحيح لا يستوي

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨٧ عن (الإنصاف والتحري - لابن العديم .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٩٧ عن تحفة النظار - لابن بطوطة .
(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨٤ من معجم البلدان ... مع خلاف يسير في النص

مثله مدينة ؟ فوضع وهو صحيح ، ويؤيده ، لا يعرف الآن في المعرة جبة ، وموقعها بعيد عن أن يكون جبة ، وليس فيه ماء يسيح على وجه الأرض وفي الشتاء وغيره ، وإنما يجتمع بعضها في الشتاء والربيع ، ولكن [illegible] من هذه الأماكن .

ولا يعرف فيها قبر ذي النعمان ، ولو كان ذلك حقاً لاحتفظ الناس به وبآثاره ، كما احتفظوا بكثير من القبور المنسوبة إلى جماعة من الصحابة وإن لم يكونوا مقبورين فيها حقيقة ، وفيهم كثير ممن هو دون منزلة في عقيدة الناس من ابن [illegible] ، وقد عرفنا أن بني مروان [illegible] هذا الأمر وطمسوا معالمه فليس [illegible] ثبت به ما يدعونه من إضافتها إلى النعمان .

وقد اضطرب قول ياقوت حتى إن [illegible] فيه تناقضاً ، فإنه ذكر أولاً أنها منسوبة إلى النعمان [1] بن بشير ، ثم رأى أن ذلك ضعيف ، ورجح أن تكون منسوبة إلى [illegible] ، وهذا [illegible] قبل الإسلام ولم تثبت وفاته في المعرة ، ولا [illegible] فيها . ثم قال في [illegible] [2] : بليدة بظاهر معرة النعمان وهي القديمة والمعرة اليوم محدثة ، ثم ذكر أن القاضي أبا يعلى [illegible] في [illegible] ينتقلون عنها ليعمروا به موضعاً آخر ، وقد كان أبو يعلى هذا في القرن الخامس . ونسب ابن العديم [3] هذه الأبيات إلى أبي [illegible] أبي العلاء وكانت وفاته سنة ٤٠٥ هـ ، فكلام ياقوت يدل أوله على أن المعرة كانت عامرة قبل الإسلام منذ عهد [illegible] ثم يقول إن [illegible] هي القديمة والمعرة اليوم محدثة ، ثم يقول : إن [illegible] يتنقلون عنها ليعمروا به موضعاً آخر في القرن الخامس ، ولم يبق ذلك الموضع ، وكلامه يدل على أن [illegible] كان بعضه باقياً

(1) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٥٥ [illegible] معجم البلدان — ياقوت .
(2) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٩٥ [illegible] معجم البلدان — ياقوت .
(3) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٩٤ [illegible] الإنصاف والتحري — لابن العديم .

في زمن أبي يعلى [illegible] لم يصح [illegible] وجد [illegible] ، ويقول عنه ،
وإذا كانت [illegible] هي المدينة القديمة وإنما محدثة فكيف يجوز أن [illegible]
معرة وحيثما أي النعمان [illegible] ؟

والكلام [illegible] يشبه كلام [illegible] في [illegible] ولا [illegible]
كانت [illegible] المعرة [illegible] النعمان [illegible]
[illegible] ، على ذلك
المصور ، فكلامه هذا [illegible] على [illegible] موجودة وحدها [illegible]

ثم قال [illegible] وكانت موضع
المعرة [illegible] موضعها [illegible]
الناس [illegible] معرة [illegible]
تكن موجودة [illegible]
[illegible] في الكلام [illegible] المعرة [illegible]
[illegible] المعرة [illegible]

والمؤرخون [illegible] من فتح
حماة مر بالمعرة فصالح [illegible] ١٥ هـ [illegible]
كانت موجودة [illegible] لا [illegible] سوى [illegible]
حمص وغيرها . ويدلك على أنها كانت [illegible]
المؤرخين [illegible]
[illegible] .

ومن قول [illegible]
[illegible] لو صح [illegible]
[illegible] تاريخي [illegible] من بعض [illegible]

(١) [illegible] ٨٨ [illegible]
(٢) المصدر [illegible] ، وقد [illegible]

المعرة أن الجبل الغربي الذي يقع غربي وادي الخطيب إلى جهة الصبا يقال له النعمان ، ولكن نفسي لم تطمئن إلى هذا الخبر .

وقول من قال إنها مضافة إلى النعمان بن المنذر أو النعمان بن امرىء القيس لا يصح أن يعول عليه حتى يؤيده دليل ، ولم نعثر على هذا الدليل

والذي نستطيع فهمه من مجموع ما تقدم أن هذه المدينة كانت قبل الفتح الإسلامي [illegible] ، وكانت تسمى المعرة وذات القصور ، ولا يمتنع أن يكون لها اسمان فأكثر كما أن لدمشق ومصر وبغداد أسماء متعددة ، ثم لما حدث من [illegible] قيل معرة حمص وأنها أضيفت الى النعمان [illegible] كان وأن كل ما ذكره العلماء في سبب تسميتها واشتقاق اسمها وإضافته لا يخرج عن حدود الظن ولا يجوز الجزم بشيء منه ، غير أن أكثر المؤرخين قالوا إنها مضافة إلى النعمان بن بشير ولا يصح [illegible] حتى يظهر الدليل القاطع لكن الاحتمال وظن .

إضافتها الى حمص وغيرها

ذكر فريق كبير من المؤرخين أن هذه المدينة كان يقال لها معرة حمص ، منهم ابن خلكان والبلاذري وأبو الفداء وابن بطوطة وابن الأثير وغيرهم ، وقد أشرنا الى ذلك فيما سبق

ووقع إضافتها الى حمص في (فتوح الشام) للواقدي

تسميتها « ذات القصور »

وذكر جماعة من المؤرخين أنها كانت تسمى « ذات القصور » منهم ابن العديم [1] ، ونقله ابن الشحنة [2] عن ابن جوزي ، وذكره شيخ الربوة

(1) [illegible] ص ٨٨ [illegible] لابن العديم

(2) [illegible] ص ٥٩٧ [illegible] لابن الشحنة

في (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) . وقال ابن الوردي المعري من قصيدة :

سلام على ذات القصور وأهلها ... ومستقبل من حسن حال وما مضى

المعرة من العواصم

العواصم حصون وولايات تحيط بها بين حلب وانطاكية ، وقد كانت قصبتها انطاكية ، وعند البلاذري قصبتها منبج ، ولعله منبج ، كما ذكره ابن خرداذبه وابن حوقل (ج ١ ص ١٤٥) وغيرهم . وقد قال التبريزي في شرح سقط الزند عند قوله : « ولكن بالعواصم من عدي ... » العواصم حصون بين حلب الى حماة سميت عواصم لاعتصام الناس بها ولالتجائهم اليها .. ثم قال : سألته عن العواصم وقت القراءة عليه ، فقال : العواصم من حلب الى حماة لانها حصون وجبال يعتصم بها الناس . وفسر العواصم بمثل هذا في غير موضع من شرحه ويشير الى هذا قول ابي العلاء :

متى سألت بغداذ عني وأهلها ... فإني عن أهل العواصم سآل (١)

وغيره من الابيات الآتية

المعرة من الثغور

قال الطبري : ان هارون الرشيد عزل الثغور كلها من بلاد الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسميت العواصم ، وذلك سنة ١٧٠ هـ ، وذكر ذلك في (صبح الاعشى) ونقله عن صاحب حماة . وهذا يقتضي أن يكون الثغور والعواصم اسمين لمسمى واحد

النسبة الى معرة النعمان

نقل السمعاني عن ابي نصر الرامشي : ان النسبة الصحيحة الى معرة

(١) شروح سقط الزند ق ٣ ، ص ١٢٤٣ .

النعمان ومعري ، ويفرق بينها وبين النسبة الى معرة مصرين اذ يقال : معرمصري [illegible] ابو الفداء في (تقويم البلدان) : معرنسي ، وقال : ان اكثر اهل العلم لا يعرف ذلك . وأنا أقول : إن المعروف في الثانية مصري [illegible] ولا [illegible] ذكرها يفوت . وان هذه النسبة لم ترض [illegible] ووجدت [illegible] رواجا عند المتقدمين والمتأخرين ، ولم نقع في كلام فصحاء ، والمشهور ان النسبة الى معرة النعمان معري فقط ، وقد يرجح [illegible] المتأخرون [illegible] المتقدمين

المعرة في شعر ابنائها

لم نقف على ذكر المعرة في شعر [illegible] من ابنائها قبل القرن الرابع [illegible] الشعراء ، ومن [illegible] من ذكر موطنهم والحنين إليه او التبرم منه ،

وأكثر من ذكرها [illegible] العلاء ، فقد ذكرها في مواطن من شعره في السقط مثل قوله : (1)

سرى برق المعرة بعد وهن ... فبات برامة يصف الكلالا

وقوله [illegible] (2)

فهل فيك من ماء المعرة قطرة ... تغيث بها ظمآن ليس بسال

وذكرها في [illegible] في مثل قوله المتقدم : (3)

يعيرنا لفظ المعرة انها ... من العر قوم في العلاء غرباء

(1) [illegible] ٢٨
(2) [illegible] ١٩٤٥
(3) [illegible] ٣٦٠
[illegible]

وقوله في رواية : (١)

نجى المعرة من براثن صالح ... رب يفرّج كل أمر معضل

وذكرها الأمير أبو الفتح بن أبي حصينة، وكان معاصراً لأبي العلاء، بقوله : (٢)

ورجال لو بالمعرة موتى ... سبيتها ونجاني هرماسها

وقوله في رثاء أبي العلاء : (٣)

وعجبت أن تسع المعرة قبره ... ويضيق بطن الأرض عنه الأوسع

وذكرها محمود بن علي بن المهذب المعري المتوفى سنة ٥٠٠ هـ، بعد أن أخذها الفرنج :

معرة الأذكياء قد حردت ... غما وحق المليحة الحرد

في يوم الاثنين كان موعدهم ... فما نجا من حميمهم أحد

وذكرها القاضي أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك التنوخي في قصيدة بقوله :

ما للمعــــرة مشبه ... في أرض مصر ولا العراق

وذكرها أبو محمد عبد الله بن أخي أبي العلاء بقوله : (٤)

واحلف بأنك لا تعود إلى المعرة بالطلاق

---

(١) اللزوميات ص ٢٢٠، و[illegible]

(٢) ديوانه ١ ٥٠٠

(٣) ديوانه ١/٣٧٣

(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٩٨ [illegible]

وذكرها ابن الوردي بقوله :

رأى المعرة عوداً رابها خور . لكن حاجبها بالجور مقرون

وذكرها السيد أمين الجندي عم أبي الهدى سنة ١٢٩٥ هـ في قوله من أبيات يهجو بها فريقاً من أهلها :

أهلَ المعرة لا بورکتم أبداً . . . . .[1]

وذكرها السيد محمد بن عمر البوسني بقوله من أبيات بمدح م :

إن المعرة والذي فلق النوى . بلد بها أهل المكارم لم تزل

يا من تجاهل فضلهم سفهاً فسل . ركبا بأطلال الحمى نزل[2]

وقد ذكرها أبو العلاء في بعض رسائله مرة بلفظ المعرة فقط ، كما في رسالة (الإغريض) ص ١٥ و ١٦ ، ورسالته إلى أهل المعرة ص ٨١ . ومرة أخرى بلفظ معرة النعمان كما في رسالته إلى خاله أبي القاسم ص ٦٧ وثالثة بلفظ البلدة المضافة إلى النعمان ، كما في رسالته إلى القاضي أبي الطيب حيث يقول ص ١٠٠ من « سقط الزند » في البلدة المضافة إلى النعمان . وقوله في (رسالة الإغريض) ص ٥٢ : وغير ملوم حيفنا لو أعرض عن شقائق النعمان الرمضة وحدائقه الربوعية مثلاً من أهل البلد المضاف إلى هذا الاسم

أما في رسالة الغفران فقد ذكرها بلفظ معرة النعمان في ص ١٣٥ و ص ١٩٢ [3] وفي الفصول والغايات ص ٣٠٧ بقوله : ما أنا والبلد المضاف إلى النعمان بعد أُصحبة ربطٍ والمرّاح

(١) روى المؤلف صدر البيت فقط
(٢) الجزء مكتوب ... على حدة
(٣) وفي رسالة الغفران ط ١ تحقيق بنت الشاطئ ص ...

أما ذات القصور فلم أره إلا في بيت ابن الوردي المتقدم. وأما العواصم فقد ذكرها أبو العلاء في مواطن كثيرة من سقط الزند، كقوله وهو في بغداد:

متى سألتْ بغدادُ عني وأهلها ... فإني عن أرض العواصم سآلُ (1)

وقوله:

ندمتُ على أرض العواصم بعدما ... غدوت بها في السَّوم غير مغال (2)

وقوله:

ولكن بالعواصم من عدي ... أمير لا يكلفنا السؤالا (3)

وقوله يصف ابلا:

تذكرن من ماء العواصم شربةً ... وزرق العوالي دون زرق حمامه (4)

وقوله في اللزوم:

لو قام أموات العواصم وحدها ... ملأوا البلاد حزونها وسهولها (5)

المعرة قبل الإسلام

لم نقف على شيء مفصل من أخبار المعرة من أول عهدها إلى ظهور نور الإسلام، ولا أحطنا علما بما بلغت إليه من الحضارة والعمران في القرون الخالية، ولا عن نبغ فيها من العلماء والعظماء ... على ما يستطاب معرفته

(1) شروح سقط الزند ق ٣، ص ١٢٥٣
(2) شروح سقط الزند ق ٣، ص ١٢٠٧
(3) شروح سقط الزند ق ١، ص ٨٥.
(4) شروح سقط الزند ق ٢، ص ٤٩٥
(5) اللزوميات ٢ ص ٢٠٧.

من ذلك معرفة محققة لا [illegible] ولا تشتمل على [illegible] ولا تروي
على [illegible]

[illegible] ولا [illegible] من بلاد
[illegible]
كان [illegible] على [illegible] في الخلق ، ولم تزل
[illegible] نطامع
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطوفان آهلة
[illegible] بعد الطوفان
[illegible] من خلال
[illegible]
[illegible] وصم ما صب
[illegible]
[illegible] على تلك
[illegible] كثير من الآثار
القديمة والعاديات [illegible] الى [illegible] الى تدثرها أو تقلبت
[illegible] لمعرفة الآثار [illegible]
[illegible] على التهاون [illegible] كثير مما [illegible]
[illegible] كل قديم من بناء [illegible]
الاوروبيين [illegible] كانت مسؤولة [illegible] الإسلام ، ويشجعهم
على ذلك كثرة ما للاوروبيين من الآثار الخالدة في المدينة وصحبتها

المعرة بعد الإسلام

[illegible] أبو عبيدة دمشق وحمص ، مضى إلى حماة ، فصالح أهلها ، ثم مر بالمعرة سنة ١٥ هـ فصالح أهلها على مثل صلح حماة ، ثم لما استخلف معاوية ، ولى النعمان بن بشير حمص [illegible]

ولما استخلف هرون الرشيد [illegible] ، وكانت [illegible] [illegible]

[illegible] ولم [illegible] لوجود.

موقع المعرة ووصفها في كلام المتقدمين

[illegible] على وصف هذه المدينة في كلام المتقدمين [illegible] بوصف كيف

[illegible]

كان عمرانها وسكانها ، وأكثرهم ذكرها وصفاً مطولاً ، منهم ابن حوقل المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ، قال : هي مدينة كثيرة الخير والسعة والنخيل والبساتين [illegible] كل شيء من الكروم

ومنهم رحالة [illegible] خسرو الفارسي ، فقد دخل المدينة سنة ٤٣٨ هـ ، وذكرها في رحلته ، [illegible] خلاصته [illegible] إن المدينة مدينة عامرة يحيط بها سور من حجر ، وعلى بابها [illegible] من حجر ارتفاعها نحو عشرة أذرع كتب عليها بحروف غير عربية ، فسألت عنها ، فقيل لي : [illegible] [illegible] في المدينة فلا [illegible] ، [illegible] [illegible] مقرب من خارجها [illegible] ، وسوق المدينة مفروشة بالأحجار ، وجامعها الأعظم مبني على [illegible] من الأرض في وسطها ، [illegible] وتكيت إليه ثلاث عشرة [illegible] ، ولا [illegible] في [illegible] [illegible] ، وهي نخل علة عظيمة ، ويكثر فيها [illegible] والتين والفستق والنور والعنب ، [illegible] من [illegible] والأنهار

وقد [illegible] كثير من المؤرخين وأصحاب [illegible] ، منهم ياقوت [2] [illegible] [3] والاصطخري [4] و[illegible] [5] وابن بطوطة [6] وغيرهم ، [illegible] قريب من [illegible] كلهم يصفها بكثرة [illegible] والفستق والنور والثمار ، وكلهم متفقون على [illegible] من الأنهار [illegible] فيها [illegible] جار على سطح الأرض .

١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] أقوالهم ما ذكرناه . (ج) .
وفي [illegible] [illegible] ص ٨١ هـ [illegible] [illegible] [illegible] ناصر خسرو
٢) [illegible] [illegible] ص ٨٥ هـ [illegible] [illegible] البلدان - لياقوت .
٣) [illegible] [illegible] ٣٦٥ [illegible]
٤) [illegible] والممالك للاصطخري ص ٦١ [illegible] ١٩٢٧ م
٥) رحلة ابن جبير [illegible] ص ٢٥٤
٦) [illegible] [illegible] ص ٤٩٢ [illegible] [illegible] - لابن بطوطة .

وزعم بعض شراح (سقط الزند) أن المخاص الذي ذكره أبو العلاء في قوله :

كأنْ لم يكن بين المخاص وحارمٍ كتائبُ يُشْجِينَ الفلا وخيامُ (١)

هو نهر بالقرب من معرة النعمان . وقال الفيروزابادي في القاموس : مخاص كسحاب نهر بقرب المعرة . ولكن لا يعرف أحد اليوم أين هذا النهر . ثم رأيت في شرح سقط الزند للبطليوسي (٢) والتبريزي وغيرهما أن المخاص : نهر بحلب ، في الأرض التي تعرف بالروج ، وهي قريبة من معرة النعمان ، وقد التقى في هذا الموضع عسكر المسلمين وعسكر الروم وكان أمير عسكر المسلمين بنجوتكين التركي الذي اصطنعه أبو منصور نزار الملقب بالعزيز بن معد الملقب بالمعز ، وكان العسكران والمخاص بينهما ، ثم عبر بينهم المسلمون ، فهزموهم ، وذكر في تجارب الأمم هذه الوقعة في حوادث سنة ٣٨١ هـ ، وقال : وطرحت العرب خيولهم في النهر ، وهجم العسكر على المخاص ، وحصلوا على الروم في أرضهم وحدهم . وبهذا يتبين أن المخاص ليس بنهر قريب من المعرة قرب اتصال بل بينهما مسافة بعيدة .

ووصفها أبو العلاء في بعض رسائله ، فقال : اسمها طيرة ، وعمد الله رجى الخير ، المورد بها عطش ، وظاهر تربها في الصيف يبس ، ليس لها ماء جار ، ولا تغرس بها غرائب الأشجار ، إذا نزل لأهلها ديم يؤمن به لديهم الربيع ، فحسبه صم عطر ، فكأنما رمي به هلال الفطر ، وقد عينها وقت يكون فيها حذى المعز في الغرة كحذى الوعد ، ومثل حمل الكواكب حمل النقد ، ويبكر فقيرها على هدية ، فيبل أبي الرزغين

(١) شروح سقط الزند ق ٢ ، ص ٣
(٢) شروح سقط الزند ق ٢ ، ص ٣ ، ٤ ، ٦ .

[illegible] حتى [illegible] الأرض [illegible] بسوهه [illegible]
[illegible] وجمع [illegible]

[illegible] في المعرة [illegible] في [illegible] الأرض ، [illegible] لا يعيش [illegible] لا يعيش [illegible] ومما شاكله [illegible] أهلها ، [illegible] إلى جهة الشرق وصعوبة الطرق وقلة [illegible] لا [illegible] ولكنهم يفعلون ذلك بعد الثمر لا قبله . هذه حالة [illegible] سنة ١٣١٩ هجرية .

[illegible] كثيرا من الأشجار المثمرة ، كالتفاح والخوخ والكمثرى [illegible] والرمان ، وفيها أنواع من العنب والتين [illegible] ويكثر فيها الخضراوات [illegible] وقد وصفها الوزير أبو القاسم [illegible] ، وقد كان زار المعرة

[illegible] ١٨٩٨ م ص ٥٥
[illegible]

قبل سنة ٤٠٠ هـ [illegible] في [illegible] ، هذه الابيات منها :

ما على ساكني المعرّةِ لو أنّ — [illegible] وطُلولا (١)
يسكنون العُلا معاقلَ شُمًّا — [illegible] يرون الآدابَ ظلاً ظليلا
منزلٌ شاقني أُنسٌ وما كا — ن [illegible] نواحلا وطُلولا
حيث يُدعى النسيم فظًّا ويُلفى — [illegible] شكساً جميلا (٢)
أينما تلتفتْ تجدْ ظلَّ طوبى — وتجد كوثر [illegible] صقيلا
تُربها طيّب الشمال فما يص — [illegible] فيها [illegible]
فترى اللهوَ إن أردتَ طليقاً — [illegible] معقولا
وإذا ما اعترى بها الادبُ العذ — [illegible]
ليتَ لا يغفلُ السحابُ عليها — [illegible] كيلا
وسلام على بنيها ولا زا — ل [illegible] الحياة فيهم نزيلا

[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

المعرة مركز للبريد في القديم

وذكر في صبح الأعشى (ج ١٤ ص ٣٨١) ، أن المعرة من مراكز البريد ، وفيها برج مقرر للحمام الرسائلي . والطلسم الذي ذكره ناصر خسرو ، قال صاحب (الذكرى) (١) : إنه لم ير من ذكره من مؤرخي العرب . وأنا أقول : قد ذكره جماعة منهم أبو الفضل محمد بن الشحنة في تاريخه المسمى (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) ، حيث قال ص ١٢٩ : وبمعرة النعمان عمود فيه طلسم للبق (٢) . وذكر عن أهل المعرة أن الرجل كان يخرج يده وهو على سور المعرة إلى خارج السور فيقعد عليها البق ، فإذا أعادها زال عنها . وأخبرني رجل من أهلها ، قال : رأيت أسفل داري عمودا ، فحفرت موضعه لأستخرجه ، فعرق إلى مغارة ، فنزلت إليها ظانا مني أنها مطلب فوجدتها مغارة كبيرة ولم أجد فيها شيئا ، ورأيت في الحائط صورة بقة ، ومن ذلك اليوم كثر البق في المعرة . وذكر أهل المعرة أن حياتهم لا تؤذي إذا لدغت كما يؤذي غيرها .

ومنهم ابن العديم ، قال : سمعت إبراهيم بن أبي اليهم رئيس المعرة يقول : إن العمود القائم في مدينة المعرة هو طلسم الحيات ، وهو قائم مستقر على قاعدة بزوجة حديد في وسطه ، يمده الإنسان فيميل ، وكذلك تعمل فيه الريح القوية ، وإذا مال يضع الناس تحته الجوز واللوز فيكسر . اهـ .

وأمر هذا الصنم غريب ، وتناقض الأقوال فيه أغرب ، فقد جعله ناصر خسرو سارية بالقرب من باب السور وطلسما للعقارب ، وفي كلام ابن الشحنة : أنه عمود قريب من السور وهو طلسم للبق ، وفي

---

(١) ذكرى أبي العلاء — لطه حسين ط ٣ ص ١٢٣

(٢) البقة : البعوضة ودويبة مفرطحة حمراء منتنة

يقول ابن العديم : إنه عمود عليه [illegible] وهو طلسم للحيات ، وصاحب ([illegible]) جعلهما عمودين ، أحدهما للبق والثاني للعقرب . ولعل هذا العمود من الرخام [illegible] عند [illegible] ذلك العصر ، أما في عصرنا الحاضر فإن العقارب وجدت في المعرة أكثر من أن تحصى عند حجارة القلعة ، وهي تعيث في الناس فتكاً ذريعاً ، وكثيراً ما [illegible] لديغها ، وكذلك البق ينتشر في الصيف انتشاراً عظيماً ، فيقل [illegible] الملاريا ، ويقل من يسلم من أهلها من شره . ولعل هذا الطلسم [illegible] أمره في زمننا ، وأن العقارب [illegible] ، فكانت لها الدولة والغلبة عليه ، وأن [illegible] بكثرة ما يعرض عليه من الحوادث والكوارث .

اتهام أهلها بالبخل

ونقل صاحب [illegible] عن القفطي (٣) [illegible] أهل المعرة كانوا بخلاء في عهد أبي العلاء ، فكان [illegible] لكثرة [illegible] عليه [illegible] وأنه [illegible] ذلك [illegible] هذه [illegible] على [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible] أبي العلاء [illegible] ٣٢
(٣) هو [illegible] (ح)
(٤) هو [illegible] ٦٤٨ [illegible] (ح)

يكونوا [illegible] وم [illegible] ذلك [illegible] (الذكرى) و[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] أبي العلاء

[illegible] وقد قول

من لم يعرف حقيقة [illegible] العلاء ما كان

[illegible] ولا

[illegible]

صدره [illegible] لا [illegible] على كل [illegible] .

ولو كان [illegible] على [illegible] في عن

[illegible] وليس [illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible] كان [illegible]

[illegible] وأبو العلاء

كان [illegible]

و[illegible] العلاء [illegible]

[illegible] العلاء

في [illegible] مختلا أو محتا للمال

[illegible] المعروف عنهم في عهد أبي العلاء

[illegible] خلكان وغيره من

[illegible]

[illegible]

في [illegible]

[illegible] أبو العلاء [illegible]

(١) [illegible]

ضيافة . ولم يحدثنا التاريخ أن لأبي العلاء داراً للضيافة . فلا شك في أنها لرجل من أهل المعرة من أقربائه أو من غيرهم ، ولو كانوا بخلاء لأحجموا عن مثل ذلك

ومن عادة أهل المعرة في عهدنا أن الرجل إذا نزل به ضيوف ولم يكن موسرا بحيث يستطيع أن يقدم لهم من القرى ما يقدمه أمثاله ، تبرع الناس من أصحابه وأقاربه إلى مساعدته من حيث لا يشعر ضيوفه بذلك . وقد علمت رجلا من أعيان المدينة ضافه جماعة كثيرون من وجوه حلب وأريحا ، وكان لا يملك شروى نقير ، فأمده رجل آخر من الأعيان بكل ما يحتاج إليه القرى ، وكانت بينهما في ذلك الوقت عداوة عظيمة وخصومة شديدة . ولعل أن هذا الخلق موروث عن الأقدمين ، يدل على ذلك دار الضيافة التي [illegible] أبو العلاء [illegible] ، وسيأتي أدلة كثيرة تدل على أن أهل المعرة بريئون من البخل في القديم والحديث ولكن سردها يخرجنا عن الغرض المقصود من هذه الرسالة . وقد [illegible] من تهمة التعصب لهم لأنهم من بلدي وأبناء جلدتي

وصف المعرة [illegible]

رأيت كثيراً من الكتاب في المعرة [illegible] من عاش في زمنه ، أو بعده في دولة ، لأن [illegible] نقلوا ما يحكيه [illegible] أو عن ناس لم يقفوا على حقيقة ، ولم يعتمدوا على موثق .

منهم الأستاذ صاحب (ذكرى أبي العلاء) (١) نقل عن غيره أن مدينة المعرة متخربة من عهد الصليبيين ، وبها [illegible] قلعة [illegible] .

ومنهم الأستاذ الميمني (٢) نقل عن غيره [illegible] من معالمها [illegible] الذي

(١) ذكرى أبي العلاء لطه حسين ط ٢ ، ص ١٢٤

(٢) أبو العلاء وما إليه لعبد العزيز الميمني ص ١٩

شيده مراد المعروف بالحبي منذ [illegible] وثمانين سنة ، ويرانه خلف آخر بيته منذ [illegible] ، وقلعة متخربة من عهد الصليبيين تعرف بقلعة الحصن ..

ومنهم صاحب (عبر الذهب) ، زعم أن في المعرة جامعاً فيه غار يشتمل على قبر عطاء الله بن أبي رباح حامل لواء النبي (ﷺ) ، وبأن القلعة كانت في وسط البلدة ، وذكر في [illegible] من توهمه العامة . وقد تابعه على ذلك أصحاب مجلة ([illegible]) التي تصدر في حلب في العدد الأول من السنة الثانية سنة ١٣٥٠ هـ وزعموا أن القلعة من عهد الملك الظاهر ..

وقد كان لبعض هؤلاء عذر [illegible] فليس لهم عذر في الأخذ عمن لا يوثق بنقله ، ولا في عدم البحث والتنقيب عن حقيقة [illegible]

ونحن نصفها الآن على وفق ما [illegible] عن الثقات أو المشاهد [illegible] ، ونتصدى لذكر [illegible] سواء أكان ذلك في الأماكن أم غيرها لإيضاح الحقيقة فقط

فالمعرة الآن أي في سنة ١٣٦٣ هجرية و سنة ١٩٤٤ ميلادية بلدة بعد ذلك مدينة بين حمص وحماة ، بينها وبين حلب ثمانون كيلو متراً ، وبينها وبين حماة [illegible] وخمسون كيلو متر حسب [illegible] وزارة الثقافة في الدولة السورية سنة ١٣٥٤ و سنة ١٩٣٥ ، وثم طريق [illegible] من طرفها الشرقي [illegible] الحديث [illegible] ، وهو [illegible] الطريق القديم الذي كان يذهب من المعرة إلى حماة [illegible] المدينة وهو الآن [illegible] نحو ٦٣ كيلو متر [illegible] درجة [illegible] درجة [illegible] دقيقة كما في تقويم البلدان [illegible] عن سطح البحر نحو خمسة وستين وثمانين [illegible] هو غير سديد والصواب

(١) [illegible] ص ١٢٤

أن ارتفاعها نحو أربعمائة وستة وتسعين متراً على حسب قيد وزارة الزراعة السورية .

وهي مركز قضاء تابع لحلب يبلغ عدد نفوسه كله نحو [٢٨٥٣٠] وعدد نفوس المدينة منه نحو ستة آلاف وسبعمائة ، وقد أحدث هذا العدد الإحصاء من قيود الحكومة سنة ١٣٥٢ هـ وربما زاد بعد ذلك لأن المكتومين منهم كثيرون . وفيها حاكم إداري [قائمقام] ، وحاكم صلح يقوم بأعمال القاضي الشرعي .

ودار للحكومة في غربي المدينة وخان ، بنيت نحو سنة ١٣٤٣ هـ ، ومكتبان ابتدائيان ، أحدهما للذكور وعدد الطلاب فيه [٣١٢] والثاني للإناث وعدد الطالبات فيه [١١٨] ، ولم تعن الحكومة بها ولذلك كانت فائدتها قليلة .

وفيها كتاتيب يقوم فيها على التعليم جماعة من الفقراء القرآن والقراءة ولا نبالغ إذا قلنا : إن التعليم الحقيقي مفقود فيها وفي قراها ، وإن النهضة الثقافية فيها لم تختلف عما كانت عليه في عهد الترك ، وفي قرى المعرة أربعة كتاتيب يبلغ عدد الطلاب فيها نحو ٤٠٥ وهذا بحسب إحصاء الحكومة سنة ١٣٦٠ هـ سنة ١٩٤١ م والعناية بها أقل منها في مكاتب المعرة .

وقد كان في المعرة مدارس ولم يبق منها إلا مدرسة شافعية بناها ابن عز الدين بن علي بن معاذ سنة ٥٧٥ هـ في أيام محمد ابن أبي أيوب ، ويزعم الناس أنها من بناء نور الدين الشهيد ، وأطلال مدرسة أخرى بناها الشيخ عمر بن الوردي المعري في النصف الأول من المائة الثامنة . وفيها زوايا بقي منها إلى الآن زاوية بني الكيال و … وزاوية العجمي ، وقد تقام الصلاة في بعضها .

وفيها مساجد كثيرة كبيرة وأشهرها الجامع الكبير المعري ، وفيه أخلاط مختلفة من البناء في عصور متعددة ، وفي ساحته قبة قائمة على ثمانية

عمده من حجر [illegible] كانت في عهد عمر بن الخطاب ، وبها [illegible] على عمده من حجر [illegible] الناس منها .

وقد ذكر [illegible] على أن تكون [illegible] الروم أحرق هذا الجامع [illegible] سنة ٣٥٧ هـ ، وأن الفرنج أحرقوه سنة ٤٩٢ هـ . والظاهر أنه بقي منه شيء من آثار عهد عمر [illegible] الكنيسة [illegible] على [illegible] أضافوا إلى الكنيسة أكثر منها .

وفي هذا [illegible] الآثار [illegible] ذلك زمن في [illegible] والإبداع في [illegible] وقد وجدت نقوش [illegible] عمر بن علي بن [illegible] رحمه الله . الحمد لله رب العالمين [illegible] عبد الله [illegible] المؤمنين [illegible] سنة ٥٧٥ هـ [illegible] ذلك ، وهو [illegible] وأصحاب [illegible] سنة ٤٢٧ هـ [illegible] على [illegible] إسلامي عربي [illegible] في [illegible] أن تكون قبل ذلك .

وفيه مسجد [illegible] في الجهة [illegible] أصحاب [illegible] على [illegible] عطاء [illegible] في [illegible] وهذا الكلام [illegible] أبي رباح [illegible] في [illegible] سنة ١١٥ هـ كما

ذكر ذلك النووي في (تهذيب الأسماء واللغات) ص ٣٣٣ ، فهو لم يكن في عهد من لم يحمل لواءه ، ولم يدفن في المعرة ، ولا قبر في ها ، وليس في هذا المشهد قبر ، وهذا المشهد حادث بعد صدر الاسلام [illegible] على [illegible] ما يدل على [illegible] بعد القرن الخامس .

وفي المعرة قلعة خربة يحيط بها خندق عميق ، وهي في شرقي المعرة الجنوبي ، وبينهما مسافة بعيدة [illegible] وفيها آثار أبنية قديمة .

وعلى [illegible] هذا ما [illegible] صاحب [illegible] سيف الدين علي بن أبي علي [illegible] سنة ٦٣١ هـ ، وشحنها بالرجال والسلاح ، وكانت [illegible] على المدينة ، [illegible] حاصروها سنة ٦٣٠ هـ أخذوها وخربت المعرة [illegible] سنة ٦٥٨ هـ [illegible] ، فتكون مدة [illegible] عمره نحو سبع وعشرين سنة كما يفهم من كلام أبي الفداء وابن الوردي في تاريخيهما وذكر ابن العديم في بغية الطلب (١) [illegible] محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه [illegible] في القلعة نقل حجارتها من بيوت مدينة خربة كانت قريباً منها ومن أبنية الروم التي في الكنائس المتهدمة في بلده

وبها [illegible] إسماعيل [illegible] ، [illegible] لا أصل له من الحقيقة وقد أخبرني بعض شيوخ المعرة أن حجارة هذه القلعة أخذت [illegible] أسعد باشا [illegible] مراد جلبي الآتي ذكره

وفي المعرة خان جميل البناء والوصف في شرقي المعرة إلى الشمال ، [illegible] دفاتر ديوان السلطنة مراد جلبي سنة ٩٧٤ هـ ، كما هو منقوش على حجر فوق بابه ، [illegible] على [illegible] ، ويقال له خان [illegible]

(١) [illegible] أبي العلاء ص ٥٨٧ [illegible]

أن في جانبه تكية وحماماً ، وقيل إن الغريب كان ينزل في الخان مجاناً ، ويغتسل في الحمام مجاناً ، ويأكل من التكية مجاناً . ولكن الحمام في عهدنا يؤجر كغيره من أبنية الوقف ، والخان لا يزال الناس ينزلونه بغير أجر ، وأدخلت عليه إصلاحات أخرى ، جددها أسعد باشا العظم المعري سنة ١١٦٦ هـ ، كما يظهر من الأبيات المنقوشة فوق الباب . وقد اتخذته الحكومة العثمانية ثكنة ثم الحكومة السورية ، وقد رأيته سنة ١٣٥٧ هـ وقد أخرج الجند منه وصار سوقاً تباع فيها الدواب ، وهو على وشك التداعي والانهيار .

وبهذا يتبين أن ما قاله الأستاذ الميمني [1] : « إن هذا الخان بناه عثمان باشا » ، بعيد عن الصواب .

وكان الجامع الكبير الذي سبق ذكره يصعد إليه من أية ناحية أتيت بثلاث عشرة درجة في عصر أبي العلاء ، واليوم ينزل إليه من الباب الشمالي بخمس درجات ، ومن الباب الغربي بعشر درجات .

وهذا يدل على تغير المدينة بسبب الحروب والزلازل ، فكان أهل المدينة كلما خربت أو احترقت يبنون بناءها الجديد على أنقاض القديم ، حتى ارتفع البناء عن المسجد عشر درجات فأكثر ، بعد أن كان يصعد إليه بثلاث عشرة درجة ، وقد اكتشف في أيامنا على مقربة من الجامع من الجهة الشرقية الشمالية على حمام خربة وحوانيت متهدمة ، سقفها أدنى من أرض المسجد ، وهذا يؤيد ما قاله ناصر خسرو . وما رأينا أحداً أراد أن يحفر أساساً لبناء إلا وقد عثر على آثار أبنية مردومة .

وكانت المعرة تنقسم إلى قسمين كبيرين يقال لأحدهما الحلة أو الحارة الشمالية ، والثانية القبلية . وكل منهما ينقسم إلى محلات عديدة تسمى بأسماء مختلفة ، فلما أرادت الحكومة فتح شارع أبي العلاء أنشأت شارعاً من شرقي المعرة يمر من أمام دار الحكومة ومن بين الخان السابق ذكرها

(١) أبو العلاء وما إليه — الميمني ص ١٩ .

ويمتد إلى غربي المدينة حيث يمر جنوبي مقبرة بني الحمدي ويمر من شرقيها إلى أن يصل منعطف ، له منعطف آخر شرقي وشبه جنوبي ، وفيه ضريح أبي العلاء . وقد كان الناس يشكون منه على الطراز الحديث على جانبي الشارع كما هو معهود ، ... فيه ، وقد شرعت في هدم مسجد أبي العلاء ومدفنه في ٦ آب سنة ١٩٣٨ م ، وتمت إعادة بنائه في ٧ شوال سنة ١٣٥٨ هـ و ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ م وأنفقت عليه عشرة آلاف ليرة سورية ، واحدثت طاقة ... على أبي العلاء ... . ولم يتم بناؤه إلا بعد مدة . وفي سنة ١٣٦٧ هـ هدمت القسم الشرقي منه وبنيت فيه غرفاً بجانب الباب أما المسجد القديم الذي كان فيه ضريح أبي العلاء فقد كان يشتمل على ساحة صغيرة وغرفة أمام الباب فيها قبر أبي العلاء وإلى جنوبيها غرفة كانت كتّاباً يعلم فيه الصبيان ومن شرقيها ساحة ترابية فيها بئر ماء وشجرات من الرمان والتين ، وفي جنوبيها إلى الغرب غرفة كبيرة كان الناس يصلون فيها ، وفيها قبر عليه كتابة بالخط الكوفي لم نستطع أن نقرأ منها غير سورة الإخلاص ، ولا حاجة للإطالة في وصفه بعد ما هدم . ويمكن أن يقال إن هذا المدفن كان من دور بني سليمان التنوخي أهل أبي العلاء ، أو في ساحة من دورهم . وإذا صح هذا فهو أقدم بناء بقي إلى اليوم في المعرة ، ولذلك لم يكن هدمه من الحكمة ولا جرى على سنن الرشد ، ولو بقي وأصلح بينه وبين الحديث لكان ذلك أقرب إلى السداد والعقل وأرضى للتاريخ والعلم .

ترجمة أبي العلاء

اسمه وكنيته ولقبه

سماه أبوه أحمد ، وكناه بأبي العلاء منذ ولد ، وقد جرى في ذلك على عادة أهل عصره ، إذ قلما وجدنا نابهاً فيهم في ذلك العهد إلا وله كنية . والظاهر أنهم كانوا يكنون الأولاد عند الحداثة او قبل أن يولد لهم كما قال في اللزوم :

من عثرة القوم أن كنوا وليدهم ... أبا فلان ولم ينسل ولا بلدا(١)

ويبدو ان أبا العلاء كان يمقت هذه العادة وهو صغير كما سيتضح ذلك من حادثته مع الحلبيين الذين جاءوا ليختبروه ، على أنه صرح بهذا في قوله في الفصول والغايات ص ٢٠٩ ، حيث قال « كُنيتُ وأنا وليد بالعلاء ، فكانَ علاءٌ مات ، وبقيت العلامات . لا أختارُ لرجلٍ صدقٍ ما وُلدَ له أن يُدعى أبا فلان . ورب شجرة شاكةٍ ثمرها غير عذب ، وليس هناك برحب ، اسمها السَّمُرة ، وكنيتها أم غيلان » . ويظهر من كلامه أنه كان غير راض بهذا الاسم ولا بتلك الكنية لما يشعران به من المدح والتعظيم ، فقد قال في الأول

وأحمد سماني كبيري ، وقلما ... فعلتُ سوى ما أستحق به الذما(٢)

(١) اللزوميات ج ص ٢٨٨
(٢) اللزوميات ج ص ٢٣٨

[illegible]

[illegible] أبا العلاء [illegible] ولكن تصحيح أبو النزول [illegible]

[illegible]

في البحث عن أسرار الحياة ، فقد نشأت عنده من أعماقها [illegible] في ثلاث سجون لا في محبس ، وقال فيه :

أراني في الثلاثة من سجوني   فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي   وكون النفس في الجسد الخبيث

وقد كني بأبي العلاء [illegible] من [illegible] ، منهم أبو العلاء [illegible] [illegible] بن [illegible] [illegible] بن [illegible] ، وأبو العلاء [illegible] بن [illegible] شاكر ، وأبو العلاء [illegible] بن [illegible] بن محمد بن [illegible] [illegible] ، وأبو العلاء [illegible] بن [illegible] .

والظاهر [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] .

نسبه من قبل أبيه

[illegible] بن عبد الله بن سليمان [illegible] بن محمد بن سليمان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بن [illegible] بن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بن عمرو بن [illegible] بن [illegible] بن [illegible] بن [illegible] بن [illegible] بن حلوان بن عمران بن [illegible] [illegible] [illegible] بن [illegible] ، وهو مجمع [illegible] اليمن .

[illegible] [illegible] كلهم [illegible] في هذا النسب على وجوه كثيرة ، فمنهم من [illegible] [illegible] ، ومنهم من [illegible] [illegible] ، ومنهم من [illegible] [illegible] من [illegible] ، ومنهم من [illegible] [illegible] .

[illegible]

[illegible] ومنهم [illegible] رواية صاحب الوفيات(١) ، لأنها موافقة لرواية [illegible] كثير من كل من [illegible] في [illegible] ، وروايتها موافقة لرواية السمعاني [illegible] في [illegible]

[illegible] مشتقة من [illegible] في [illegible] وهل قبائل ، وإنما [illegible] في مكان [illegible]

[illegible] في [illegible] من القحطانية [illegible]

واختلف في المكان ، فقيل : في الشام ، وقيل في البحرين ، وقيل في [illegible]

[illegible] في [illegible] بن عدنان ، وقيل من قحطان .

[illegible]

[illegible] من عند [illegible]

[illegible] في [illegible] في حقيقتها ، وحسبنا الآن أن نعلم أن هؤلاء من [illegible] على مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله ، [illegible] فغار معظمهم إلى الضيزن بن معاوية ، وهو صاحب الحضر ، والحضر حصن عظيم بين دجلة والفرات ، والصوب من [illegible] واستباح الحضر ،

(١) [illegible] ١٨٢ من [illegible] لابن خلكان

(٢) [illegible] ١٨٣ [illegible] لابن [illegible]

وقتل كثيراً من قضاعة ، ثم إن تنوخ ملكوا [illegible] من البلاد ، واشتدت شوكتهم ، فملكوا عليهم الساطع [illegible] سمي [illegible] وجاه ، فملك عليهم برهة ، [illegible] مع الفرس

ولما هلك الساطع تفرقت كلمة تنوخ [illegible] إن ملك الفرس غزا [illegible] فقتل [illegible] كثيراً [illegible] تنوخ على الفرس ، لأنهم أقرب القبائل [illegible] شديداً ، ثم سألوه أن يتولوا حرب [illegible] فقاتلوا الفرس [illegible] والثياب ، وقربهم [illegible] وسورية مدينة بقرب الأحص (١) [illegible] السورية

ونزل جماعة منهم المعرة ، فلما جاء الإسلام ، نزلوا [illegible] وحماة ومعرة النعمان [illegible] وعيرها ، [illegible] ما يقع عليه اسم الجزية ، وقيل عمر بن الخطاب [illegible] ثم [illegible] في الأحص [illegible] وتنوخ أولاد الساطع ، فبنو سليمان جد أبي العلاء ، [illegible] ينسبون [illegible] وبنو سواري ، وبنو جهير ينسبون إلى تنوخ

سرايا تنوخ

قد [illegible]

(١) الأحص [illegible]

[illegible]

باب [illegible]

[illegible]

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

أدركْ النعمةَ من أخـ [illegible] حتى سديك مُسمحا

[illegible] أبو الحسن [illegible] بن محمد بن [illegible] بعد موت [illegible] أبي بكر ، [illegible] ولي بعد ذلك قضاء [illegible] وتوفي [illegible] وهو على القضاء سنة ٣٧٠ هـ ، [illegible] مصر [illegible] وقد كان [illegible] سنة [illegible] هـ

ومنهم أبو محمد عبد الله بن [illegible] بن محمد [illegible] والد أبي العلاء ، ولد [illegible] سنة ٣٥٥ هـ ، وولي قضاء [illegible] سنة ٣٧٧ هـ ، [illegible] أول [illegible] وتوفي سنة ٣٩٥ هـ على [illegible] من العمر [illegible] في [illegible]

ومنهم عبد الله بن محمد [illegible] أبي العلاء [illegible] قضاء [illegible] سنة ٤٤٣ هـ [illegible] أبي العلاء [illegible] ، [illegible] واخ محمد [illegible] بعد [illegible]

ومنهم علي بن محمد [illegible] أبي العلاء [illegible] المعرة [illegible]

هؤلاء كلهم من [illegible] أبي العلاء ، ولهم أولاد وأعقاب [illegible] القضاء بعد عصر أبي العلاء

وولي القضاء منهم [illegible] عبد الباقي بن [illegible] وهو ابن خمس وعشرين سنة ، [illegible] محمد [illegible] سنة ٤٤٣ هـ [illegible] ولد سنة ٤٢٨ هـ ، وتوفي سنة ٤٩١ هـ [illegible] محمد

[illegible] بن محمد [illegible] بن سعيد بن محمد بن [illegible] وهو [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

وأبو سعيد الحسن بن إسحاق بن بلبل .

وأبو محمد عبد الله بن أخي أبي العلاء ، الذي كان يتعهد عمه .

وأمثالهم وهم كثيرون ، منهم من ولي القضاء في معرة النعمان . وفي معرة مصرين ، وحماة ، وحمص ، ومنبج ، ودمشق ، وغيرها . وقد اقتصرنا على هذا القدر خشية الإطالة واستوفينا ذكر من وقفنا عليه منهم في (تاريخ المعرة) .

ومنهم من تولى غير القضاء ، كأبي القاسم علي بن الحسن بن حيدرات التنوخي ، فإن عضد الدولة بن بويه استخلفه على بغداد ورد أمورها إليه ، ومنهم . ومنهم .

وأما الشعراء منهم ، فأكثر من أن يحصروا ، وقل من أن الناس شاعراً الذي وهو على عهد أبي العلاء وبنوه كلهم تنوخيون وقد خرجاء من أعلامهم وأبنائهم عدد كبير من العلماء والشعراء والكتاب والقراء إلى ما بعد القرن الثامن

نسبه من قبل أمه

لم نقف على تفصيل لأسرة أمه في كلام متقدمين ، إلا ما قاله ابن العديم[1] : وهو أن أمه بنت محمد بن سبيكة ، وأظن أن أباها من أهل حلب ، وخاله علي بن محمد بن سبيكة الذي يقول فيه [من قصيدة في سقط الزند] :

أراها يا علي وإن أقمنا   نشاطرك الصبابة والسهادا [2]

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤١ عن الإنصاف والتحري - لابن العديم

(٢) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٧٢٩ .

ويقول أيضاً

كأن بني سبيكة فوق طير يجوبون الغوائر والنجادا (١)

وأما المتأخرون فقد استنتجوا من كلام المعري نتائج غريبة منهم صاحب (ذكرى أبي العلاء) ، قال (٢) : إن شعر المعري ونثره يمثلان من هذه الأسرة ثلاث خصال ، الأولى كثرة الرحلة . ويستدل على ذلك بما في بعض رسائله ، وبما في قصيدته التي بعث بها إلى أحد أخواله ، وقد عد من سفره إلى مغربه . الثانية : الكرم والحرص على صلة الرحم . وقد استنتج ذلك من رثاء أبي العلاء لأمه ، ومن شكره خاله غير مرة على معونته إياه ، وذهب إلى أبعد من ذلك فجعل سفره إلى بغداد ومقامه بها ورجوعه منها من بواعث حاله . الثالثة حب العلم والنبوغ فيه . واستظهر ذلك من المكاتبات التي اتصلت بين المعري وبين خاله أبي طاهر في بغداد ، ومن لفظ الرسائل التي كتبها إلى أخواله ويستنتج من هذه الرسائل ، أن أبا العلاء يرى لهم التفوق وسعة العلم ، وأنهم أصحاب ثروة ويسار ، وزاد على هذا كله قوله : ولا بد لنا من أن نلاحظ أن رسائل أبي العلاء ولزومياته وديوانه المعروف بسقط الزند ، تخلو كلها من ذكر أسرته لأبيه ، إلا ما كان من رثاء والده ، بينما تستغرق أسرته لأمه ، من ديوانه ورسائله ، مقداراً غير يسير ، فلا شك في أن ذوي أمه وأخواله كانت متظاهرة عليه ، وأن معونة أسرته لأبيه كانت منقطعة عنه لفقر أو جفاء . اهـ

وجرى قريب من هذا الأستاذ الميمني في (أبي العلاء وما إليه) (٣)

(١) شروح سقط الزند ج ٢ ص ٧٨٣
(٢) ذكرى أبي العلاء . طه حسين ـ ط ٢ ، ص ١٣٢
(٣) انظر أبو العلاء وما إليه . الميمني ـ ص ٣٢ .

[illegible]

[illegible] العواثر [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المرادا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وبأخرى مطلعها :(١)

أيدفع معجزاتِ الرُّسْل قومٌ — وفيك وفي بديهتك اعتبار

ومدح الفضل بن سعيد بن عمرو التنوخي عما مين ـ وكان قد مدح أبا العلاء ـ بقصيدة أجابه فيها مطلعها :(٢)

يا للمُفضّل تكسوني مدائحُه — وقد خلعتُ لباسَ المنظر الانِق

ومدح أبا القاسم التنوخي بقصيدة هنأه فيها بمولود مطلعها :(٣)

متى نزل السِّماكُ محلَّ مهدا — تُغذّيه بدرّتهـــا الثديْ

وبأخرى مطلعها :(٤)

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا — وموقد النار لا تكرى بتكريتا

وبثالثة مطلعها :(٥)

لولا مساعيك لم نعدُدْ مساعينا — ولم نُسام بأحكام العلا مُضَرا

ومدح أبي أحمد عبد الله بن محمد ، وهو الذي كان يخدمه ، بأبيات يقول فيها :(٦)

وقاصر لا ينام الليل عنّي — يطوف نباره بين الخصوم

(١) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٨١

(٢) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٦٢٣ ، وفيها قبل هذا [illegible]

[illegible] الأرب [illegible] ولا عجمي وعدي ـ [illegible]

وفي الشروح أيضا [illegible] تكسوني مدائحه .

(٣) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١٣٢١

(٤) شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٥٩٣

(٥) شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٧٣٣

(٦) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٩٢ ، عن الإنصاف والتحري ـ لابن العديم .

وبأبيات أخرى يقول فيها : (١)

أعَنْدَ الله ما أسدى جميلا ... نظير جميل فعلك غير أمي

ولو استقرينا كلامه لوجدنا فيه غير ما ذكرنا ، ومن هذا يتضح لنا ان أبا العلاء مدح في شعره أسرة أبيه أكثر من أسرة أمه ، وإن كان يريد ذكر اسم الأسرة ، فإنه قد ذكر تنوخ في شعره كثيرا كقوله في السقط : (٢)

إلى التنوخيّ وأسأله أخوته ... فقبله بالكرام الغرّ أوحيتا

وقوله فيه : (٣)

وحملتك الشعر من أشعار طائفة ... وحشيته من تنوخ تنكر الحذرا

وقوله في اللزوم : (٤)

فشعاري قاطع وكان شعاراً ... لتنوخ في سالف الدهر واصل

وقوله في غيره : (٥)

فقال : أريدُ عندكمُ تنوحاً ... فقلتُ : أصبت إنا من تنوخ

وإيراد كل ما ذكره من هذا النوع يخرجنا عن الغرض المقصود ، وبهذا القدر يتضح ان أبا العلاء ذكر أسرة أمه في موضع واحد من شعره وأسرة أبيه في مواضع كثيرة ، ثم كتب التعزية إلى خاله أبي القاسم بأمه وعطفه عليه أمر طبيعي ، لأن الجد أحبه وأخوه فعطفه حكم القرباء الذين عزام أو رقام

(١) شروح القدماء لأبي العلاء ص ٤٩٦ عن الإنصاف والتحري _ لابن العدم
(٢) شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٦٣٠
(٣) شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٧٢٨ وفيه « وحملت ... » . أما في التنوير فكما ورد في المتن
(٤) اللزوميات « ص ٢٢٦
(٥) شروح القدماء لأبي العلاء ص ١٢ عن الإنصاف _ لابن ... وفيه « إنا من تنوخ » .

[illegible]

مثل ذلك

[illegible]

أراها يا علي [illegible] أقصى [illegible] الصبابة والشبابا

[illegible] في دمشق [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ٢٢٩

(٣) [illegible] ٨٣ [illegible]

ميلاد أبي العلاء

اتفق جمهور من مؤرخيه على أن أبا العلاء ولد في المعرة عند غروب الشمس من يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ وقد نقل ذلك أبو الخطاب العلاء بن حزم عن أبي العلاء نفسه ، وذكره أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب المعري التنوخي ، وذكره كذلك أصحاب ([illegible])(١) و (الوفيات)(٢) و (نكت الهميان)(٣) و (معاهد التنصيص)(٤) و (ابن الوردي)(٥) و (شذرات الذهب)(٦) و (معجم الأدباء)(٧) و (دول الإسلام) و (الكامل)(٨) لابن الأثير و (بغية الوعاة)(٩) و (لسان الميزان)(١٠) و (النجوم الزاهرة)(١١) و (مرآة الزمان)(١٢) و (البداية والنهاية)(١٣) وغيرهم .

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٢٧ عن [illegible]
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨٣ عن وفيات الأعيان لابن خلكان
(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٩٤ عن نكت الهميان للصفدي
(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٣٥ عن معاهد التنصيص لأبي الفتح العباسي
(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٧ عن تتمة المختصر لابن الوردي
(٦) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١٧ عن شذرات الذهب لابن العماد
(٧) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٦٧ عن معجم الأدباء لياقوت
(٨) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١١٣ عن الكامل لابن الأثير
(٩) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٣٢ عن بغية الوعاة للسيوطي
(١٠) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١١ عن لسان الميزان لابن حجر
(١١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٣ عن النجوم الزاهرة لابن تغري بردي
(١٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٤٣ عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي
(١٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠١ عن البداية والنهاية لابن كثير .

وقال فريق : إنه ولد لثلاثة أيام مضت من شهر ربيع الأول ، وقيل : سنة ست وستين . وقال أبو الفداء القولان ، وقال ابن العديم (١) : الصحيح الأول أي سنة ٣٦٣ هـ وهو الذي اعتمده الجمهور

عماه

حياة أبي العلاء كلها مصائب ، وأول مصيبة منها ذهاب بصره بسبب الجدري

وقد اختلفت الكتب في زمن عماه ، فقيل : إنه ولد أعمى (٢) ، وقيل : عمي وهو ابن ثلاث سنين (٣) ، وقيل : ابن أربع ، وقيل : ابن أربع وشهر (٤) ، وقيل ابن سبع (٥) ، وقال الخطيب البغدادي : (٦) إنه عمي في صغره ، وقيل : عمي وهو ابن ستين عاماً (٧)

وأصح الأقوال أنه أصيب بالجدري وذهب بصره وهو ابن أربع سنين ، وقد قال أبو العلاء نفسه في رسالته إلى داعي الدعاة (٨) ، وقد علم الله أن سمعي ثقيل ، وبصري عن الإبصار كليل (٩) ، قضي علي وأنا ابن

١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥١١ عن الأنساب للسمعاني ـ [illegible]
٢) قال ذلك أبو الفداء ج ٢ ص ١٧٦ والشذرات (ج)
٣) أبو الفداء ، وقال إنه الصحيح (ج)
٤) ابن العديم (ج)
٥) [illegible] (ج)
٦) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢ عن تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي
٧) قاله [illegible] (ج)
٨) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٢٢ [illegible]
٩) في إرشاد الأريب [illegible]

أربع ، لا فرق بين الأربع والأربع [2] . وأبو العلاء أصدق الناس فيما يحدث به عن نفسه ، على أنه يجوز أن يكون قد سمع بعض الأوهام التي تزيد على الأربع أو تنقص عنها

أثر الجدري في وجهه

كان من آثار هذه النكبة في حياته أن أبا العلاء في طفولة حياته ، أنه غشي عينه اليسرى بياض الجدري ، وذهب ... وظهر في أديم وجهه أثر الجدري . وقد نقل ابن العديم عن ابن منقذ أنه رأى أبا العلاء وهو صبي دون العاشرة ، ووصفه فقال [3] : وهو صبي دميم الخلقة مجدور الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجدري كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلاً ، وظل موسوماً بهذه السمة في آخر حياته

فقد نقل ابن العديم عن أبي محمد عبد الله بن الوليد بن عريب الإيادي المعري أنه دخل على أبي العلاء يزوره ، وهو شيخ فان ، فرأى إحدى عينيه نادرة والأخرى غائرة جداً ، وهو مجدور الوجه نحيف الجسم

أثر الجدري والعمى في نفسه

سيأتي عند الكلام في الحس ... أبا العلاء يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر ، فقد صنع لي وأحسن

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

بيد أنه في رؤية العلاء والمصه . . ونسبوا إليه هذين البيتين : (١)

قالوا العمى منظر قبيح   قلت بفقدانكم يهون
والله ما في الوجود شيء   تأسى على فقده العيون

وقد نسبها الشريشي إلى بشار . و (الوطواط) لأبي العيناء (٢) .
وقال في لزوم ما لا يلزم :

ذهاب عيني صان الجسم آونة   عن التصوّح في البيد الأماليس
وأن أبيت سمير الكد في بلد   نطوى فلاه بتهجير وتغليس (٣)

وحمد الله على نعمى ليس عن سرور واغتباط به ، وإنما هو من تقبّل القضاء بالرضى والاستسلام إلى ما لا يستطاع دفعه ، وكم من مكروب يحمد الله على ما أصابه ، وليس معنى هذا أنه راض به ، مبتهج بحصوله ، بل هو سنّة مصدور ، لا يشذ صاحبها عن طريق الدين والأدب مع ربه .

ومن تتبع شعر أبي العلاء الذي يعرض فيه لذكر ضجره والعمى وجده مصوراً لألم الشديد والحزن العميق طافحاً بالحسرات والزفرات وهذا يدل على أنه شعر في نفسه أشد وقع وعمق أثر ، فانظر في قوله في ذم الدهر :

[illegible] [illegible] في [illegible] العلاء ص ٣٥٣ من رحلة حسين — لابن مكي ، وص ٧ ٤ [illegible] من [illegible] — للصفدي ، وص ٨ ٤ من نكت الهميان للصفدي
(٢) ولي وشاه [illegible] ترجمة ص ١٠١ (ج)
(٣) [illegible] ص ٣ [illegible] وتهجير [illegible] الخروج [illegible]
والأماليس [illegible] لا نبت فيها .

أضرُّ من جُدَرِيٍّ شانَ حامله   بحمله جدريٌّ جاء من خدرِ [١]

وقوله :

الحظ لي ولأهل الأرض كلهم   أن لا يراني أخرى الدهر أصحابي

وشقوةٍ غشيت وجهي بنضرته   أبرُّ بي من نعيم جرَّ إشحابي [٢]

وقوله :

عدا رمضاني ليس عني بمنقضٍ   وكلُّ زماني ليلتي آخرَ الشهر [٣]

وقوله المتقدم :

أراني في الثلاثة من سجوني

وقوله :

عمي العين يتلوه عمى الدين والهدى   فليلتي القصوى ثلاثُ ليالِ [٤]

وقوله :

مالي عدوت كقاف رؤبة قيدت   في الدهر لم يُقدر لها إجراؤها

أعللت علة قال وهي قديمة   أعيا الأطبة كلهم إبراؤها [٥]

(١) جدر [illegible] (ج)، [illegible] الزوميات ﻫ ص ١٤٩.
(٢) هكذا في [illegible] وزعم [illegible] أنه تصحيف [illegible] وهو خطأ لا [illegible] (ج). [illegible] في [illegible] الزوميات ﻫ ص [illegible]
(٣) [illegible] الزوميات ﻫ ص ١٤٠ وفيها على رواية: « ليلتي آخر الشهر ».
(٤) [illegible] الزوميات ﻫ ص ٢١٢ وفيها « فليلتي القصرى » [illegible]
(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٣

وقوله :

وما بي طِرْقٌ للمسير ولا السُّرى — لأني ضريرٌ لا تضيء لي الطُّرْق (١)

وقوله :

وأوقدت لي نار الظلام فلم أجد — سناك بطرفي بل سناك في حسي (٢)

وقوله :

إذا كفّ صلٌّ أفعوانٌ فما له — سوى بيته يقتات ما عمر التربا

ولو ذهبت عينا هزبرٍ مساورٍ — لما راع ضأناً في المراتع أو سربا

أو التمعت أنوار عمرو وعامر — لما حملا رمحا ولا شهدا حربا (٣)

وقوله :

وكيف أرجّي من زماني زيادة — وقد حذف الأصليّ حذف الزوائد (٤)

وقوله في السقط :

فليت الليالي سامحتني بناظر — يراك ومن لي بالضحى في الأصائل (٥)

وقوله في السقط :

وربّ أسيرة حجليها أرى سفهاً — حمل الحلي لمن أعيا عن النظر (٦)

(١) لزوميات ح ٢ ص ٢٩٨ [illegible]
(٢) لزوميات ح ٢ ص ٢٧١
(٣) لزوميات ح ١ ص ٣٨
(٤) لزوميات ح ١ ص ١٠٥ [illegible]
(٥) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٨٤ [illegible]
(٦) شروح سقط الزند ق ١ ص ١١٠ [illegible]

إلى غير ذلك من الأبيات الكثيرة ، ولا نكاد نجد بيتاً يذكر فيه الجدري أو العمى إلا وهو ينبض بالحزن والألم ، وترى آثار التبرم والتلهف تترقرق في أضعاف كلمه .

والظاهر أن بين هذا المرض [الجدري] وبين المعرة صداقة أو قرابة ، فهو يتعهدها حيناً بعد آخر ، ولقد تفشى بالمعرة وضواحيها نحو سنة ١٣١٢ هـ ، فذهب بعدد كثير من الناس ، وشوه وجوه كثيرين ، وعمي بسببه كثيرون [illegible] وعدم اكتراث الحكومة بمثل هذا الأمر الخطير ، وقد رأيت كثيراً من الناس ممن أصيبوا بهذه العلة [illegible]

ما يعلم من الألوان

كان أبو العلاء يعلم لون الأحمر [illegible] ، فقد قال ابن العديم (١) [illegible] على الألوان [illegible] هو [illegible] ، يعني الأحمر ، ولعل سبب ذلك هو أنه لما أصيب بالجدري [illegible] ثوباً أحمر [illegible] ، فهو يعرف اللون الأحمر من ذلك الثوب ، ولا [illegible] (٢) وغيرهم [illegible] شعره [illegible] كثير من الأشياء [illegible] والتشبيه ، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٢ [illegible]

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٣٠ [illegible]

الحياة السياسية

في عصر أبي العلاء

لا شك أن أبا العلاء [illegible] من [illegible] تحول في شعره طرفا من أخبار [illegible] والدول التي [illegible] عصرها ، وذكر طائفة من الأحداث التي وقعت في ذلك العهد ، وهذا يجعل التصدي لذكر الحالة السياسية ضروريا [illegible] من كلامه ، حتى يعرض لذكرها [illegible] ذلك في [illegible] الخلفاء [illegible] وقد كان أبو العلاء أدرك عددا من ملوك والأمراء ، وشاهد كثيرا من ممالك دول وقيام أخرى ، [illegible] أن [illegible] [illegible] المؤرخون [illegible] [illegible] ذلك [illegible] الحوادث والدول [illegible] الكلام [illegible] والشام [illegible] في ذلك [illegible] حلب ، [illegible] دمشق [illegible] [illegible] العلاء [illegible]

الدولة الحمدانية

في سنة ٣٣٣ هـ [illegible] الدولة على حلب ، [illegible] في الصبح[1]

[1] [illegible]

عثمان بن سعيد الكلابي ، ثم انتزعها منه الإخشيد بعد انتصاره عليه ، ثم استقر بينهما الصلح على أن تكون حلب وحمص وأنطاكية لسيف الدولة ، ودمشق للإخشيد ، ثم استولى سيف الدولة على دمشق فحاربه كافور سنة ٣٣٥ هـ وكسره ودخل حلب وولى عليها يانس المؤنسي .

وفي سنة ٣٣٦ هـ تغلب عليها سيف الدولة وأبعد يانس واستقر سيف الدولة بحلب إلى أن مات سنة ٣٥٦ هـ ، ثم ملكها بعده ابنه أبو المعالي سعد الدولة شريف ، وكان له غلام يقال له قرغويه (١) فتغلب عليه ، واستولى على حلب وأخرجه منها سنة ٣٥٨ هـ إلى حمص ، ثم صالحه سنة ٣٥٩ هـ ، وكان أبو المعالي في حمص ، وخطب له في حلب ، ثم اتفقا على أن يخطب في أعمالها للمعز العلوي صاحب مصر .

وكان قرغويه استناب غلامه بكجور ، فقوي أمره وقبض على قرغويه وحبسه في قلعة حلب ، وأقام بها نحو ست سنين ، ولما استبد بكجور بالأمر كتب أهل حلب إلى أبي المعالي يطلبون أن يقصد حلب ، فسار إليها فحاصرها أربعة أشهر ثم تسلمها سنة ٣٦٦ هـ ، وبقيت القلعة بيد بكجور ثم صالح أبا المعالي ، وطلب أن يوليه حمص ، فأجابه إلى ذلك وسيره إلى حمص فاستمر واليه ، وكان بكجور يتقرب إلى العزيز صاحب مصر ، وطلب منه أن يوليه دمشق ، فوعده بذلك فلما كانت سنة ٣٧٢ هـ وقعت بين أبي المعالي وبكجور وحشة ، فكتب إليه أن يخرج من بلده ، فأرسل إلى العزيز أن ينجز له وعده ، فولاه دمشق سنة ٣٧٣ هـ وبقي بها إلى سنة ٣٧٨ هـ ، [illegible] ، فسير إليه العزيز عسكراً مع قائد [illegible] ، [illegible] ، وتم قتال بينهما فانهزم بكجور

(١) كذا [illegible] والصواب ما ذكرناه كما ضبطه ابن شحنة (ح)

وطلب الأمداد من صاحب مصر العزيز بالله ، فأجابه إلى ذلك ، فجمع ماله وسار بجميعه إلى الرقة ليستولي عليها وعلى ما يجاورها ، وكتب إلى بهاء الدولة بن بويه أن ينضم إليه ، وإلى باد الكردي المتغلب على ديار بكر وأوصل إليه كتاب العزيز ، وكتب إلى سعد الدولة أن يعود إلى طاعته ويقطعه مدينة حمص كما كانت له ، فلم يجبه أحد ، فكتب إلى صاحب مصر يجمعه في حلب ، ويطلب الإمداد بالعساكر ، فوعد بإمداده وسار إلى حلب ، فخرج إليه سعد الدولة وكتب إليه يستميله ويدعوه إلى الموافقة ويقطعه من الرقة إلى حمص ، فلم يفعل ، فلما التقى الجمعان استأمن جيش كثير من أصحاب بكجور ، وانقلب العرب الذين كانوا معه فنهبوا سواده لأن سعد الدولة أطمعهم واستمالهم ، ثم وقعت بين الفريقين معركة ، انتهت بانهزام بكجور وأسره [1] ثم قتله سعد الدولة صبرا ، ثم سار إلى الرقة فاستلمها بأمان وعهود ، ثم أصابه الفالج فمات ، وعهد إلى ولده أبي الفضائل سعيد الدولة ، ووصى إلى لؤلؤ بن عبد الله الحسيني الكبير مولى سيف الدولة . وكان ذلك سنة ٣٨١ هـ كما سبق

ثم إن الوزير أبا الحسن المغربي سار إلى العزيز بمصر ، فأطمعه في حلب ، فسير إليها جيشا عليه منجوتكين أحد أمرائه فحصرها ، فاستنجد أبو الفضائل ولؤلؤ بملك الروم ، ثم بذل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي وغيره مالا ليردوا منجوتكين ، فسار إلى دمشق ، وبلغ الخبر إلى العزيز بالله فغضب وكتب بعود العسكر إلى حلب وإبعاد المغربي ، فسار [2] العسكر إلى حلب وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهرا ، ولما استنجد لؤلؤ بملك الروم سار إلى حلب بنفسه ، فلما قرب منها رحل عنها منجوتكين كاسمه ، فعظم ذلك على العزيز

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٥ (ج)
(٢) كذا في الأصل والصواب (نزل)

[illegible] لله ، فخرج من القاهرة لغزو الروم الذين استنجد بهم لؤلؤ وأبو الفضائل ، ثم حدثت به [illegible] ثم [illegible] سنة ٣٨٦ ه وأبو العلاء مدح سعيد الدولة بقصيدة أوله :

أعن وخد القلاص كشفت حالا (١) ...

[illegible] في حرب [illegible]

[illegible] وعهد [illegible] أصحابه ، وجعل مدبر الملك بعده كما [illegible] أبو الفضائل [illegible] وقد تزوج أبو الفضائل [illegible] سنة ٣٩ [illegible] ه مسموما ، ويقال إن لؤلؤا [illegible] ابنته زوجة أبي الفضائل [illegible]

واستولى لؤلؤ بعد موت أبي الفضائل على تدبير [illegible] أبي الحسن علي وأبي المعالي [illegible] وأخرجهما إلى مصر سنة ٣٩٤ ه ، وبقي إلى أن توفي سنة ٣٩٩ ه ، فملك حلب بعده ابنه منصور أبو نصر [illegible] وكان [illegible] ثم [illegible]

وكان [illegible] لؤلؤ غلام [illegible] ، [illegible] وكان [illegible] ، [illegible] في [illegible] واستولى على حلب [illegible] الدولة وسعدها وعزها ، [illegible] إلى أنطاكية ، وكان [illegible] وكانت [illegible] سنة ٤٠٦ ه وفي (النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣٠) [illegible] على حلب ، وزال ملك بني حمدان منها في سنة ٤٠٤ ه

(١) [illegible] ومن [illegible] العلاء طلبت مالا

ثم تنقلت حلب بأيدي [illegible]
[illegible] الدولة والي [illegible]
[illegible] (١) [illegible]

[illegible]

مكانه الظاهر لإعزاز دين الله شق عصا الطاعة عليه ، وواطأت ست الملك
بعض غلمانه على قتله فقتله سنة ٤١٣ هـ ، ثم ولي مدينة حلب
للمصريين رجل يعرف بابن ثعبان ... وولي القلعة خادم يعرف بموصوف
وبقيا فيها إلى أن انتزعها منهما صالح بن مرداس سنة ٤١٤ هـ .

[illegible]

وقد ذكر ... [illegible]

[illegible]

... (ح)

[illegible]

... سنة ٤١٤ هـ ... (ح)

الدولة المرداسية

كان أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر ومن عرب البادية.

وفي سنة ٣٩٩ هـ قتل أبو علي بن ثمال الخفاجي (١)، وكان الحاكم صاحبُ مصر ولاه الرحبة، فسار إليها فخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله، وملك الرحبة، ثم أخذها منه بدران بن المقلد العقيلي، فأمر الحاكم لؤلؤاً البشاري نائبه في دمشق بالمسير إليها وملكها وملك الرقة ثم عاد إلى دمشق، وكان بالرحبة رجل من أهلها يعرف بابن محكان فملك البلد واحتاج إلى من يستعين به على من يطمع فيه، فكاتب صالح بن مرداس فقدم عليه وأقام عنده مدة، ثم تغير صالح وسار عن ابن محكان وقاتله على البلد وقطع الأشجار، ثم تصالحا وتزوج ابنة ابن محكان ودخل البلد، إلا أن أكثر مقامه كان بالحلة. ثم راسل ابن محكان أهل عانة، فأطاعوه ونقل ماله وأهله إليهم وأخذ رهائنهم، ثم خرجوا عن طاعته وأخذوا ماله واستعادوا رهائنهم وردوا أولاده، فاجتمع ابن محكان وصالح على قصد عانة، فسارا إليها، فوضع صالح على ابن محكان من يقتله، فقتله غيلة وسار صالح إلى الرحبة، فملكها وأخذ أموال ابن محكان وأحسن إلى الرعية، واستمر على ذلك، إلا أن الدعوة كانت للمصريين.

وفي سنة ٤٠٢ هـ فسد ما بين الحاكم ومرتضى الدولة أبي نصر بن لؤلؤ صاحب حلب، فطمع فيه صالح بن مرداس وبنو كلاب، وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع، ثم اجتمعوا في خمسمائة فارس، ودخلوا حلب،

(١) ابن الأثير ٩/٨٧ (ج).

فأمر مرتضى الدولة بإطلاق الأبواب ، وقبض على [illegible] وعشرين رجلاً ، منهم صالح بن مرداس ، وحبسهم [illegible] من لم يمكره [illegible] وكان صالح تزوج [illegible] وكانت جميلة ، [illegible] قد تزوجها [illegible] في حبس [illegible] على القلعة إلى تلها ، [illegible] مرتضى الدولة [illegible] ، فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ولبنة حديد في رجليه [illegible] وحمله إلى أهله في مرج دابق (١)

[illegible] حلب اثنين وثلاثين يوماً ، فخرج إليه مرتضى الدولة [illegible] كان في [illegible] ثم [illegible] وأطلق كل أسير عنده من بني كلاب [illegible] وأطلقه ورحل . ثم عصى فتح مولى مرتضى الدولة [illegible]

وفي سنة ٤١٤ هـ [illegible] يعرف بأنوشتكين (٢) الدزبري [illegible] دمشق والرملة وعسقلان وغيرها ، واجتمع حسان أمير بني طيء ، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب ، وسنان بن عليان أمير

(١) [illegible] ٩٢٤ [illegible] (ح)

(٢) [illegible] (ح)

بني كلب [illegible] وتحالفوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسان ، ودمشق لسنان .

فسار حسان إلى الرملة فحصرها ، وكان أنوشتكين بها ، فسار عنها إلى عسقلان ، واستولى عليها حسان ونهبها ، وقتل أهلها ، وذلك سنة ٤١٤ هـ وحاصر سنان دمشق سنة ٤١٦ هـ وجرت بينه وبين أهلها حرب شديدة ، [illegible] سنة ٤١٩ هـ [illegible] رافع بن [illegible] على الكلبيين [illegible] [illegible] وقتل صالح [illegible] [illegible] [illegible] لإحسانه إليهم [illegible] المصريين معهم [illegible] القلعة ، [illegible] صالح فيها ، [illegible] الماء الذي بها فلم يبق لهم ما يشربون ، [illegible] القلعة إليه وذلك سنة ٤١٤ هـ ، [illegible] من معلثك [illegible] عانة [illegible] [illegible]

وفي سنة ٤١٥ هـ [illegible] ابن [illegible] ، [illegible] في القلعة ، وفي سنة ٤١٦ هـ استوزر [illegible] تادرس النصراني ، وكان عنده صاحب السيف [illegible]

وفي سنة ٤١٨ هـ خرج صالح إلى [illegible] ، [illegible] لأنهم هدموا ماخوراً أراد صاحبه أن [illegible] ، وشفع عنده [illegible] العلاء كما سيأتي

وفي سنة ٤٢٠ هـ (١) جهز الظاهر صاحب مصر جيشاً إلى الشام [illegible] إلى رافع [illegible] الكلبي لقتال صالح وحسان ، وكان مقدم العسكر [illegible] ،

(١) [illegible] ١٥٣ [illegible] ٤١٩ هـ [illegible] (ح)

فاجتمع صالح وحسان على قتاله ، فلقوا بالأقحوانة على الأردن عند طبرية ، فقُتل صالحٌ وولده الأصغر ، وحمل رأساهما إلى مصر ، ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح ، فجاء إلى حلب فملكها وكان لقبه شبل الدولة ، فلما علمت الروم بمهلك حسان ، تجهزوا إلى حلب في عالم كثير ، فخرج أهلها إليهم فحاربوهم فهزموهم ونهبوا أموالهم وعاد الروم إلى أنطاكية ،

وقد أشار أبو العلاء إلى هذه الفتن والحوادث في مواطن من شعره .

منها قوله من أبيات (١) :

أرَى حلباً حازَها صَالحٌ ... وَجالَ سِنَانٌ عَلَى جلّقَا
وَحسّانُ في سلفي طيّئٍ ... يُصرِّفُ مِنْ عِزِّهِ أبلَقَا
فلمّا رأت خيلَهم بالغبار ... ثَناماً على جَيشِهم عُلّقا
رمتْ جامعَ الرّملةِ المُستضامَ ... فأصبحَ بالدّمِ قدْ خُلّقَ
وما يَنفعُ الكاعِبَ المُستبا ... ةَ هامٌ على عضبٍ فُلّقَ
وطُلّ قَتيلٌ فلَمْ يُذكَرْ ... وعُلّ أسيرٌ فما أُطلِقا
وكَمْ تركتْ آهِلاً وَحدَهُ ... وكم غادرَتْ مُثرِياً مُملِقا
يسائلُ في الحيّ عن ماله ... وما القولُ في طائرٍ حلّقا

وقوله من بيت آخر (٢) :

والرُّملةُ البيضاءُ غُودرَ أهلُها ... بعدَ الرّفاهةِ يأكلون قِمارَها (٣)

(١) اللزوميات ج [illegible] ص [illegible]

(٢) اللزوميات ج [illegible] ص ١٤٣

(٣) القمار [illegible]

والعُربُ خالطت الحضارةَ واتقَت سُكنى الفَلاة ورَعْلَها وصَفارَها
كانت إماؤهُمُ روافدَ مَوْرِد فالآن أثقلَ نَصْرُها أوفارَها
أهلَتْ بها الأمصارُ فهي ضوارِبٌ عَمَدَ الممالكِ لا تُريدُ قِفارَها
لمْ يَبْقَ إلا أن تؤمَّ جيادُهُمْ رُمْحاً[1] لتَقْطعَ رَمْلَها وجِفارَها
غتروا الفوارسَ بالصوارمِ والقنا والملكُ في مِصرٍ يُغِيرُ فارَها
جعلوا الشفار هواديا لتنوفةٍ مَرْهاء تكحَلُ بالدجى أشفارَها
يكبو رتاه القادحين وعامِرٌ بالشام تقدَحُ مرْخَها وعَفارَها

وقوله (٢) :

قد أشرَعَتْ سِنْبِسٌ ذوابلَها وأرْهَفَتْ بُحتُرٌ مَعابِلَها(٣)
لفتنةٍ لاتزال باعثةً رامحَها في الوغى ونابلَها
حسّانُ في المُلْكِ لا يحسُّ لها تُزجي إلى موتِها قنابلَها

وقوله (٤) :

أصاب الرَّمْلةَ الحَدَثانُ يوماً فحصٌ ومايزال أخا اشتمال

(١) رُمْح قرية بالشام (ج) .
(٢) اللزوميات ح ص ٨ ٢
(٣) سنبس وبحتر بطنان من طيء ، (ج) وفي الأصل: «بحتر عواملها» والصواب ما أثبتناه.
(٤) اللزوميات ح ص ٢١٨ .

وقوله (١) :

ألم ترَ طيِّئاً وبني كلابٍ　　سَمَوا للبلادِ غزةَ والعريش
ولو قدَروا على الطَّيرِ الغوادي　　لما نهضَتْ إلى وَكْرٍ بريش

وقوله في سقط الزند، من قصيدة يمدح بها خازن دار العلم ببغداد (٢) :

وما أذهلَتْني عن ودادِكَ روعةٌ　　وكيف وفي أمثالها (٣) يجب الغَبْطُ
ولا فتنةٌ طائيّةٌ عامريّةٌ　　يُحرّقُ في نيرانها الجَعْدُ والسَّبْطُ
وقد طرَحتْ حولَ الفراتِ جرانَها　　إلى نيلِ مصرٍ فالوساعُ بها تقطو
فوارسُ طعّانون ما زال للقنا　　مع الشَّيبِ يوماً في عوارضِهم وَخْطُ
وكلُّ جوادٍ شفَّه الركضُ فيهم　　وحٍ يتمنّى أنَّ فارسَه سُقْطُ
ونائلةٍ من بُحتُرٍ لو تعمَّدوا　　بليلٍ أناسيَّ النواظرِ لم يُخطوا

أراد بالطائية قوم حسان بن مفرج أمير طيء، وبحتر قبيلة من طيء، وأراد بالعامرية قوم صالح بن مرداس وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وبقي شبل الدولة مالكاً حلب إلى سنة ٤٢٩ هـ، فوصل إليه الدزبري بالعساكر المصرية، وكان صاحب مصر حينئذ المستنصر بالله، ولي سنة ٤٢٧ هـ بعد وفاة الظاهر، فلقيهم عند حماة، وقُتل في شعبان وملك الدزبري حلب في رمضان سنة ٤٢٩ هـ. ولما كان أنوشتكين في دمشق

(١) اللزوميات ص ٣٢٧
(٢) شروح سقط الزند، ق ٤ ص ١٢٧٥
(٣) كذا في شروح، وفي الأصل «[illegible]أث».

كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ، ويحفي المسألة عنه ، فأراد جزاءه على ما فعل ، فعمل له كتابا سماه (شرف السيف) كما سيأتي . وبقيت حلب في ملك الدزبري حتى توفي في جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ

وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بالرحبة ، فلما بلغه موت الدزبري جاء إلى حلب فملكها تسلما من أهلها ، وحصر امرأة الدزبري وأصحابه بالقلعة أحد عشر شهراً ، ثم ملكها في صفر سنة ٤٣٤ هـ وبقي إلى سنة ٤٤٠ هـ . وجهز ثمال إلى المعرة والياً فأساء التدبير ، فانحرف عنه الناس وهرب ، فبادر جعفر أمير حمص وتجهز إلى المعرة بنفسه ولقيه مقلد بن كامل بن مرداس فأوقع به وقتله وشهر رأسه بحلب .

ثم أنفذ المصريون إلى محاربته أبا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، فخرج أهل حلب إلى حربه ، فهزمهم واتفق فأصاب منهم جماعة ، ثم إنه رحل عن حلب وعاد إلى مصر .

فأنفذ المصريون إلى قتال معز الدولة خادماً يعرف برفق ، فخرج إليه في أهل حلب فقاتلوه فانهزم المصريون وأسر رفق في ربيع الأول سنة ٤٤١ هـ . ومات عندهم .

ثم إن معز الدولة أصلح أمره مع المصريين ، وأرسل إليهم [illegible] ، ونزل لهم عن حلب فأنفذوا إليها أبا علي الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه مكين الدولة ، فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ وسار ثمال إلى مصر في ذي الحجة ، كذا في ابن الأثير وقال : (ج ٩ ص ٢٣٣) في سنة ٤٤١ هـ وصل عسكر مصر إلى حلب فحاربهم ثمال ، فانصرف عنها ، فملكها المصريون . وفي (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٤٥) : وفي سنة ٤٤١ هـ صرف المستنصر طارق الصقلبي عن إمرة دمشق وولى مكانه عدة الدولة المستنصري ، ثم صرفه عنها وبعث به إلى حلب ، وولى دمشق حيدرة بن

الحسين بن مفلح ويعرف بأبي الكرم المؤيد ، وقدم عليه حيدرة تسع مرات

وقد تقدم أن أبا العلاء ولد سنة ٣٦٣ هـ وسيأتي أن وفاته في سنة
٤٤٩ هـ في ربيع الأول ، فيكون مولده في زمن أبي المعالي سعد الدولة
ابن سيف الدولة ، في العهد الذي غلب فيه قرعويه على مولاه سعد الدولة ،
وتغلب بكجور على قرعويه ، ووفاته في عهد معز الدولة ثمال بن
صالح بن مرداس .

ولقد تولى حلب في هذا العهد جماعة كثيرون منهم

(١) أبو المعالي سعد الدولة شريف بن سيف الدولة

(٢) وقرعويه غلام سعد الدولة .

(٣) وبكجور غلام قرعويه .

(٤) وأبو الفضائل ، سعيد بن سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ

(٥) ولؤلؤ بن عبد الله مولى سيف الدولة سنة ٣٩٤ هـ

(٦) وابنه منصور أبو نصر مرتضى الدولة

(٧) وغلامه فتح مبارك الدولة وسعيدها وعزها سنة ٤٠٦ هـ .

(٨) ومختار الدولة والي طرابلس

(٩) ومرهف الدولة والي صيدا .

(١٠) وعزيز الدولة فاتك أبو شجاع مولى منجوتكين سنة ٤٠٧ هـ

(١١) ووالي شعبان الكتامي سنة ٤١٢ هـ .

(١٢) وصالح بن مرداس سنة ٤١٤ هـ .

(١٣) وابنه أبو كامل نصر شبل الدولة سنة ٤٢٠ هـ .

(١٤) وأنوشتكين الدزبري سنة ٤٢٩ هـ .

(١٥) وأبو علوان ثمال بن صالح معز الدولة سنة ٤٣٤ هـ ، وبقي
فيها إلى ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ أي بعد وفاة أبي العلاء بنحو ثمانية أشهر .

وقد سماه أبو العلاء تاج الأمراء في شرحه لشعر الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة وكناه بأبي العلوان .

وإذا تأملت وجدت في التواريخ تناقضاً بيناً وغموضاً ظاهراً ، فإن ابن الأثير ذكر أولاً أن معز الدولة ولي عن حلب وتسلمها مكين الدولة سنة ٤٤٩ هـ وذكر بعد ذلك أن معز الدولة في سنة ٤٤١ هـ خاف عسكر مصر فانصرف عن حلب وملكها المصريون ، وصاحب (النجوم الزاهرة) ذكر أن :

١٦ – عدة الصقلي ولي حلب سنة ٤٤١ هـ ، ولم يعلم هل أخذها من ثمال أم من غيره .

وقد ذكر أبو العلاء طائفة من ملوك حلب والأمراء المتغلبين عليها ، منهم

١٧ – أبو الفضائل سعيد بن سعد الدولة ، مدحه بقصيدة مذكورة في أول سقط الزند ، ومنها يقول على لسان النوق [1]

تسائل فقلت مقصدنا سعيد ... فكان اسم الأمير لهن فالا

ويقول فيها :

ولكن بالعواصم من علي [2] ... أمير لا يكلفنا السؤالا

ومنها يشير إلى وقعة بينه وبين عسكر مصر والمغرب بقوله :

إذ حققت لمغربها الأماني ... وقت من أسنته اعتيالا

وأظنه يريد الوقعة التي جاء فيها منجوتكين مقدم عسكر مصر إلى حلب وكانت بينهما حروب سنة ٣٨٣ هـ وسنة ٣٨٦ هـ

(١) شروح سقط الزند ج ١ ص ٤١

(٢) يعني سعد الدولة [illegible] علي بن [illegible] أحمد عمر بن حلب

١٨ – ومنهم عزيز الدولة فاتك مولى منجوتكين، وهذا ألف له كتاب (الصاهل والشاحج، و[illegible] القائف) وذكره في رسالة إلى أبي نصر صدقة ابن يوسف الفلاحي ما دعاه إلى حضرة عزيز الدولة بقوله ص ٩٦: «وإنما ذكرت ذلك لينتهي إلى حضرة عزيز الدولة أني تخلفت عن خدمته بعرض منع من أداء المفترض». وذكره في رسالة ثانية ص ٢٢٩، وهو طلب من أبي الحسن بن سنان أن يطلب من أبي العلاء اختصار كليلة ودمنة.

١٩ – ومنهم عبد الله بن شعيب الكاتب عمل له الرسالة السندية.

٢٠ – ومنهم صالح بن مرداس ذكره في مواضع من شعره تقدم بعضها، ومنها قوله:

بُعِثْتُ شفيعاً إلى صالحٍ ... وذاك من القوم رأيٌ فَسَد [1]

وقوله:

نجّى المعرّةَ من براثن صالحٍ ... ربٌّ يعافي كلَّ داءٍ مُعضِل [2]

ونقل ابن العديم [3] في كتاب (تاريخ حلب) وصفه أبو العلاء لبعض الحيلات من العسكر ويطلق على [illegible] زوج صالح بن مرداس.

٢١ – ومنهم شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، ذكره في (رسالة الغفران) حيث قال ص ٥٨: [4] «وقدم هذا [illegible] في الموقف: يا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب في زمن شبل الدولة...» وقد تكرر ذكره.

٢٢ – ومنهم أنوشتكين الدزبري عمل له كتاب (شرف السيف).

٢٣ – ومنهم معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس عمل له رسالة الصـ[illegible]

* * *

(١) اللزوميات ج ... ص ١١٦
(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٢٢١ وفيه [illegible] معضل.
(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٢٩ من (الإنصاف والتحري) لابن العديم.
(٤) في الطبعة الأولى من رسالة الغفران بتحقيق بنت الشاطئ ص ١٥٥.

طائفة من الأحداث التي حدثت في حياة أبي العلاء

في حلب والمعرة وما يتعلق بهما منها

قدمنا أن أبا المعالي شريف استولى على حلب ، وكان حاصرها أربعة أشهر ثم ملكها في القعدة ، وفتح نكفور حمص سنة ٣٦٦ هـ . وفي سنة ٣٦٨ هـ وقعت حروب بين سعد الدولة وسلامة البرقعيدي أبي تغلب ابن حمدان متولي ديار مصر ، وساعد عضد الدولة سعد الدولة فأخذ عضد الدولة الرقة لنفسه ، وترك ما بقي لسعد الدولة .

وفي سنة ٣٧٣ هـ نزل بردوس الدمستق على باب حلب في خمسمائة ألف ، والتقى في الميدان مع عسكر سعد الدولة ، ثم رجع عسكر بردوس ، وأتبعه سعد الدولة حيث من قبله غدرا حتى تبع عسكره أنطاكية

وفي سنة ٣٧٨ هـ التقى عسكر مصر مع القائد منير الخادم مع عسكر بكجور عند داريا ، فاقتتلوا وفرّ بكجور إلى الرقة مستولى عليها ، وكان له رفقاء في حلب ، فكتبوا إليه يطمعونه في حلب ، وأعلموه أن سعد الدولة مشتغل بلذاته ، فكتب إلى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويستنجده فكتب صاحب مصر إلى نزال البربري صاحب طرابلس بالمسير إليه متى استدعاه ، وكان نزال من صنائع الوزير عيسى بن نسطورس ، فكتب إليه عيسى أن يظهر المسارعة ، فإذا تورط بكجور مع مولاه تأخر عنه وأسلمه . فكتب بكجور إلى نزال أن يسير من طرابلس ليكون وصوله إلى حلب في وقت واحد وسار إليها ، ورحل نزال من طرابلس وأبطأ في سيره وكان يكتب إلى بكجور بدروبه في منزل بعد منزل

أما سعد الدولة فقد كتب إلى بسيل عظيم الروم يعلمه بعصيان بكجور ، ويطلب منه ألا يكتب إلى البرجي صاحب أنطاكية بالمسير إلى استنجده ، فكتب إليه بسيل بذلك ، فلما وصل بكجور كتب سعد الدولة إلى البرجي فسار إليه ، وبرز سعد الدولة في عدده وعساكره ومعه

من العرب عمرو بن كلاب وعدتهم خمسمائة فارس ، ثم استدعى كاتبه فكتب إلى بكجور عنه يستعطفه ويذكره الله ويقطعه من الرقة إلى باب حمص ، ويدعوه إلى المودة ورعاية حق العبودية . فلما وقف على الكتاب قال للرسول : الجواب ما تراه عيانا . فلما عاد الرسول أخبر سعدَ الدولة بما قاله . فتقدم سعد الدولة وتقارب العسكران ، وكان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وأطمعهم ووعدهم ، فأفسدوا على بكجور وهم سواده ومالوا إلى سعد الدولة ، فلما رأى بكجور تقاعد نزال عن نصرته وانقلاب العرب عليه وإخلاف رفقته الذين وعدوه ، قال لكاتبه أبي الحسن المغربي : لقد غررتني ، فما رأيي الآن ؟ فأشار عليه بالرجوع إلى الرقة ويخبر صاحب مصر بما فعله نزال واستنجاده مرة أخرى . ثم اختار بكجور جماعة من غلمانه وشجعانه وأعلمهم أنه يريد أن يحمل على سعد الدولة بنفسه فوافقوه على ذلك ، وأخبر لؤلؤ الجراحي بما عزم عليه ، فأخبر لؤلؤ سعد الدولة ، فانتقل إلى مكان غير مكانه ، ووقف لؤلؤ مكانه ، فحمل بكجور في أربعمائة غلام ، فأفرجت له العساكر حتى وصل إلى لؤلؤ وهو يظن أنه سعد الدولة فضربه فقد الخوذة ووصل السيف إلى رأسه فوقع لؤلؤ على الأرض وظهر سعد الدولة بنفسه وعاد إلى مكانه فلما رآه غلمانه اشتدت شوكتهم وحملوا على بكجور حتى انهزم في سبعة نفر وتبعه عشرة فوارس من العرب فسلبوه وأصحابه وخيلهم . ثم رأى جماعة من العرب وفيهم رجل من بني قيس كان يستخدمه ، فعرفه بنفسه وجعل له حمل بعيره ذهبا إن أوصله إلى الرقة ، فأردفه وحمله إلى بيته وكتمه . وكان سعد الدولة قد أخذ في طلبه ، وجعل لمن أحضره حكمه . وكان بكجور بخيلا فخاف البدوي أن يغدر به ، فأسرع إلى سعد الدولة وأخبره بحال بكجور واحتكم عليه مائتي فدان زراعة ومائة ألف درهم ومائة راحلة محملة برا وخمسين قطعة ثيابا ، فبذل له سعد الدولة ذلك كله . ثم جاء لؤلؤ الجراحي فأخبره بما قاله البدوي فقال : أين هو ؟ قال : في المرج على بعد فرسخ . فأمر جماعة من غلمانه أن يسرعوا ويقبضوا على بكجور ويحضروه . فتوجهوا ولقي

قابضاً على يد البدوي خشية أن يطعنه بكجور فينجو حتى حازوا به عسكره (١) ثم رحل سعد الدولة إلى الرقة ، وبها سلامة الرشيقي ، وأبو الحسن المغربي وأولاد بكجور وحرمه ، فحلف لسلامة بيمين يؤمنهم فيها ثم غدر بهم وأخذ أموالهم . وكان أبو الحسن المغربي فر من الرقة إلى المشهد بالكوفة ، فلما مات سعد الدولة خلفه ابنه أبو الفضائل ، فعظم أبو الحسن المغربي أمر حلب عند صاحب مصر وكثر أموالها وهون حصولها عليه ، فقدم غلاماً يسمى منجوتكين وولاه الشام وأمر القواد والأكابر بالترجل له ، واستكتب له أحمد بن محمد القشوري (٢) وسيره إلى حلب ، وضم إليه أبا الحسن المغربي ، فوصل إلى دمشق وأقام بها مدة ثم رحل إلى حلب ونزل [illegible] ، وتحصن أبو الفضائل ولؤلؤ بالبلد وكان لؤلؤ حين علم بورود العسكر المصرية كتب إلى بسيل عظيم الروم يذكره بما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة ، ويبذل له عن أبي الفضائل الحربي على بعث المدد ، وحمل إليه أموالاً كثيرة وسلعة ، وأرسل له ملكونا (٣) السرياني رسولاً ، ففعل ذلك وكتب إلى البرجي صاحبه بأنطاكية بجمع عسكر [illegible] ، وقصد حلب فسار البرجي في خمسة آلاف [illegible] (الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٣٧ في خمسين ألفاً) ، ونزل بجسر الحديد بين أنطاكية وحلب ، فعرف منجوتكين وأبو الحسن

(١) في (النجوم الزاهرة ج ٤ ص [illegible]) [illegible] دمشق لأسباب [illegible] صاحب مصر [illegible] [illegible] سنة ٣٧٨ [illegible] بكجور [illegible] حلب ، ثم قتل [illegible] وكان [illegible] بكجور من موالي سعد الدولة . . توفي سنة ٣٨١ (ج) .

(٢) في (النجوم الزاهرة) : النعوري ، وفي (مرآة الزمان) القشوري (ج) .

(٣) في (النجوم) ملكون (ج) .

ذلك جمعا وجوه العسكر وتشاوروا في الأمر ، وأجمعوا على الانصراف عن حلب ومقاتلة الروم أولا ، فساروا إليهم وخاض المسلمون نهر المقلوب (١) وعبروا على المخاض ، وقد سبق أنه نهر يخاض في الأرض التي تعرف بالروج فانتصروا بالروم ، فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل ، وأفلت البرجي في عدد قليل (٢) . ومضى منجوتكين إلى انطاكية فنهب رستاقها (٣) وأحرقها ، ثم رجع إلى حلب ، فكتب لؤلؤ إلى أبي الحسن والقشوري وبذل لهما من المال ما استمالهما به ، وسألهما أن يشيرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب في هذا العام والعودة في العام القابل لعلة تعذر الأقوات والعلوفات ، فخاطبا منجوتكين بذلك فقبل وعاد .

فلما علم ذلك صاحب مصر استشاط غضباً ، فصرف أبا الحسن وجعل مكانه صالح بن علي الروذباري ورجع منجوتكين في السنة التالية إلى حلب ، وأقام عليها ثلاثة عشر شهراً ، وأبو الفضائل ومن معه متحصنون بالبلد ، ثم أنفذ لؤلؤ ملكوتا إلى باسيل يستنجده مرة ثانية ، وكان في بلاد البلغر ، فقال له : متى أخذت حلب فتحت أنطاكية بعدها ، فسار إلى حلب وقطع ثلاثمائة مرحلة في ستة وعشرين يوماً ، وكان الزمان ربيعاً ، وقد أنفذ منجوتكين وعسكره كراعهم إلى المرج ، وقرب هجوم باسيل وهم لا يشعرون . فأرسل لؤلؤ إلى منجوتكين أن باسيل أظلكم بجيوش الروم فخذوا حذركم ، وإن عصبة الإسلام جامعة لنا تدعوني إلى إنذاركم ونصحكم ؛ وخاف غلام منجوتكين من هذا الخبر ، فأحرق الخزائن والأسواق والأبنية التي كان أحدثها وعاد منهزماً ، ثم نزل باسيل على باب

(١) النهر المقلوب هو النهر المعروف اليوم بالعاصي

(٢) هذا يؤيد قول من [illegible] أن [illegible] تقدم في تخمين ألفاً (ج) .

(٣) الرستاق معربها [illegible] وهو السواد والقرى ، معرب .

حلب فخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ولقياه ، ثم عاد ورحل في اليوم الثالث ، ففتح حمص ونهبها وسباها ، ثم نزل على طرابلس فأقام عليها نيفاً وأربعين يوماً فلما أيس منها عاد إلى بلاد الروم ، ثم صاحب مصر العزيز ، فلما بلغه انهزام منجوتكين أعظم ذلك واستنفر الناس ، فنفروا وخرج مع عساكره وعدده حتى نزل بلبيس ، فأقام بظاهرها ثم اعترضه علل فقضى نحبه ، واشتغل المصريون بأنفسهم بسبب موته وبطلت تلك الحملة

وفي سنة ٤٢١ هـ خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل إلى الشام ، فنزلوا قريبا من حلب وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، فنزلوا في يوم منها ، وكان الزمان صيفا ، فلحقهم عطش شديد ، وكان أصحابه مختلفين عليه وكان معه ابن الدوقس ، يريد هلاك الملك ليملك بعده ، فأشار الملك بالإقامة حتى تجيء الأمطار ، فمنع ابن الدوقس هذا الرأي ، وأشار بالإسراع قصداً لشر يتطرق إليه ، والتدبير كان غيره ، فسار فارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ في عشرة آلاف فارس ، وسلكوا طريقاً آخر ، فخرج بعض أصحاب الملك ، وأخبر الملك بأن ابن الدوقس وابن لؤلؤ حالفا أربعين رجلا وهو أحدهم على الفتك به ، فخاف ورحل من يومه راجعا ، وتبعه ابن الدوقس ، وسأله عن سبب عودته ، فقال : قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا ، وقبض عليه وعلى ابن لؤلؤ ، فاضطرب الناس ، ورحل [illegible] ، وتبعهم العرب وأهل السواد والأرمن ، يقتلون وينهبون ، ونجا الملك ولم يسلم من أمواله شيء ، وقد ذكر هذه الحادثة ابن الأثير في سنة ٤٠٣ و ٤٢١ و ٤٢٦ هـ

وذكر ابن الوردي (١) عن ابن مهذب المعري ، أن ملك الروم اسمه أرمانوس ، وكانوا ستمائة ألف ، وخرج في شهر تموز ومعه ملك البلغر وملك

(١) انظر ديوان ابن أبي حصينة الحاشية ص ٣٤٧ عن تاريخ ابن الوردي

الروس والألان والخزر والأرمن وبلجيك والفرنج ، وغنم المسلمون منهم مالا يحصى ، وأسروا جماعة من أولاد ملوكهم ، وفي ذلك يقول الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري التنوخي ، من قصيدة أنشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين مطلعها :(١)

دِيارُ الحيِّ مقفرةٌ يَبابُ   كأنّ رسومَ دِمْنَتِها كتابُ

وفيها يقول

وأرمانوسُ كان أشدّ بأساً   وحَلّ به على يدك العذابُ
أتاك يجرُّ بحراً من حديد   له في كلِّ ناحية عُبابُ
إذا سارت كتائبُه بأرض   تزلزلَتِ الأباطحُ والهضابُ
فعاد وقد سَلبْتَ الملكَ عنه   كما سُلبَتْ عن الميْتِ الثيابُ
فما أدناه من حتفٍ محيصٌ   ولا أقصاه عن شرٍّ ذهابُ

ولعل أبا العلاء يشير إلى هذه الحادثة بقصيدته التي يقول فيها :(٢)

أيُوعِدُنا بالرّومِ ناسٌ وإنما   هُم نَبتٌ والبيضُ الرِّقاقُ سَوامُ
كأنْ لمْ يكنْ بين المخاضِ وحارمٍ   كتائبُ يُشجين الفلا وجمامُ
كتائبُ من شرقٍ وغربٍ تألّبت   فُرادى أتاها الموتُ وهو زُؤامُ(٣)

(١) ديوانه ١/٣٤٧ ، ٣٤٨
(٢) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٦٠٢
(٣) في الشروح : « أتاها الموت وهي تؤام » .

لأنه يقول فيها :

وظنوك من يُصغي إلى البرد تارةً ... إذا طلعت عند الغروب جهام

ويجوز أن يكون يشير بها إلى حادثة في قبلها ، لأنه ذكر فيها الغاض ، ويعني فيما بعد قوله : وظنوك من . .

وأنكَ تجتنيها قباله حلقٍ ... متى لاح برق واستهلّ غمام (١)

وهذه الحادثة تدل على أن الغاض موضع على النهر المقلوب (٢) لأنه بقرب المعرة .

وفي سنة ٤٣٢ هـ دخل جماعة من بني جعفر بن كلاب ولاية أفامية ، فعاثوا فيها ونهبوا عدة قرى ، فخرج عليهم جمع من الروم ، فأوقعوا بهم وأزالوهم عن بلادهم ، فأرسل الناظر بحلب إلى الدزبري يعرفه الحال ، فجهز جيشاً وسيّره على مقدمته ، فالتقوا بجيش الروم بين مدينة حماه وأفامية ، واشتد القتال ، فانهزم الروم وأسر ابن عم الملك ، وقتل منهم خلق كثير .

الحوادث التي وقعت في المعرة في عهد أبي العلاء

في سنة ٣٩٣ هـ خرّب لؤلؤ السيفي الجراحي المتغلب على حلب بعد أبي الفضائل كفر روما ، وهي قرية من قرى المعرة ، وقد كانت حصناً حصيناً ، وحصن الروم ، مخافة أن يقصد فيها

وفي سنة ٤١٧ هـ صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة ، وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغصبها نفسها ، وكانت أعرابية ، فنفر كل من في الجامع ، إلا القاضي والمشايخ ، وهدموا الماخور ، وأخذوا خشبه ونهبوه

(١) في الشروح : « واستهل غمام »

(٢) النهر المقلوب هو كما سبق النهر المعروف اليوم بالعاصي .

وحرقوه وقتلوا الضامن ، وكان صالح بن مرداس صاحب حلب يومئذ في نواحي صيداء ، وكان له وزير يقال له : تاذروس [أو تادروس ، أو تاذاروس] ابن الحسن النصراني ، وكان متمكنا عنده ، وكان صاحب السيف والقلم ، وكان أهل المعرة قتلوا جاه الخوري ، فكان في نفس تاذروس شيء من أهل المعرة من أجل حبه ، فكان يؤذيهم ، ويتتبع قتلته حتى قتلهم وصلبهم ، فلما أنزلوا عن الخشب ليصلى عليهم ويدفنوا ، قال الناس : قد رأينا عليهم طيوراً بيضاً ، وما هي إلا الملائكة ، يريدون بذلك كيد النصارى ، فبلغت هذه الكلمة تاذروس ، فنقمها على أهل المعرة واعتدها ذنباً لهم ، وتربص بهم السوء ، فلما وقعت حادثة الماخور ، على ما ذكرنا ، وسوس الوزير لصالح وأوغر صدره على أهل المعرة . وكان صالح قد وصل إلى حلب سنة ٤١٨ هـ فحضر المعرة ونصب المجانيق وشدد الحصار عليها واعتقل سبعين رجلاً من شيوخها وأعيانها (١) ، ولبثوا سبعين يوماً في محبس الحصن ، وذلك بعد عيد الفطر بأيام ، وقد دُعي للمعتقلين على المنابر آمِد وميّافارقين ، وكان تاذروس أشار على صالح أن يقتل المهذب الشيخ أبا الحسن وأبا المجد محمد بن عبد الله بن سليمان أخوَي أبي العلاء ، وأوهمه أن في ذلك إقامة الهيبة ، فأبى صالح أن يوافقه على القتل ، وقطع تاذروس ألف دينار (٢) على أهل المعرة وكان بعض بني سليمان جدّ أبي العلاء من المعتقلين ، فلما اشتد الحصار على أهلها ، وآنسوا من نفوسهم العجز عن مقاومته ، لأنه صدمهم بما لا قبل لهم به ، جاءوا إلى أبي العلاء ، وقالوا له : إن الأمر قد عظم ، وليس له غيرك ، وسألوه أن يخرج إلى صالح

(١) في الوافي بالوفيات : نحو أحد عشر كتاب صالح على سجن . . (ج)
(٢) في طبقات النحاة واللغويين : ص ١٧ عشرة آلاف دينار . (ح)

نفسه، ويفدي الأمر برأيه، إما بأموال يبذلونها، أو طاعة يعطونها. فخرج أبو العلاء ويده في يد قائده، فلما فتح له باب من أبواب المعرة وخرج منه، رأى صالح شيخاً قصيراً يقوده رجل. فقال: هذا أبو العلاء، فجيئوني به، فلما مثل بين يديه، سلّم عليه ثم قال:

الأمير، أطال الله بقاءه، كالنهار الماتع اشتد هجيرُه، وطاب أبرادُه، وكالسيف القاطع، لان صفحُه وخشن حدّاه، «خذ العفوَ وأمُرْ بالعُرْف وأعرض عن الجاهلين» فقال صالح: «لا تثريب عليكم اليوم» وقد وهبت لك المعرة وأهلها. ثم قال له: أنشدني شيئاً من شعرك، فقال أبو العلاء: (١)

تغيّبتُ في منزلي برهةً سَتيرَ العيُوب فقيدَ الحسَدْ

فلمّا مضى العمْرُ إلا الأقلّ وَحُمَّ لِروحي فِراقُ الجسَدْ

بُعِثتُ شفيعــاً إلى صالحٍ وذاكَ من القومِ رأيٌ فسَدْ

فيَسْمَعُ منّيَ سَجعَ الحَمامِ وأسمَعُ منهُ زئـيرَ الأسَدْ

فقال له صالح: بل نحن الذين تسمعُ منا سجعَ الحمام وسمعنا منك زئيرَ الأسد. ثم أمر بتقويض الخيام والمجانيق، فنقضت، ورحل ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم، ولو علم ذلك لسأل صالحا ردّه، ولما رجع أبو العلاء قال: (٢)

نجّى المَعرّةَ من براثنِ صالحٍ ربٌّ يداوي كلَّ داءٍ مُعضِلِ

---

(١) اللزوميات ﻫ ص ١١٦ .

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٢٠ ، وانظر الحاشية (١) ص ٤٨ .

ماكان لي فيها جَناحُ بَعوضةٍ   الله ألبسهم جَناحَ تفضّلِ

وبعض الرواة يقول: (١) إن صالحا استدعى إليه أبا العلاء، وهو بظاهر المعرة، وآخر يقول: (٢) استدعاه إليه وهو في حلب، ولم يثبت أن أبا العلاء خرج من المعرة إلى حلب بعد رجوعه من بغداد. وعلى كل رواية ثبت أنه خرج إلى لقاء صالح، ولقيه وقال له ماتقدم معناه، على اختلاف في الروايات.

وروى بعضهم كلمة أبي العلاء لصالح على غير هذا الوجه، وذكر آخرون أنه قال الأبيات بداهة بعد معرفته صالحاً، وهذا أقرب إلى القول، لأن بعدها بيتاً جاء ذكره في (لزوم ما لا يلزم)، ورواه ابن العديم وهو قوله:

فلا يُعجبنّي هذا النِّفاق   فكم نفّقت مِحنةٌ ما كَسد[3]

والظاهر من مراجعات هذا العصر أن مثل هذا البيت لا يقال لمثل صالح في مثل هذا الموقف الخطير، وفي (لزوم ما لا يلزم) قبل البيتين الآخرين اللذين على روي اللام، بيت آخر وهو:

أَليتُ أَرغبُ في قميصٍ مُمَوَّهٍ   فأكونَ شاربَ حنظلٍ في حَنْضَلِ[4]

الحنضل: الغدير الصغير وجمع حنضلة وهو الماء في الصخرة، والحنظل نبات مر معلوم.

(١) شرح التنوير لأبي العلاء ص ٤٩٧ عن الإنصاف والتحري لابن العديم.
(٢) روى هذا الخبر ابن العديم في الإنصاف والتحري وأثبت في ص ٥٩٦ من شرح التنوير لأبي العلاء.
(٣) اللزوميات ج ١ ص ١١٦، وروى هذا الخبر شرح التنوير لأبي العلاء ص ١٤١ عن مرشد الأريب لياقوت.
(٤) اللزوميات ج ٢ ص ٢٢ وفيه [illegible]

وهذه القصة رواها ياقوت في (معجم الأدباء) وابن العديم والقفطي والذهبي والوردي والصفدي وغيرهم، ونقلت عن أبي غالب بن المهذب المعري في تاريخه وهو أوثق الجميع، لأن الحادثة وقعت في حياته، وكلهم أخذوا عنه، وتصرف بعضهم بما لا يضر في إثبات الحادثة، وقد لخصنا ما ذكرناه من أقوال الجميع. ولم [illegible] كان [illegible] صالح: هل هو في الشرق، أم في الغرب، أم في غيرهما، ويغلب على الظن أنه من جهة الشرق [illegible] القادم من حلب إلى المعرة [illegible]

وقد ذكر أبو العلاء هذه الحادثة في قصيدة في [illegible] فقال (١):

أتت جامعَ يومَ العَروبةِ جامعاً ... تقصُّ على الشُّهّاد بالمصر أمرَها

فلو لم يقوموا ناصرين صُوَيْتَها ... لخِلْتُ سماءَ الله تُمطرُ جمرَها (٢)

فهدّوا بناءً كان يأوي فِناءَه ... وواخرَ ألفِ [illegible] المواحشِ حُمرَها

ورامرةٍ ليست من الزُّبْدِ حصّنتْ ... يد [illegible] جلبها تنفقُ [illegible] مرها

ألِفْنا بلادَ الشامِ إلفَ ولادةٍ ... نلاقي بها سُودَ الخطوبِ وحُمرَها

فصوراً نداري (٣) من شَبيبةَ ليثَها ... وحيناً نصادي من ربيعةَ نمرَها

(١) اللزوميات ج ص ١٣٨

(٢) [illegible]
والجمرة [illegible] (ح)

(٣) نداري (ع)

أليس تميمٌ غيّرَ الدهرُ سعدَها ... أليس زُبيدٌ أهلكَ الدهرُ عمرَها

وددتُ بأني في عمايةَ(١) أو ذُرى(٢) ... تعاشرني الأروى(٣) فأكرهُ قمرَها(٤)

أو ثَمّ الصعوى(٥) إلى كل قفرة ... أُوانسُ ظُعيانها(٦) وآلفُ قُمرَها

فإني أرى الآفاق دانت لظالم ... يَعُزّ بغاياها ونشربَ خمرَها

ولو كانت الدنيا من الإنس لم تكن ... سوى مومس أفنت بما ساء عمرَها

تدين لمجدود وإن بات غيرُه ... يَهزُّ لها بيضَ الحروب وسُمرَها

وما العيشُ إلا لجة باطلية ... ومن بلغ الخمسين جاوز غمرَها

وما زالت الأقدارُ تترك ذا النهى ... عديماً وتعطي مُنيةَ النفسِ غمرَه

إذا يسّر اللهُ الحصون فكم يد ... وإن قصرت تجني من الصاب تمرَها

ولولا أصولٌ في الجيادِ كوامنٌ ... لما أمّت الفُرسانُ تحمدُ ضُمرَها

وقد استنتج صاحب (الذكرى)(٧) من هذه الأبيات أن اسم المرأة [illegible] في صاحب ([illegible]) ، وذهب الأستاذ [illegible](٨) إلى أن الجامع هو الحامل ،

(١) جبل (ج)
(٢) [illegible] (ج)
(٣) الوعل (ج)
(٤) [illegible] (ج)
(٥) [illegible] (ج)
(٦) [illegible]
[illegible] (ج)
(٧) ذكرى أبي العلاء [illegible] ص [illegible]
(٨) أبو العلاء وما إليه [illegible] ص ٢٤

وقد قال في (لسان العرب): وامرأة جامع في بطنها ولد. وكلا القولين لا يخرج عن حدود الظن والاحتمال؛ لأن لفظ الجامع جاء على وجوه لمعان غير ما ذكر، وإنما يحيي الحقيقة النص التاريخي وليس لدينا ذلك.

الخلفاء الفاطميون الذين أدركهم أبو العلاء

هم خمسة: الأول: المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل، ولي الخلافة سنة ٣٤١ هـ وتوفي سنة ٣٦٥ هـ في آخر عهده ولد أبو العلاء سنة ٣٦٣ هـ

الثاني: العزيز بالله نزار بن المعز، ولي بعد أبيه سنة ٣٦٥ هـ وتوفي سنة ٣٨٦ هـ.

الثالث: المنصور الحاكم بأمر الله بن العزيز ولي سنة ٣٨٦ هـ وتوفي سنة ٤٢١ هـ.

الرابع: الظاهر لإعزاز دين الله علي بن المنصور ولي سنة ٤٢١ هـ وتوفي سنة ٤٢٧ هـ.

الخامس: المستنصر بالله معد بن الظاهر ولي سنة ٤٢٧ هـ وتوفي سنة ٤٨٧ هـ. وقد توفي أبو العلاء في عهده سنة ٤٤٩ هـ.

وقد استولى الفاطميون على دمشق سنة ٣٥٨ هـ، وخطب في حلب أبو المعالي وقرعويه للمعز الفاطمي سنة ٣٥٩ هـ وسلم فتح غلام مرتضى الدولة حلب إلى نواب الحاكم سنة ٤٠٦ هـ على نحو ما تقدم

الخلفاء العباسيون الذين أدركهم أبو العلاء :

في منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ كلف سبكتكين التركي الخليفة المطيع لله الفضل بن المقتدر أن يخلع نفسه ففعل ، وهو الثالث والعشرون من خلفاء بني العباس ، وكانت ولادة أبي العلاء في ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ فيكون أدرك من خلافته نحوا من سبعة أشهر ونصف على اختلاف في الأقوال .

وخلفه في هذه السنة ولده الطائع لله عبد الكريم وهو الرابع والعشرون ، ثم قبض عليه بهاء الدولة ابن عضد الدولة سنة ٣٨١ هـ وحبسه في داره وأشهد عليه بالخلع ، وجيء بالقادر للخلافة واستمر الطائع محجوبا في منزله إلى أن توفي سنة ٣٩٣ هـ .

وبويع القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر في تلك السنة وتوفي سنة ٤٢٢ هـ ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله عبد الله بن القادر في تلك السنة وتوفي سنة ٤٦٧ هـ وقد كانت وفاة أبي العلاء في سنة ٤٤٩ هـ . فيكون أدرك أربعة خلفاء منهم .

طائفة من الأحداث

التي وقعت في عهد أبي العلاء في العراق وغيرها

في سنة ٣٣٤ هـ وصل معز الدولة بغداد وبايع المستكفي بالله ثم خلعه ونهب داره، وبايع المطيع لله واستقل نواب المعز العراق بأسره، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه إياه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته، ثم مات معز الدولة وولي بعده ابنه عز الدولة بختيار.

وفي سنة ٣٦٣ هـ سار بختيار إلى الأهواز وتخلف سبكتكين التركي عنه ببغداد. فأوقع بختيار بمن معه من الأتراك واحتاط على أقطاع سبكتكين فخرج عليه سبكتكين ببغداد فيمن بقي معه من الأتراك ونهب دار بختيار ببغداد، وألزم المطيع أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى ولده الطائع ففعل.

وفي هذه السنة سارت القرامطة إلى بلاد مصر فحاربهم المعز العلوي فانهزموا، فأرسل في أثرهم عشرة آلاف فارس، فسارت القرامطة إلى الأحساء والقطيف، فأرسل المعز القائد ظالم بن موهوب العقيلي إلى دمشق فدخلها وعظم أمره. ثم وقع بين أهل دمشق والمغاربة وعاملهم المذكور فتن دامت إلى سنة ٣٦٤ هـ أحرقوا خلالها بعض مدينة دمشق.

فحدر سبكتكين في سنة ٣٦٣ هـ بالأتراك إلى واسط، وأخذ معه الخليفتين الطائع والمطيع، فمات المطيع وسبكتكين، وولى الأتراك عليهم أفتكين، وساروا إلى واسط وبها بختيار، فقاتلوا نحو خمسين يوماً، وكان الظفر للأتراك، فاستنجد بختيار بابن عمه عضد الدولة، فسار في سنة

٣٦٤ هـ بعسكر فارس ، فلما قرب واسط رجع أفتكين إلى بغداد ، فنزل لهم عضد الدولة من الجانب الشرقي ، وسار بختيار من الجانب الغربي ، وحوصرت الأتراك فقاتلوا عضد الدولة فهزمهم ، ثم شغب الجند على بختيار يطلبون أرزاقهم ، فأشار عليه عضد الدولة أن يتبرأ من الإمرة ليصلح الحال مع الجند ففعل ، فشهد عضد الدولة الناس على بختيار أنه عاجز وقد استعفى من الإمرة ، وقبض على بختيار وإخوته واستتب له الأمر ببغداد . وكان لبختيار ولد صغير اسمه المرزبان ، كان متوليا البصرة ، فكتب إلى ركن الدولة أبي عضد الدولة بذلك ، فأرسل يشفع فيه ، وهدد عضد الدولة حتى أخرج بختيار من حبسه ، وأعاده إلى ملكه ، وسار عن العراق .

وأما أفتكين التركي فقد كان مولى لمعز الدولة بن بويه ، فلما انهزم من بختيار سار إلى دمشق ، فدخلها مع قومه وأخرجوا والي الخادم أميرها من قبل المعز العلوي الذي مات في هذه السنة سنة ٣٦٤ هـ .

ثم وجه العزيز بن المعز قائده جوهر إلى الشام ، فوصل إلى دمشق وحصر أفتكين فيها ، فاستنجد بالقرامطة ، فلما قربوا منها رحل جوهر إلى مصر ، وتبعه أفتكين والقرامطة ، فأدركوه قرب الرملة ، فدخل عسقلان فحصروه فيها ، فبذل إلى أفتكين أموالاً عظيمة ، فأخذها ورحل عنه .

ولما عاد جوهر إلى مصر ، علم العزيز بما وقع ، فخرج بنفسه إلى الرملة ، ولقي أفتكين والقرامطة ، فهزمهم ، والتجأ أفتكين إلى مفرج بن دغفل الطائي ، فدل عليه العزيز ، فأرسل من أحضره وخلع عليه واصطحبه إلى مصر وبقي عنده مكرما حتى مات .

وفي سنة ٣٦٦ هـ سار عضد الدولة بعد موت أبيه إلى العراق ، فخرج بختيار إلى قتاله ، فهزم ، ثم انهزم بختيار إلى واسط وبعث عضد الدولة عسكراً فاستولى على البصرة ، ثم سار إليها وقرر أمورها وذهب بختيار إلى بغداد .

وفي سنة ٣٦٧ هـ كتب عضد الدولة إلى بختيار يقول له : اخرج من هذه البلاد وأنا أعطيك أي بلاد أحببت غيرها ، فرضي وسار إلى نحو الشام ، ودخل عضد الدولة بغداد واستقر فيها ، ولعل أبا العلاء يشير إلى هذه الحوادث بقوله :(١)

لو بُعثَ المنصورُ نادى أبا ... مدينةَ التسليمِ لا تسلمي
قد سكنَ القفرَ بنو هاشمٍ ... وانتقلَ الملكُ إلى الدَّيلمِ
لو كنتُ أدري أن عُقباهمُ ... كذاكَ لم أقتُلْ أبا مُسلمِ
قد خدمَ الدولةَ مستنصِحاً ... فألبستْهُ شيةَ المظلمِ

ثم أطمع حمدان بن ناصر الدولة بختيار في مملكة أبي تغلب وهوّن عليه أمر أخيه أبي تغلب ، ودس أبو تغلب إلى بختيار يقول له : إن سلّمت إليّ أخي حمدان حاربت معك وقاتلت عضد الدولة ، فغدر بختيار بحمدان وسلمه إلى أخيه فحبسه ثم سار أبو تغلب وبختيار إلى بغداد فخرج إليهما عضد الدولة والتقوا بقصر الجص من نواحي تكريت فقُتل بختيار وهرب أبو تغلب إلى ميافارقين ، فأرسل جيشاً في طلبه مقدّمه أبو الوفاء ، فهرب أبو تغلب إلى بدليس فتبعه ، فهرب إلى نحو بلاد الروم فتبعه وجرى بينهما قتال ، فانتصر أبو تغلب وهزم العسكر وسار إلى حصن زياد ، وهو خرتبرت ، ثم في أمر فتقدم ، وكان عضد الدولة بعد فتح ميافارقين حتى توصل فملكها .

وفي سنة ٣٦٨ هـ فتح أبو الوفاء المذكور مدينة ميافارقين ، فسار أبو تغلب إلى الرحبة ، ثم فتح أبو الوفاء آمد ، واستولى عضد الدولة على جميع ديار بكر ثم ديار مضر والرحبة ، فاستخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد إلى بغداد ، أما أبو تغلب فإنه سار إلى دمشق ، وأراد أن يملكها فلم يستول عليها ،

(١) اللزوميات ص ٢٥٢ ، وفيها : فلما ... ولعمر ... [illegible]

فقاتل أبا تغلب ومنعه من دخولها ، فسار إلى طبرية ، ثم سار إلى الرملة سنة ٣٦٩ هـ ، ولم يبق معه إلا سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه . وكان في تلك الجهة دغفل بن مفرج الطائي وقائد من قواد العزيز اسمه الفضل ، فجمعا عربًا إلى الشام فساروا وقاتلوا أبا تغلب فولى مهزومًا ، ثم أسر فقتله دغفل ، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة وزوجته بنت عمه سيف الدولة ، فحملهما بنو عقيل إلى حلب ، وبها ابن سيف الدولة فبقيت أخته عنده وأرسل جميلة إلى بغداد ، فاعتقلت في حجرة في دار عضد الدولة

وفي سنة ٣٧٢ هـ سير العزيز العلوي جيشًا إلى الشام مع بكتكين ، فوصل إلى فلسطين وعليها مفرج بن الجراح فهزمه وأكثر القتل في أصحابه ، ثم سار بكتكين إلى دمشق وعليها قسام ، فغلبه بكتكين ، وأرسله إلى العزيز بمصر ، واستقر بدمشق ، وفيها توفي عضد الدولة وولي الإمارة بعده ولده كاليجار مرزبان ، ولقبه صمصام الدولة ، وكان أخوه شرف الدولة شيرزيك بكرمان ، فسار إلى فارس فملكها

وفي سنة ٣٧٥ هـ قصد القرامطة البصرة وحصروها ، فجهز صمصام الدولة جيشًا هزمهم وأكثر القتل فيهم

وفي سنة ٣٧٦ هـ سار شرف الدولة شيرزيك من الأهواز إلى واسط فملكها وكان به أخوه صمصام الدولة محصورًا ، فطلب عفوه ، فلما خرج من عنده قبض عليه ، وسار إلى بغداد ودخلها ، وأخوه معتقل معه ، ثم أرسله إلى فارس ، فاعتقل في قلعة هناك

وفي سنة ٣٧٩ أرسل شرف الدولة محمد الشيرازي ليسمل أخاه صمصام الدولة ، فوصل إليها بعد موت شرف الدولة وسمله فأعماه ، ولما توفي شرف الدولة ملك أخوه أبو نصر بهاء الدين ، وقيل اسمه خاشاد ، وفيها وقعت الفتنة في بغداد بين الترك والديلم واقتتلوا خمسة أيام ، وظل

بهاء الدولة في داره اثني عشر يوماً يراسلهم في الصلح ثم سمعوا ، ثم صار مع الترك ، فضعف أمر الديلم ، وأجابوا إلى الصلح ، وأخذ بعد ذلك أمرُ الترك يقوى ، وأمرُ الديلم يضعف .

وفي هذه السنة شخص أبو الطاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة إلى الموصل فاستوليا عليها وطردا العمال والعسكر الذي فيها إلى بغداد واستقرا في الموصل .

وفي سنة ٣٨٠ هـ استولى أبو الذواد محمد بن المسيب بن رافع أمير عقيل على الموصل ، وقتل أبا الطاهر وأولاده وعدة من قواده بعد قتال شديد .

وفي سنة ٣٨١ هـ خلع بهاء الدولة الطائع طمعاً في ماله ، وبويع بعده القادر بالله .

وفي سنة ٣٩٠ هـ ولى الحاكم نيابة الشام فحل بن تميم فمرض ومات .

وفي سنة ٣٩٢ هـ ولى الحاكم عوضه على دمشق علي بن جعفر بن فلاح .

وفي سنة ٣٩٩ هـ ولى الحاكم القائد أبا الجيش حامد بن ملهم أميراً على دمشق بعد علي بن جعفر فوليها سنة وأربعة أشهر ، ثم عزل محمد بن بزال

وفي سنة ٤٠١ هـ ولى الحاكم لؤلؤ بن عبد الله الشيرزي البشاري أو الشراوي منتجب الدولة ثم عزله وولى أبا المطاع ذا القرنين ابن حمدان التغلبي (وحيد الدولة) .

وفي سنة ٤٠٣ هـ توفي بهاء الدولة ، وولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع .

وفي سنة ٤٠٦ هـ قتل سلطان الدولة نائبه بالعراق فخر الملك أبا غالب واستوزر أبا محمد الحسن بن سهلان

وفي هذه السنة ولى الحاكم دمشق سانكين سهم الدولة ، وعزله سنة ٤٠٨ هـ

وفي سنة ٤١١ هـ شغب الجند ببغداد على سلطان الدولة ، فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق ، وسار [illegible] الأهواز ، واستوزر في طريقه ابن سهلان ، ثم أزعجه ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق ، فاقتتلا فانتصر أخوه وأمسك ابن سهلان وسمله ، فمر سلطان الدولة إلى الأهواز في أربعمائة فارس ، واستقر أخوه في ملك العراق ، وخطب له في أواخر المحرم سنة ٤١٢ هـ ، وفي سنة ٤١٣ هـ اصطلحا على أن يكون العراق لمشرف الدولة ، وكرمان وفارس لسلطان الدولة ، وفيها استوزر مشرف الدولة [illegible] الرخجي ، ولقبه مؤيد الملك ، ثم قبض عليه سنة ٤١٤ هـ ، واستوزر [illegible] العراق ، وتوفي مشرف الدولة سنة ٤١٦ هـ

وفي سنة ٤١٧ هـ [illegible] في بغداد ، [illegible] يكثروا مصادرات الناس [illegible] بغداد [illegible]

وفي سنة ٤١٨ هـ [illegible] جلال الدولة أبا طاهر [illegible] بغداد ، [illegible] واستوثق منه واستقر في بغداد

وفي سنة ٤٢٣ هـ [illegible] جلال الدولة ، ونهبوا داره ، وأخرجوه من بغداد إلى عكبرا ، [illegible] وعاد إلى بغداد

وفي سنة ٤٢٦ هـ [illegible] ببغداد وعظم أمر العيارين ، فصادروا [illegible] والسلطان جلال الدولة عاجز ، [illegible] في البلاد ، ونهبوا [illegible] وقطعوا الطرق

(١) [illegible]
[illegible] لا يرومها
ولا يرجعون [illegible] لا يردها

وفي سنة ٤٣٥ هـ توفي جلال الدين ، وكان ابنه العزيز أبو منصور بواسط ، فكاتبه الجند فيما يخطبه الشهر ، فلم ينتظم له أمر فسار يطلب نجدة من الملوك ، مثل قرواش وأبي الشوك ، فلم ينجده أحد . فقصد نصر الدولة بن مروان وتوفي عنده بميافارقين سنة ٤٤١ هـ .

ولما لم ينتظم أمره كاتب الملك أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ابن عضد الدولة عسكر بغداد ، فاستقر له الأمر وخطب له ببغداد سنة ٤٣٦ هـ

وفي سنة ٤٤٠ هـ خرج بهرام الديلمي عامل أبي كاليجار عن طاعته ، فسار أبو كاليجار إلى بلاد كرمان ، فتوفيت به الحمى فمات بمدينة جناب من كرمان ، ونهب الأتراك الخزائن والسلاح والدواب من العسكر . وكان معه ولده أبو منصور فلاستون ، فذهب إلى شيراز فملكها ، وله ولد آخر كان ببغداد وهو الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن أبي كاليجار ، فاستولى على بغداد ، ثم أرسل عسكراً إلى شيراز ، فقبض على أخيه فلاستون وعلى والدته .

وفي هذه السنة أي سنة ٤٤٠ هـ ولى المستنصر طارقاً الصقلي دمشق وعزل عنها ناصر الدولة الحسين بن الحسن بن حمدان .

وفي سنة ٤٤١ هـ سار البساسيري كبير الأتراك ببغداد وملك الأنبار وقرر قواعدها ، وعاد إلى بغداد (١)

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، وعظم الأمر حتى عطلت الأسواق ، وشرع أهل الكرخ في بناء سور عليهم يحيط بالكرخ ، وشرع السنية من القلايين ومن يجري مجراهم في بناء سور على سوق القلايين ، وكان

(١) البساسيري مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة اسمه أرسلان ، ينتسب إلى مدينة بسا بفارس وكان سيده منها فقيل له البساسيري .
(أبو الفداء ٢ ـ ١٢٩) (ج)

الأذان بأماكن الشيعة : (حي على خير العمل) ، وبأماكن السنة : (الصلاة خير من النوم) .

وفي هذه السنة صرف [illegible] حيدرة الصقلبي عن دمشق ، وولى مكانه عدة الدولة [illegible] ، ثم صرفه وبعث به إلى حلب ، وولّيَ دمشقَ حيدرة بن الحسين بن مفلح [illegible] فأقام بها تسع سنين .

وفي سنة ٤٤٣ هـ وقعت فتنة بين الشيعة والسنة وعظم الأمر ، وأُحرق ضريح موسى بن جعفر [illegible] وقبور بني بويه وجميع الترب التي حواليها ووقع [illegible] الكرخ [illegible] وهو مدرس الحنفية أبا سعيد السرخسي [illegible] ثم [illegible] الفتنة في [illegible] ، وعادت الفتنة سنة ٤٤٤ هـ .

وفي سنة ٤٤٤ هـ [illegible] بغداد وطلبوا من الخليفة أن يأذن لهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فأذن لهم [illegible] وأذن لهم في نهب دور [illegible] ، وقد كان غائباً في واسط فنهبوها وأحرقوها ، [illegible] البساسيري فأبعده ، وسار إلى حلة دبيس بن مرثد لمصاهرة بينهما .

وفي هذه السنة [illegible] بغداد ، ووصل [illegible] ، ثم وصل طغرلبك واستأذن في دخول بغداد [illegible] فخطبوا له بالخليفة [illegible] ونزل بباب الشماسية . ثم جرى بين عسكره وبين بعض [illegible] ، وثار أهل تلك المحلة على من فيها من عسكر [illegible] بغداد ، وخرجت العامة إلى [illegible] طغرلبك [illegible] عسكره [illegible] ، ونهبت العامة ، ووصل طغرلبك يقول [illegible] لا يقدر على

المصور إلينا ، وإن كان يوماً من هذا فلا بد من حضوره . فأرسل الخليفة من الملك الرحيم أن يخرج هو وكبار ... وهم في دار الخليفة ، فخرجوا إلى طغرلبك ، فقبض عليهم ، فعظم ذلك على الخليفة القائم ، وأرسل إلى طغرلبك في أمرهم ، وشكا من عدم حرمته ... إلى أمانه ، فأفرج عن بعض ... واستمر القبض ... وبعث الرحيم إلى الاعتقال .

وفي هذه السنة وقعت فتنة عظيمة وحدثت ببغداد ، فأنكرت الحنابلة على الشافعية الجهر بالبسملة والقنوت في الصبح والترجيع في الأذان .

ثم لما قدم طغرلبك إلى بغداد ... وضاق العسكر على الرعية من العامة ، فرحل في العاشر من ذي القعدة سنة ٤٤٨ هـ إلى ... ثم إلى ... بكر ، ولم ير الخليفة مدة مقامه في بغداد ثلاثة عشر شهراً ...

وفي سنة ٤٤٩ هـ عاد إلى بغداد بعد ... من الموصل وأعمالها ، وسلمها إلى أخيه إبراهيم ينال ... خرج الخليفة ... ببغداد ، فلما دخلها قصد الاجتماع بالخليفة ... ، فجلس له على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع وعليه البردة ... ودخل طغرلبك في جماعته وحضر أعيان بغداد وكبراء العسكر ، وذلك يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة ، فقبل الأرض ويد الخليفة ، ثم جلس على كرسي ، فقال له رئيس الرؤساء : إن الخليفة قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، ورد إليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك . وخلع على طغرلبك ، وأعطي العهد ، فقبل الأرض ويد الخليفة ثانياً وانصرف . ثم بعث إلى الخليفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً من الأتراك ، ومعهم خيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها .

وكان أبو العلاء توفي في الثالث أو الثالث عشر من ربيع الأول من هذه السنة

وقد أشار في شعره إلى ما كان يقع من الحوادث والفتن في مثل قوله (١) :

إنّ العراقَ وإنّ الشامَ مُذ زَمَنٍ ... صِفران ما بهما للمُلْك سلطانُ

وقوله (٢) :

والشامُ فيه وَقود الحرب مشتعلٌ ... يشبُّه لقوم شدّت منهم الحُجَزُ

وبالعراق وميضٌ يستهلّ دماً ... وراعدٌ بلقاء الشرّ يرتجزُ

وقوله (٣) :

ومَهلَكُ دولةٍ وقيامُ أخرى ... كذاكَ الدهر أمرٌ بعد أمرِ

وقوله (٤) :

دعي ودرب الأقدار تمضي لشأنها ... فلم تحمِ مُلكاً لا دمشقُ ولا مِصرُ

ولا الحرّةُ السوداء حاطت سيادة ... ولا البصرةُ البيضاء حصنَ البِصرُ

(١) اللزوميات ٥ ص ٣٦٢

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٧٢

(٣) اللزوميات ٥ ص ١٥٣

(٤) اللزوميات ٥ ص ١١٩ ، والبِصْر والبُصْر : الحجارة البيض .

الحياة السياسية في شعر أبي العلاء

تجمع مما تقدم أن أبا العلاء [illegible] دول متعددة ، وشهد انقراض دول وقيام أخرى ، و[illegible] دماء وتمزيق أشلاء ، وسمل عيون ودس [illegible] ، [illegible] مذابح وخراب عمر وإحراق أموال و[illegible] ، [illegible] كل ذلك من الفظائع التي يقترفها الغالب والفاتح ، والمتغلب [illegible] والمغلوب إذا سمحت له الفرصة ، [illegible] التي [illegible] أمم الدنيا [illegible] أدناها القصوى [illegible] ، حتى [illegible] بلاد [illegible] أو العراق أو مصر ، بل كل الأصقاع كانت [illegible] الظلم . ولم تكن الأندلس أحسن حالاً من [illegible] وقد كانت [illegible] ودماء ، و[illegible] وملوك [illegible] أطماعهم إلى أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي الفرنجة الذين يتربصون بهم [illegible] ولا يفترون عن الكيد لهم .

وفي قرطبة كانت [illegible] وغيرهم ، فتلتهم الأخضر واليابس ، وما شئت أن تقول عن بلاد الأعاجم وما كان فيها من حروب طاحنة وفتن مبيدة فحدث ولا حرج .

كل هذا أدركه أبو العلاء ، وكان شديد العناية بحالة المسلمين عامة ، كثير التقصي لأخبارهم في [illegible] ، إلا أنه كان يطلع على أخبار البلاد العربية أكثر من غيرها ، لأنها كانت مقر الخلافة والملك ، ولأنها أقرب من غيرها إليه ، وكان أكثر اتصالاً بالرجال العالمين بأحوالها من أبنائها وغيرهم ، ولذلك تصدى في كلامه إلى ما كان منها أكثر من غيرها .

وقد أورثه ما كان يسمعه من أمورها [illegible] ولم يكن لديه [illegible] كرب إلا ما كان يعاه على [illegible] وأمرائه و[illegible] ، ولقد صور في

شعره الحياة السياسية أجمل تصوير ، فيبين لك أن شأن الملوك عزفٌ وسرفٌ ، وحب للأمور … وظلم للمستضعفين وتكلف لرعية ما لا تطيق وعدم حفظها … وكثرة الفتن وخضوع الأمة للظالم المنهمك في ملذاته ، حتى من … من جور الحكام الذين هم أجراء الأمة .

وبين الشام والعراق جماعات من سلطان يقيم العدل ، … كل مصر شيطان لا يهمه إلا ما فيه … ، وأنه لا يرى موضعاً إلا وهو مغمور بالفتن والمنكرات

وبين مصر والعراق والشام والحجاز عاجزة عن حماية الملك واستقراره ، فهو ينتقل من يد غاصب متغلب إلى يد أقوى منه سلطاناً وأشد حشماً وعنفاً ، وستأتي أمثلة من ذلك في شعره في السياسة وفي غيره .

الحياة الاقتصادية في عصره وشعره

لا … للأمة أن تحيا حياة راضية … إلا إذا حكم فوق ربوعها السلم ، وكانت السلطة فيها للحق والعدل ، وعم أهلها ظلال ظليلة من الأمن والطمأنينة ، وتمتعوا بنعمة الرفاه والهدوء ، فتتسع بذلك موارد الثروة ، وتخصب مرافق الحياة ، ويصبح كل إنسان آمناً في سربه على نفسه وعرضه وأهله وماله .

ويحيى … الاقتصادية صلة … بالحياة السياسية ، وقد عرفنا مما تقدم أنها كانت على شر حال ، مثل ابن عروس ، … عامر ، وقسطع دماء وأموال ، فضلاً لشهوة واشتفاء لعبث ، وربما حل الواحد بقريبه ما لا يفعله أشد عدو بعدوه . وكثيراً ما تفضي هذه الأمور إلى وقوع الناس بين أنياب الفاقة والجوع . وفي تاريخ … وغيره مما وقع في هذا العهد من البؤس والجوع الذي اضطر الناس إلى أن يأكلوا أنواع الحيوان حياً وميتاً وأن يأكل بعضهم بعضاً . وربما كانت الطبيعة

[illegible] الإيدال التام على [illegible] و [illegible] و [illegible]
ومطر عظيم وعواصف شديدة [illegible]

وهذه [illegible] من الحوادث [illegible]
أول عمره إلى آخره ، وما وقع [illegible] في [illegible]

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٣ هـ [illegible]
[illegible] في دمشق ، واحرقوا البلد من [illegible]
[illegible] كثير من البلد وهلك من الناس [illegible]
[illegible] سنة ٣٦ [illegible] هـ [illegible]
وحدثت [illegible] و [illegible]
وهلك كثير من [illegible] في [illegible]

وفي سنة ٣٦٥ [illegible] العزيز [illegible]
[illegible] شديد

وفي سنة ٣٦٧ هـ [illegible] يوماً

وفي سنة ٣٦٨ هـ وقعت زلزلة [illegible] في [illegible]

وفي سنة ٣٧١ هـ وقع حريق في [illegible]
كثير ومال كثير

وفي سنة ٣٧٣ هـ غلت الأسعار [illegible]
فمات كثير من الجوع

وفي سنة ٣٧٦ هـ كانت بالموصل زلزلة شديدة هدمت كثيراً من [illegible]
وهلك كثير من الناس [illegible] حتى [illegible]

وفي سنة ٣٧٧ هـ [illegible]

وفي سنة ٣٧٨ هـ كثر [illegible] حتى [illegible]

بلاد الجبل ، وخربت المساكن وانقطعت الطرق وكثرت به عواصف بعد الصلح ، وأهلكت كثيراً من الناس وأغرقت كثيراً من السفن الكبيرة المملوءة

وفي سنة ٣٨١ هـ كثرت الفتن والحريق في بغداد ووقعت حرب بين الروم ومنجوتكين وعبر المسلمون الخاص بالروج كاسب .

وفي سنة ٣٨٢ هـ غلت الأسعار ببغداد فبيع رطل الخبز بأربعين درهماً

وفي سنة ٣٨٣ هـ اشتد الغلاء فيها حتى بيع الكر الحنطة ستة آلاف وستمائة درهم غياثية .

وفي سنة ٣٨٤ هـ اشتد أمر العيارين (١) ببغداد ووقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة واحترق كثير من المال

وفي سنة ٣٩٥ هـ كان بإفريقية غلاء شديد هلك فيه الناس وذهبت أموال الأغنياء وكثر الوباء .

وفي سنة ٣٩٧ هـ اشتد الغلاء فضج العامة وشغب الجند وكانت فتنة

وفي سنة ٣٩٨ هـ زلزلت الدينور زلزلة شديدة خربت بها المساكن وهلك خلق كثير من أهلها وكان الذين دفنوا ستة عشر ألفاً سوى من بقي تحت الهدم ولم يوجد

وفي سنة ٤٠١ هـ اشتد الغلاء بخراسان جميعها وعدم القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى

وفي سنة ٤٠٢ هـ نهب حسان أمير طيء عسقلان وقتل أهلها .

وفي سنة ٤٠٨ هـ عظم أمر العيارين ببغداد فأفسدوا ونهبوا الأموال .

وفي سنة ٤١٣ هـ وقع غلاء شديد ومجاعة عظيمة بإفريقية لم يكن مثله في تعذر الأقوات .

وفي سنة ٤١٤ هـ استولى حسان أمير طيء على الرملة ونهبها وقتل أهلها .

(١) انظر الحاشية (١) ص ١٠٦ في التعريف بالعيارين .

وفي سنة ٤١٦ هـ عظم شر العيارين ببغداد وقتلوا النفوس ونهبوا الأموال وأحرقوا الكرخ وعلا السعر حتى بيع كر الحنطة [illegible] دينار ، وفيها حاصر [illegible] دمشق ، ووقعت بينه وبين [illegible] حروب [illegible] و [illegible] كما تقدم

وفي سنة ٤١٨ هـ سقط في العراق جميعه برد [illegible] الواحدة تبلغ رطلاً أو رطلين ، فأهلك الغلات [illegible] هبت ريح [illegible] في العراق [illegible] وقلعت [illegible] دور [illegible]

وفي سنة ٤١٩ هـ عدمت الأرطاب بالعراق [illegible]

وفي سنة ٤٢٠ هـ سقط في البلاد برد عظيم [illegible] ريح شديدة [illegible] كثيراً من [illegible] فيها أمر العيارين واللصوص .

وفي سنة ٤٢١ هـ ظهر ببغداد متلصصة من الأكراد [illegible] دواب الأتراك

وفي سنة ٤٢٢ هـ تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة [illegible] دور وهدمت أسواق وأحرقت أماكن وقتل خلق كثير

وفي سنة ٤٢٣ هـ كان في البلاد غلاء شديد ووباء عظيم [illegible] الجبل وخراسان [illegible] والهند [illegible] الجدري [illegible] دار من [illegible] .

وفي سنة ٤٢٤ هـ ثار العيارون ببغداد وأخذوا [illegible] واشتد شرهم .

وفي سنة ٤٢٥ هـ كثرت الزلازل بمصر والشام [illegible] انهدم [illegible] وهلك تحت الهدم خلق كثير وهبت ريح [illegible] كثيراً من الأشجار ، وكثر الموت [illegible] في العراق والشام [illegible] وخوزستان وغيرها حتى كانت [illegible]

وفي سنة ٤٢٦ هـ ضعف أمر الخلافة والسلطنة ببغداد وعظم أمر العيارين ، فصاروا يأخذون الأموال ليلاً و[illegible] ، و[illegible] العرب نواحي وقطعوا طرق [illegible] في القبر

وفي سنة ٤٣٠ هـ [illegible] ودام [illegible] سنة ٤٣٤ هـ

وفي سنة ٤٣٩ هـ كان بالعراق [illegible] والجزيرة غلاء عظيم أكل الناس فيه الميتة و[illegible] كثير

وفي سنة ٤٤٨ هـ [illegible] لا يوجد [illegible] وباء عظيم ، وكان [illegible] الشام والجزيرة والموصل و[illegible]

وفي سنة ٤٤٩ هـ زاد الغلاء ببغداد و[illegible] حتى أكل الناس [illegible] والكلاب وغيرها ، وكثر الوباء [illegible] وكانوا يجعلون [illegible] في الحفيرة الواحدة

[illegible] وحسبك [illegible] في عهد [illegible] قطع الكروم ومنع بيع العنب ، و[illegible] في ولايته [illegible] ، و[illegible] خمسة آلاف جرة من العسل في البحر خوفاً من أن تعمل نبيذاً ، ونهى عن السمك والملوخيا والفقاع [illegible] ، وقتل من باع ذلك ومنع بيع الرطب

وأمر قواده وعبيده بالسير إلى مصر لحربها ونهبها ، فذهب [illegible]

[illegible]

الروم والنوبة ، وأوقعوا [illegible] في أطراف [illegible] ، واستمرت الحرب بينهم وبين المصريين ثلاثة أيام [illegible] وكان [illegible] يركب كل يوم إلى القرافة ويشاهد [illegible] من الجبل ويسأل عن ذلك ، فيقال له : العبيد يحرقون مصر [illegible] [illegible] كذمة ، وأولاده [illegible] [illegible] ويحرقون القاهرة إذ لم يكفهم ، [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، وأشار إلى العبيد بالانصراف عن مصر

واحترق ثلث مصر ونهب نصفها ، ثم تتبع المصريون من أخذ أزواجهم [illegible] وأخواتهم وابتاعوهن من العبيد بعد أن افتضحوهن ، وقتل بعضهن نفسه خوفاً من العار

وفي سنة ٤٤٨ هـ [illegible] مصر [illegible] ما أصاب غيرها من القحط [illegible] كل [illegible] [illegible] وبيعت الرمانة والسفرجلة ديناراً ، وكذا [illegible] [illegible] [illegible] نقل .

[illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] ذكره من أحكام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأحكام [illegible] الأموال [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]

وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] أبا العلاء كان [illegible] [illegible] ، وقد [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] .

أبي العلاء . أما في تقسيم الثروة حين رأى الناس بين غني موسر وفقير معسر ومتوسط بينهما ، فاحب أن يشترك الناس في النعمة ، وحض على الزكاة والتوسعة والرأفة بالمعدم على نحو ما سنذكره في فلسفته وفي مباحث أخرى ومن ذلك قوله

كأن مجرى الرزق واد بلا ندى ... وواد به فيض وآخر ذو حفر

ومنه

تعدى مقيم بالعراق وفارس ... وبالشام مالم يلقه ساكن القفر

وقوله [1]:

ياقوت ما أنت ياقوت ولا ذهب ... فكيف تعجز أقواماً مساكينا..

وقوله [2]:

لقد جاء عهد الشتاء وتحته ... فقير معرى أو أمير مدوج

وقدر في المحدود أقوات أمة ... ويحرم قوتاً واحد وهو أحوج

ومن قوله [3]:

فأطعم من عراك ولو كظفر

١ اللزوميات جـ ١ ص ١٤٧
٢ اللزوميات جـ ١ ص ٢٠٧
٣ اللزوميات جـ ١ ص ٧٣ و [illegible] كرب وعرب . [illegible] .
٤ اللزوميات [illegible] ص ٤٤٥ وصدره [illegible] ولو مثل [illegible] .

وقوله[١] :

أغثتُ لهيفةً بالمُستَدَقّ ..

يدل على أن هذا القدر اليسير شيئاً كثيراً في زمن الشدائد ، وقد قدمنا ذكر طائفة منها ، اضطرت الناس إلى أن يأكلوا الإنسان والحيوان حياً وميتاً .

الحياة الدينية في عصر أبي العلاء

ظهر الإسلام في الحجاز بظهور النبي ﷺ ، وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، رغبة في الدين وطمعاً في أجره الموعود من الثواب ، حتى كان الرجل يغامر بنفسه في الحرب لينال الشهادة ، رغبة في ثوابها .

وكان جمهور المسلمين في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، يفهمون معاني ظواهر الآيات والأحاديث ، ولا يتعمقون في دراسة ما تشابه منها ، وعرفت الفئة منهم أن يستنبط شيئاً من الأحكام منها بقدر ما كانت تدعو الحاجة إليه . وكان المسلمون عامة يرجعون فيما أشكل عليهم فهمه من الكتاب أو السنة إلى النبي ﷺ مدة حياته ، وإلى أصحابه وفقهائهم من بعده . كما يرجعون إليهم فيما استعصى عليهم معرفته من الأحكام الشرعية .

ظهور الزندقة والخلاف في العقائد

ثم لما قتل عثمان رضي الله عنه وقامت خلافة بني أمية على غير إجماع من المسلمين ، انقسم المسلمون إلى فرق ثلاث : واحدة مع علي ، والثانية

(١) اللزوميات ص ٢٩٥ وشرحه [illegible] علي حساني ، ولـ[illegible] لمكي وسنوتي .

مع [illegible] ، و[illegible] تمسكت [illegible] الفرقتين ، وهي أقلها ، ثم اندمج كثير [illegible] مع [illegible] ، [illegible] على أشبهم في حياته ، فخرج [illegible] فرق [illegible]

وكان امتزاج العرب يعوم من [illegible] أحداً في [illegible] من [illegible] سلطانه في العرب ، [illegible] الوحدة العربية من [illegible] ، [illegible] بنو أمية الجبال للمناظرة في العقائد والمجاهرة [illegible] وقع بين [illegible] سنة ١١٠ هـ [illegible] وفي ١٣١ هـ [illegible] كعمرو بن عبيد وغيره

و[illegible] مروان بن محمد يشايع الجعد بن درهم [illegible] مروان الجعدي ، وكان [illegible] كثيراً ، وكان [illegible]

[illegible] ، لأن امتزاج [illegible] يتسمون بحمل [illegible] صدورهم من [illegible] كتب الفلسفة والعقائد وغيرهما ، زاد ذلك [illegible] ، وأخذ أعداء الاسلام والعرب يغوون [illegible] ويبدون [illegible] الشبه والشكوك [illegible] الاسلامية وإضعاف [illegible]

القوة العربية ، فكانوا يطعنون على [illegible] من حديث [illegible] من القرآن ، ويشنّعون على الوحي [illegible] على [illegible] ، ثم أخذوا [illegible] كتب [illegible]) و [illegible] (٢) و [illegible] (٣) وغيرها من العراق [illegible] بين أيدي [illegible] على [illegible] من العجم [illegible] من مجوس ونصارى وإسلام [illegible] من [illegible] وغيرهم

وقد اشتهر جماعة منهم بالعراق [illegible] عمر [illegible] بن برد (٥)

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

[illegible] سنة ٩٥ هـ ، وكان [illegible] سنة ١٦٧ هـ (ح)

ويونس بن فروة(١) وأشباههم وكان خلفاء بني العباس لا يهتمون بمخافة هذه الفئة ، فكانوا كما قال الجاحظ بين مقتول وهارب ومنافق .

وقد نجم عن هذا أن المسلمين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً في أصولهم ، حتى بلغ عدد الفرق أكثر من سبعين ، ما بين معتزلة وشيعية وجبرية ومرجئة وناصبة وغيرهم . وأن الناس تهاونوا بأمر الحلال والحرام ، وأخذوا بالفاسد من الأخلاق ، واستباحوا إتيان المحرم ، فكان ذلك جناية على الدين والأخلاق معاً .

ثم أخذ المعتزلة ينشرون آراءهم وأدلتهم على أسلوب المنطقة والحكمة ، فاضطر المسلمون إلى محاربتهم بمثل هذا السلاح ، وجرى مجراهم غيرهم من الفرق الأخرى ، واتسع أمر الجدل واتخذت له قواعد وآداب للبحث ، وعقدت له مجالس يشهدها جمهور العامة من علماء كل فريق ، وكان الخلفاء كثيراً ما يشجعون فريقاً وينصرونه على غيره ، فتفاقم أمر الخلاف واستطار شره ، حتى أفضى إلى الفتن والحروب ، واستحلت كل فرقة دم الأخرى وماله وعرضه . وتفرع عن هذه الفرق فرق أخرى استقلت بعقائدها فرقاً من الوحدة ، واتخذت منهم عدة لاشاعة [illegible] والانتقام من خصومها .

ثم لما أخذ أمر العباسيين يضعف ، منذ منتصف القرن الثالث ، جاهر بعض الفرق بعقائدهم ، وجردوا السيف على خصومهم ، فأغاروا على البلاد الآمنة المطمئنة ، فنهبوا الأموال واستحلوا دماءها ، وخربوا كل عامر فيها ، وزاد فريق منهم ، فتعدى الاستخفاف بخصومه [illegible] من شعائرهم .

(١) كذا في الأصل [illegible] وهو [illegible] كتاب [illegible] روه ، كاتب [illegible] (عيسى بن موسى) وخالط ابن المقفع ، ويونس بن [illegible] وحماد [illegible] وغيرهم ، توفي نحو سنة ١٥٠ هـ .

فهؤلاء القرامطة أغاروا على بلاد العراق ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، واستباحوا كل محرم فيها ، ولم تسلم الشام ولا مصر من شرورهم ، وتعدى تطاولهم وأذاهم إلى بيت الله الحرام ، فقتلوا الحجاج وسلبوهم أموالهم ، وأخذوا الحجر الأسود إلى بلادهم ، وقد لقيت البلاد منهم فتناً التهمت الأخضر واليابس ، حتى أباد الله خضراءهم .

وكذلك الإسماعيلية ، كونوا ممالك في بلاد الفرس ومصر ، والإباضية أسسوا دولة في جبال البربر ، وعمل كل فريق منهم الأفاعيل في البلاد التي كانوا يقطنون بها أو يجاورونها .

ومن رجع إلى التاريخ ، رأى عجائب من الفظائع والفتن التي وقعت بين الشيعة وأهل السنة في العراق ، وبين الحنابلة والشافعية ، وبين الحنابلة والحنفية ، حتى هدم أكثر بغداد ، وأحرق كثير من الأموال والمساكن ، ومنيت البلاد بضروب من البلاء ذهبت بعمارها وروائها ، وأضعفت الأمة ، حتى استطاع التتر أن يخضدوا شوكتها ويدهموا سلطانها في وقت قصير وزمن قليل . ومن المؤسف جداً أن تكون كل هذه الأعمال باسم الدين ، وعلى حساب الدين .

وهذا على ما فيه من شر ، يدل على أن علم الكلام والجدل نضجا في هذا العهد ، وتعدى الحياة العقلية ، إلى الحياة العملية ، فكان له ما كان من الأثر الذي ألمعنا إليه . وكذلك نعرف من العلوم الحسابية والفلكية والطبية ، فقد بلغ كل منها الغاية القصوى من الازدهار . ونبغ في كل علم طائفة كبيرة كانوا متخصصين [illegible] ، فكانوا يذودون عن حياضه ، ويدفعون عنه مزاعم أهل الزيغ وشبه الزنادقة والملحدين . وزعم بعض المتأخرين أن بعض علماء المسلمين اطلعوا على مذاهب الهند ويونان وما

منها من آثاره متعلقة بوحدة الوجود [illegible] لموحد وموجود في نفسه ،
وإن اختلف في الأعصر [illegible] النفس [illegible]
عن عالم [illegible] واضافوا إلى ذلك شيئاً
من [illegible] آراء ، فتكوّن المذهب الصوفي
وأخذ [illegible] من [illegible] ومنهم من غلا فيه حتى تجاوز حدود الدين ،
ومنهم من [illegible] كل
[illegible]
في [illegible] ،
وتوسع فريق في تأويل الكتاب العزيز والسنة الشريفة لكي يجعلهما مطابقة
لما ذهب إليه [illegible]

[illegible]

وقد [illegible] في أبي العلاء ، وأثرت [illegible]
[illegible] غير [illegible]

[illegible] في [illegible] إلى الرؤساء ،
ورأى أن رؤساء الفرق [illegible] ، واشتدت [illegible] على المتصوفة
، [illegible] وأصحاب مذهب الحلول ، [illegible] من قوله :

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتب التناظر لا المغني ولا العمد (١)

. . .

إنما هذه المذاهب أسباب لجذب الدنيا إلى الرؤساء (٢)

. .

شهدت بأن [illegible] العام [illegible] [illegible] و[illegible] أمرن (٣)

. . .

نحن قضينا [illegible] وسوفنا [illegible] فعسى من [illegible] (٤)

. . .

ودين مكة [illegible] أئمته [illegible] (٥)

وفي [illegible] من قوله في هذا الباب [illegible] في هذا العهد [illegible]
من بعض الفرق ، وكان بعضهم [illegible] من [illegible] أو [illegible]

(١) اللزوميات ج ١ ص ٢٣
(٢) اللزوميات ج ١ ص ٣٦
(٣) اللزوميات ج ١ ص ١٩٥ [illegible]
(٤) اللزوميات ج ١ ص ٢٨١ [illegible]
(٥) اللزوميات ج ١ ص ١٤

والطعن . ومنهم من تعدى ذلك إلى البدع في رؤساء الفرق ، ومنهم من جاوز هذا ، حتى قال الذهبي . وفي هذا الزمان كانت البدع والأهواء فاشية ببغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال . وقد فسر صاحب (النجوم الزاهرة) قول الذهبي ببغداد ، بأنه زاد ما كان بسبب عضد الدولة ، فإنه كان يتشيع ويكرم جانب الرافضة ، وبمصر ما كان يظهره خلفاء بني عبيد من الرفض وسب الصحابة ، وكانت أغراضهم وعقائدهم .

★ ★ ★

الحياة الاجتماعية

لا تكون الصلات بين الأفراد وثيقة حسنة، والروابط محكمة، إلا إذا هيمن عليها الوازع الديني، وحث بأس الوازع الدنيوي، وهو السلطان ومن يقوم مقامه في نشر العدل والأمن وإحقاق الحق ونصرة الضعيف والضرب على أيدي العادين بالشرائع والظلم والعاثين في الأرض فساداً، وكان بعد ذلك كل فرد يتمتع بنصيب من الحياة الاقتصادية لا ينتزعه منه متغلب، ولا يغتصبه منه مستبد، فإذا توفرت هذه العوامل، وأتيح للأمة أن يقوم فيها من يرشدها إلى الأخلاق الفاضلة، عاشت عيشة راضية واستقامت أمورها واستفاضت فيها مكارم الأخلاق والسجايا المرضية، وأصبحت كلها كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وفي أسلوب بين وواضح على اختلال الحياة السياسية وضعف الوازع الديني وفساد النظام الاقتصادي، ومن مقتضيات هذه الأمور أن تسود الفوضى في كل محل، ويضطرب حبل الأمن، وتنفكك عرى الألفة، ويعم التدابر والتقاطع، وتشرئب أعناق المطامع، فيسعى كل فرد إلى انتزاع ما في يد غيره من سلطان ونعمة ولو أدى ذلك إلى محوه من صحيفة الوجود.

ومن رجع إلى التاريخ، في العهد الذي أظل أبا العلاء، يجد عبراً من تكالب الملوك وتغالبهم في سبيل الملك، حتى أن الرجل يحارب حميه أو يقتله، ويثور على سيده، ويؤلب أعداءه عليه، ليخلفه في سلطانه.

[illegible]

وقد ذكر ابن الأثير وصاحب (النجوم الزاهرة) أن العزيز العلوي خرج عليه رجل يقال له قسام الحارثي ، وهو من قرية تلفيتا من قرى جبل سنير ، كان ينقل التراب على الحمير ، وكان شجاعاً . وقبل كان من العيارين ، فتغلب على دمشق حتى لم يبق لنواب العزيز معه حكم ، فسير اليه العزيز جيشاً مع قائد اسمه الفضل فلم يظفر به فعاد عنه . ثم سير سليمان بن جعفر بن فلاح ، فنزل بظاهر دمشق ، ثم خرج أصحاب قسام وقاتلوه ، ثم أرسل اليه بلتكين أو تكين فأخرجه .

ولفساد الحياة الاجتماعية في هذا العصر أسباب كثيرة من أعظمها :

١ — تولي الأعاجم على العرب ، فقد كان المسيطر منهم لا يبالي أفسدت أخلاق الأمة أم صلحت ، وإنما همه مال يجبيه وعرض يستبيحه وسلطان يبسطه من أي طريق كان وبأية وسيلة كانت ، ومنهم من كان يسعى لإفساد الحياة الاجتماعية حتى يسهل عليه الوصول إلى ما يريده ، ولا يجد من ينكر عليه ، وأعوان الضلال أكثر من أعوان الهدى .

٢ — توسيد الأمور إلى الغرباء عن البلاد ، فإن العبيديين كانوا يتخذون ولاة على دمشق وحلب وغيرهما من المغاربة أو الترك أو الروم ، ويتخذون القواد والأمراء وذوي المكانة العالية من هؤلاء الذين يؤثرون مصالحهم الخاصة على مصلحة الدولة ، أو من أمثالهم ممن لا يهمهم خراب البلاد وموت أهلها من الجوع أو الحرب إذا عمرت خزائنهم بالأموال ، وامتلأت بطونهم بالطعام الطيب والشراب اللذيذ ، وقضوا أوطارهم من اللذات والشهوات ، وكان أحدهم يتصرف بالناس تصرف التاجر بسلعته ، ويبذل في سبيل الوصول إلى غايته الخسيسة ما عز وهان ، ويتجرد عن كل خلق إنساني لأجل ذلك ، وربما وثب غيره فاستهان بما استهان به صاحبه ليصل إلى ما وصل إليه ، وهذا شأن من تولى العراق من الأعاجم .

٣ — كثرة الجواري الحسان ورخص أثمانهن ، فكان العربي يجمع الكثير منهن لقضاء شهوته ، ويدع أمر كل واحد من أبنائه إلى أمه فهي تنشئه كما تشاء ، وتغذيه من طباع أهلها ونزعاتها كما تهوى ، فيكون هذا فارسي النزعة لأن أمه فارسية وذاك تركياً والثالث هندياً والرابع رومياً والخامس عربياً وهكذا . وربما كان الولد لا يحمل من العطف على أخيه من أبيه ما يحمله من العطف على شقيقه . والخلاصة أن البيت الواحد كان يضم أهواء مختلفة ونزعات متباينة ، ويتعلم كل فرد من أفراده الحقد على من يجب أن تكون من إخوته ، وكثيراً ما تحقد المرأة على زوجها لأنه يأتي بضرائر ، فتنشئ أولادها على كره أبيهم وأولاده وزوجاته ويكون أعدى عدو لأبيه وإخوته منه ، وكثيراً ما قتل الأخ أخاه حباً في منصب أبيه .

٤ — كثرة المغنيات ، فقد كانت ولائد المغنين القينة تهدى إلى الخلفاء والأمراء والوجهاء والأغنياء ، تحملهم من ذوي الجاه الرفيع ، وتبعث بهم وهن يتمايلن ويتجاذبن ، والخلفاء والأمراء يصطفون لأنفسهم خيرة الخيرة منهن ، ثم يهبون ما يزيد عن حاجتهم إلى غيرهم . وكانت هؤلاء الجواري والمغنيات من أمم شتى ، فلما كن ينتقلن إلى الأمة العربية نقلن إليها ما عند أممهن من الأخلاق الفاسدة والأعمال المنكرة ، ففشت في الأمة العربية بسببهن الدعارة والخلاعة والمجون والعهر واللواطة وما أشبه ذلك من الأخلاق السيئة ، وأراد العرب بذلك ضمناً على إباحته . وكان أكثر العمال يقلدون هؤلاء الملوك في مفاسدهم ، ويتخذونهم من السلطة أعظم مساعديهم ، فكانوا لا يحجمون عن منكر ولا يتورعون عن قبيح ، ويستحلون الأعراض ويستحلون الأموال ، وبعضهم من ترتب وعدم في بلاده سكون أو مقر في البلاد العربية ، ومن كان على شاكلة هؤلاء وارتقى إلى الولاية فعل ما ارتقى

لاينتظر منه أن يصلح المجتمع وحده لأن ذلك مخالف لنشأته وجبلته ، ولا ينكر عليه أن ينزع الملك والنعمة من سيده ولا أن يقتله ويسجنه أو يشرده . ثم بعد حتى يعد في رجالات العرب وتسجل أعماله العظيمة في حساب العرب .

٥ – تعدد الزوجات لاسيما غير العربيات ، فقد دلت الحوادث التاريخية على أن الرجل قد تكون نزعته إلى أخواله أشد من نزعته إلى عمومته ، بسبب تعليم أمه وإهمال أبيه تربيته ، حتى لايشق عليه معاداة عمه وموالاة خاله . على أن الرجل لايستطيع أن يعدل بين النساء ، ولا أن يجمع بين رضاهن جميعاً ، ومتى فسد رأيه في واحدة أو آثر عليها تنكرت له واستفرغت ما عندها من كيد وأذى ، وعبّأت قلب ولدها عليه حتى تصبح الأسرة الواحدة في البيت الواحد منقسمة على نفسها مضطغناً بعضها على بعض ، وفي قلب كل ولد من الحقد والبغض لمن تبغضه أمه ما لا يحد ، ورب جانٍ في أمر شيء عليه سكاية له أو جرى مع شهواته ملاذ لم يوفها حقها منها ، ونحو ذلك من الأعمال التي أشار إليها أبو العلاء في كلامه

٦ – جور الحكام والخوف من ظلمهم ، فإن ذلك يحمل الناس على الخنوع والكذب والملق ومجاوزة حدود الدين والمروءة والأدب اتقاء لشرهم أو للتخلص منه أو ابتغاء لمرضاتهم .

وهناك كثير من الأسباب والعلل ، فإذا أضفنا هذا إلى ما تقدم من فساد السياسة وضعف الدين فلا عجب أن نرى الأخلاق في هذا العهد سفت من الفساد والانحطاط إلى أسفل الدركات . ولو أردنا أن نستقصي الناحية الخلقية لأفضى بنا ذلك إلى الإطناب الممل ، وحسبنا أن نسمع من أبي العلاء شيئاً من أخلاق أهل عصره كقوله :

وجوهُكم كُلْفٌ وأفواهُكم عدىً   وأكبادُكم سودٌ وأعينكم زُرْقُ (١)

. . .

سجايا كلها غدرٌ وخبثٌ   توارثها أناسٌ عن أناسِ (٢)

. . .

فأميرُهم نال الإمارة بالخنا   وتقيُّهم بصلاتهِ يتصيّدُ (٣)

. . .

أنافقُ في الحياةِ كفعل غيري   وكل الناسِ شأنُهمُ النّفاق (٤)

. . .

قد أعرست عِرسُ الأمير بتابعٍ   ضرعٍ فأين حليلُها المغيار (٥)

. . .

واعتاضَ حِلَّ النّكاح قومٌ   بنسوةٍ مالهـا مُهور (٦)

. . .

(١) اللزوميات « ص ٢٩٨ ، والكلف ج أكلف وهو من علت وجهه حمرة كدرة .

(٢) اللزوميات « ٣٢٢

(٣) « « ٩٧ وفيه « متصيد »

(٤) « « ٣٠

(٥) « « ١٣١

(٦) « « ١٢٤ .

قَوْمُ سوءٍ فالشَّنْلُ منهم يغول اللَّـــيثَ فرساً والليث يأكل شباة[١]

. . .

وبيعَتْ بالفلوسِ لكلِّ خزيٍ   وجوهٌ كالدنانيرِ الحسانِ[٢]

. . .

وَالحُبُّ الصَّحيحُ أثرتِ الزو   م انتساب الفتى إلى أمهاته[٣]...

ونحو ذلك من الأبيات الآتية في الدين ، والسياسة والأخلاق ، التي تدل على أن هذا العصر فقد فيه العامل والصادق والتقي والجد والوفي والطاهر والمخلص والكريم والعالم العامل .

* * *

(١) اللزوميات ص ٢٩٥ .
(٢) اللزوميات ص ٢٧٩
(٣) « « ٧٠ .

الحياة العقلية

لم يمر على الأمة العربية عصر كانت الحياة العقلية فيه والنهضة الفكرية أشد ازدهاراً مما وصلت إليه في العصر العباسي الأول ، وقد عد العصر الذهبي ، فقد استبحرت فيه العلوم ، ونضجت العقول ، واجتنت الأمة العربية فيه أطيب الثمرات التي غرست نواتها في العصر الذي قبله ، وقد تضافرت في هذه الحياة عوامل كثيرة كان لها أثر بعيد في إيقاظ الشعور وتنبيه العقل وإرهاف الذهن وتلطيف الذوق ، منها تنافس بعض الملوك في ترقية العلم وتقوية العلماء ، وعناية بعضهم برفع مستوى العقل ، فكانوا يكرمون العلماء والأدباء ويحملون الكتاب الحاذقين في أنواع الكتب ، ويتخذون حصوناً لهم من حملة العلم ويبعدون عنهم ما يكدره ، واتخذ الناس يجدون في التعلم والتعليم والتأليف حتى ملأت خزائن العربية بالكتب المتنوعة من كل فن من فنون العلم التي اهتدى إليها العقل البشري في ذلك العهد .

واطلع العلماء على ثقافات الأمم وتنقلوا بينها ، فأخذوا منهم ولغتهم وعلومهم وأفكارهم ، ثم صهروا ذلك في بوتقة الإسلام وصبغوه بالصبغة العربية ، فخرج عربي النشأة والصبغة ، ولو شاء العرب أن ينسبوا أكثر المسائل من تلك العلوم وكثيراً من العلوم إليهم لجاز ذلك على كثير من الناس ، ولكنهم لم يجحدوا فضل أمة من الأمم كان لها أثر محمود في العلم فردوا كل شيء إلى مصدره ، وبعد هم نقحوه وهذبوه وصححوه ونموه وادخروه إلى الأجيال التي تأتي من بعدهم .

أنواع العلوم

أما العلوم التي اشتغلوا بها فكثيرة ، ولكن كان اهتمامهم ببعضها أشد منه ببعض آخر ، فمن ذلك :

الخط

الخط : وقد نبغ في هذا العصر والذي قبله طائفة جودوا الخط وافتنوا في أنواعه ووضعوا له أصولاً وقواعد . منهم الوزير أبو علي محمد ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وقد أخذ عن الوزير ابن مقلة أبو عبد الله محمد بن أسد القارىء المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، وأخذ عن ابن أسد أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المتوفى سنة ٤١٣ هـ ، ولم يكن في المتقدمين والمتأخرين من كتب مثله أو قاربه ، وهو الذي هذب طريقة ابن مقلة ونقحها ، وإليه انتهت ... ، وقد ذكره أبو العلاء بقوله :

ولاحَ هلالٌ مثلُ نونٍ أجادها   بجاري النُّضارِ الكاتبُ ابنُ هلالِ (1)

ولابن هلال قصيدة رائية في علم الخط يستقصي فيها أدواته .

القرآن والتجويد

ما عنيت أمة من الأمم بكتاب عنايةَ المسلمين بالقرآن الكريم ، فهم استفرغوا كل مجهود في ضبط روايته وتفسير غريبه وإيضاح معانيه ومقاصده ، وألفوا كتباً كثيرة في عدد حروفه وآياته ، وبيان الناسخ

---

(١) شروح سقط الزند ج ٣ ص ١١٩٧ ، [illegible]

وللمنسوخ منه وأسباب نزول آياته وما نزل منه في مكة والمدينة ، ومواطن الفصل والوصل والابتداء والوقف فيه ، وتحقيق مخارج حروفه وإعرابه ، ولم يدعوا شيئاً يتصل به إلا أفردوه بتآليف متعددة

وحسبك أن تقرأ الفن الثالث من المقالة الأولى من كتاب (الفهرست) لابن النديم ، و (الإتقان في أحكام القرآن) للسيوطي ، و (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) لأحمد بن محمد الأشموني ، و (المرشد في الوقف والابتداء) للحسن بن علي العماني ، و (المقصد لتلخيص ما في المرشد) لزكريا الأنصاري ، و (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري ، و (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر) للشيخ أحمد الدمياطي البناء ، و (شرح الشاطبية) لابن القاصح ، و (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) لأبي عمرو الداني ، وكتاب (الشكل والنقط) له ، فإن في هذه الكتب مايدل على مقدار ماعناه المتقدمون من العناية بالقرآن الكريم ، وعلى مقدار تفننهم في التأليف . وقد جعلوا الكلام فيه على أنواع : ما يتعلق بإعطاء كل حرف حقه وترتيبه ، ورده إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف ويسمونه « التجويد » ، وهو حلية القرآن . وما يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التركيبية ويسمونه : « التفسير والتأويل » ، فالتفسير توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة . والتأويل صرف اللفظ الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى « يُخرِجُ الحيَّ من الميّتِ » إن أراد به إخراج الطير من البيض كان تفسيراً ، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً ، وقيل غير ذلك .

وقد ألف المتقدمون كتباً كثيرة في غريب القرآن ومجاز القرآن ومعانيه ومشكله ولغاته وإعرابه وتفسيره وغير ذلك، وكان العصر الذي أظل أبا العلاء عصر تخصص في ذلك، ونبغ فيه من المختصين في هذا العلم أبو عبد الله أحمد بن محمد الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ.

وقد نبغ فيها في المعرة طائفة واشتهر منهم أبو الحسن ابن علي بن الفضل بن جعفر بن المهذب المتوفى سنة ٤٥٥ هـ، وسيأتي أن أبا العلاء قرأ القرآن بكثير من الروايات. وفي (رسالة الملائكة) و(لزوم ما لا يلزم) شواهد وإشارات تدل على أنه كان عالماً بروايات القراءات العشر.

الحديث

وكانت عناية المسلمين بأحاديث النبي (ﷺ) تلي عنايتهم بالقرآن الكريم، فقد تجرد جماعة من الحفظة الثقات الأعلام المتقدمين لبيان الحديث الصحيح من غيره، ووضعوا كتباً للجرح والتعديل وغيرها لضبط الألفاظ وتفسير الغريب وشرح معاني الحديث وبيان ما فيه من مجاز، وقسموا الحديث إلى أقسام بحسب المتن والإسناد، وفي عصر أبي العلاء كان اهتمام العلماء بذلك لا يقل عن سابقيهم، وسنأتي في ثقافته بأسماء الذين نبغوا في عهده في المعرة وأسماء شيوخه الذين روى عنهم وبيان شأن الرواية.

الفقه

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل غير ذلك. وقد كان المسلمون يرجعون في معرفة الأحكام إلى القرآن الكريم والنبي (ﷺ) مدة حياته، ثم إلى فقهاء الصحابة، ثم التابعين فتعددت

بذلك مذاهب الفقهاء في آخر العهد الأموي وأول العهد العباسي . ثم اتفقت كلمة جمهور من المسلمين على ترجيح أربعة مذاهب على غيرها : مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، ومالك بن أنس الأصبحي المتوفى ١٧٩ هـ ، والشافعي محمد بن إدريس الهاشمي القرشي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ هـ .

فاقتصر الناس على هذه المذاهب الأربعة ، ونبغ في كل مذهب طائفة من الأعلام من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم في كل عصر . وكانت للناس عناية كبرى بدراسة الفقه ومعرفة أحكام الشريعة الفرعية ، لأن القضاء والفتوى كان على واحد من تلك المذاهب في كل صقع ، وكان الناس في عهد أبي العلاء يتنافسون في التفقه رغبة في قضاء أو فتوى ، أو طمعاً في الرجحان في حظوة أو مناظرة أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية ، وكان منهم فريق يتفقه لمعرفة الحلال والحرام وصحة الأعمال وبطلانها ، وقد نبغ في القرن الخامس جماعة من الفقهاء ، على مذهب الإمام الشافعي ، منهم أبو حامد أحمد بن محمد الاسفرائيني المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، وهو الذي كتب إليه أبو العلاء قصيدة في أمر السفينة كما سيأتي ، ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، ومنهم عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

ونبغ فريق من الفقهاء على مذهب أبي حنيفة ، منهم : أبو الحسين أحمد ابن محمد القدوري المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي صاحب كتاب (المبسوط) المتوفى سنة ٤٨٣ هـ .

(١)

(١) في الأصل فراغ مقدار نصف سطر ومن المرجوم ... [illegible] ... شيئاً .

واشتهر في المعرة جماعة من الفقهاء في هذا العصر ، منهم أبو حمزة الحسن بن عبد الله التنوخي الذي رثاه أبو العلاء بداليته ، ومنهم أبو المحسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي الآتي ذكره .

أصول الفقه

ويتصل بعلم الفقه علم أصول الفقه ، وهو العلم بالقواعد التي يُتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، وهذا العلم يتوقف على معرفة العلوم العربية ، وبعض العلوم الشرعية ، كأصول الكلام والتفسير والحديث وبعض العلوم العقلية كالمنطق ، وقد عني به المسلمون عناية كبرى ونبغ فيه في القرن الرابع والخامس جماعة من الأئمة منهم :

أبو بكر محمد بن علي القفال الكبير المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ، وأبو بكر أحمد بن علي الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، وأبو زيد عبد الله بن عمر الدبوسي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، وعلي بن محمد البزدوي المتوفى سنة ٤٨٢ هـ ، وشمس الأئمة السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ .

اللغة

أول ما بدأ به علماء العرب في تدوين اللغة أنهم كانوا يضعون رسائل صغيرة في مواضيع خاصة ، كالرسائل التي وضعت في خلق الإنسان أو الفرس أو الإبل ، وكرسالة الكرم أو النحل أو ما شابه ذلك .

وأول من وضع كتاباً جامعاً في اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، فإنه وضع كتاب (العين) ، ومات قبل أن يتمه ، فأتمه بعض تلاميذه ، فجاء مضطرباً مختلاً ، ولم يسلم من النقد .

وقد استدرك عليه المفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة ٢٥٠ هـ ، وللمفضل كتب كثيرة منها كتاب (البارع في اللغة) و (الفاخر فيما تلحن به العامة) و (ما يحتاج إليه الكاتب) و (الرد على الخليل) في نقد كتاب العين ، و (ضياء القلوب) في معاني القرآن و (الزرع والنبات) ، وغيرها

ثم وضع أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، كتاب (الجمهرة في اللغة) ، وله كتب كثيرة منها (الاشتقاق) و (المقصور والممدود) و (الملاحن) و (صفة السرج واللجام) و (السحاب والغيث) و (تقويم اللسان) و (اللغات) و (الخيل) وغيرها .

ثم وضع إسحاق بن إبراهيم الفارابي خال الجوهري المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، ديوان الأدب) .

ثم وضع أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ٣٥٦ هـ كتاب (البارع في اللغة) ، وله كتب كثيرة منها (الأمالي والنوادر) ، و (المقصور والممدود والمهموز) .

ثم وضع أبو منصور الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهر المتوفى سنة ٣٧٠ هـ كتاب (التهذيب في اللغة) ، وله (غريب الألفاظ) التي استعملها الفقهاء و (تفسير القرآن) .

ووضع خلال هذه المدة جماعة من أئمة اللغة كتبا في النوادر والفصيح وغريب القرآن والخيل والإبل والسلاح والشجر والنبات ، وما أشبه ذلك من المواضيع الخاصة .

ثم عني أهل اللغة بالترتيب والتنقيح والضبط والجمع والتقريب والاختصار ، فاختصر أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كتاب (العين) ، وهذا أخذ عن القالي ، وله (طبقات النحويين) و (لحن العامة).

ووضع الصاحب اسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ (المحيط) وهو سبع مجلدات.

ووضع أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ المجمل في اللغة. وله (مقاييس اللغة) و (الصاحبي) و (الفصيح) و (تمام الفصيح) و (فقه اللغة) و (جامع التأويل في تفسير القرآن)، وغيرها.

ووضع أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى مابين سنة ٣٩٣هـ، وفي سنة ٣٩٨ كتاب الصحاح، وله كتاب في العروض ومقدمة في النحو.

ووضع أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٢٩هـ، (فقه اللغة) وله كتب كثيرة منها (يتيمة الدهر) و (المضاف والمنسوب) و (الكناية والتعريض) وغيرها.

وقد أجاد علماء القرن الرابع والخامس في الترتيب والجمع وفاقوا من تقدمهم في التقريب والتسهيل، ونبغ فيهما طائفة من الأندلسيين البارعين، منهم أبو الحسن علي بن سيده الأندلسي المتوفى في دانية سنة ٤٥٨هـ وكان ضريراً كأبيه، وله كتاب (المخصص في اللغة) وكتاب (المحكم) و (شرح ما أشكل من شعر المتنبي) و (الأنيق) شرح حماسة أبي تمام وغيرها.

ونبغ في المغرب في القرن الرابع والخامس طائفة من اللغويين، منهم أبو القاسم مفضل بن محمد بن مسعر التنوخي، وأبو العلاء، وأبوه عبد الله بن سليمان.

النحو والصرف

ألف أهل القرن الثاني والثالث في هذين العلمين كتباً كثيرة، والغالب فيها أن يكون التأليف إما على مذهب البصريين أو الكوفيين. فلما كان القرن الرابع أخذ فريق من العلماء يمزجون بين المذهبين، وقد نبغ فيه

طائفة من الأئمة ، منهم الحسن بن عبد الله أبو سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وله كتب منها (شرح مقصورة ابن دريد) و (ليس في كلام العرب) و (الاشتقاق) وأبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، وأبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ

ويزيد علماء هذا العصر على من تقدمهم بما بحثوا فيه من المناسبات بين الألفاظ ومدلولاتها ، وما بين أصوات اللغة وطبيعتها من التشابه أو التقارب ، وبالبحث عن علل الإعراب والبناء ، وما أدخلوه من مصطلحات المناطقة والأصوليين في النحو ، وجروا على طريقة منطقية بتحرير الحدود والقواعد .

ويصح أن يقال : إن هذا العصر أسبق العصور إلى البحث في الفلسفة اللغوية ، وفي كتاب (الخصائص) ما يقنع المرتاب ويبين الحد الذي انتهى إليه علماء هذا العصر في مثل هذه المباحث .

ويتصل علم الصرف بعلم الاشتقاق ، ومن العلماء من أفرده بتأليف مستقل كالمفضل بن سلمة والأصمعي [١] والمبرد [٢] وابن دريد والأخفش المجاشعي [٣] وابن خالويه ، وفي (رسالة الملائكة) شواهد جمة تدل على أن أبا العلاء كان إماماً في هذه العلوم .

(١) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب وأحد أئمة اللغة له تصانيف كثيرة وتوفي سنة ٢١٦ هـ . (ج)

(٢) هو محمد بن يزيد الثمالي الأزدي إمام العربية وأحد أئمة الأدب ، توفي في بغداد سنة ٢٨٦ هـ ، وله كتب (الكامل) و (المقتضب) و (إعراب القرآن) وغيرها . (ج)

(٣) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي عالم بالنحو واللغة والأدب أخذ عن سيبويه وله كتب منها (تفسير معاني القرآن) و (الاشتقاق) و (معاني الشعر) توفي سنة ٢١٥ هـ . (ج)

علم المعاني والبيان والبديع

عني المسلمون أولاً بتدوين العلوم التي تحفظ الكلام من الخطأ في مخارج حروفه وفي إعرابه وتصريفه وتفسير المعنى والغريب منه، حتى إذا فرغوا من ذلك وجهوا عنايتهم إلى البحث في فصاحة الكلام وبلاغته وبيان وجوهها. وكان غرضهم من ذلك كله وضع قواعد عامة لمعرفة اللغة وضبطها بقواعد كلية ليدرأوا عنها اللحن والخطأ، وليدربوا الأعجمي ومن في حكمه على الكلام الفصيح والصحيح، وعلى إدراك ما في القرآن الكريم من أسرار البلاغة وأدلة الإعجاز. وكان البحث في ذلك قديماً عند المتقدمين إلا أن مسائله غير مجموعة ولا محررة.

ومن أول كتب وضع في البيان (المجاز في غريب القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ تقريباً. وقد تصدى الجاحظ في البيان والتبيين إلى ذكر شيء من عيوب اللسان ومحسنات البيان. واحتذى على مثاله جماعة من العلماء، مثل قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٢٥٦ هـ، وابن دريد، وأبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٨٢ هـ.

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فجمع ما تشتت من مسائل المعاني والبيان ووضع لها قواعد، وألف كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ثم تم تحرير هذه العلوم وتمييز كل واحد منها من الآخر بعد هذا العصر.

أما البديع فأول من ألف فيه كتاباً عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ، ثم زاد عليه قدامة بعض الأنواع، وكذلك العسكري وابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ.

وسيأتي أن لأبي العلاء يداً طولى في هذا العلم والإرشاد إلى طرقه، أورده من نقد الشعراء والكتب.

العروض والقوافي

أول من وضع هذا العلم الخليل بن أحمد، ثم جاء من بعده الأخفش الأوسط فزاد واستدرك عليه بحراً [illegible]، ومنهم المازني بكر بن محمد المتوفى سنة ٢٤٩ هـ، [illegible] وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج المتوفى سنة ٣١٠ هـ، والجوهري صاحب الصحاح وغيرهم.

وعني أبو العلاء بهذا العلم عناية كبرى، واشتهر به من علماء العروض في هذا العصر أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصين، وله كتاب في العروض والقوافي يذكر فيه أنه سأل أبا العلاء عن بعض مسائل هذا الفن، ومنه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية في دمشق.

التاريخ

أول ما شرع في التأليف فيه في عهد بني أمية في أيام معاوية، استقدم عبيد بن شرية الجرهمي وكتب له كتب الملوك وأخبار الماضين، وروي عن وهب بن منبه المتوفى نحو سنة ١١٤ هـ وضع كتاباً في [illegible] ولكن ما كتب في ذلك العهد كان [illegible] بعض المؤرخ ما يرويه عن غيره بالسند، ولما جاء العصر العباسي نهضت نفوس العرب إلى العناية بالتاريخ [illegible] إلى أنواع [illegible] والفتوح وطبقات الرجال [ومن أسباب العرب [illegible] لم يسبقوا إلى هذا النوع] [illegible] العرب وتاريخ [illegible] والبلدان [illegible] التي [illegible] كانوا [illegible] لأزمنة والأمكنة التي [illegible] فيها [illegible] وقيلت فيها أحاديث الرسول ﷺ، والبلدان التي فتحت [illegible] أمر الجزية والخراج، والمعرفة رواة الحديث وحملة الشريعة للبحث عن [illegible] ومعرفة [illegible]

الكرية من غيرها ، والأرض من غيرها ، وقد كان لأمجاد(١) العرب وأمجادهم وحروبهم من دعوى الجاهلية ، ومعرفة أسباب الشعر ومواقعه ونحو ذلك من مقاصد .

وممن صنف في هذا النوع من المصنفات : محمد بن يسار المطلبي المدني المتوفى سنة ١٥١ هـ صاحب السيرة النبوية ، ومحمد بن سعيد المتوفى سنة ١٦٨ هـ ، وهشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، والواقدي محمد بن عمر المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعي ، وعبد الملك بن هشام الحميري المعافري المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، وهو صاحب (السيرة النبوية) ، والمدائني علي بن محمد المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، ومحمد بن سعد بن منيع الزهري صاحب (طبقات الصحابة) المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، وأحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٧ هـ ، ومحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وأبو زيد البلخي أحمد بن سهل المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، والمسعودي علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، وابن مسكويه أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٢١ هـ .

وكان سبيل العرب في التاريخ ان يسرد المؤرخ ما وقع إليه من الحوادث في كل سنة أو ما انتهى إليه علمه من حوادث أمة وأخبار دولة ، ولكن عددهم قد ترك التوسع في البحث عن أحوال الأمم الاقتصادية والاجتماعية ، وتعليل الحوادث والإمعان في تعقبها ما خلا ابن خلدون منهم ، فإنه نظر في ذلك بالتحقيق والتحري والبحث عن أحوال الرجال وعدالتهم مما يتوقف عليه معرفة ذلك .

وكان المؤرخ العربي يرى أن التاريخ عبارة عن نقل الحوادث كما هي ، وهذا اقتضى أكثر من عنايته بالنقل والتحري في ضبط الرواية ، وهم لم يقصروا في ذلك على أن خطة التاريخ تغير في هذا العصر عما

(١) الأمجاد معرفة المجد والحمد وهو [illegible]

كان عليه من قبل ، فإن أكثر المؤرخين فيه كانوا يرحلون إلى كثير من الأقطار ليكتبوا ما يشاهدون . وإن كثيراً منهم درس الفلسفة فتفتح ذهنه ووجهت عقله إلى شيء من نقد الحوادث وتعليلها . وإلى ما في بعض الأقوال من الحوادث لا يجوز وقوعها ، كما يتمثل ذلك في كتاب (مروج الذهب) للمسعودي ، فإنه رحل إلى بلاد الفرس والشام ومصر وغيرها وذكر في كتابه طائفة مما شاهده من العادات والمعتقدات والأخلاق ، وما رآه من آثار الطبيعة كالزلازل والمد والجزر ونحوها .

ومنهم من أدخل في التاريخ شيئاً من المباحث العلمية والأدبية .

وقد ألف فيه جماعة من أهل المعرة في عصر أبي العلاء ، منهم أبو علي عمار بن محمد بن مهذب التنوخي المعري ، ومنهم يحيى بن علي ابن زريق التنوخي المعري .

وآثار أبي العلاء تدل على أن له معرفة كبرى بمعرفة الرجال والأمم وأخبارهم وأحوالهم .

تقويم البلدان والجغرافيا

ازدهر في العصر العباسي علم تقويم البلدان ، وعني المؤرخون به خاصة حتى أن كثيراً منهم من جمع بينه وبين التاريخ في كتاب ، وقل من لم يكن منهم له باع طويل في هذا الفن ، وقد ألف فيه جماعة منهم : أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ، له كتاب (البدء والتاريخ) ومن العلماء من ينسبه إلى المطهر بن طاهر المقدسي ، وأحمد بن واضح اليعقوبي له كتاب (البلدان) وعبيد الله بن أحمد بن خرداذبه المتوفى سنة ٢٨٠ هـ له كتاب (المسالك والممالك) ، ومحمد بن حوقل المتوفى سنة ٣٨٠ هـ[١] له (المسالك

(١) كذا في الأصل ، وفي الأعلام للزركلي (المتوفى بعد سنة ٣٦٧ هـ) .

والممالك) ، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ، كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) ، وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ.

الفلك

كان العرب الأقدمون يعرفون كثيراً من أسماء الكواكب وأوقات طلوعها وغروبها ومواقع بعضها من بعض ، ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر ، وكانوا ينسبون كثيراً من الحوادث الطبيعية إليها ، كالحر والبرد والمطر ، ولهم في ذلك عقائد وأساطير مذكورة في كتب الأدب العربي ، ولم يحفلوا الانتفاع بأكثر من هذا.

ولما جاء العصر العباسي وترجمت كتب الهند والفرس واليونان شغل بعض الناس بالتكهن عن طريق النجوم ويزعمون أنهم ... ، واشتهر من أهل ... أبي العلاء أن ذلك كان ... وقد ... في عهده ... كثير من المنجمين من المحتالين ، وحض الحكام على إزالتهم عن الطرق ، وحذر ... منهم وحرضهم على اجتنابهم . ويقال : إن هذا نوع مقتبس من الهنود والفرس ، وقد لقي رواجاً عند خلفاء العبيديين ، كالحاكم وغيره ، كما لقي رواجاً عند غيرهم.

أما علم الفلك الذي اقتبسه العرب من اليونان فقد كسبهم معرفة رصد الكواكب وتوقيت الحوادث ، وكان علم الفلك بأقسامه مزدهراً في القرن الرابع والخامس لا سيما في مصر ، وقد تأثر أبو العلاء بهذا الفن ، ولذلك نجد في كلامه كثيراً من أسماء الكواكب وتشبيهها ، وذكر شيء من خصائصها والبحث في قدمها وحدثها ، والعناصر التي تركبت منها ، وفي حسنها وما يزعمه الناس فيها ، ونحو ذلك مما يأتي . وقد نبغ في هذا الفن أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الشهير بابن يونس المصري المتوفى سنة ٣٩٩ هـ

وهو صاحب (الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس) صحح به أغلاط من سبقه من مصنفي الأزياج ، وأبو الريحان البيروني .

وإنما ذكرنا هذا الفن عقب التاريخ وتقويم البلدان لشدة تأثرهما به ، وكثرة حاجة ... المؤرخون فيه

الفلسفة

الترجمة

أول من عني من العرب بترجمة كتب العلوم ... خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ ترجم بعض الكتب في النجوم والطب والكيمياء (١) ، ثم ترجم ماسرجويه كتاب (أهرون) في عهد عمر بن عبد العزيز ، ثم لما قامت خلافة العباسية اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بالترجمة واستقدم نفراً من الهنود والسريان والفرس وغيرهم فترجموا له كتباً كثيرة ، وسأل ملوك الروم أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا إليه بما لديهم من كتب أفلاطون وأرسططاليس وبقراط وجالينوس وأوقليدس وبطلميوس وغيرهم . وأول ما ترجموه من علوم المنطق والنجوم .

وكانت للترجمة طريقتان : الأولى أن تترجم كل لفظة من اللغة المنقول عنها بما يرادفها من اللغة العربية ، وممن نحا هذه الطريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي .

(١) ابن خلكان ١ : ٢١٢ ، والفهرست ١ : ٢٤١ ، ومفتاح السعادة ١ / ١٠٩ .
(ج)

والثانية أن يترجم كل جملة من غير أن يتقيد بتفسير كل كلمة على حدة، ومن رجالها العباس بن سعيد الجوهري، وحنين بن إسحاق، وهذه الطريقة أسلم عاقبة من الأولى وأكثر فائدة منها. ثم فترت الترجمة بعد موت المنصور، حتى قام الرشيد فبعثها من مرقدها وترجم في عهده كل ما عثر عليه من كتب الطب والنجوم والكيمياء وغيرها. فلما جاء عهد المأمون أوفد إلى بلاد الروم طائفة ليحضروا له الكتب ويحملوها إليه، منهم الحجاج بن مطر، وسلم صاحب بيت الحكمة، وابن البطريق، وبنو شاكر المنجم وغيرهم(١) ثم ما زال حتى وصل الترجمة فترجم له خير الكتب، ونبغ في عهده طائفة من العلماء المحققين فأصلحوا ما في ترجمة من تقدمهم وما في الكتب المترجمة عنهم من الخطأ. وكان من هؤلاء يعقوب بن إسحق الكندي المتوفى سنة ٢٦٠ وله ٢١٣ كتاباً في الطب والفلسفة والحساب والفلك والهندسة والموسيقى، وقد ترجم كثيراً من كتب الفلاسفة وأوضح المشكل منها، وكان أبرع الناس في الترجمة عن اليونانية، ثم نبغ من بعده طائفة في التأليف والتنقيح والإصلاح. وكانت الترجمة تعظم جداً عند الخلفاء وغيرهم، وفي الفهرست ص ٢٤٠ أن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة. ولم يأت العهد الذي كان فيه أبو العلاء إلا وقد انتهى نقل ما كان عند اليونان والفرس وغيرهما من أنواع الفلسفة والحكمة وأصبح الناس يدرسونه في المدارس والمساجد والمنازل ويبينون خطأ من تقدمهم من الفلاسفة، وقد ألف جماعة من العرب كتباً كثيرة في فنون مختلفة

(١) الفهرست ٢٣٩ . (ج)

العلوم الفلسفية عند المتقدمين

قسم المتقدمون العلوم الفلسفية إلى أربعة أنواع: رياضية ومنطقية وطبيعية والهية. وقسموا الرياضية إلى أقسام أربعة: الأول علم الأرثماطيقي، وهو معرفة خواص العدد، وتحته علم [illegible] والحساب.

الثاني: علم الهندسة بالبراهين، وقسموه إلى [illegible] و[illegible]، وتحته علم رفع الأثقال وعلم جر [illegible] والمناظر و[illegible].

الثالث: علم النجوم، وتحته علم هيئة الأفلاك وتركيبها، وأحكام النجوم.

الرابع: علم الموسيقى، وتحته [illegible] الإيقاع والعروض.

وقسموا العلوم المنطقية إلى خمسة أنواع: معرفة صناعة الشعر والخطابة والجدل، والبرهان، والمغالطة السوفسطائية.

وقسموا العلوم الطبيعية إلى سبعة أنواع: الأول علم المبادئ، وهو معرفة خمسة أشياء لاينفك عنها جسم، وهي الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة. الثاني [illegible] السماء والعالم [illegible]. الثالث علم الكون والفساد. الرابع: حوادث الجو. الخامس علم المعادن. السادس علم النبات. السابع: علم الحيوان، ويدخل فيه علم الطب وفروعه.

وقسموا العلوم الإلهية إلى أنواع: علم [illegible] وصفاته، وعلم الروحانيات، وهي معرفة الجواهر البسيطة [illegible] وهي الملائكة. والعلوم النفسانية، وهي معرفة النفوس المتجسدة، والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من الفلك المحيط إلى مركز الأرض. وعلم السياسات، وهو أنواع: سياسة [illegible] وسياسة [illegible] وتحته [illegible] و[illegible]، وهو [illegible] [illegible]

(١) راجع كشف الظنون (ج [illegible])

في أول الأمر لتأسيس المدن، وعلم قود الجيش ومكايد الحرب وسيطرة والبيزرة وآداب الملوك. والعلم المدني كعلم سياسة خاصة وهي سياسة المنزل. وعلم سياسة الذات وهو علم الأخلاق.

وقد عني العرب بهذه العلوم وألفوا فيها كثيراً من الكتب، ونبغ منهم في كل عصر عدد كبير، ومن أشهر الفلاسفة في القرن الرابع والخامس. أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى في بغداد سنة ٣١١هـ وأبو نصر محمد بن محمد الفارابي المتوفى في دمشق سنة ٣٣٩هـ وأبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ وقد ذكر ابن النديم في (الفهرست) والقفطي في (أخبار الحكماء) وابن أبي أصيبعة في (طبقات الأطباء) عدداً كبيراً من أعلام الفلاسفة والحكماء، كما ذكر غيرهم من المؤرخين كثيراً منهم.

طريقة فلاسفة المسلمين

وكان للفلاسفة المسلمين طريقتان: إحداهما لم يتقيد أصحابها بدين ولا غيره، وإنما حكموا العقل وحده في كل شيء. ومن زعماء هذا الفريق الفارابي وابن سينا، وقد شذ أهل هذا المذهب في كثير من القضايا عن بعض أصول الدين، فقالوا كثيراً مما لا يقوله المسلمون كقدم العالم، ونفوا كثيراً مما نصت عليه الشريعة كحشر الأجساد، ولذلك رمي أكثرهم بالإلحاد والزندقة.

والثانية أراد أصحابها أن يوفقوا بين الدين والفلسفة فتكلفوا لذلك وجوهاً وتأولوا في النصوص بعض التأويل، ومن هذا الفريق علماء الكلام الذين جادلوا الفلاسفة في كثير من المسائل وأرادوا أن يسيروا الفلسفة وراء الدين. ومن رجال هذه الطريقة أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل، وأبو منصور الماتريدي محمد بن محمد، وأبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، وأبو إسحاق الإسفرايني إبراهيم بن محمد، ومحمد بن عبد الوهاب الجبائي، وابن المعلم أبو عبد الله محمد بن محمد.

ومن رجال هذا الفريق المتصوفة ، وقد ذكر صاحب [illegible] الذكرى [1]
أن الفلسفة الصوفية تتألف من عنصرين يونانيين ؛ أحدهما وحدة الوجود ،
وهو مذهب الرواقيين أصحاب زينون ، [illegible] ليس في الوجود إلا قوة
واحدة ذات وجهين ؛ أحدهما عقل يعرف به الحركة ، والثاني صورة تظهر
فيها هذه الحركة [illegible] وعلى هذا يكون الوجود والموجود شيئاً واحداً
في [illegible] وإن اختلفا في الاعتبار [illegible] وهذا المذهب [illegible] عند [illegible] من
اليونان وإن الصوفيين يرون [illegible] وحدة [illegible] والثاني هو [illegible] ،
ويقوم هذا المذهب على قاعدة فرضها أفلاطون وهي [illegible] عقلياً
مجرداً يماثل عالم المادة المركب [illegible] إلى عالم
المادة لتبتلى وتمحص ؛ فلما جاء [illegible] حق
من اليسير أن تتصل النفس [illegible] وسبيل
ذلك [illegible] جوهرها [illegible] في موضوع واحد
وإذا تم ذلك [illegible] وهو لا يتم إلا بعد جهاد — فقد تطلع النفس على ما في
العالم العقلي من جمال وتتصل [illegible] لذة أخرى ،
وهذا المذهب [illegible] الأقدمين [illegible]
في كهف مصر [illegible] ما [illegible] .

وهذان [illegible] نقلا إلى [illegible] وصيف
إليها شيء من ظاهر [illegible]

[1] [illegible]
[illegible] الذكرى .

[2] [illegible]

(ع)

وغيرهم من متصوفة القرن الرابع ، والمتصوفة أقرب إلى الشيعة منهم إلى أهل السنة ، فظهر فيهم مذهب الباطنية ، وكثر تأويلهم للكتاب والحديث وانتشر مذهبهم في العامة فأدى إلى فنون من الإباحة ومخالفة الدين ، واخترعوا أشكالاً للعبادة لم يوجبها الله فنشأت عندهم في الذكر والغناء والرقص والحشيش وشبه ذلك عندهم منكرات منها الخزعبلات والأباطيل وضاق بهم أبو العلاء ذرعاً فأشبعهم رداً وازدراء (١) . ولئن كثرت أباطيلهم فرب فيهم قوما يورثه استشناع أبو العلاء من هذه . اه

وفي هذا الكلام نظر من وجوه ، منها : أنا لا نسلم بأن التصوف المذكور دخل على الإسلام في القرن الثالث ثم نشأ عنها مزاج فلسفي خاص ، لأن الانقطاع عن الناس والتعبد أمر قديم في الإسلام ، فقد ثبت في الأخبار الصحيحة أن النبي (ﷺ) حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه حتى جاءه الملك بالوحي ، وبعد النبوة كان يعتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، ومنها أن المتصوفة كانوا يطعنون على غرار الصحابة لا سيما أبي بكر وعمر وعلي ، ومنها أننا لم نعرف عن المتقدمين من المتصوفة أنهم اتخذوا الحشيش أو غيره من المنكرات ومنها أن الحلاج والجنيد على طرفي نقيض ، فالأول في رأي الجمهور زنديق ملحد ، والثاني تقي ورع ضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة .

على أننا لا ننكر أن في الصوفية من عبثوا بالشريعة وحرفوا آيات القرآن والحديث لتحويل ميولهم عن وجوهها ونسبوا أموراً للصحابة والعترة على ما تقتضيه أهواؤهم ، ولكن هؤلاء فرق دخل في المتقدمين ، ومثلهم كمثل فرق من الفقهاء زاغوا عن سبل الهدى وشذوا عن طريق الجماعة ، وذلك يعود إلى خصائص في نفوسهم لا إلى أصل مذهبهم وطريقتهم ،

(١) تعني : تعبد البالي ذوات العدد أو اعتزل الأصنام .

وهؤلاء المتقدمهم أبو العلاء كما انتقد فريقاً من العلماء ، أما المتأخرون من المتصوفة فحدث عنهم ولا حرج .

الأدب

عرّفه المتقدمون بأنه علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة ، واختلفوا في أقسامه فقيل : ثمانية ، وقيل : اثنا عشر ، وقيل : أربعة عشر ، وقد جعلوا له أصولاً وفروعاً ، أما أصوله فاللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والعروض والقافية ، والبديع ذيل للمعاني والبيان ، وأما فروعه فالخط وقرض الشعر والإنشاء والمحاضرات ، ومنها التواريخ (١) .

الخطابة

كان للخطابة شأن عظيم في صدر العصر العباسي ، ونبغ طائفة من الخطباء الفصحاء كداود بن علي العباسي وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى الرقاشي ، وكان في الخلفاء العباسيين خطباء مصاقع كالمنصور والرشيد والمأمون وكذلك كان في رجال الدولة وأمرائها وقوادها معدودون منهم كعبد الله ابن طاهر وعبد الملك بن صالح العباسي

ثم لما تولى قيادة الجيوش وحماة الولايات كثير من الأعاجم وتولى واصطنعهم السلطان ، أخذ شأن الخطابة يتناقص ويضمحل حتى لم يبق منها إلا الخطب الدينية في الجمع والعيدين والزواج وزادها سقوطاً وانحطاطاً شدة اختلاط العجم بالعرب وقلة الجند من العرب

ولما كان عهد أبي العلاء كانت بقية من الخطب الدينية يظهر ما عند

(١) راجع كتاب أبي العلاء ص ٣٥ وكشف الظنون ١ ص ٧١

الخطب من فصاحة مصنوعة وبلاغة مسجوعة . ومنهم من كان يستعين بغيره فيعد له الخطب ويحبرها ، ويروى أن أبا العلاء ألف كثيراً من الخطب لغيره .

وقد خلف الخطابة في الأمور السياسية المناشير (١) التي كانت تصدر من الخلفاء والأمراء ، وفي الأمور الدينية مجالس المناظرة والجدل بين المتكلمين والفقهاء وبين [illegible] وبين [illegible] وشيعة ونحو ذلك ، كالمناظرة [illegible] [illegible] في الأصلح والتعليل وفي [illegible] [illegible] ، وكالمناظرة بين الأشعري وأبي بكر الصيرفي محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٣٣٠ هـ (٢) والمناظرة بين أبي إسحق الشيرازي وأبي عبد الله الدامغاني محمد بن علي المتوفى سنة ٤٧٨ هـ وبين أبي إسحق [illegible] [illegible] الجويني [illegible] وبين أبي الطيب الطبري طاهر بن عبد الله المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وأبي الحسن [illegible] وبين الطبري وأبي الحسن القدوري الحنفي (٣) .

وكانت [illegible] مجالس الوعظ والتدريس والإملاء وغيرها .

الكتابة

بعث في العصر [illegible] والذي بعده طائفة من الكتاب

(١) [illegible] ٣ [illegible] ٢٤ . (ع)
(٢) طبقات [illegible] ٣ [illegible] ١٧ . (ع)
(٣) طبقات [illegible] ١٨٢ (ع)

والجودي كابن المقفع(١) ويحيى(٢) وجعفر(٣) والفضل(٤) البرامكة وإسماعيل(٥) ابن صبيح وعمرو(٦) بن مسعدة وأحمد(٧) بن يوسف ومحمد(٨) بن عبد الملك الزيات والجاحظ ومحمد(٩) بن العميد

(١) هو عبد الله بن المقفع كاتب مشهور ولد سنة ١٠٦ هـ [illegible] وهو أحد [illegible] قتل في دمشق [illegible] سنة ١٤٥ هجرية . (ج)

(٢) ويحيى بن خالد بن برمك [illegible] في [illegible] إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ (ج)

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد [illegible] سنة ١٨٧ هـ (ج)

(٤) والفضل بن يحيى بن خالد [illegible] سنة ١٩٣ هـ في [illegible] (ج)

(٥) إسماعيل بن صبيح [illegible] (ج)

(٦) عمرو بن مسعدة بن سعد [illegible] في عهد الرشيد [illegible] سنة ٢١٧ هـ (ج)

(٧) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح [illegible] وزر للمأمون وتوفي سنة ٢١٣ هـ (ج)

(٨) محمد بن عبد الملك [illegible] في الإنشاء والأدب [illegible] الواثق أراد أن يولي ابنه ويحرم المتوكل فلم يوفق فلما ولي [illegible] وعذبه ومات في بغداد سنة ٢٣٣ هـ . (ج)

(٩) ابن العميد محمد بن الحسين العميد كان عالماً كاتباً حتى قيل فيه بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وكان [illegible] في الشعر والأدب وتقدمه في الكتابة [illegible] توفي سنة ٣٦٠ هـ . (ج)

وفي العهد الذي كان فيه أبو العلاء نبغت طائفة طبعت على غرار من تقدمها وزادت عليه ما أدخلته في فن الكتابة من مسائل العلم ومصطلحاته ومن الصنعة البديعية ، وإن تمحض عند بعض المتكلفين منهم ، والمستقري لتاريخ الكتاب وآثارهم في هذا العهد يجد كثيراً منهم من استطاع أن يجمع بين تخير الألفاظ السهلة وجمال المعنى الرشيقة وروعة المعاني اللطيفة وأن يتصرف في فنون القول بأسلوب عذب ووصف محكم .

ومن أئمتهم أبو بكر الخوارزمي محمد بن العباس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ، والصابي إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، والصاحب إسماعيل ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، والبديع الهمذاني أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٣٩٣ هـ .

وهي أهم ما تركه ذلك العهد من آثار الأدب النثري . وبعد هذا في وسعنا أن نقول إن صناعة الإنشاء في هذا العهد لم تنحط عما كانت عليه في العهد الذي كان قبله وإن كان في رجاله بعض المتكلفين في الصناعة وقلما وجد عصر غير مطبوع بطابع التجديد في نظمه ونثره

الشعر

لم يصل إلينا من الأدب الجاهلي إلا الشعر وقليل من النثر ، والشعر الذي وصل إلينا عالي التأليف متلاحم الأجزاء مصقول الديباجة صحيح المعنى مشذب مهذب ، وقد حصر العلماء أقصى مداه قبل الإسلام بقرن ونصف ، وليس من المعقول أن يولد الشعر ويتقدم في الجودة والإتقان وتعدد الأنواع والأغراض والأوزان إلى هذا الحد في مثل هذه المدة بل لابد أن يكون قد مرت به أطوار مختلفة من التحرير والتنقيح والتهذيب في أوزانه وقوافيه وفي ألفاظه مفردة ومركبة ، وأطوار متعددة من

التقويم والتصحيح في معانيه حتى جاء على هذه الصورة الرائعة ، وبدأ من المتفق أن الشعر مر بضروب من النقد الأدبي في العصر الجاهلي . غير أننا لم نجد هذا النوع [illegible] مجموعاً بعضها إلى بعض محصوراً تحت كل نوع منها أفراد متقاربة أو متشابهة كما هو الشأن في كل علم من العلوم . وإنما نقلت إلينا مسائل مبعثرة مرتبط كل منها بحادثة [illegible] فقد [illegible] أم جندب زوجها امرأ القيس الكندي (١) [illegible] جهد فرسه بسوطه ، وحرك رجليه وزجره بخلاف علقمة .

ومنه ما نقده طرفة على المسيب بن علس (٢) حين قال بيته : استنوق

---

(١) امرؤ القيس [illegible] الكندي [illegible]
هو وعلقمة [illegible] في الشعر [illegible] على [illegible]
[illegible] فتدع به [illegible] في مثل ذلك ، [illegible] أم جندب
[illegible] ذلك [illegible] امرؤ القيس قصيدته
خليلي مرا بي على أم جندب [illegible]
[illegible] ألهوب وللسوط درة [illegible] وقع أهوج [illegible]
وقال علقمة قصيدته
ذهبت من الهجران في كل مذهب [illegible]
فأقبل يهوي ثانياً من عنانه [illegible] المتحلب
[illegible] زوجها علقمة أشعر [illegible] سوطه ، [illegible]
[illegible] سوطه ، [illegible] علقمة [illegible] امرؤ القيس
[illegible]
[illegible] وفصل [illegible] في كتاب [illegible] امرؤ القيس
وقد طبع في دمشق سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م (ح)

(٢) [illegible] البكري [illegible] أحد [illegible]
[illegible] وهو [illegible]
[illegible] في وصف [illegible]
وقد أنسى [illegible]
[illegible] استنوق الجمل أي [illegible] في وصف [illegible]
[illegible] أن [illegible] لا تكون إلا في
[illegible] . (ح)

الحل . ومنها انتقاد أهل المدينة شعر النابغة الذبياني (١) لما فيه من الاقواء ومنها انتقاد الخنساء على حسان (٢)

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ‏ ‏ ‏ ‏ وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وفي هذا النقد [illegible] ما يرجع إلى المعنى . وكان المرجع في النقد [illegible] هو [illegible] ولم تكن لديهم قواعد يرجع إليها في ذلك ، ولا كانوا [illegible] إلى فن الشعر والتفكير فيما [illegible]

[illegible]

أجزائه وعناصره من التلاحم والتوافق ونحو ذلك من عمل الفكر الذي لم يهتد إليه مفكر اجتماعي أو لم نهتد نحن إلى معرفته . والحوادث تدل على أن ذلك الذوق كان صحيحاً سليما دقيقا [illegible] امرئ القيس وعلقمة [illegible] أم جندب ، [illegible] وتستند إليه في تفضيل أحدهم على الآخر ، [illegible] يقول شعراً على روي واحد ووزن واحد في غرض واحد [illegible] و [illegible] ذلك ، [illegible] وهذا وأشباهه يدل على [illegible] وإن لم نعثر كيف على التحقيق

فلما جاء الإسلام ونزل [illegible] الكريم ، ارتقى [illegible] وذوق العرب لأن الإسلام أمرهم بالنظر والاعتبار في ملكوت السماوات والأرض ، [illegible] الطبيعة وحضارة الأمم التي كانت تجاورهم [illegible] فاتسعت دائرة النقد لديهم [illegible] من كان [illegible] تفضيل شاعر على آخر أو تفضيل شاعر على جميع الشعراء مع بيان الأسباب التي تقتضي ذلك ، كما فعل عمر بن الخطاب في تفضيل زهير على غيره (١)

(١) قال عمر بن الخطاب لابن عباس : هل تروي لشاعر [illegible] ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

[illegible]

[illegible] ذاك زهير [illegible] كان لا [illegible] وحشي الشعر ، ولا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح رجلا إلا [illegible]

وكما فعل حين [illegible] بعمر بن أبي ربيعة (١) ونحوه. وما كان يفعله الخلفاء والأمراء من إرشاد الشاعر إلى الجيد من المدح واطّراح الرديء منه كما فعل معاوية بالأخطل (٢) أو استشهاد [illegible] أو معنى لا يوجه مما لا يلائم المقام أو لا يوافق مراد الشاعر كما فعل عبد الملك بجرير (٣) وذي الرمة (٤)

(١) قال ابن أبي عتيق [illegible] شعر عمر [illegible] في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة [illegible] شعر [illegible] لطوفاً في [illegible] ومخالطة [illegible] وما كان شعر [illegible] شعره سحراً. (ج)

(٢) [illegible] الأخطل [illegible] فقال [illegible] كنت شبهته [illegible] والأسد والصقر [illegible]

[illegible] الأخطل

[illegible] الأخطل : [illegible] ، وقد [illegible] بيتين [illegible] واحد.

[illegible] إلا من [illegible]

[illegible] الأخطل في زهر الآداب ج ٤/٦٤ ، وأمالي المرتضى ج ٣ ١١٣ ، وفي كتاب [illegible] قال [illegible] (ج)

(٣) دخل جرير على عبد الملك [illegible] فأنشده [illegible]

أتصحو أم فؤادك [illegible]

فقال [illegible] وجرير [illegible] الدبوعي [illegible] أهل عصره [illegible] سنة ٢٨ هـ [illegible] سنة ١١٠ . (ج)

(٤) ذو الرمة غيلان [illegible] العدوي من مضر شاعر فحل قيل : بدئ الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة [illegible] في سنة ١١٧ هـ ودخل على عبد الملك [illegible] شيئاً من شعره ، [illegible]

ما بال عينك منها الماء ينسكب

وكان [illegible] عبد الملك [illegible] وهي تدمع أبداً ، فتوهم أنه عرّض به ، [illegible] [illegible] عن [illegible] ١ — ١٤٨ (ج)

والحجاج بليلى الأخيلية (١) . ونحو ذلك مما طفحت به كتب الأخبار والأدب .

وقد يتجلى للمتمعن في استقصاء هذه مباحث أن النقد في العصر الإسلامي لم يقتصر على نقد الألفاظ والمعاني فحسب بل تعدى ذلك إلى الشعور والحس ، كما سمعنا من قول ابن أبي عتيق ، وعمر بن مصعب في عمر بن أبي ربيعة من تفضيل شعر عمر بما ذكراه فيه على غيره لخلوه من ذلك . ولكن النقد في هذا العصر وإن تعددت وجوهه لم يعتمد على قواعد معينة ، وإنما كان يعتمد على الذوق والسليقة والفطرة وكثرة الممارسة التي تجعل في النفس ملكة يتميز بها جيده من رديئه .

فلما قامت الدولة العباسية وزخرت بحور العلوم التي وضعها العرب أو نقلوها عن الأعاجم ونضجت علوم اللغة أخذ من النقد يتقدم ويسمو على أيدي اللغويين والأدباء من كتاب وشعراء ، وتعددت وجوهه ، وكان في أول هذا العهد يعتمد على الذوق ويستند في بعض نواحيه إلى العلم وقد كان العصر العباسي الأول أي من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٢٣٢ هـ عصر رحلة وتدوين وسماع للغة من أفواه أهل البادية الذين لم تفسد سلائقهم مخالطة العجم والمستعجمين ، فهو عصر غرس وتمهيد .

وأما العصر الثاني فقد كان عصر بحث وإعمال للعقل وإنتاج للفكر ، عصر نضج وازدهار وإثمار . ولذلك دون فيه من الكتب والرسائل

(١) وفدت ليلى الأخيلية على الحجاج فمدحته فأثابها من قولها :

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة [illegible]

فقال لها : لا تقولي غلام قولي همام . الأغاني ج ١٠ ص ٧٦ . [illegible]

[illegible] وكلها أخبار مع توبة [illegible] وتوفيت سنة ٧٥ هـ

ما لم يعرفه أهل العصر السابق، وحدث فيه من الفنون ما لم يكن من قبل، ومن ذلك المسائل العائدة إلى علم البلاغة الشامل لعلم المعاني والبيان والبديع (١) فهذا من ثمرات هذا العصر ونتائج عقول رجاله. أما كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى (مجاز القرآن) فهو وإن أوذن باعتبار الألفاظ المستعمل في غير ما وضع له إلا أنه لم يفرق بين أنواع المجاز التي قسم علماء هذا الفن بعده. والجاحظ تصدى كما هو في (البيان والتبيين) إلى شيء من مباحث البيان إلا أنه لم يجر فيه على طريقة تفرد كل نوع من غيره وتلحق كل مفرد بنوعه، وكذلك ما جاء في مثل كتاب (الكامل) للمبرد (والشعر والشعراء) لابن قتيبة لا يتعدى كونه مسائل انتقد فيها من بعض الوجوه، لا ترجع إلى قاعدة عامة ولا إلى ضابط كلي، وقد كانت هذه المباحث في الأدب ثم لما اختلفت كلمة المتكلمين في مجاز القرآن ووجوه إعجازه وطرقه استمد كل منهم من مسائل البلاغة ما يؤيد به رأيه ويضعف رأي غيره، فكان ذلك باعثاً لوجود هذا العلم.

ويمكن أن يقال: إن مسائل هذا العلم التي وضعت بها كتب الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وغيرهم، كانت ولادة له في القرن الثالث والرابع، ولم يكد ينزع فجر القرن الخامس حتى أصبحت هذه المسائل علوماً متميزة مبادئها وموضوعاتها ومسائلها وغايتها فطبع عبد القاهر الجرجاني بكتابيه وضعها أساساً لعلمي المعاني والبيان. ثم بلغت هذه العلوم غايتها من تحرير

(١) كثير من العلماء يسمي الجميع علم البيان، وكثير من يسمي الثلاثة علم البديع وبعضهم يسمي الأول علم المعاني، والثاني والثالث علم البيان كما ذكر ذلك سعد الدين وغيره من شراح التلخيص ج ١ ص ١٥١. (م)

المباحث وتمييز مسائل كل علم منها على حدة على يد أبي يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وأشباهه .

وزعم بعض الأدباء أن البيان والنقد شيء واحد . والحق أنهما قد يتفقان ويجتمعان في بيان وجوه الحسن ، وينفرد علم البيان في بيان تأدية المعنى بطريق أوضح من غيره ، وفي بيان أقسام المجاز والاستعارة والكناية ومسائل العلوم الثلاثة كالفصل والوصل والذكر والحذف وغيرها فليس شيء من هذا يسمى نقداً . وينفرد النقد بكثير من المباحث التي لاعلاقة لها بالبيان فبينهما عموم وخصوص من وجه .

ونقل الإنبابي في حاشيته على (رسالة البيان) للصبان عن السيوطي : أن المتقدمين كانوا يسمون علم البلاغة وتوابعها علم نقد الشعر ، وصنعة الشعر ونقد الكلام ، وفيه ألف قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً سماه (نقد الشعر) وألف الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ هـ كتاباً سماه (الصناعتين) يعني صناعتي النظم والنثر ، وإن التسمية بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين . وفي هذا الكلام نظر لأن عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ألف كتاباً في البديع .

ومن الحق أن يقال . إن العرب في العصر الجاهلي والإسلامي وأول العصر العباسي عرفوا من النقد مذاهبهم وطرائقهم وإن لم يعرفوه علماً مستقلاً ، له من الخصائص والميزات ما لكل علم .

وإن ما قدمنا من الأمثلة التي انتقدت على امرئ القيس والنابغة والمسيب وجرير وغيرهم ، وما ذكره محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ في (طبقات الشعراء) والجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٥٥ هـ في (البيان والتبيين) وابن قتيبة عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في (أدب الكاتب) والمبرد محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٨٦ هـ في (الكامل)

وأبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٥٦ هـ في (الأغاني) وعلي ابن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) والآمدي الحسن بن بشر المتوفى سنة ٣٧١ هـ في (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) والصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ في (كشف مساوئ المتنبي) والحاتمي أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي المتوفى سنة ٣٨٨ في الرسالة التي انتقد فيها المتنبي وبيّن سرقاته، وما شاكل هذا من الكتب والرسائل. وكل هذا يدل على معرفتهم النقد قبل أن يكون علماً

ولقد أخرج لنا العلماء طرفاً من العهد الذي كان فيه علم البلاغة بأنواعه علماً كاملاً. وقد تأثر بالنقد العلمي والأدبي كما سيأتي، وكان لنقده أثر كبير مهد به السبيل لعبد القاهر الجرجاني والسكاكي ومن لف لفهم. وسنذكر بقية العلوم التي كانت في هذا العصر في الكلام على ثقافته

الشعر

ثم تقدم الشعر في فنونه ومعانيه وأخيلته، وتعددت أوزانه وقوافيه وأغراضه من دقة العصر ونعومته وتفنن فيه صناعة البديع من عهد بشار ابن برد، ونمت على يد مسلم بن الوليد، وتمت على يد أبي تمام واستعذب شعراء طريقته فساروا على منواله. ونبغ في القرن الرابع والخامس طائفة من الشعراء المفلقين كأبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي الفتح بن أبي حصينة والشريف الرضي وأمثالهم ولم يخل شعر هؤلاء من شوائب الصناعة البديعية، ولكنها في الغالب كان حظها قليلاً من التكلف الذي يورث الكلام سماجة. ومنها ما يزيد الشعر رونقاً وطلاوة.

ألفاظ الشعر

وكان الغالب على هذه الطبقة النزوع إلى الإيجاز وطرح الفضول من القول والعناية بتخير الألفاظ الدقيقة ذات الكثيرة المعنى ، واستعمال كثير من الاصطلاحات العلمية المتعددة ، وذكر كثير من أسماء رجال التاريخ كأرسطو وجالينوس ، والإشارات إلى أصحاب النحل والمذاهب كالمانوية والدهرية والثنوية ونحو ذلك ، كما كثر به شعر المتنبي والرضي والمعري وغيرهم

المعاني

وأما المعاني فقد تأثرت بالحضارة العباسية والنهضة الفكرية والحياة السياسية والاجتماعية ، ولقد مدت هذه المؤثرات قرائح الشعراء وشحذت عقولهم ونمت ثقافاتهم فصارت لديهم مادة واتسعت آفاق الخيال وتعددت صوره ، فجاءت معاني الشعر وأجلته آية في الوضوح والروعة .

ومما زاد الشعر تقدماً ورقياً في هذا العهد تعدد الملوك والأمراء والمتغلبين وحرص كل منهم على أن يتخذ من الشعراء لساناً ينوه بذكره ويعدد مناقبه ويقرظ أعماله وينال من خصومه لتصغر منزلتهم في أعين الناس . وكان كثير من هؤلاء الرؤساء على شيء من العلم والأدب ، فكانوا يحبون الشاعر بقدر إجادته ، ويغدقون عليه من الصلات والأعطيات ما يملك لسانه على مدح غيرهم ، وكانوا يجمعون مغرّق الشعراء ويتقون أذاهم ، كما وقع للمتنبي عند سيف الدولة أولاً وعند كافور ثانياً وابن العميد ثالثاً وعضد الدولة رابعاً . فكانت هذه العوامل مع ما للشاعر من المنزلة عند العامة والخاصة تدفع الشعراء إلى التسابق في الإجادة والإفتنان في الابتكار ، وكثر بذلك سواد الشعراء ، ويكفيك برهاناً على كثرتهم في كل مصر أن الصاحب ابن عباد بنى قصراً فهنأه به خمسون شاعراً ، وانه قال : مدحت

والمعري عند امة ... ألف قصيدة شعر عربية ورومية ، وأن سيف الدولة اجتمع ببابه جمع كثير من الشعراء النوابغ ، وأن أبا العلاء وقف على نحو ألوف شعر أو أكثر .

فنون الشعر

أما دواوين الشعر في هذا العهد فقد دونت جميع ما نظم فيه المتقدمون ، وانتقى منهم من كل حدب ، وظهر الشعراء فيها جدداً على من تقدمهم ، إلا أن أبا العلاء أحدث الشعر الفلسفي ولم يكن معروفاً قبله بهذا الشكل .

وليست النهضة الشعرية في هذا العهد مختصة بالشعر العربي فحسب ، فقد كانت شديدة بين العرب إذ فيه نظمت الشاهنامة الفارسية ، وهي ستون ألف بيت في سنة ٣٨٤ هـ

ويمكن أن يقال باختصار إن الشعر في هذا العهد بلغ أقصى غاية في الإحسان في التشبيه وتنويع المجاز والاستعارة وضبط الحكمة وروعة الخيال وصحة المعاني وتنوع المقاصد ، واستخلاص الأدب من الشوائب الأعجمية والعربية وإدماج مصطلح العلم ومصطلحاته في الشعر . كل ذلك بأسلوب رائع يجمع بين رقته وقوته ويجري الراوي بالغرض في أكثر الأحيان

الرواية

كان لكل شاعر في الجاهلية راوية فأكثر ، ودرج على ذلك الناس في العصر الأموي وقسم من العصر العباسي . ولكن لما جاء الإسلام تعددت أنواع الرواية ، فكان للقرآن رواة وللحديث رواة وللغة رواة وللأدب رواة ، وقد عني أهل الحديث عناية كبرى بالرواية وشروطها وشروط

الراوي ، وقسموا المروي بحسب السند والمتن إلى أقسام متعددة . وجعلوا طرق تحمل الحديث المروي ثمانية : الأول : سماع لفظ الشيخ وهو أعلاها . الثاني : القراءة على الشيخ ويسميه بعضهم عرضاً . الثالث : الإجازة كأن يقول الرجل : أجزتك صحيح مسلم ، أو أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري مثلاً . الرابع : المناولة ، كأن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه ويقول له : هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروه عني أو أجزت لك روايته عني . الخامس : الكتابة ، وهي أن يكتب الشيخ مسموعه لرجل ، ويقول له أجزتك ما كتبت به إليك . السادس : إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه من فلان . السابع : الوصية ، وهي أن يوصي الشيخ عند موته أو سفره بكتاب يرويه لشخص آخر . الثامن : الوجادة ، وهي أن يقف على أحاديث بخط راويها . ولكل واحد من هذه الأقسام شروط وأنواع مبسوطة في كتب الحديث ، وفي بعضها خلاف بين العلماء . وفي كتاب (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) للسيوطي ص ١٢٩ ما يكفي لإيضاح هذا الكلام .

وقد جرى بعض الأدباء على شيء من طريقة المحدثين ولم يقصروا عنهم في الضبط والتحري والبحث عن عدالة الراوي وصفاته التي تدعو إلى الوثوق بروايته . وكانت رواية الأدب في صدر العصر العباسي بالغة أشدها من الضبط وتحري الصدق ، إلا أن كتب الأدب كانت صغيرة وأكثرها في موضوع خاص .

ثم تغيرت في العصور التي بعده رغبة الأدباء من التأليف في غرض واحد أو نوع واحد إلى جمع أنواع متعددة من الأدب ، فظهر مثل كتب (البيان والتبيين) و (الحيوان) للجاحظ و كتاب (المنظوم والمنثور) لأحمد ابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وهو من تلاميذ الجاحظ ، ومثل كتاب

(الكامل) للمبرد و(الأغاني) و(أمالي القالي) و(العقد الفريد) و(يتيمة الدهر). كثير من أمثال هذه الكتب التي جمعت ما تفرق من الروايات كما جمعت صوراً مختلفة من الأدب.

ونرى أن أبا العلاء كان متأثراً بطريقة أهل عصره وما قبله في الرواية في الحديث والأدب، وأنه نظر في كتب (غريب الحديث). قرأه عليه عثمان بن عبد الله وهو سمعه من عدي بن عبد الباقي وهو سمعه من علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد. وقد قال في الجزء الثاني من ذكرى حبيب. قرأ علي هذا الجزء أبو الحسن يحيى بن محمد الرازي من سنة ٤٤٦ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ وأجزت له أن يرويه عني على حسب ما قرأه.

* * *

المقالة الأولى

نشأته وحياته :

لم نقف في كلام الذين كتبوا في أبي العلاء قديماً وحديثاً على ما يفصل لنا نشأته في دقائق حياته، ولا ما جرى له من الأطوار ولمّ به من المصائب في حياته كلها. وكل ما ذكروه في ذلك أنه ولد سنة ٣٦٣ هـ وعمي بالجدري في السنة الرابعة من عمره، وأنه رحل إلى حلب وبغداد، ثم لزم بيته في المعرة حتى توفي. ونشأته ذات من الحوادث التي لا تشفي غلة الباحث وما قطعه من مراحل الحياة، ومر به من الأطوار والأحوال لا يزال سراً غامضاً لم تساعدنا الأيام بالاطلاع عليه

وقد كان أبوه يحدب عليه حتى توفي في حمص سنة ٣٧٧ هـ على قول ياقوت في إرشاد الأريب جزء ١ ص ١٦٣ أو في معرة النعمان سنة ٣٩٥ هـ على قول ابن العديم (١)، فيكون عمره عند وفاة أبيه أربعة عشر عاماً على قول ياقوت، ونحو اثنين وثلاثين عاماً على قول ابن العديم. ولعل موته في المعرة أقرب إلى الصواب لأنه لو كان ميتاً في حمص لأشار إليه أبو العلاء في مرثيته أو غيرها، ولم نر في كلامه ما يدل على ذلك بل قال صاحب (التنوير) في شرح قوله : (٢)

مجاورِ سَكنٍ في دِيارٍ بَعيدةٍ   مِنَ الحيّ سَقياً للدّيارِ وللسَّكَنِ

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٩٣ من الإنصاف والتحري لابن العديم.
(٢) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٩٢٤ والتنوير ١ / ٢٨٧. والسكن: أهل الدار.

أي حلت في البيت الجديد مجاوراً لقوم ساكنين في دور ، يعني المقابر ، وهي بعيدة من الحي على قربها بالمسافة . وهذا يشعر بأن المقابر التي دفن فيها قريبة منه في المعرة ولو كانت في حمص لكانت بعيدة .

وسيأتي أن أمه توفيت سنة ٤٠٠ هـ ، وهو في بغداد ، أي قبل رجوعه إلى المعرة .

لعبه في حداثته وبعدها

وذكروا أنه في حداثته كان يلعب مع الصبيان ، كما يأتي ذلك في قصة الحلبيين الذين جاءوا ليبصروه ، ونقل الثعالبي في (تتمة اليتيمة) [1] عن أبي الحسن الدلفي المصيصي أنه قال : « لقيت بمعرة النعمان عمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل ، يكنى أبا العلاء » ، وسيأتي تمام قوله في الكلام على من زاره في المعرة .

قال ابن العديم : [2] « وهذا إن صح عن أبي العلاء فقد كان في حال الحداثة لأن أبا العلاء كان بعيداً عن اللهو والهزل » . وشك صاحب (الذكرى) في صحة ذلك فقال : [3] « وما نشك في إحدى اثنتين : إما أن تكون الرواية مكذوبة ، وإما أن يكون لعبه بالشطرنج قد كان بأحجار معلمة تميزها الأيدي ، وذلك شيء لم نصل إلى معرفته الآن . وربما كان يلعب الشطرنج بلسانه كما يلعبه أهل الغرب الآن بوسائل البرق والبريد » . اهـ

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣ عن تتمة يتيمة الدهر — للثعالبي —
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٥٨ عن الإنصاف والتحري — لابن العديم
(٣) ذكرى أبي العلاء — طه حسين — ط ٢ ص ١٦١ ، باختصار في النقل .

أما أن الرواية مكذوبة فيحتاج إلى ما يؤيده ، والقول المجرد في مثل هذا لايفيد شيئاً ، وإما أن يكون لعب بالشطرنج مطلقاً أو بالإنسان فيها ارتضيناه فإنه يدل على أنه كان يلعب به . وقد ذكر الشطرنج ورقعته وأسماء قطعه في مواطن من شعره ، منها قوله في السقط (١) :

أيها اللاعبُ الذي فرسُ الشطـ ـرنجِ همّت في كفِّهِ بالصهيلِ

من يباريكَ والبيادقُ في كفّيـ ـكَ يعلن كلَّ رخٍ وفيلِ

تصرعُ الشاةَ في المجالِ ولوجاً ، مُردَّى بالتاجِ والإكليلِ

لطفُ رأيٍ يستأسرُ الملكَ الأعـ ـصمَ بالواحدِ الحقيرِ الذليلِ ..

وقوله في اللزوم (٢) :

إن لم تحوّلْ فرازيناً بيادقُهم فالشاهُ فيلٌ وذاكَ الفيلُ فرزانُ

وقوله (٣) :

في بقعةٍ من رقعةٍ بشّرتْ للبيدقِ الفتكَ بفرزانِها

مثل هذه الأبيات لايتأتى قولها إلا لعارف بمنزلة الرخ والفيل والفرز والبيدق ، عالم بأن البيدق أضعفها وأن الفرز فوقه ، وأن البيدق قد يفتك بالفرز . وقد يحول فرزاً ، وقد يقتل الشاه . لأن غير العالم بذلك لايستطيع أن يصوغ هذه المعاني المطابقة للعب الشطرنج . وقد استوفى

(١) شروح سقط الزند ، ق ٤ ص ١٦٨٢ ، والرخ : حيوان على صورة ... له جناحان ويسمى به شخص من أشخاص الشطرنج .

(٢) اللزوميات ه ص ٢٦٢

(٣) اللزوميات ه ص ٧٨ .

أسماء الرقعة والقطع التي يلعب بها وهي الشاه والفرزان والرخ والفيل والبيدق. وقد ذكر الصفدي أنه رأى في مصر من يلعب بالشطرنج مع العميان ويغلبهم (نكت الهميان ص ٨٦) وأنه كان عالة في الشطرنج يلعب ويتحدث وينشد الشعر ويتوضأ من بيت الخلاء ويعود إلى اللعب ولا يتغير عليه نقل شيء من القطع...»

وكان أبو العلاء غزير العلم واسع الاطلاع على أخبار الأمم وعقائدها ومراسمها وعاداتها كثير الحفظ للنوادر والحوادث، فكانت حافظته معينا لا ينضب ومورداً لا يغيض، ولكنا لم نوفق إلى معرفة حياته بصورة مفصلة.

تعلمه

لم يحصل لنا التدرج بالطريقة التي سلكها أبو العلاء في تعلمه، ولا من جميع الشيوخ الذين تخرج بهم في العلوم التي تعلمها، ولا أوضح لنا ما أخذه عن كل واحد منهم، ولا أي كتاب درسه في كل فن. وجمل ما ذكره المؤرخون في هذا الباب مغلوب بالغموض والإبهام، وأكثره قائم على الظن يتابع فيه اللاحق السابق من غير بحث ولا تمحيص ولا توضيح وتحقيق؛ وأكثر من كتب في أبي العلاء من المتأخرين طبع على غرار المتقدمين واقتفى آثارهم، ولم يبين لنا من أين استمد أبو العلاء ثقافته الواسعة واقتبس علومه المتعددة، ولهم في ذلك عذر لأن المتقدمين غفلوا عن ذكر هذه الناحية أو أغفلوها. وكل ما ذكروه أنه قرأ القرآن بكثير من الروايات على شيوخ يشار إليهم في القراءات، وأنه قرأ النحو واللغة بالمعرة على أبيه وعلى جماعة من أهل بلده كبني كوثر أو من يجري مجراهم من

صحب ابن خالويه وجالسه، و[illegible] قرأ كتاب [illegible] على [illegible] [illegible] من هؤلاء [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] كان [illegible] في [illegible] في [illegible] يكون المعرة في عهده [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

العلماء الذين كانوا في المعرة في عهده

١ – أبو نصر محمد بن علي بن أبي الفضل الكرطاني المعري المتوفى سنة ٤٥١ هـ كان شيخاً فاضلاً راسخاً في علم الحديث، روى عنه جماعة من الأندلس

٢ – أبو الفضل أحمد بن علي بن عبد اللطيف بن رزيق قرأ على أبي العلاء وروى عنه سبعة عشر جزءاً من حديث [illegible]

٣ – جعفر بن أحمد بن صالح [illegible] اجتمع مع أبي العلاء في [illegible] الأعمى، وكان من أعيان كتابه وقرأ عليه كثيراً من كتب الأدب وروى عنه

٤ - جعفر بن علي بن المهذب المعري، روى عن سليمان بن محمد جد أبي العلاء، وهو الذي رثاه أبو العلاء بقوله من قصيدة في السقط (١)

فليَدرِ في الحفشِ على جعفرٍ   إذ كانَ لمْ يُفتحْ على نِدِّهِ

٥ - أبو حمزة الحسن بن عبد الله بن محمد التنوخي المعري الذي رثاه أبو العلاء بداليته المشهورة، وفيها يقول (٢)

قصَدَ الدهرُ من أبي حمزةَ الأوّ   ابِ مولى حِجىً وخِدنَ اقتصادِ

٦ - أبو سعد عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر بن أبي حصين المعري

٧ - عبد القاهر أخو عبد الوهاب.

٨ - أبو الحسن علي بن محمد صاحب أبي العلاء، سمع عليه جميع أماليه وولي قضاء المعرة وحماه.

٩ - أبو الحسن علي بن محمد بن عبد اللطيف .. ابن زريق المعري، قرأ على أبي العلاء.

١٠ - أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم كتب كتب أبي العلاء بأسرها.

١١ - الفضل بن أبي الحسن بن محمد المعري، أحد من روى الحديث عن أبي العلاء.

١٢ - أبو الفتح محمد بن الحسن ... بن روح المعري.

١٣ - أبو الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم، وكان يكتب لأبي العلاء ووضع له كتاب (المختصر الفتحي) و(عون الجمل).

١٤ - أبو الحسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري، قرأ على القدوري والصيمري، وصنف كتابا في الرد على الشافعي وتاريخا للنحاة واللغويين وتوفي سنة ٤٤٤ هـ.

(١) شروح سقط الزند، ق ٣ ص ١٠٧١

(٢) شروح سقط الزند، ق ٣ ص ٩٨٥

١٥ — أبو الحسن مظفر بن هبة الله بن محمد بن مسعر المعري، صنف كتاباً في معاني الشعر الذي ابتكره فتنبه وأبدع فيه، فرغ من تصنيفه سنة ٤٥٠ هـ.

١٦ — أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب المعري، كان معاصراً لأبي العلاء وله تاريخ نقل عنه ابن العديم وابن الوردي وياقوت وغيرهم.

١٧ — أبو الحسن يحيى بن علي بن محمد بن عبد اللطيف بن زريق المعري كان عالماً بالأخبار، وقد جمع تاريخاً على ترتيب السنين وأدرك أبا العلاء.

١٨ — أبو زكريا يحيى بن مسعر التنوخي المعري، روى عنه أبو العلاء وغيره.

١٩ — أبو الحسن بن علي بن الفضل بن جعفر بن المهذب المعري، كان من القراء المجودين والشعراء المجيدين، قرأ القرآن للسبعة وأعربهم وكان مفسراً خطيباً وتوفي نحو سنة ٤٥٥ هـ.

٢٠ — أبو طالب المعري شاعر مجيد أورد له صاحب (دمية القصر) أبياتاً جيدة.

٢١ — أبو الحسن سليمان بن محمد جد أبي العلاء المتوفى سنة ٣٣٧ هـ روى عنه أبو العلاء وغيره.

الشعراء الذين كانوا في عهده في المعرة

١ — إبراهيم أبو الفضل المعري، كان جيد الشعر وله مدائح في شبل الدولة نصر بن صالح المقتول سنة ٤٢٩ هـ.

٢ — إبراهيم بن عبد الرحمن المعري ، وذكره الباخرزي وقال :

هو من مداح الصاحب .

٣ — أبو الفتح محمد بن علي بن أبي حصين المعري كان شاعراً محسناً ،

سمع من أبي العلاء كتاب الفصول .

٤ — أبو الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعري ، شاعر مطلق

حبيب الروح كثير المداعبة .

٥ — الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة ، شاعر

مطلق من الإمارة بشعره وقد رثى أبا العلاء كما سيأتي .

٦ — أبو علي حمزة بن عبد الرزاق بن أبي الحصين المعري وهو

الذي ولي القضاء في معرة وكان ممدوح شبيب المتوفى سنة ٤٣٥ ﻫ

٧ — أبو الفضل مسلم بن الفرج بن عساكر الحصيني التنوخي المعري ،

شاعر مجيد وكان متصلا بأبي الفتح بن أبي حصينة .

٨ — أبو المظفر محمد بن محمد بن عبد الله المعري ، وهو الذي روى

(ملقى السبيل) عن أبيه عن أبي العلاء .

٩ — القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصين ، أحد حسنات وقته

كان عالماً شاعراً .

١٠ — القاضي أبو عمرو عبد الرزاق بن عبد الله بن المحسن . . ابن

أبي الحصين التنوخي المعري ولد سنة ٤١٨ ﻫ وتوفي سنة ٤٩١ ﻫ وكان

شاعراً مجيداً .

١١ — أبو سالم عبد الله بن أحمد بن الدويدة المعري .

١٢ — علي بن أحمد بن الدويدة أخو عبد الله .

١٣ — أبو محمد عبد الله بن محمد أخو أبي العلاء الذي تولى خدمته .

١٤ — أبو الهيثم عبد الواحد أخو أبي العلاء المتوفى سنة ٤٤٢ ﻫ .

١٥ — أبو الرضا عبد الوهاب بن ثوبت ، وسيأتي فيمن رثى أبا العلاء .

١٦ — أبو القاسم علي بن الحسن بن حلبات ، وبينه وبين أبي العلاء مراسلات شعرية .

١٧ — أبو الحسن علي بن همام تلميذ أبي العلاء وأحد من رثاه ، وسيأتي

١٨ — القاضي أبو القاسم المحسن بن عبد الله بن عمرو التنوخي الحمصي المتوفى سنة ٤١٩ هـ ، كان من أوعية العلم وله مصنفات كثيرة ووصايا وأشعار .

١٩ — أبو المجد محمد أخو أبي العلاء المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

٢٠ — أبو المجد محمد بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء ، روى عن عم أبيه مصنفاته وأشعاره وكان شاعراً ناثراً فقيهاً راوياً للحديث مفتياً خطيباً .

٢١ — أبو صالح محمد بن المهذب المعري ابن أخت أبي العلاء ، وسيأتي شيء من شعره .

٢٢ — أبو الخير منصور بن مسعود بن عمرو الملقب بالعزيزي لاختصاصه بعزيز الدولة أبي شجاع وزيره .

٢٣ — أبو نصر منصور بن علي بن أبي الحروف بالناصر الشاعر المجيد المتوفى سنة ٤٥٤ هـ .

٢٤ — القاضي الرئيس أبو منصور وادع بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء كان رجلاً رئيساً نبيهاً علماً وأدباً وكرماً وحسباً وله شعر ونثر ولد سنة ٤٣١ هـ .

٢٥ — أبو المقدم وجيه بن عبد الله بن نصر أبو منصور التنوخي كان شاعراً فاضلاً فصيحاً ولد سنة ٤٣٠ هـ .

٢٦ — أبو الحسن المعري المعروف بالقنوع ، له شعر جيد وكان معاصراً لأبي العلاء .

٢٧ — البيع المعري المذكور في وقائع الفريج في نصر بن صالح .

٢٨ — أبو العباس أحمد بن خلف الممتع .

٢٩ — إبراهيم بن الحسن البليغ .

وقد ذكر طائفة في (تاريخ المعرة) من العلماء والقراء والشعراء غير هؤلاء .

وأكثر هؤلاء الذين ذكرناهم ممن جمع بين العلم والشعر ، وهناك طائفة كبيرة لم نعثر على تراجمهم مفصلة وإنما ذكروا في الشيوخ الذين روى غيرهم عنهم ، وفي أقوال من وقفنا على تراجمهم ما يدل على أن لهم حظاً وافراً من العلوم العقلية . ويتبين أن عامة شعراء زمنه على هذه ، وأكثر علمائهم كلهم من المعرة ومن تنوخ أيضاً ، وهذا وإن لم يوضح لنا الحياة العقلية في المعرة في ذلك العهد توضيحاً حقيقياً ، يدلنا على أن أهل المعرة فيه قد ضربوا بسهم وافر في كل علم وأخذوا حظاً جزيلاً من كل فن ، ونبغ فيهم جبابرة وأفذاذ في العلم والشعر ، وألفوا كتباً عظيمة في فنون كثيرة ، وابتكر بعضهم تأليفاً في موضوع لم يسبق إليه كالكتاب الذي ألفه المنتشر بن هبة الله في معاني الشعر الذي ابتكره فنه ، فإني لا أعلم أحداً تقدمه في ذلك .

ويدلنا أيضاً على أن العلماء فيها كانوا أحراراً في تفكيرهم وفي إبداء آرائهم في كل علم ، وعلى مدى تفكيرهم وحريتهم ، حتى رأينا أبا المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر يصنف كتاباً في الرد على الإمام الشافعي .

وقد رأينا المؤرخين يقولون في ترجمة بعضهم : كان من أوعية العلم ، وفي ترجمة آخر : صنف كتاباً في كذا . وفي ترجمة آخر : له مصنفات

كثيرة ، وفي ترجمة آخر : كان رجل زمانه علماً وأدباً وشعراً ، وفي هذا : كان شاعراً مجيداً ، وفي ذلك : كان مفسراً أو خطيباً أو مؤرخاً أو كان أحد حسنات وقته ، أو نحو ذلك من الصفات ولكننا لم نعثر على أثر لواحد منهم ولا على حسنة من حسناته ، ولا عرفنا مقدار ما ألفه كل واحد منهم ولا نوع ما ألفه ولا شيئاً من شعر شاعر إلا قليلاً . وأظن أنه لو أتيح لنا الاطلاع على كل من نبغ في العلم والأدب في ذلك العهد وعلى آثار كل واحد منهم لرأينا علماً جماً وأدباً واسعاً وشعراً رائعاً وبياناً معجزاً وابتكاراً بارعاً .

ولسهل علينا أن نصدق أبا العلاء على كثرة عمه وجده ، بقوله [1] : « وقد فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي ولا شام » . لأنه استغنى بما في بلده من ينابيع العلوم ومن فيها من العلماء والعباقرة عن غيرهم . على أننا سنذكر بعضاً من شيوخه الذين عرفناهم وما عرفناه من مزاياهم وخصائصهم .

الطريقة التي درس العلوم فيها

لم يوضح لنا التاريخ الطريقة التي سلكها أبو العلاء في تعلمه . والعادة المتبعة التي أدركتها في معرة النعمان منذ أول هذا العصر في تعليم الأطفال الموسرين والمكثرين أن الصبي إذا بلغ الخامسة من عمره وضعه أبوه في مكتب عند شيخ مؤدب يعلمه حروف الهجاء ، ثم يعلمه القرآن ، ثم يعلمه أحكام القراءة والتجويد ، وبعد ذلك ينقله إلى شيخ آخر في مسجد أو مدرسة ، ويعلمه شيئاً من النحو والفقه ، ثم إذا شب نقله إلى شيخ نحوي يدرس عنده [illegible] وأمثاله وغيرهم

(1) من رسالته إلى [illegible] أبي [illegible] — [illegible] المعري — شرح [illegible] عطية ص ٧٨

وأظن أن هذه الطريقة موروثة عن القدماء من أهل المعرة ، لأن أبي وعلة جدي نعى على هذه الطريقة ، وأن أبا العلاء درج عليها في تعلمه كما درجت عليها ... وتلك ... أهلها . ومن الجائز القريب أن يكون أبو العلاء تعلم الهجاء بالحروف البارزة التي يتعلم بها المكفوفون في هذا العصر ، لأنها كانت معروفة في ذلك العهد على ما يشعر به كلام أبي العلاء حيث يقول (١) :

كأنّ منجّمَ الأقوامِ أعمى ... لديه الصحفُ يقرؤها بلمسِ

ويؤيد هذا التصوير أنه كان يعرف الحروف وأشكالها (٢) :

ولاحَ هلالٌ مثلُ نونٍ أجادها ... بجاري النضارِ الكاتبُ ابنُ هلالِ

وقوله (٣) :

أنا مَنْ أقامَ الحرفَ وهيَ كأنها ... دونَ سطورك والمعالمُ أسطرُ

وقوله (٤) :

وحرفٍ كنونٍ تحت راءٍ ولم يكن ... بدالٍ يؤمُّ الرسمَ غيرهُ النقطُ

وأما العلوم الأخرى فالظاهر أنه ... على ما اصطلح عليه أهل كل من ... ، ... ذكر ... من ... الإشارات إلى ما اصطلح عليه أهلها ، ... من أخذ عنهم وأخذوا عنه من معاصريه .

(١) لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ...
(٢) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١١٩٢
(٣) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١١١٧
(٤) شروح سقط الزند ق ٤ ص ...

شيوخه

قال في (ذكرى أبي العلاء)(1) بعد مقدمة استنتج منها أمرين، أحدهما: أن الأمر هو الذي ملك حياة أبي العلاء العقلية؛ أنه اعتمد على نفسه في تحصيل علمه أكثر مما اعتمد على الأساتذة ... ويؤيد هذا أنا لا نعرف له من أساتذته إلا أباه ومحمد بن سعد في اللغة، ويحيى بن مسعر في الحديث ... إلى آخر كلامه ... ويحيى بن مسعر كما سيأتي ذلك؛ ومن يقرأ ما عند ... وقد عرفنا بعض شيوخه في بعض العلوم.

الحديث

ذكر ابن العديم(2) ... حدث عن أبيه أبي محمد، وعن جده سليمان بن محمد، وعن أخيه أبي المجد محمد بن عبد الله، وعن جدته أم سلمة بنت الحسن بن إسحاق بن بلبل، وعن أبي زكريا يحيى بن مسعر بن محمد بن يحيى بن أبي الفرج التنوخي المعري، وعن أبي الفتح محمد بن الحسن بن روح المعري، وعن أبي الفرج عبد الصمد بن أحمد بن عبد الرحمن الضرير الحمصي، وعن أبي بكر محمد بن ... ، وعن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن بكر الكبير النحوي، وعن القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قاضي معرة النعمان. وروى عن أحمد بن ... شيئاً من شعره، وخرج من حديثه نسخة أجزاء رويت عنه.

اللغة والنحو

ذكر ابن العديم(3) أنه قرأ اللغة والنحو في المعرة على أبيه وعلى أبي

(1) ذكرى أبي العلاء ... ص ١٠١ — ١٤٨
(2) ... ابن العديم.
(3) المصدر السابق ... الإنصاف والتحري ... لابن العديم

بكر محمد بن مسعود (١) بن محمد بن يحيى بن الفرج النحوي ؛ وأنه دخل حلب صبياً وقرأ بها (٢) على محمد بن عبد الله بن سعد راوية أبي الطيب ؛ وسيأتي تحقيق ذلك في الكلام على تلامذته في النحو . ونقل القفطي عن الخطيب التبريزي أنه قال (٣) : كنت قرأت كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد على أبي العلاء سنة ٤٤٥ هـ ، قال : قرأ علينا سنة ٣٨٥ هـ كتاب (غريب الحديث) القاضي أبو عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي . وذكر أنه سمعه من أبي عمير عدي بن عبد الباقي ، وسمعه أبو عمير من علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد . وذكر القفطي أيضاً أنه أخذ اللغة عن قوم من بلده كبني كوثر أو من يجري مجراهم من أصحاب ابن خالويه وطبقته .

هؤلاء عرفناهم من شيوخه في الحديث واللغة والنحو ، ولم نقف على اسم أحد من شيوخه في بقية العلوم ، وزعم القفطي وغيره أنه ذهب إلى طرابلس واللاذقية وأخذ [illegible] عن راهب . وزعم ابن العديم (٤) أنه سافر إلى بغداد [illegible] فأخذ بها عن علي بن عيسى الربعي وأبي أحمد عبد السلام البصري المعروف بالواجكا ، وأبي علي عبد الكريم بن الحسن ابن حكيم السكري النحوي المقرئ . وزعم السيوطي (٥) أنه سمع من عبد السلام البصري في بغداد . وزعم صاحب (الصراط) أنه تلمذ على عبد الوهاب بن نصر المالكي ، وقال أبو محمد بن الشحنة في (روض

(١) كذا في أصل [illegible] (ج)

(٢) ورد في الأصل [illegible]

(٣) تعريف القدماء [illegible] — القفطي مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٥٥ [illegible] — لابن العديم .

(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٢٣ [illegible] — للسيوطي .

المناظر) (١) : إنه لم يتلمذ لأحد أصلا . وجميع هذه الأقوال قائمة على الظن والوهم وستبين بطلانها في الكلام على رحلاته وعلى من اجتمع به .

متى أتم تعلمه

لم يحدث التاريخ متى أتم أبو العلاء دراسته وتحصيله ، وقد ذكر في رسالته التي أنفذها إلى خاله أبي القاسم بعد رجوعه من بغداد ما يدل على الزمن الذي استغنى فيه عن أخذ العلم عن غيره دلالة إجمالية حيث يقول (٢) : وقد فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي ولا شآم . وهذا يدل على أنه أتم تعلمه في العشرين أو قبلها .

أين أتم تعلمه

قد سمعنا أقوال المؤرخين أنه قرأ على أبيه وجماعة من أهل بلده ، وعلمنا من التاريخ أن المعرة في عهده كانت تعج بالعلماء والشعراء ويدل ظاهر قوله المتقدم : وقد فارقت العشرين من العمر . على أنه لم يرحل بعد العشرين لطلب علم . وأما قبلها فسنحقق أنه لم تثبت له رحلة إلى مكان لطلب علم أو تحصيله ، فهو يدل على أنه أتم تعلمه في المعرة وعلى علمائها .

وقد وقع في كلام أبي العلاء مثل قوله في رسالة الإغريض (٣) : وقد كنت عرفت سيدنا أن الأدب كعهود في غب عهود . وإني رأيت من ذلك الغيث ببلد طسم . . . وقوله في رسالته إلى أبي نصر صدقة

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٠٣ عن روضة المناظر لابن شحنة . وذكر صاحب كشف الظنون أن كتاب [illegible] وهو [illegible] ، كما هنا في ذلك .

(٢) انظر الحاشية ص ١٨٣ .

(٣) رسالة الإغريض في الجزء الأول من رسائل المعري ص ٦ . شرح كامل كيلاني .

الفلاحي (١) .. وكيف يؤدي العلم إليّ وأنا رجل ضرير .. ونشأت في [illegible] لا عالم فيه . ومثل ذلك من الأقوال الدالة على قلة العلم والعلماء في [illegible] . وهذا من باب [illegible] في [illegible] ، نظير قوله في رسالة الغفران(٢) : [illegible] من أهل [illegible] له ولا بالحلم . وقوله فيها : وقد علم الله [illegible] . وقوله الآتي في رسالة الملائكة ، وقوله في لزوم ما لا يلزم (٣)

ماذا تريدون لا مالٌ [illegible] فيستماحُ ولا علمٌ فيقتبسُ

وغير ذلك من الأقوال [illegible] تحقير شأنه والتواضع ولا يريد [illegible] الحقيقي لأن الواقع يكذبه [illegible] ذلك في الكلام على [illegible]

رحلاته

[illegible] في [illegible] أكثر ما أخذه عن علماء بلده [illegible] من البلدان الشامية ، وإلى بغداد [illegible] .

رحلته إلى حلب

قال ابن العديم [illegible] وهو صبي وقرأ على محمد بن عبدالله

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] ٢٩٣

(٤) [illegible] لأن العديم [illegible]
[illegible]

ابن سعد رواية ديوان المتنبي . وذكر هذه الرحلة ابن خلكان والسيوطي وغيرهما . ولم يذكر أحد منهم [illegible] شيئاً من العلوم ، ولا عين نوع العلم ولا الكتب التي [illegible] أحد منهم الزمن الذي رحل فيه ، لأن لفظ الصبي يقال للولد من حين يولد إلى أن يفطم ، ويقال للغلام الذي [illegible] شاربه [illegible] وقد [illegible] في غير هذا الموضع أنه اختلف هو ومحمد بن [illegible] في رواية [illegible] المتنبي ، وكان القول ما قاله أبو العلاء (١) . وقد ذكر [illegible] مواطن من شعره ، منها قوله في السقط (٢) :

ليتَ التَّحمُّلَ عن ذراكَ [illegible] … [illegible] إليكَ رحيلُ

وقوله من قصيدة [illegible] (٣) :

يا شاكيَ النُّوبِ [illegible] … [illegible]

وقوله من قصيدة [illegible] (٤) :

تحلُّ للوليِّ جنةُ عدنٍ … وهي للعادين نارُ سعيرِ

وقوله من قصيدة يرثي بها [illegible] إبراهيم العلوي (٥) :

دعا عَلَماً أُختَ العُرَيْنِ مصرعٌ … [illegible] قويقٍ بالمكارم والحزمِ

(١) [illegible]

(٢) شروح سقط الزند ق ٢ ، ص ٧٠٨ . [illegible]
إيت قويق .

(٣) شروح سقط الزند ق ٢ ص [illegible]

(٤) شروح سقط الزند ق ١ ص ٢٣٥ .

(٥) شروح سقط الزند ق ١ ص ٩٢٧ . [illegible] وعقل [illegible]
[illegible]

وقوله في (لزوم ما لا يلزم) في الجزء (١) :

حَلَبِيَّةٌ في النِّسبَتينِ لأنها ... حلبُ الكرومِ وأنَّ موطنَها حلبْ

وقوله فيه في الصوفية :

جُنْدٌ لإبليسَ في بِدْلِيسَ آونةً ... وتارةً يَحْلُبُونَ العيشَ في حَلَبَا

وشعره هذا لا يدل على أنه شعر صبي ، كما لا يدل على أنه دخل حلب . وذكر حلب أيضاً في مواضع من نثره منها قوله في رسالة إلى خاله [illegible] حلب في [illegible] ولا [illegible] (٢) وقوله في رسالة إلى أبي [illegible] لم يطل [illegible] عن [illegible] انقطاع [illegible] . وذكر في رسالة الغفران [illegible] من [illegible] ولكن ذلك كله لا يوجب أن يكون عرفهم ، ولا [illegible] معرفته بهم في حلب ، ولا أن يكون أخذ عنهم [illegible] في حلب مكاتب كثيرة في عهد أبي العلاء ، منها مكتبة بجامع حلب وقفها سيف الدولة وغيره وقد أحرقتها الشيعة سنة ٤٦٠ هـ ، على ما يفهم من كلام الذهبي . وأشار ابن العديم (٥) إلى أن خزانة الكتب في حلب احترقت في زمن أبي العلاء ، ولم يبق منها إلا القليل ثم جدد الكتب فيها هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخرى [illegible] فبعيد أن يكون أبو العلاء دخلها للاطلاع على مكاتبها . والذي يتخلص معنا الآن أن أبا العلاء لم تثبت رحلته إلى حلب لطلب العلم بطريق صحيح واضح ، وإن نقل أنه رحل إليها فرحلته لغير ذلك .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) رسائل [illegible] ص ٨٨ شرح [illegible]

(٥) [illegible] الإنصاف والتحري — لابن العديم .

رحلته الى انطاكية

روى الذهبي في (تاريخ الإسلام) عن الأمير أسامة بن منقذ قصة خلاصتها (١) أنه كانت بأنطاكية خزانة كتب، وكان الخازن بها رجلا علويا، فقال للأمير يوما: [illegible] حسبته عرضه لم يسمع مثلها، قلت: وما هي؟ قال: [illegible] يتردد إليّ وقد حفظته في أيام قلائل عدة كتب، وذلك أني أقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة ولا يستعيد إلا [illegible] يقرأ عليّ ما سمعه كأنه كان محفوظا له قبل ذلك [illegible] فقلت: سبحان الله أيكون كل كتاب في الدنيا محفوظا له؟ والله لئن كان كذلك فهو أعظم. ثم حضر ذات الصباح وهو ذميم الخلقة، [illegible] على عينيه بعض من أثر الجدري كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلا وهو يتوقد ذكاء، يقوده رجل طويل أحدب يقرب من [illegible] فقلت له [illegible] يا سيدي هذا السيد رجل كبير القدر، وقد وصفتك عنده وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك. فقال له: سمعا وطاعة فليختر ما يريد. قال أسامة: فاخترت شيئا وقرأته عليه وهو يموج ويستزيد فإذا مر بشيء يحتاج إلى تقرير في خاطره قال: أعد هذا، فأردده مرة أخرى حتى انتهيت إلى ما يزيد على كراسة، فقلت له: يقنع هذا، قال: نعم، ثم تلا علي ما أمليته عليه حرفا حرفا، وأنا أعارضه بالكتاب حتى انتهيت حيث وقفت عليه فكاد عقلي يذهب لما رأيت منه، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك وسألت عنه فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري التنوخي من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى. وذكرها الذهبي أيضا في (أوج

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢٣ عن [illegible] - الذهبي

المعري) عن ابن منقذ ولكنه لم يذكر اسمه . وذكره ابن العديم (١) عن كتاب وضعه الشريف أبو علي محمد بن الفضل بن مجيب العلوي الإسحاقي [illegible] ولم يذكر اسمه . وعبارته [illegible] في العصر [illegible] . وهذه الحكاية [illegible] لا تخفى ، وذلك أنه كان [illegible] خزانة كتب [illegible] أي [illegible] ذكره [illegible] شيء لا يصح [illegible] أخذها الروم من أيدي [illegible] في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ وولد أبو العلاء بعد ذلك بأربع سنين [illegible] سنة ٣٦٣ هـ وبقيت في أيدي الروم [illegible] سنة ٤٧٧ هـ ، ومات أبو العلاء [illegible] في سنة ٤٤٩ هـ [illegible] الروم [illegible] حتى [illegible] عليه ولا [illegible] الاشتغال بالعلم [illegible] يكون ذلك في [illegible] لم كانت [illegible] العربي في سنة ٤٩٢ هـ وهي قريبة من [illegible] بأنطاكية فإن كان [illegible] ولا [illegible] الشيء [illegible] يكون [illegible] أبو العلاء [illegible] وهو صبي واجتمع بمحمد بن عبد الله بن سعد وورد عليه خطيبا في شعر صبي ، فيحتمل أن [illegible] بن سعد في حلب ، وأبو [illegible] كان في حلب وله فيه [illegible] ، وكان [illegible] كتب في الشرقية التي في جامع حلب [illegible] في [illegible] أبو العلاء وجددها أبو النجم هبة الله ابن بديع وزير الملك رضوان ، فيحتمل أن أبا العلاء لما دخل حلب وهو صبي اتفق له في خزانة الكتب ما ذكره ابن منقذ . هذه خلاصة ما قاله ابن العديم ، وخلاصتها أن الرحلة إلى أنطاكية لم تثبت ، لأن البلد

(١) [illegible] الإنصاف والتحري – لابن العديم

كانت في أيدي الروم ، ويستبعد أن تكون بها خزانة كتب يقصدها
المسلمون [illegible] دون [illegible] ؟

وقد قال صاحب (تذكرة [illegible] ص ٤ [illegible]) ولا شك [illegible] هذه الرواية
[illegible] أن تكون [illegible] المكتبة [illegible] عامة [illegible]
أحد آبائه من أبناء منقذ ؛ لأن [illegible] سنة ٤٨٩ هـ ، [illegible] ص
ذلك : قالوا : وكانت بها مكتبة عظيمة تشتمل من [illegible] الكتب على عدد
غير قليل ، [illegible] أبو العلاء [illegible]
[illegible] أبو العلاء [illegible] والكتب [illegible]
وعرف آثارها بلا ريب ولعل تلك البنايات [illegible] العلاء [illegible] ،
[illegible] من
الروم قتلهم لأبي العلاء [illegible] وكانوا [illegible] من
العواصم من المسلمين . ومن الواضح أن [illegible]
هذا النص . [illegible] [ملاحظة [illegible]]
ولكن هذه الزورات [illegible]
لأبي العلاء قليلا أو كثيرا [illegible] كلامه

وظاهر [illegible] أن يكون [illegible] صاحب [illegible] ،
[illegible] بعد موت أبي [illegible] وقد [illegible]
[illegible] فيها واستنتج [illegible]

والأسد [illegible] كلام [illegible] في ص [illegible] في [illegible] الصفحة
وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير [illegible] الحريري في [illegible] ص
ص ١٨٧ . وليست هذه القصة في [illegible] في [illegible] ،
وإنما فيه قصة الأعجمي الذي [illegible] عن الحريري في [illegible] أبي العلاء ، [illegible]
أبو العلاء كلامه بالعربية [illegible]

(١) انظر أبو العلاء وما إليه — [illegible]

ثم قال في ص ٤٦ «أقول: جمع البديعي بين الصب والموت، وحاول ابن بحري في الوزير الملك المشهور، ... صاحب ... توفي سنة ٤٤٩ هـ وأسامة ولد سنة ٤٨٨ هـ، فليس حكاية عن بعض متقدمي بني منقذ قبل أن يكونوا شيئاً مذكوراً بنصف قرن أو أكثر، والأصل من حديثه عن أبي العلاء ... واسطة بينهما، ثم رجع ... وأشار إلى قول ابن العديم إن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ، وابن الجزار في ذكر حلب أو حديث ... قال ص ٦٩. وأما رحلته إلى أنطاكية وقد ملكها الروم سنة ٣٥٣ — سنة ٤٧٧ (١) فقد مر ذكرها في حكاية سابقة، ولم أر أحداً من أصحاب التراجم ذكرها ولكن شعره يشهد لها، قال (٢)

لا يَنزِلَنَّ بِأَنطاكِيَةَ وَرِعٌ كم حلَّ الدِّينَ عقدٌ لِلزَّنانيرِ

الأبيات (٣). وظاهر كلامه أنه حل بهذه الرحلة. هذا ما قاله بعض المتقدمين والمتأخرين في رحلته إلى أنطاكية.

والذي يظهر لي أن رحلته إلى أنطاكية غير صحيحة لأسباب:

١ — منها: أنه لو كانت حقيقية لتضافرت الروايات على نقلها، كما تضافرت على ذكر رحلته إلى بغداد، في حين أن كثيراً من كتب أبي العلاء لم يتعرض لها.

٢ — ومنها لو كانت أمراً واقعاً حقيقة لذكرها أبو العلاء في مواطن من نثره ونظمه، كما ذكر بغداد، ولكنه لم يذكرها فيما وصل إلينا من

(١) هكذا في معجم البلدان وهو خطأ وصوابه أن الروم ملكوها سنة ٣٥٨ كما ذكر ذلك ابن العديم وأبو ... (ح)

(٢) اللزوميات ج ١ ص ١٥٢

كتبه إلا في أبيات الروم السابقة . وذكرها في رسالة الغفران ص ١٩٠ بقوله (١) وكأني به وقد مر بأنطاكية ، فذكر قول امرئ القيس

علون بأنطاكية فوق عقمة كجرمة نخل أو كجنة يثرب (٢)

وخطر له أن الأنطاكية ، وهو اللفظ الذي يجب أن يشتق منه أنطاكية لو كانت عربية مهمل لم يحكه مشهور من الثقات .

على أن ذكرها في كلامه لا يوجب أن يكون قد رحل إليها أو نزل بها ، لأنه ذكر كثيراً من البلدان العربية والعجمية وبحث عن أحوالها [illegible] ولم يدخلها ، مثل مصر ومكة والمدينة والقدس والشام وغزة [illegible] وقم [illegible] وآمد وغيرها

٣ - ومنها أن نسبة الحكاية إلى أسامة ، وقد تقدم أنه ولد بعد وفاة أبي العلاء

٤ - ومنها أن قول ابن العديم يحتمل أن تكون أنطاكية تصحيف حلب أو كفرطاب يدل على أنه لم تكن أنطاكية يقينا

٥ - ومنها أن الروم بعد أن ملكوا أنطاكية [illegible] من المسلمين [illegible] جوروا بقدر فريق منهم ووجود مكتبة (٣) من البعيد أن يبقى [illegible]

(١) وفي رسالة تحقيق بنت الشاطئ ص ٥٥ طبعة أولى

(٢) ديوانه ص ٨٥ وفي اللسان (جرم) وجرمة نخل ما جرم منه وصرم .

(٣) ذكر القفطي في (أخبار الحكماء) في ترجمة ابن بطلان ، أنه شاهد في كتب [illegible] محمد بن هلال بن المحسن [illegible] وقد ذكر [illegible] أن في أنطاكية شيخ يعرف بأبي نصر بن العطار قاضي [illegible] علوم ... وكانت هذه السفرة سنة ٤٤٠ هـ

[illegible] ، ولو أنهم كانوا مضطهدين [illegible] في البلاد التي أخذوها منهم .

٦ — ومنها أنه لم يعين أحد زمن هذه الرحلة ، ولا أي كتب وقع [illegible] [illegible] فرضهم [illegible] دون اللزوم ، فيحتمل [illegible] زمن [illegible] ذكروا أنه [illegible] في هذه الرحلة ، ولو ذكروا [illegible] في [illegible] أبي العلاء تدل على هذه الرحلة [illegible] على [illegible] ولكن لم نجد [illegible] وهو معروف [illegible] في [illegible] ، [illegible] الحكم على [illegible] صحيح ، [illegible] ويتخلص منه أن رحلته [illegible] لم تثبت من وجه صحيح .

رحلته الى اللاذقية

ذكر القفطي (١) والذهبي (٢) والصفدي (٣) والسيوطي (٤) والعثماني وغيرهم [illegible] أن أبا العلاء [illegible] عن علماء بلده رحل إلى طرابلس ، وكانت [illegible] كتب وقفها ذوو اليسار ، واجتاز في طريقه باللاذقية ، ونزل في دير فيها [سماه القفطي دير الفاروس ، وهو على [illegible]] وكان فيه راهب له علم بأقوال الفلاسفة ، فسمع منه [illegible] العلاء كلامه ، أو أخذ عنه ما شككه في دينه وغيره من الديانات ، فحصل له بعض [illegible] (٥) [illegible] كانت باللاذقية

(١) [illegible] القفطي

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] ٢٦٧ [illegible] الصفدي .

(٤) [illegible] ٢٣٣ [illegible] السيوطي

(٥) [illegible]

[illegible] الروم [illegible] وخطب ، وجامع [illegible] [illegible] ضرب

[illegible] الروم النواقيس [illegible]

في اللاذقية فتنة ما بين أحمد والمسيح

هذا يعالج دلبة والشيخ من حنق يصيح

الدلبة : الناقوس ، والشيخ [illegible] الذي يصيح [illegible]

المؤذن [illegible] . وفي كلام صاحب الذكرى [illegible] [illegible]

وأنه لا يشك في أن الصلة قد اشتدت بين [illegible] وبين النصارى [illegible]

رحلته إلى بغداد ، بحيث استطاع أن [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك ،

فلا شك في أنه قد درس [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في

[illegible] أو في اللاذقية ، [illegible] [illegible] [illegible]

المذكورين ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وروى الأستاذ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]

وذكر [illegible] [illegible] الروم [illegible] النواقيس [illegible] [illegible]

[illegible] بعض المستشرقين [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] كثيراً من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعري

[illegible] في [illegible] المشكوك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وكلام [illegible] [illegible] [illegible] رحلة [illegible] إلى بغداد [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٤٠

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الإنسان النظر تبين له أن هذه الرحلة على هذا الوجه ، إن لم تكن باطلة ، ففيها من الدخل وهم واضحة ، ويدل على ذلك أمور ، منها :

١ — أن هذه الرحلة لم يعثر منها على التحقيق ، ولم تتبين مدة إقامته في اللاذقية ، بل لنشعر بكلام مضطرب أنه بات ليلة عند الراهب ، ولا بين ذلك الراهب ، ولا ما سمعه من أقواله ، ولا علم ما هو الذي أخذه عنه في هذه المدة القليلة ، فتشكك في دينه وعقيدته ، وحصل له بسببه انحلال . ولا علم أيضاً بأية لغة كان يخاطب الراهب والراهب يخاطبه ، لأن الراهب كان رومياً وأبو العلاء لا يعرف غير العربية . ولا علم من كان يصحبه في هذه الرحلة ، ولا كيف اتصل بالراهب ، مع أن هذه الرحلة كلها محفوفة بالإبهام والغموض . وقد علمت أن أبا العلاء لم يحدثنا عن نفسه باجتيازه بها منذ فارق العشرين .

٢ — وأن هذه الرحلة مبنية على رحلة طرابلس ، وسيأتي أنها باطلة ، وما بني على الباطل باطل

٣ — وأن اللاذقية كانت بيد الروم ، وكانوا يشددون في إيذاء المسلمين وكيدهم ، فقد ذكر القفطي في (أخبار الحكماء) ص ١٩٥ عن ابن بطلان أنه قال : وخرجت من أنطاكية إلى اللاذقية ، وهي مدينة يونانية ، ولها ميناء وملعب وميدان للخيل مدور ، وبها بيت كان للأصنام وهو اليوم كنيسة ، وكان في أول الإسلام مسجداً ، وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه ، وأذان في أوقات الصلوات الخمس ، وعادة الروم إذا سمعوا الأذان أن يضربوا الناقوس ، وقاضي المسلمين الذي كان بها من قبل الروم . ومن عجائب هذا البلد أن المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد

من الروم في حانة، وينادي على كل واحدة منهن، ويتزيد الفسقة فيهن الليلة بثلاث، ويؤخذن إلى الفنادق التي هي الخانات لسكنى الغرباء، بعد أن أخذ كل واحدة منهن خاتماً من المطران حجة بيدها من تعقب الوالي له، فإنه متى وجد خاطئاً مع خاطئة بغير خاتم المطران ألزمه جناية. اهـ

هذه حال اللاذقية في عهد أبي العلاء. ومن البعيد أن ينسى ذلك أن يجتمع براهب ويتلقى عنه، والروم لا يألون جهداً في كيد المسلمين، وهم على ما هم من الضعف والمعرفة في ذلك العهد.

٤ — أن هذه الرحلة لو كانت واقعة حقيقية لاجتمعت الروايات على نقلها، ولذكرها أبو العلاء كما ذكر بغداد، لأنها قصة التعلم والفلسفة. وإنا لنجد كثيراً ممن يزعم أن أبا العلاء لم يذكر هذه الرحلة. كما أن ذكر اللاذقية في كلامه قليل، فقد ذكرها في رسالة الغفران (١) ص ١٣٨ في قصة الكاتب الذي نقل المتنبي على حرصه العربي، والرجل الذي أخبره المنى أن الكلب سيموت غداً.

٥ — أن بيتي المعري اللذين ذكرهما ستوت لا يصح الاحتجاج بهما على اجتيازه باللاذقية، ولا على خلطته لراهب فيها؛ لأن أبا العلاء، كما قدمنا من قبل، ذكر بلاداً كثيرة، وانتقد كثيراً من الأديان والعادات والمعتقدات من غير أن يمر بها. على أن البيتين المذكورين لا يظهر عند التأمل أن بينهما وبين شعره في مثل هذا الغرض شيئاً من الشبه، وهم يروونهما على هذا الوجه:

فِي القُدْسِ قَامَتْ ضَجَّةٌ ... مَا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحْ

هَـذَا بِنَاقُوسٍ يَدُقُّ وَذَا بِمِئْذَنَةٍ يَصِيحْ

(١) وفي الرسالة طبع بنت الشاطئ ط ١ ص ٣٥٥

ويروون بيتاً ثالثاً وهو

كلٌّ يعظّم دينه ... يا ليت شعري ما الصحيح

ولم أر أحداً من القدماء رواها على الوجه الأخير، وإنما سمعت كثيراً من الناس يروونها كذلك، واستبعد بعض المستشرقين هذه الرواية، وزعم أن لفظ القدس لم يطلق على المدينة المشهورة إلا في القرن السادس فما بعده، وهذا غير صحيح لأن أبا العلاء ذكرها في مواضع من شعره في السقط واللزوم مثلاً به

كقوله (١)

واخلع حذاءك إن حاذيتها ورعاً ... كفعل موسى كليم الله في القدس

وقوله (٢)

وصاحب الشرع كان القدس قبلته ... صلى إليها زماناً ثم حولها

وقوله (٣)

القدس لم يُفرض عليك مزاره ... فاسجد لربك في الحياة مقدسا

٦ — وليس في هذه الأبيات ما يحتاج إلى اطلاع واسع على الديانة المسيحية أو درس عميق لها، وليس يبعد على أي رجل كان أن يذكر ما فيها، على أن أمره في عهد أبي العلاء كان منهم وفي جماعته نصارى ورهبان، والدليل على ذلك قصة صاحب الدهور المتقدمة في حوادث سنة ٤١٨ هـ،

(١) شروح سقط الزند ج ٢ ص ٢٩٦ [illegible]

(٢) اللزوميات ج ١ ص ٢١٠

(٣) اللزوميات ج ٢ ص ٢٩٦

وفي رسائل أبي العلاء ص ١٠٥[١] رسالة كتبها في رجل حراني محبوس سرقت لأمه أربع دجاجات فطلب إطلاقه. وقد ذكر أن القبطي رأى راهباً يبيع الخمر في مسجد المعرة.

وقد ذكرنا في (تاريخ المعرة[٢]) في حوادث سنة ٤٤٢ هـ أن من كفرس كانوا نصارى، فأكثروا القتل من المسلمين ورحلوا سراً إلى الروم. وذكرنا في حوادث سنة ٤٩٣ هـ أن الصليبين لما هجموا على المعرة انضم إليهم الأرمن وبعض نصارى البلاد.

ولا يبعد أن يكون لأبي العلاء اتصال بهم، فتمكن به من أن يطلع على شيء من عقائدهم، ثم أفاد منه في دراسته. كما لا يبعد أن يكون اطلع على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرهما، أو سمعه من أفواه الرواة، كما كان ذلك بالنسبة إلى عقائد الشيعة والباطنية والمعتزلة والمسيحية والقرامطة والمجوس وغيرهم، فإنه لم يرحل إلى مدينة من أجل ذلك ولم يجتمع برهبان ولا غيرهم من أجلها.

٧ — أن الشك مستفيض في كلام أبي العلاء في الديانات وغيرها مما حدثته به نفسه، وكثيراً ما يريد به غير ظاهره، وكثيراً ما يتخذه وسيلة للبس، كما سبق ذكره في غير هذا المكان.

ومما ذكرناه يتضح أن الذي يمكن قبوله من هذه الرحلة [illegible] قد أمكن قبول شيء منها [illegible] أنه اجتاز باللاذقية في رحلته إلى طرابلس، إن صحت تلك الرحلة، على ما فيها من غموض وإبهام، وقد يشعر بضعف هذه الرحلة قول الذهبي. قيل: واجتاز باللاذقية ونزل ديراً [illegible]، فتعبيره بلفظة قيل دليل على عدم جزمه بوقوعها.

(١) رسائل أبي العلاء المعري شرح شاهين عطية.
(٢) كتاب مخطوط للمؤلف لم يطبع بعد.

رحلة الى طرابلس

قد سمعنا قول القفطي والذهبي والسيوطي والصفدي وغيرهم في رحلة أبي العلاء إلى طرابلس ، وذكرها غيرهم على نحو النمط الذي ذكره هؤلاء ، وقد قال ابن العديم (١) : ذكر بعض المصنفين أن أبا العلاء رحل الى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها

واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد ، ولم يكن بطرابلس دار علم في زمن أبي العلاء ، وإنما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمار في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وكان أبو العلاء قد مات قبل ذلك سنة ٤٤٩ هـ ، أي قبل تجديدها بثلاث وعشرين سنة . ووقف بها من تصانيف أبي العلاء (الصاهل) و(الشاحج) و(السجع السلطاني) و(الفصول والغايات) و(السادن) و(إقليد الغايات) و(رسالة الإغريض) .

وقد ذكروا أن هذه المكتبة كانت تسمى دار العلم ، وأن فيها كتباً قيل إن عددها نحو ثلاثة آلاف ألف كتاب ، وفيها خمسون ألف مصحف ، وعشرون ألف تفسير ، وإنه لم يكن في جميع البلدان مثلها ، وقد ذهبت بها ريح الحروب الصليبية

وقد قبل صاحب الذكرى هذه الرحلة وقال (٢) : فدرس بها أبو العلاء ما شاء ثم عاد إلى بلده . وكذلك الأستاذ الميمني هداه ، ثم قال في ص ٦٩ (٣) : وعندنا ما يعضد قول القفطي والذهبي ، وهو أنه نقل عن كتاب

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٧ عن الإنصاف والتحري — لابن العديم .
(٢) ذكرى أبي العلاء — طه حسين — ط ٢ ص ١٤٧
(٣) أبو العلاء وما إليه .

بدء الخلق من كتب التوراة في رسالة الغفران ص ١٨٠ ، قال : وذكر من نظر في كتاب المبتدأ حديث طالوت لما أمر ابنته — وهي امرأة داود [ص] — أن تدخله عليه وهو نائم ليقتله ، فجعلت له في فراش داود زق خمر ودثرته عليه ، وضربه بالسيف ، وسالت الخمر ، فظن أنها الدم ، فأدركه الأسف والندم ، فقام بالسيف ليقتل نفسه ومعه ابنته فأمسكت يده وحدثته بالقصة فشكرها على ذلك . ثم قال : ولا يستغرب إن ظلت إليه أحال على غيره من ناظري الكتب تنصلا من القذف بالإلحاد ، أو لا ريب ، على أن الرجل نمى لا يتصور ، أي إن صنعه [هذا] أحد اللاحن والعادي ، وهي في الناس تكثر ، واستعمل كلمة عبرية وأخرى حبشية يشهد لمخالطة القوم بالمدنيتين النصرانيتين ، وهذا على كثير من عاداتهم ومعلاماتهم التي ألم بها في اللزوم . اهـ

وأراد بالكلمة العبرية لفظ « مستش » في قوله في اللزوم من أبيات يذم فيها الزواج والنسل ثم يقول : (١)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَمِنَ العائذونَ وعُوِّشَ ذو بِغْضَةٍ فاعتَنَشْ

فيا قَسُّ وقِّعْ بِزرقِ الخطيـــبِ وانظُرْ بِمَسجدِنا يا مُشَشْ

قالوا : مشش كلمة عبرية ومعناها النصر وأراد بالكلمة الحبشية لفظ « أبي ضابط » في قوله في اللزوم من أبيات (٢)

وتَغبطُ كُلّاً على ما حواهُ وما لكَ في العيشِ من غابطِ

وقفتَ على كُلِّ بابٍ رأيـــتَ حتى نهاكَ أبو ضابطِ

(١) عاس : عاشق ، وأصله أصله في القتال وغيره ، (ج) ، والبيان في اللزوميات ج ١ ص ٣٢٩ .
(٢) اللزوميات ج ٢ ص ١٨٠ .

قالوا: أبو ضبط كتبة الوث بالحبشة. وهذا الاستنباط غريب لأسباب:

أولها: أن قول أبي العلاء: وذكر من نظر في كتاب المبتدأ الخ.. لا يتوقف على مخالطة النصارى ولا رحلة إلى بلادهم، بل مثل هذا الحديث يمكن أن يؤخذ عن أي شخص نظر في ذلك الكتاب في أي بلد كان وأي زمن كان.

الثاني: أن هذا الخبر لا يحتاج معه إلى [illegible] على غيره لنتخلص من القذف بالإلحاد، لأن أبا العلاء صرح بما هو أعظم منه في رسالة الغفران وغيرها، ولم يحتج لأحد منها، ولا التجأ إلى التعريض أو إلى التلميح. فهذا ضرب من الإسراف في سوء الظن بأبي العلاء بغير موجب.

الثالث: أن استعمال كلمة [illegible] وكلمة [illegible] في صفة الحبشية لا يوجب أن يكون قد خالط القوم من [illegible] النصرانيين خاصة، إذ يجوز أن يكون سمعها أو علمها من غيرهم من أحد أو من كتاب، بل هذا أقرب إلى العقل، [illegible] في كلامه بعض الكلمات الفارسية مثل كلمة «آرا» في قوله(١)

إذا قيلَ إنك اخشَ اللهَ مولاك فقــلْ: آرا

فقد ذكرها في موضعين في اللزوم وفي الفصول والغايات، وقال إنها فارسية معناها نعم، واستعملها في شعره ونثره من غير أن يذهب إلى بلاد فارس ويخالط أهلها ويطلع على [illegible].

الرابع: أن أبا العلاء قد [illegible] غير مرة، ذكر كثيراً من عادات الأمم المختلفة وأحوالها وأخلاقها وعقائدها، من غير أن يخالط أحداً منهم.

---

(١) اللزوميات [illegible] ص ٢٨، وأبو العلاء وما إليه للميمني ص ٤٦

على أننا لا نسلم أن «أبا ضابط» حبشية لأنها مركبة من لفظين عربيين، ولم نر في (اللسان) و(تاج العروس) و(الأساس) و(الصحاح) وغيرها من ذكر أنها كلمة معربة بالحبشية أو غيرها، ولم يذكرها شارح ومع هذا لا نعدم (١)، وهو مع أنه ليس بشيء بعيد عن معرفة اللغة، كما سيتضح لك ذلك عند الكلام في اللزوم. وقد جاء الضابط في اللغة بمعنى القوي الشديد، والشديد البطش، واللازم للشيء لا يفارقه. ولا يبعد أن يكون أبو العلاء كناه بهذا أو سمعه عن العرب غير أننا لم نعثر على نص بذلك.

ومما تقدم يتضح أن صاحب «الذكرى» وصاحب «أبي العلاء وما إليه» لم يوفقا كثيراً في استنباطهما في هذا الباب من أن رحلة أبي العلاء إلى أنطاكية واللاذقية وطرابلس وقصة حصته مبني عليه. وسمعه من الراهب وأخذه من مكتبة طرابلس. لا تطمئن النفس إلى شيء منها، وليس هناك ما يوجب القطع بصحته، وإن سلمنا بذلك فلعل النص وأن قول ابن العديم في مكتبتي أنطاكية وطرابلس أقرب إلى الصواب والواقع. وإن شك بعضهم في رحلة اللاذقية وقول بعضهم بالغرب تعصف بكثير من الآراء.. قريب من الحق، فإن الذي حبب ذلك إلى أبي العلاء أراد أن يتخذ منه وسيلة الطعن في دينه ووصمة الشك والإلحاد له. وقد قال ابن قاضي شهبة في (الطبقات) ص ١٧٦ ويقال إن راهباً اجتمع به في بعض الصوامع في أوائل الليل، فشككه في دينه. ورواها غيره على هذه الصورة ولم يذكر اللاذقية ولا غيرها. ولا نستطيع أن نتصور مقدار أو نوع العلم الذي تعلمه في ليلة واحدة من راهب اجتمع به مرة واحدة، ثم خرج من عنده وقد امتلأ علماً وفلسفة وشكاً وإلحاداً.

(١) انظر الحاشية (٢) ص ٢٠٣

رحلة الى صنعاء

قال ابن حجر في لسان الميزان ج ١ ص ٢٠٤ في ترجمة أبي العلاء : ومكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم ،، ولم يزد على هذا . فنقل الأستاذ الميمني في ص ٧ ذلك وقال بعده[1] : أقول : ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد ، فإنه بعد الرحلة لم يخص تركه في موطن دون آخر ، على أن أحداً من مترجميه لم ينقل عنه رحلة بعد الرجوع منها .

وظاهر كلامه يشعر بقبول هذه الرحلة ، ولكنه لم يعرض لذكرها ليقوي هذه الرواية . وقد بحثت كثيراً في أقوال الذين كتبوا في أبي العلاء فلم أر من ذكر هذه الرحلة غير ابن حجر . ووقفت على صنعاء فإذا هي اسم لموضعين ، أحدهما في اليمن وهي المدينة المشهورة . والثاني اسم لقرية كانت على باب دمشق دون المزة ، ثم خربت وصارت مزرعة وبساتين . ومما لاشك فيه أن هذه الرحلة غير صحيحة ، ولا يجوز أن يعول عليها لانفراد الرواية بها ، وللأسباب التي قدمناها في الرحلات السابقة . وابن حجر ، وإن كان ثقة في روايته ، غير معصوم من الخطأ ولا من خطأ النساخ وتحريف الرواة . وأظن أن أصل عبارته هكذا . ومكث بضعاً وأربعين سنة لا يأكل اللحم ، ثم سقطت كلمة وبعض حروف فتوهم الناسخ أو الطابع أنها بصنعاء . وهذا هو الموافق لما ذكره ابن حجر أيضاً في ص ٢٠٦ عن هلال الصابي في تاريخه .

ويتحصل من مجموع ما قدمناه في الرحل أن أبا العلاء لم تثبت له رحلة حقيقية إلا إلى حلب وبغداد و كانتا لطلب العلم كما مر وكما يأتي .

(١) أبو العلاء وما إليه .

رحلته إلى بغداد

كانت بغداد في عهد أبي العلاء عاصمة الخلافة الإسلامية ، ومقر الأشراف ، وملتقى الأمم من عرب وعجم ، ومجمع الفقهاء والأدباء والرواة والمترجمين والمعربين ، ومنبعث النور إلى القاصية والدانية ، وكعبة القاصدين ، وزهرة الدنيا في حضارتها ونضرتها . وفيها من مجالس العلم والأدب والمحاضرة والوعظ ما ليس في غيرها . وكان كل إنسان يهوى أن يؤمها التماساً للعلم أو الرزق أو الشهرة ، أو قرباً من الخلافة أو ما شاكل ذلك من الأسباب والأماني . وإذا كان حظ سياستها مضطرباً فيها في ذلك العهد فإن النهضة العلمية فيه كانت على خير ما كانت عليه في عصر من العصور .

وكانت فيها خزائن كتب كثيرة ، منها مكتبتان عامتان ، إحداهما بيت الحكمة ، وهي التي أسسها الرشيد وهي خزانة الخلفاء ، وكان فيها من الكتب ما لا يوصف كثرة . قال في (صبح الأعشى) ج ١ ص ٤٦٦ : ويقال : إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن ، إحداها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد ، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ، ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد ، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها وأعفيت آثارها . وقد ذكروا في ترجمة نصير الدين الطوسي محمد بن محمد أنه اتخذ خزانة كتب عظيمة من بغداد وغيرها ، اجتمع فيها أربعمائة ألف مجلد . وذكر صاحب (الفهرست) جماعة ممن كان يعمل في هذه الخزانة أي خزانة الحكمة ، منهم : علان الشعوبي ، ص ١٥٠ ، كان ينسخ فيها ، وابن أبي الحريش ، ص ١٤ ، كان يجلد فيها ، ومنهم : سهل بن هارون وشريكه فيها سعيد بن هارون ص ١٧٤ و ص ١٨٢ ، ومنهم :

الفضل بن نوبخت ص ٣٨٢ ، ومسلم ص ٣٣٩ و ٤٢٤ ، ومنهم : محمد بن موسى الخوارزمي كان منقطعا إليها ص ٣٨٢ .

شبه : مكتبة سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة في الكرخ في محلة بين السورين ، وقد احترقت فيما احترق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ . وفي ابن الأثير سنة ٤٥٠ . قال ياقوت : ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها ، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة . وقال ابن الأثير في سنة ٣٨٣ هـ : فيها اشترى أبو نصر سابور ببغداد دار العلم ، ووقف فيها كتبا كثيرة ، وجمع فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد . ونقل عن أبي الفداء أنه فيها [١٠٤٠٠] غير مائة نسخة من المصحف المكتوبة بخط بني مقلة ، وقد تضاربت كلمة ابن الأثير فيها فقال مرة : ماتت سنة ٣٨١ هـ ثم قال سنة ٣٨٢ ثم قال في حوادث سنة ٤١٦ هـ وصل دار الكتب سنة ٣٨١ هـ . وقد أشار إليها أبو العلاء بقوله (١) .

وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الأصائل ميهال

وقد وقعت تسميتها بدار العلم في كلام ابن الأثير وابن خلكان وياقوت . وقد قال عن ابن الجوزي في ج ٦ ص ٣٥٨ محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة من ساكني درب منصور بالكرخ ثم قال بعد ذلك : وحدث عن غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابئ في كتاب (الهفوات) قال : كان بدار العلم التي وقفها سابور خازن يعرف بأبي منصور ...

(١) شروح سقط الزند ج ٣ ص ١٢٣٩ ... من الوصل ، وهو ...

ثم أبو العلاء فقد قال في رسالته إلى خاله (١): «والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها». وقال في كتابه إلى أهل المعرة (٢) ص ٨٣: «ولكن أردت الإقامة بدار العلم». وقال في رسالة الغفران (٣) ص ١٠: «ولم تكن في النسخة التي في دار العلم». ونقل عنه في الوفيات ج ٢ ص ٤٩٢، قال أبو العلاء: «حدثني عبد السلام البصري خازن دار العلم ببغداد». وقال من قصيدة كتبها إلى عبد السلام المذكور (٤):

أخازنَ دارِ العلم كم من تنوفةٍ ... أتت دونها فيها الغوارب واللغطُ

وقال في رسالة الغفران (٥) ص ٧٢: «أما دويبق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور الخازن». وذكره في [illegible] المواطن. وفي تاريخ بغداد ج ١١ ص ٥٨، وفي نزهة الألباء ص ٤١٢ في ترجمة عبد السلام البصري: «وكان يتولى ببغداد دار الكتب». وفي القفطي (٦): «وحضر خزانة الكتب التي بيد عبد السلام البصري».

وما تقدم يدل على أن دار الكتب القديمة ودار العلم واحدة. ولكنه يشكل من حيث إن أبا منصور بن حمد سئل عن مولده فقال سنة ٤١٨ هـ فتأمل.

(١) رسائل أبي العلاء المعري — شاهين عطية — ص ٧٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) رسالة الغفران — تحقيق بنت الشاطئ — ط ١ ص ٢٣.
(٤) شروح سقط الزند: ق ٤ ص ١٦٧٣، التنوير [illegible]، والبوريني [illegible] ص.
(٥) الغفران تحقيق بنت الشاطئ — ط ١ ص ١٩٣ [illegible] على [illegible] أبي منصور محمد ابن علي الخازن.
(٦) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١ عن [illegible] القفطي.

وكان في بغداد غير هذه المكتبة كثير من المكاتب الخاصة منها مكتبة أبي الحسن عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان ، وقد شاهد خزانته للكتب خمس مرات ، وقد كانت تحتوي على كل كتاب حسن ، وديوان فرد ، بخطوط العلماء منسوبة ، ولو لحق هذا أحد أفراد زمانه في الفضل والنبل ، وكان إليه ديوان السواد أيام معز الدولة ، وله كتب كثيرة ، توفي سنة ٣٥١ هـ وترجمته في الفهرست ١٩٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٥٦ وقد ذكره أبو العلاء في رسالة الغفران(١) ص ١٠ ، وذكر دار العلم في هذا الموضع

ومنها خزانة حكمة للفتح بن خاقان ، جمعها له علي بن يحيى المنجم ، لم ير أعظم منها كثرة وحسنا ، كما في معجم الأدباء ج ٦ ص ١١٧ ، والفهرست ص ١٦٩ وص ٢٠٥ .

ومنها خزانة أبي حسان الحسن بن عثمان الزيادي وهي خزانة حسنة كبيرة كما في الفهرست ص ١٦٠

سمع أبو العلاء هذه الخزائن ، ولا سيما دور الكتب ، فتشوقت نفسه إلى زيارة بغداد والاطلاع على ما فيها ، فعقد نيته على ذلك واستأذن أمه كما جاء في رسالته إلى خاله أبي القاسم(٢) ص ٦٩ على أني والله قد علمت أني مرتحل وأن عزمي على ذلك نجد مزمع ، فأذنت فيه ، وأحسبها طمأنتها هذه التجارب ، [illegible] ولكن أجل كتاب جـ ،

(١) بيروت — طبع سنة [illegible] ١ — ص ٢٣

(٢) [illegible] — [illegible] ، [illegible] كتاب [illegible]

أسباب رحلته الى بغداد

لم تسلم هذه الناحية من اختلاف في الأقوال وتضارب في الآراء ، فقد ذكر جماعة منهم القفطي (١) والذهبي (٢) وغيرهما أن عامل أو أمير أو نائب حلب عارض أبا العلاء في وقف له ، فسافر إلى بغداد متظلماً شاكياً ، ولم يعين أحد منهم ذلك العامل أو النائب في ذلك العهد ولا في أية سنة وقعت المعارضة ولا نوعها ولا نوع ذلك الوقف .

وقد كنا قدمنا أن أبا المعالي سعد الدولة ملك حلب سنة ٣٥٦ هـ وتغلب عليه غلامه قرغويه واستولى عليها سنة ٣٥٨ هـ ثم ملكها أبو المعالي سنة ٣٦٦ هـ ، وبقيت القلعة بيد بكجور ، ثم ولاه حمص ، وبقي أبو المعالي إلى أن توفي سنة ٣٨١ هـ ، وعهد إلى ولده أبي الفضائل ، ووصى به لؤلؤ بن عبد الله السيفي الكبير مولى سيف الدولة ، فكان المدبر لمملكته ثم سمه فمات سنة ٣٩١ هـ ، واستولى لؤلؤ على حلب واستقل بالأمر إلى أن توفي سنة ٣٩٩ هـ ، ثم ملك حلب بعده ابنه أبو منصور نصر مرتضى الدولة ، وكان خطب للحاكم العبيدي ثم تغلب عليه غلامه واستولى على حلب ثم سلمها إلى نواب الحاكم سنة ٤٠٤ هـ أو بعدها .

وكان العزيز صاحب مصر يطمع في الاستيلاء على حلب وتطمعه بعض ولاتها من عهد بكجور ، وكان يرسل الجيش تلو الجيش للاستيلاء عليها ، ولم يتم ذلك للحاكم إلا على يد نصر بن لؤلؤ كما تقدم . وعلى هـذا ينبغي أن يكون عامل حلب الذي عارض أبا العلاء هو لؤلؤ المتوفى سنة ٣٩٩ هـ ، لأن أبا العلاء سافر من المعرة في أواخر سنة ٣٩٨ هـ . ويكون

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١ عن إنباه الرواة للقفطي .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٩ عن تاريخ الإسلام للذهبي .

حلب عن [illegible] سلطان بغداد، بل هي على وشك الدخول في حوزة [illegible] ومن المعتقد أنه [illegible] أبو العلاء [illegible] متطلعاً من عامل من حكومة [illegible] من ذلك الغرض [illegible] لذكره أو لذكر [illegible] وقع له [illegible] في عاصمة [illegible] في [illegible] ولكن شيئاً من ذلك لم يكن [illegible] الوصف [illegible] أبي العلاء [illegible] في كل عام.

وقال [illegible] : إن أبا العلاء حدث [illegible] فلم يصادف بها مثله. وقال ابن العديم (2) [illegible] والاطلاع على الكتب التي ببغداد، ولم يرحل لطلب دنيا ولا رفعة

وزعم بعض المستشرقين أن [illegible] كان [illegible] احتلال معيشته [illegible] في ص ١٦٣ [illegible] الحياة السياسية بحلب وما آلت اليه من الاختلاف [illegible] التي [illegible] العلاء عزمه على الرحلة من بلاد الشام الى العراق

وذكر الاستاذ الميمني في ص ١٠٢ (3) أسباب كثيرة لرحلته، منها دار الكتب [illegible] والنجوم من الدين، والعرب والحروب التي يثيرها البدو والروم والمغربيون وأعجبه قول المستشرق: [illegible] ولقد أكثر هو وصاحب الذكرى من الأسباب حتى [illegible] لم تكن كلها حقيقة كان بعضها..

(1) [illegible] ج ١ ص ٣٣٦

(2) [illegible] ص ٥٤٢ [illegible] الانصاف والتحري ـ لابن العديم

(3) [illegible]

هذه خلاصة ما دلّنا عليه جهود من المؤرخين والنقدة في أسباب رحلته ، وفيها ما يستسيغه الذوق ويعززه العقل لو كان له دليل يؤيده أو نص يعضده . ولقد ذكر أبو العلاء سبب رحلته ونفى عنه التكلف لانتجاع وجوه [illegible] عن الحقيقة والواقع ، وذلك حيث قال في رسالته إلى خاله في القسم عند رجوعه من العراق (١) ص ٤٧ : وقد فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراق ولا شام . والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها . وقال في كتابه الذي أرسله إلى أهل المعرة من بغداد (٢) ص ٨٣ : وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ، ولا أتكثر بلقاء الرجال ، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه . . . وقال من قصيدة أرسلها إلى عبد السلام البصري بعد عوده من بغداد إلى المعرة [٣]

وما أَرَبي إلا مُعَرَّسُ مَعشرٍ هُمُ الناسُ لا سوقُ العروسِ ولا الشَّطُّ

قال التبريزي في شرح سقط الزند : يعني بقوله معرس معشر دار العلم ، لأنه كان يجتمع مع أهل العلم .

وقال في التنوير : أي لا حاجة لي إلا معرس معشر ، يعني دار الكتب ببغداد . وسوق العروس : سوق [illegible] طارق .

وقد وصف العلم والكتب والـ[illegible] وشهرته ومعه العيش [illegible] على ذلك ما صرح في مواطن من كتبه بعدها والعزوف عنه .

١ [illegible]

٢ [illegible]

٣ شروح سقط الزند ج ٢ ص ١٠٧١ و [illegible] ج ٣ ص ١٧٢

وقد كان أبو العلاء بعيد النظر شديد الإعراض والصدود ، فكان في كل موطن وموقف يصرح بأنه لا يريد المال ولا الجاه ولا غيرهما . وقد قال في كتابه إلى خاله : وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير مسرّب ، ما أرقت منه قطرة في طلب أدب ولا مال . وقال في كتابه إلى أهل المعرة : وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثر بلقاء الرجال . وقال في قصيدته الآتية إلى أبي حامد الإسفرايني (١) :

ولم أكنْ ورسولي . . . . كالفرزدقِ في إرسالِ وقّاع

ولا أتنقّلُ في جاهٍ ولا نشبِ(٢) . . . .

وقال في مرثية الشريف أبي أحمد الموسوي (٣) :

أوضعتُ في طرقِ التشرّفِ سامياً بكما ولم أسلكْ طريقَ العافي

وقال من قصيدة أنشدها في العراق (٤) :

أإخواننا بين الفراتِ وجلّقٍ يدَ الله لا خبّرتكم بمُحالِ

(١) شروح سقط الزند ج ٣ ص ٧٠ وبيته :
ولم أكن ورسولي حين أرسله [illegible] مثل الفرزدق في إرسال وقّاع
ووقاع غلام للفرزدق كان يوجهه في شأنه [illegible] .
(٢) شروح سقط الزند ج ٣ ص ٧٥ وتمامه : ولم تعدني أيام عدم وإدقاع .
(٣) شروح سقط الزند ج ٣ ص ١٣٢ .
(٤) جلق دمشق ، [illegible] المعرة وأهلها [illegible] بينهما ، [illegible] وعلاء : هو [illegible] الشعر [illegible] أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بامرئ القيس [illegible] توفي سنة ١١٧ هـ ، وبلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري ، [illegible] توفي سنة ١٢٥ هـ وكان [illegible] (ج) .
والأبيات في شروح سقط الزند ج ٣ ص ١٢٤ — ١٢٥ [illegible] التبريزي [illegible] .

أنبئكم أني على العهد لم أزل[1] ووجهي لما يبتذل بسؤال

وأني تيممت العراق لغير ما تيممه غيلان عند بلال

وقال من قصيدة قالها في العراق:[2]

وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم له بارقا والمرء كالمزن هطال

وقال من قصيدة أرسلها إلى [illegible] بعد عودته إلى المعرة[3]

رحلت لم آت قرواشا أزاوله ولا المهذب أبغي النيل تقويتا

هذا القدر الذي أوردناه من كلامه يدل دلالة صريحة واضحة على أن الذي أقدمه بغداد حب الاطلاع في دار الكتب [illegible]. ولم يرحل إليها رغبة في طلب علم أو أدب أو شهرة أو مال أو غيرها، ولا تطلعا من عمل ولا تدبيرا من جهة سياسية في المعرة أو غيرها. وأبو العلاء أصدق الناس فيما يحدث به عن نفسه، وأحرصهم على تمجيده وما يكنه صدره.

ولو كان التدمر من الحياة هو السبب لما عاد إلى بلده؛ لأن الحياة بأنواعها لم تتغير فيها [illegible] التي [illegible] فيها [illegible]، ولأن [illegible]

(١) في شروح السقط ٥ [illegible]

(٢) [illegible] أبي عمر [illegible] (ح) والبيت في شروح السقط ق ٣ ص ١٢٥٦

(٣) [illegible] من سنة ٣٩١ هـ إلى سنة ٤١١ هـ [illegible] توفي سنة ٤٤٤ هـ [illegible] سنة ٣٧٣ هـ [illegible] سنة ٤٠٨ هـ [illegible] ج ٣ ص ١١٩ [illegible] (ح) والبيت في شروح السقط ق ٤ ص ١٦٣٩.

أرادوه على القيام بين ظهرانيهم ، وعرضوا عليه أموالاً كثيرة فأبى ، وسيتضح لك ذلك في الكلام على عفته وزهده ، ويبين مبلغه من الأنفة والقناعة.

ويتحصل من مجموع ما ذكرناه أن ما قاله العلماء المتقدم ذكرهم في أسباب رحلته إلى بغداد يخالف الحقيقة والواقع ولقول أبي العلاء نفسه على أنا لا نستبعد أن يكون للشيء الواحد أسباب متعددة ، ولكن السبب الأول الذي عليه المعول في هذه الرحلة هو ما ذكره أبو العلاء ، وهو الاطلاع على دار الكتب .

ويشهد لهذا قول أبي الهيثم عبد الواحد أخي أبي العلاء من قصيدة أرسلها إلى أبي العلاء وهو في بغداد (١) :

بَغْدادُ لا سُقِيَتْ رُبوعُكِ دِيمةً   وغَدَتْ رِياضُكِ حَنْظلاً ومُرارا
أَضرمْتِ قلبي باجتذابِكِ ماجداً   كالسيفِ أُعجِبَ رونقاً وغِرارا
مَنَّيْتِهِ مَحْضاً ولمّا شِمْتُهُ   ضمّاً أتاكِ به سقيتِ سِمارا (٢)
وحلَلْتِهِ فحكاكِ يعتسفُ الردى   ويَخوضُ مِنْهُ لُجّةً وغِمارا
شغفاً بدارِ العِلمِ فيكِ وقلبه   ما زال رَبْعاً للعلوم ودارا
ما رِدْتِ عمّا عندَهُ فسقاكِ مِن   رفعِ السماءِ نقيصةً وعِثارا
وأجارَ أهلكِ في المعادِ فإنهم   أوفى الخلائقِ ذِمّةً وجِوارا

* * *

(١) [illegible] سنة ٤٠٠ من الأصناف والتحري [illegible] ، والأبيات من [illegible]
[illegible]
(٢) السمار : اللبن [illegible]

ابتداء سفره :

لم يتبق لنا اليوم شيء نحدد به خروج أبي العلاء من المعرة ، ولا على أي شيء اجتاز منها إلى بغداد . ولكنا رأينا رسالة كتبها جواباً إلى القاضي أبي الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر (١) فإن فيها : إنه كتبها لتسع خلون من رمضان . وقد جاء فيها : وإن الله أرعب في سهيل المعرة إلى فنائه السعيد على أمون مثقلات (٢) . وأخرى حدثت بالقاهرة من غير داء ، ولم تجشم وجه البيداء . وكيف [illegible] من [illegible] في أثنائه (٣) ثم قال : وفي هذا اليوم وهو يوم كذا ورد عليه الشيخ أبو سعيد الخوارزمي (٤) . [illegible] قاضي ، وعرفني أن [illegible] كان معه [illegible] في [illegible] .

ولكننا لم نعلم منها في أي رمضان كتبت . وقد ذكر ابن [illegible] ص ١٠٨ أن أبا سعيد الخوارزمي زار أبا العلاء في المعرة سنة ٣٩٨ هـ ، وهذه الرسالة تدل على أن أبا العلاء كان يحدث نفسه بالهجرة إلى بغداد وأن بينه وبين القاضي الطبري معرفة ومكاتبة .

(١) [illegible] ولد سنة ٣٤٨ هـ [illegible] الشافعي [illegible] ١٧٩ [illegible] ص ٩٩ [illegible] (ج)

(٢) [illegible] أمون [illegible] (ج)

(٣) [illegible] (ج)

(٤) أبو سعيد [illegible] الخوارزمي [illegible] سنة ٤٤٨ هـ [illegible] ص ٢٣ (ج)

(٥) انظر أبو [illegible] .

طريقه الى بغداد :

رحل أبو العلاء إلى بغداد من المعرة، ولم نتبين له على أي شيء كانت رحلته ولا أي طريق سلك. والظاهر من رسالته إلى القاضي الطبري السابق ذكرها، ومن رسالته إلى خاله أنه ركب أولاً مطية ثم ركب سفينة، فهو قال فيها[1]:
وما هبطت من طريقي واديًا، ولا قرعت جبلاً ولا حملتني سفينة ولا ذات لي مطية إلا بمنّ الله.

وسيأتي شيء من شعره وهو على جمل يقال له طاهر، رأيت . .

ويظهر أنه لم يمر بحلب في ذهابه إلى بغداد، كما لم يمر بها في عودته، لأنه يقول في رسالته: «والذي أخرج الجذع من الحرمة[2] ونار من الوثيمة[3] ما نكبت حلب في الإبداء والانكفاء، إلا كما تنكب حريدة الحور لما دونها من هول البحار»

ولكنه نزل بالرقة وكتب منها كتابًا إلى خاله يشرح له فيه ما حمله على النزول.

وكذلك يقول في قصيدته لأبي حامد[4]:

يا باقُ حِدْي فَقَد . . .

وقد ركب في رحلته هذه سفينة انحدرت به إلى الأنبار، ثم اعترضه نفر من أصحاب السلطان، فأخذوا سفينته في موضع يقال له القرصية[5].

(١) رسائل أبي العلاء [illegible] ص ٧٥ ، [illegible]
(٢) [illegible] (ح)
(٣) [illegible] (ح) [illegible]
(٤) [illegible] ج ٢ ص ٧٤٢ ، [illegible]
[illegible]
(٥) القرصية [illegible] وذكرها في شرحه ، وقال [illegible]
الخوارزمي [illegible] وهو [illegible] صاحب الإيضاح
[illegible] والدال ، وهو [illegible]

دخوله بغداد

اختلفت كلمة العلماء في الوقت الذي دخل فيه أبو العلاء بغداد وفي مدة إقامته فيها وفي أسباب خروجه منها .

فقال الخطيب في (تاريخ بغداد)(1) إنه دخلها سنة ٣٩٩ هـ ووافق في ذلك (لسان الميزان) و(مرآة الزمان) و(مرآة الجنان) والقفطي والذهبي ، و(أنباه الرواة) ، و(البداية والنهاية) و(عقد الجمان) ، و(الأنساب) ، و(المنتظم) .

وقال ياقوت(2) : رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ وأقام بها سنة وسبعة أشهر . وقال في (نزهة الألباء)(3) : رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ ودخلها سنة ٣٩٩ وأقام بها سنة وسبعة أشهر . وروى ابن العديم عن الخطيب التبريزي (4) أنه رحل إليها سنة ٣٩٨ هـ ودخلها سنة ٣٩٩ هـ وأقام سنة وستة أشهر . وقال ابن خلكان(5) : دخلها سنة ٣٩٨ هـ ودخلها ثا

— سهو ، لأن القادسية أول منزل في البادية بينها وبين الكوفة [illegible] القادسية والبادية ؟

وقد جاء في شرح السقط للخوارزمي [illegible] ص ١٣٣١ القادسية بالقاف والدال وهي خطأ عن قول الخوارزمي .

وقال ياقوت [illegible] القادسية [illegible] سامرا [illegible]
[illegible]
[illegible] (ج)

(1) تعريف القدماء بأبي العلاء ص [illegible] عن تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي
(2) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨٠ عن إرشاد الأريب ـ لياقوت
(3) « « « « ص ١٧ عن نزهة الألباء ـ لابن الأنباري .
(4) « « « « ص ٤٤٣ عن الإنصاف والتحري ـ لابن العديم
(5) « « « « ص ١٨٣ عن وفيات الأعيان ـ لابن خلكان .

سنة ٣٩٩ هـ . وقال غير واحد : بعد يوم وصوله إلى بغداد موت الشريف الطاهر والد الرضي والمرتضى ، ورثاه بقصيدته الذائية ، وكانت وفاته سنة ٤٠٠ هـ . ونقل ذلك ابن الوردي عن أبي غالب همام بن المهذب المعري . وهنالك أقوال متضاربة تجمع بين الصحيح وبين الخاطئة ، ونجد بعضها من الشكوك والمناقض ، وقد أضربنا عن إيرادها مخافة التطويل

والذي نستظهر أنه شرع في رحلته في آخر سنة ٣٩٨ هـ ، وانتهت هذه السنة وهو في الطريق ، ثم دخل بغداد في صفر سنة ٣٩٩ هـ . ويؤيد هذا قول بعضهم أنه رحل أو سافر إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ وبعضهم يقول دخلها سنة ٣٩٩ هـ ومنهم من أغفل عنه الأمر بين رحل ودخل . ولكن يشكل علينا قول بعضهم أنه دخلها سنة ٤٠٠ هـ ، ولعل هذا التضارب نجم عن حسبان أن أبا العلاء رحل مرتين إلى بغداد ، وتبعه في ذلك من تابعه من غير تمحيص ولا تثبت كصاحب (الشذرات) وابن الوردي نقلاً عن أبي غالب كما تقدم . وأكثر الأقوال يؤيد ما استظهرناه .

ولم أر أحداً عيّن يوم دخوله بغداد ، ولا الشهر ، واكتفوا بذكر السنة عن ذلك

منزله في بغداد

حكي عن القاضي أبي الطيب الطاهري أن أبا العلاء نزل في سويقة غالب ، وهي من محال بغداد . وقال في قصيدته إلى القاضي التنوخي (١)

أيامَ واصلني ودٌّ وتكرمةٌ ... وبالقطيعةِ داري تحضرُ النهرا

(١) شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٢٣٧ ، ٣٠ ، سورة ج ٢ ص ١٩٣ .

قال في (التنوير) القطيعة محلة في بغداد على شط دجلة. وقد ذكر ياقوت مواضع تسمى قطيعة مضافة إلى أصحابها، مثل قطيعة إسحاق قرب الكرخ، وقطيعة الربيع بالكرخ، وقطيعة أم [illegible] بالكرخ وغيرها. [illegible] [illegible] لمعنى أم القطيعة [illegible] واستدل على ذلك بقول أبي العلاء من قصيدة يخاطب بها أبا [illegible] (١)

بمحلة الفقهاء لا يعشو لفتى ناري ولا أنصي المطي عرائسي

وقال: وإن كان صاحب التنوير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذا من عدم علمها بلغة، وإلا فظاهر أن المحلة لا [illegible] [illegible] [illegible] وهذا [illegible] لا [illegible]، ولكن أعتقد أن أبا العلاء لو أراد [illegible] القوم لأمكنه أن يقول

بقطيعة الفقهاء لا يعشو . . . . . .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إطلاق المحلة على المدينة فقد يسمعه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكرخ [illegible] كما قال صاحب (التنوير) وأما الكرخ فالظاهر من كلام المعري أنه [illegible]، لأنه قال من قصيدة في السقط (٢)

دماء بلادي كان أنجع مشربا ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال

وقال من أخرى فيه (٣):

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال

(١) أبو العلاء [illegible] [illegible] ص ١١٣ [illegible] شروح ق ٤ ص ١٥٢٣

(٢) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١٢٥٤ و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخمر جريالا لشبهها بالجريال وهو [illegible]

(٣) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١١٩٥

وقال في لزوم ما لا يلزم [١] :

مالي وللنفر الذين عهدتهم ... بالكرخ من شاش ومن إيلاق

ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب ما قاله البطليوسي [٢] فقد قال القطيعة موضع ببغداد يعرف بقطيعة الربيع يقرب من دجلة ، وكان أبو العلاء ساكنا فيه . وقال التبريزي [٣] : المراد بالنهر نهر القلائين ، والربيع هو ابن يونس حاجب المنصور .

حياته في بغداد

ذكرنا أن القاضي أبا الطيب الطبري كانت بينه وبين أبي العلاء معرفة ومكاتبة قبل أن يصل إلى بغداد ، وكتب إليه أبياتا حين وافى بغداد ، فأجابه عنها في الحين ، ثم كتب إليه أبياتا أخر فأجابه عنهـا مرتجلا كما سيأتي

ويقول أبي العلاء في رسالته إلى خاله [٤] : وأما سيدي أبو طاهر فقد حملني من الإنعام وقرا (... ثقلا) ما زالت كتبه تطرق أصدقاءه عاطفة على المكارم حتى حملهم إلي كعُرُف الفرس ، أو عرى الفرس ، فيفهم منه أن أصدقاء أبي طاهر كثيرون ، وأنهم كانوا يلازمون أبا العلاء .

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٣٠٨ وشاش مدينة في ما وراء النهر .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٢٢٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) رسائل ... شاهين عطية ... ص ٧٥ وما بعدها وفي معجم الأدباء ... نظرة أصدقائه ...

ولا شك أن شهرة أبي العلاء سبقته إلى بغداد ، لأن المعرة في عهده كانت ملتقى السبل بين الشام وما وراءها ، والعراق وما وراءه ، وكان الحجاج والتجار والرهبان والرسل كذلك وغيرهم يمرون بها ؛ وقد كان ذكر أبي العلاء منذ نبتت شواربه ، وخطا إلى مسامع كثير من العلماء في العراق وغيره ، منهم الوحي المصري ، وأصدقاء أبي عمرو الذي كتب إليهم . ولما دخل بغداد كتب قصيدة إلى أبي حامد الإسفرايني (١) ذكر فيها أنه أنشأ الرحلة على كره ، فهو يحثها على السير ويأمرها أن تسرع في المشي ولا تهاب بياض الصبح ، وإن كان شبيه بالسيف ، يشير بذلك إلى جده ومضائه حيث يقول (٢) :

لا وضع للرحل إلا بعد إيضاع (٣)

فكيف شاهدت إمضائي وإزماعي (٤)

يا ناق جدي فقد أفنت أناتك بي

صبري وعمري وأحلاسي (٥) وأنساعي (٦)

---

(١) [illegible] ترجمته في الوفيات وطبقات ابن السبكي وخطط المقريزي وتاريخ بغداد وابن خلكان ، وهو أحمد بن محمد الإسفرايني [illegible] الذي انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ، وكان يحضر مجلسه [illegible] ، ومن [illegible] توفي سنة ٤٠٦ هـ في بغداد . (ج)

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٤١

(٣) بحر سريع (ج)

(٤) عزمي . (ج)

(٥) جمع حلس ، كساء يطرح على ظهر البعير (ج)

(٦) جمع نسع ، سير ينسج عريضاً للتصدير . (ج)

إذا رأيت ظلامَ الليل فاصطلي[1]

وإنْ رأيت بياضَ الصُّبح فانصاعي[2]

ولا يهولنك سيف للصّباح بدا فإنه للهوادي غير قطّاع

إلى الرئيس الذي أسمى طلعته

في حندس الخطب ساع بالهدى شاعي[3]

ثم [illegible] ركوبه [illegible] ووصفها [illegible] :

يممته وبودي أنني قلم أسعى إليه وأمشي تحتي الساعي

على نجاة[4] من المرصد[5] أيدها رث القدوم بأوصال وأضلاع

تصلى بقار ولم تجرب كأن ظليت

بسائل من دفاري العيس منباع[7]

(١) [illegible] (ج)

(٢) [illegible] (ج)

(٣) [illegible] (ج)

(٤) [illegible] (ج)

(٥) [illegible] (ج)

(٦) [illegible] (ج)

(٧) [illegible] (ج)

ولا تبالي بمحلٍ إن ألمّ بها ولا تهشّ(١) لإخصابٍ وإمراعِ

ثم ذكر الوضع الذي مر به [illegible] صاحب السلطان [illegible] وحده ، فقال :

سارت فزارت بنا الأمصار سالمةً تزجي وتدفعُ في أمواجٍ دُفّاعِ(٣)

وعارسيه [illegible] أدّتها إلى نهرٍ طافوا بها فأ[illegible] خوها جنجاعِ(٤)

وأراد أن يصف ما عرض له في رحلته من الاضطراب والخوف في الطريق ، [illegible] على ذات [illegible] اصطلاح الفقهاء [illegible] لأنّ أبا حامد فقيه شافعي فقال :

وربّ ظهرٍ وصلناها على عجلٍ بعصرها في بعيد الوِرْدِ لمّاعِ

ضربتين لظهرٍ(٥) لوجه واحده وللذراعين أخرى ذاتُ إسراعِ

وكم قصرنا صلاةً غيرَ نافلةٍ في مهمهٍ كصلاة الكسفِ شعشاعِ

وما جمعنا ولم يصدح مؤذّننا من خوف كلِّ طويل الرمحِ خدّاعِ

١ [illegible] (ج)

٢ [illegible] (ج) [illegible]

٣ [illegible] (ج)

٤ [illegible] (ج)

٥ [illegible] « الظهر »

في[1] معشر [illegible] [illegible] حتى يطيب مقيلها [illegible]

[illegible]

[illegible]

وبالعراق [illegible] [illegible] شرف [illegible] في [illegible] وأشيب [illegible]

على [illegible] تنقضت [illegible] [illegible] لا [illegible] الايام والشمر

[illegible]

(٢) في [illegible]

[illegible]

اسمعاني حامد شيئاً قصدت به … من [illegible] الودّ مُمتاعِ

[illegible] لنفس [illegible] … [illegible] شراب [illegible] (1)

[illegible] إلا [illegible] … [illegible] خير حرق وإجماعِ

[illegible] أبي [illegible] الوشي مُنتحباً … من المودّة [illegible] الودّ بالصّاعِ (2)

لا [illegible] في [illegible] ولا [illegible] … ولو غدوتُ (3) [illegible] وإدقاعِ

[illegible] صدق [illegible] فلت له … [illegible] أسماعي (4)

[illegible] داكرة … [illegible] لسامع الواعي

[illegible] كرامات لأجدها … إن كان [illegible] لإسراف وإطماع

(1) [illegible] (ج)

(2) [illegible] (ج) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

[illegible] (ج)

[illegible] ٧٥ [illegible]

ولاهدية عندي [illegible] ما حملت [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] (ج).

(٣) [illegible] (ج) [illegible]

(٤) [illegible]

[illegible] في [illegible] ولا [illegible] ثم ختم كلامه [illegible] بحمد الممدوح ويشكره [illegible] في [illegible] ثم [illegible] لهم الفضل وغيره [illegible] كثيرة من الشعر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] كلمة في [illegible]

[illegible] السعة فقد اجتهد آل [illegible] في [illegible] ، وشكرهم على ذلك في قصيدة أنشدها بعد رجوعه إلى [illegible] في [illegible] حيث يقول :

وعن [illegible] حرب [illegible] [illegible] معنى لا انتقاص ولا غمط
[illegible] [illegible] فليس [illegible] عراق ولا شحط
ولكنك إن يقعد بك الحال [illegible] [illegible] [illegible] (١)

[illegible] يقول :

[illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] (٢)

[illegible]

(٢) [illegible] ٧٨

[illegible] (ع) [illegible]

ولا خيرَ فيمَنْ ليسَ يَبسُطُ شُكْرَهُ   على القُرِّ إنّ الخيرَ ناقتهُ بسطُ

وكان من عادة البغداديين أن يتعرضوا إلى من طرق ديارهم من الشعراء، وأن [illegible] ويستنشدوه [illegible] في [illegible] أن [illegible] شعره في حلقة من [illegible]، [illegible] له.

ومنْ بالعراق . . . .

وكانت [illegible] في الأدب، ويتحدثون [illegible] في [illegible] كان يحضر [illegible] في يوم الجمعة، و[illegible] [illegible]، [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] الرأي والمرعى، وكان [illegible] [illegible] يحضرون له [illegible] [illegible]

فهذه الأسباب التي [illegible] وغيرها [illegible] التي [illegible] ذكره، مهدت له السبيل إلى أن يخالط رجال العلم والأدب والفلسفة.

وقد [illegible] في [illegible] عند الكلام على دخوله بغداد[2] [illegible] [illegible]، [illegible] لا يخالف [illegible] مرور الدهور ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بغداد قصيدته الصادية[3]

منكِ الصدودُ ومنّي بالصدودِ رضى   من ذا عليّ بهذا في هواكِ قضى

وكانوا [illegible] [illegible] [illegible].

(1) [illegible] (ح)

(2) أوج [illegible] ص [illegible]

(3) شروح [illegible] ص [illegible]، وفي أوج [illegible] ص [illegible]

الذين عرفتهم ببغداد

لا شك [illegible]

وشعره [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وماذاتُ دَرٍّ لا يَحِلُّ لحالبٍ ... تناوله واللحم منها مُحلَّلُ

لمن شاء في الحالين حيّاً وميّتاً ... ومن شاء شربَ الدَّرِّ فهو مُضلَّلُ (٢)

[illegible] ... وآكله عند الجميع مُغفَّلُ (٣)

وحرفانها في الاكل [illegible] ... فمستحسن الرأي [illegible] (٤)

وما يختفي معناه إلا عن امرئٍ ... عليمٍ بأسرار القلوب مُحصَّلُ

[illegible] (٦)

حداثان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مُضلَّلُ

[illegible] ٢ ، شعره

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

[illegible] (ح)

[illegible]

فمن ظنه كرماً فليس بكاذبٍ ... ومن ظنه نخلاً فليس يجهّل

لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل والدر الرحيق المسلسل

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة

تعاف(1) وغض الكرم يجنى ويؤكل

يكلفنا القاضي الجليل مسائلاً ... هي النجم قدراً بل أعز وأطول

ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديراً ولكن من يجيبك(2) يفضل

وأجبته (3) بأعري :

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طراً بل أعز وأفضل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... وسائرها بادٍ لديه مفصل

ومن قلبه كل العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار يشعل

ولما أثار الحب قاد ضميره ... أسيراً بأنواع البيان يكبّل

وقرّبه من كل فهمٍ بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

(1) روى : [illegible] وهي [illegible]
وهكذا روي « غض [illegible] » وهو أن يكون « وغض الكرم » وكما في الأصل ذكره (م)
وفي [illegible] ص ٣١ « وغض »
(2) يروى « من يجيبك » (ج) [illegible] ص ٣
(3) كذا في الأصل ، وفي [illegible] ص ٢٢٣ من تتمة المختصر لابن الوردي « ولما أثار [illegible] وادي [illegible] » .

وأعجبُ منهُ نَظْمُهُ الدُّرَّ مسرعاً　　　ومُرتجلاً من غيرِ ما يتمهّلُ

فيخرجُ من بحرٍ ويسمو محلُّهُ　　　جلالاً إلى حيثُ الكواكبُ نُزَّلُ

فهنّاهُ اللهُ الكريمُ بفضلِه　　　محاسنَهُ والعمرُ فيها مطوَّلُ

[illegible] مرتجلاً وأملاه في [illegible]

ألا أيها القاضي الذي بدهائه　　　سيوفٌ على أهل الخلاف تسلّلُ [1]

فؤادُك معمورٌ من العلم آهلٌ　　　وجدُّك في كلِّ المسائلِ مُقبلُ

فإن كنتَ بين الناس غيرَ مموَّلٍ　　　فأنتَ من الفهمِ المصونِ مموَّلُ

إذا أنتَ خاصمتَ الخصومَ مجادلاً　　　فأنتَ [illegible] [2]

كأنكَ علمُ الشافعي مخاطباً　　　ومن قلبه [illegible] [3]

وكيفَ يُرى علمُ ابنِ إدريسَ دارساً　　　وأنتَ [illegible] متكفّلُ

[illegible]　　　[illegible]

لأنك في كُنْه [illegible]　　　[illegible]

(١) وفي نسخة مختصر ... لابن الوردي [illegible]
القدماء ص ٢١٤ .
(٢) وفي نسخة المختصر ... لابن الوردي [illegible]
(٣) وفي نسخة مختصر ... لابن الوردي [illegible]
(٤) وفي نسخة مختصر ... لابن الوردي [illegible]

فَعُذري في أني أخلتك واثقاً ... بفضلك والإنسانُ يسهو ويذهلُ (١)
وأحسِبُ في بعدي فعلتك لي ... هي الحذ لي منها أخير وأوّلُ
ولكن عداني أن أروم احتفاظها ... رسولك وهو الفاصل المتفضّلُ
ومن حقّها أن تصبح المسك عامرٌ ... لها وهي في أعلى المنازل تُجعَلُ (٢)
فمن كان في أشعاره متمثّلاً ... فأنت امرؤٌ في العلم والشعر أمثلُ
مخمّات الدنيا بأنك فوقه ... وثلث حقامي به يتجمّلُ ...».

٢ — ومنهم ... [illegible] ... بن حسين المعروف بأبي ... البصري ... [illegible] ... بن محمد البصري ... [illegible] ... والأدب والقراءات ... [illegible] ... وسمع محمد بن إسحاق ... [illegible] ... سنة ٣٢٩ هـ وعلى هذه الرواية تكون وفاته قبل ولادة أبي العلاء ... [illegible]

[illegible] ... بن محمد ... [illegible] ... بن إسحاق ... [illegible] ... وقال عالم أديباً ... [illegible] ... في دار الكتب ... [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible] (ح)
[illegible]

حفظها والإشراف عليها، سمعت أبا القاسم عبيد الله بن علي الرقي الأديب يقول: كان عبد السلام البصري من أحسن الناس تلاوة للقرآن وإنشاداً للشعر، وكان سمحاً سخياً، وربما جاءه السائل وليس معه شيء يعطيه فيدفع إليه بعض كتبه [illegible] وتوفي يوم الثلاثاء في التاسع عشر من المحرم سنة ٤٠٥ هـ، وكان مولده سنة ٣٢٩ هـ كما قال القفطي وغيره [illegible] ص ١٣٤ [illegible] وقع في النسخة [illegible] أبي [illegible] أبو بكر [illegible] أبو الحسن [illegible] عبد السلام بن الحسين البصري [illegible]

وقد ذكره [illegible] ووقد شهدت [illegible] عبد السلام بن الحسين [illegible] رحمه الله فقد كان من [illegible] وذكره في [illegible] وهو [illegible] عبد السلام البصري وسأله أن [illegible]

أهدي السلام إلى عبد السلام فما ... يزال قلبي إليه الدهر ملتفتا[٢]

(١) [illegible] ص ١٨٠

(٢) [illegible]
[illegible] سنة ١٢٤٣ [illegible]

سألتهُ قبل يوم [illegible] إليك دون [illegible] اللات ما [illegible]

[illegible]

[illegible]

وحملك الشعر من أشعار طائفة ... وخشية من تموج تمكر الحذرا

[illegible] في [illegible] ... ما أنه ردّ مضمون إذا قدرا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا   وموقد النار لا تكرى بتكريتا

[illegible]

ويقول فيها :

إقرَ السّلامَ على عَبْدِ السّلامِ [illegible] [illegible] ماصونا[1]

وذكر [illegible]

سَألتُهُ قبلَ يومِ السّيرِ [illegible] [illegible] ديوان تيم اللاتِ ما [illegible]

[illegible]

[illegible] في عهد

في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لأبي [illegible] سلام

[illegible]

إلى [illegible] [illegible] العز أو [illegible]

يا [illegible] [illegible] كنت [illegible]

[illegible]

إقر السلام على عبد السلام . . . .

ويقول [illegible] .

سألته قبل يوم السّير مَبْعَثَهُ إليك ديوان تيم اللات . . .

وهذا عجيب من القفطي

وقال في ([illegible]) ج ٢ ص ٤٦٢ : [illegible] محمد [illegible] أبي سعيد

(١) [illegible] ص ١٢٢ حاشية ٢

الحسن [illegible] أبو العلاء [illegible] عبد السلام البصري خازن [illegible] ، [illegible] أبي سعيد [illegible] ، [illegible] عبد السلام [illegible] ، [illegible] حميد بن ثور وهو :

ومطوية الأقراب أما نهارها [illegible] وأما ليلها فذميل

[illegible]

[illegible] فقلت

[illegible] الله لدى أنزل الهدى [illegible] والإسلام عليك دليل

ومطوية الأقراب . . . .

[illegible] ، [illegible] في [illegible] وهو غير صحيح

[illegible] الخزانة وقد [illegible]) صفحة ١٦٧٣ : « [illegible] دار العلم [illegible] ، [illegible] ولو [illegible] به [illegible] في كتبه [illegible]

[illegible]

٣ [illegible]

وهو أبو [illegible] ولد سنة ٣٥٥ (١)، وكان شعراً [illegible] في [illegible] صدوه [illegible] في سنة ٤٤٧ ه

[illegible] شعره، [illegible]

[illegible] في [illegible] كما قال (٢)

أيام وصلي [illegible] ذكرته [illegible] محصر النهرا

وهي [illegible] في الجاهلية، كان أبوه [illegible] الجزء عند عبد السلام [illegible] بكر [illegible]

[illegible]

سالنه هل [illegible] حيث ديوان تيم اللات ما ليتا؟

[illegible] وذكر هذا الجزء في قصيدة [illegible]

(١) [illegible] سنة [illegible] في [illegible]
[illegible] ٢، [illegible] ١١ ص ١٠٠، [illegible] والوفيات ج ١
ص [illegible] ص ٨ [illegible] ٣ ص ١١٣، [illegible]
ج ٢ ص ٣٤٧ [illegible] (ج)

(٢) [illegible] ص ١٣٣٧

وحملك الشعر من أشعار طائفة ... وحشية من تنوخ تنكر الحذرا[١]

إلى أن قال :

وكم بعثت سؤالاً كاشفاً نبأ ... عنه فلم أقض من عتبي به وطرا

وفي التنوير ج ٢ ص ٦٦ : وقال ببغداد يهنئ أبا القاسم بن علي التنوخي بمولوده ، ثم ذكر قصيدة يقول فيها :[٢]

كنيُّ محمدٍ نسبي مفيدي ... وذلك والروى أمرٌ بديُّ

غلامٌ رائدٌ بأبي علي ... أتاك بفضله الله العليُّ

فعاش محمدٌ عمرَ الثريا ... فإن ثرى الكرام به ثريُّ

يريد بقوله : كني محمد ، أبا القاسم ... وبقوله أبي علي : كنية المولود ، ومحمد اسمه ...

إذا نأت العراقَ بنا المطايا ... فلا كنا ولا كانَ المطيُّ

على الدنيا السلامُ فما حياة ... إذا فارقتكم إلا نعيُّ[٣]

يشعر بأنه قال هذه القصيدة وهو في بغداد وقد ذكر ... في ترجمة أبي القاسم ، أنه وُلد له ولد من جارية سنة ٤٠٠ هـ وهو أبو الحسن محمد بن علي والمذكور في الأبيات أبو علي محمد ، فلعله أكبر أولاده فتأمل

(١) انظر ... ص ٢٣٩ الحاشية ٢
(٢) وفي شروح السقط ق ٣ ص ١٣٢٣
(٣) وفي شروح السقط ق ٣ ص ١٣٣١ ... إلا نعيُّ .

٤ — ومنهم الشريف المرتضى :

أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى .. العلوي ولد سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٤٣٦ هـ ، وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر ، وكان نقيب الطالبيين بعد أبيه أبي أحمد الموسوي . قيل : إنه هو الذي جمع نهج البلاغة ، وقيل جمعه أخوه الرضي . وله الكتاب الذي سماه (الغرر والدرر) وهو مجالس أملاها في فنون من معاني الأدب (١) .

وقد ذكر كثير من المؤرخين اجتماع أبي العلاء بالمرتضى أكثر من مرة ، ولكن لم يعن واحد منهم بتاريخ كل اجتماع ليتسنى لنا ربط الحوادث وترتيبها ، ومنهم من جمع بين اللقاءين فصيّرهما واحداً . ونحن نذكرها على حسب ما يتراءى لنا ترتيبه

الاجتماع الأول

قال ياقوت ج ١ ص ١٦٩ . ودخل على المرتضى ، فعثر برجل ، فقال : من هذا الكلب ؟ فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً (٢) . وسمعه المرتضى ، فاستدناه واختبره ، فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً . وهذا يدل على أنه لم يعرفه من قبل . ويؤيد ذلك ما في

(١) [illegible] في [illegible] ، وتاريخ بغداد والخزانة لابن حجة ٢٣١ وفي (أوج التحري) أنه تولى [illegible] سنة من ٢٤ (ج) .

(٢) وهي مذكورة في [illegible] ، و[illegible] ، ومعاهد التنصيص ص ٣٠٣ ، وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٣ ، وفي [illegible] العدة [illegible] ص ١٦٩ أنه سرد أسماءها وقد [illegible] السيوطي [illegible] أكثر من ستين اسماً للكلب ، [illegible] في أرجوزة [illegible]) كما قال في كشف الظنون ، ومنها نسخة [illegible] ، وأخرى في [illegible] ، وثالثة في حيدرآباد [illegible] في مصر ، وقد تحدث عنها في كتابه [illegible] بأبي العلاء ص ٤٢٩ (ج) .

أوج التحري) ، أنه أول ما دخل عليه هل معرفة المرتضى . وذكر ابن العديم عن أبيه عن أسلافه[١] أنه اتفق يوم وصول أبي العلاء إلى بغداد وفاة الشريف الطاهر والد الرضي والمرتضى ، فدخل إلى تعزيتهما ، والمجلس غاص بأهله ، فتخطى بعض الناس ، فقال له بعضهم ولم يعرفه : إلى أين يا كلب ! فقال : الكلب ... ، ثم جلس في أخريات المجلس ، إلى أن قام الشعراء وأنشدوا ، فقام وأنشد قصيدته الفائية التي أولها :

أودَى فَلَيتَ الحادثاتِ كَفافِ مالُ المسيفِ وعنبرُ المُستافِ[٢]

يرثي بها الشريف المذكور ، فلما سمعها ولداه قاما إليه ورفعا مجلسه ، وقالا له : لعلك أبو العلاء المعري ، قال : نعم . فأكرماه واحترماه . ثم طلب أن تعرض عليه الكتب التي في خزائن بغداد ، فأدخل إليها ، وجعل لا يقرأ عليه كتاب إلا حفظ جميع ما يقرأ عليه . وفي (مسالك الأبصار) نحو[٣] من هذا . فهذه الرواية والتي قبلها تتحدان في العثور برجل وقوله : الكلب من لا يعرف ... في أول اجتماعه بالمرتضى وتردده إليه . ولا يبعد أن يكون أول دخوله على الشريف كان يوم التعزية بأبيه سنة ٤٠٠ هـ . ولكن قول ابن العديم : واتفق يوم وصوله إلى بغداد موت الشريف ... إلى آخره غير صحيح لأن المرجح أنه دخل بغداد قبل ذلك كما قدمت .

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٣ عن الإنصاف والتحري لابن العديم .

(٢) بيت مطلع قصيدة في شروح سقط الزند ق ٣ ص ١٢٩٤ ، ومال المسيف : أي مال من ذهب ماله ، والمستاف : المشام .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢٣ عن مسالك الأبصار — العمري .

الاجتماع الثاني

ذكر في (المعاهد) ص ٣ ج ١ أن أبا العلاء كان يتعصب للمتنبي ، ويزعم
ديوانه ، وسماه (معجز أحمد) ، فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى ،
فجرى ذكر المتنبي ، فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعري : لو لم
يكن له من الشعر إلا قوله :

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ . . . .

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وأمر بسحبه [برجله] وإخراجه ، وقال للحاضرين :
أتدرون ما عنى بذكر هذا البيت ؟ قالوا : لا . قال : عنى به قول المتنبي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

وأورده ابن حجة في (الخزانة) ٢٣٠ على هذا النحو ، وكثير ممن
جمع هذه الحادثة إلى حادثة عثوره برجل ، وقوله : الكلب من لا ، كياقوت
و (المعاهد) والعمري ، ومنهم من أفرد كل واحدة ، (كالمعاهد)
و (البرهان) و (الصبح المنبي) و (أوج التحري) ، ولا يبعد أن تكونا
حادثتين في وقتين ، قال صاحب (المعاهد) : فحضر يوماً . وفي (الوافي
بالوفيات) و (نكت الهميان) بعد أن ذكر هذه الحادثة ، أي عثوره
برجل وقوله الكلب(١) ، وكان المعري يتعصب لأبي الطيب ، والمرتضى
يبغضه ويتعصب عليه ، فجرى ذكره يوماً ، وكثير من قبل ذلك

الاجتماع الثالث أو الأخير

روى أبو منصور الطبرسي في (الاحتجاج) (٢) أن أبا العلاء دخل

(١) راجع تعريف القدماء ص ٢٦٧ و ٢٨٧ عن الوافي بالوفيات ونكت الهميان
(٢) هو أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من رجال المائة الخامسة وأدرك أوائل
السادسة ، وكتاب الاحتجاج في حجاج الشيعة مع مخالفيهم . (ج)
وهو في تعريف القدماء ص ٣٨ عن الاحتجاج .

على المرتضى ، فقال : أيها السيد ! ما قولك في الكل ؟ فقال السيد : ما قولك في الجزء ؟ فقال : ما قولك في الشعرى ؟ فقال : ما قولك في التدوير ؟ فقال : ما قولك في عدم الانتهاء ؟ فقال : ما قولك في التحيّز والناعورة ؟ فقال : ما قولك في السبع ؟ فقال : ما قولك في الزائد البري عن السبع ؟ فقال : ما قولك في الأربع ؟ فقال : ما قولك في الواحد والاثنين ؟ فقال : ما قولك في المؤثر ؟ فقال : ما قولك في المؤثّرات ؟ فقال : ما قولك في النحسَيْن ؟ فقال : ما قولك في السعدَيْن ؟ فبهت أبو العلاء ، فقال السيد المرتضى عند ذلك : ألا كل ملحد ملهد ، فقال أبو العلاء : من أين أخذته ؟ قال : من كتاب الله عز وجل : ﴿ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْكَ لظُلْمٌ عظيم [١] ﴾ ثم قام وخرج ، فقال السيد : قد غاب عنا الرجل ، وبعد هذا لا يرانا . فسئل السيد عن شرح هذه الرموز والإشارات ، فقال : سألني عن الكل ، وعنده الكل قديم ، ويشير بذلك إلى عالم سماه العالم الكبير ، فقال لي : ما قولك فيه ؟ أراد أنه قديم ، فأجبته عن ذلك ، وقلت له : ما قولك في الجزء ؟ لأن الجزء عندهم محدث ، وهو متولد عن العالم الكبير ، وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير ، وكان مرادي بذلك أنه إذا صح أن هذا العالم محدث ، فذلك الذي أشار إليه ، إن صح فهو محدث أيضاً ، لأن هذا من جنسه على زعمه ، والشيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً ، فسكت لما سمع ما قلته .

وأما الشعرى أراد أنها ليست من الكواكب السيارة ، فقلت له

١) سورة لقمان / ١٣ .

ماقولك في التدوير ، أردت أن الفلك في التدوير والدوران ، والشعرى لايقدح في ذلك (١) .

وأما عدم الانتهاء . أراد بذلك أن العالم لاينتهي لأنه قديم ، فقلت له : قد صح عندي التصغير والتدوير ، وكلاهما يدلان على الانتهاء .

وأما السبع : أراد بذلك النجوم السيارة التي هي عندهم دون الأحكام ، فقلت له : هذا باطل بالزائد الفرد الذي يحكم فيه بحكم لايكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيارة التي هي : الزهرة ، والمشتري ، والمريخ ، وعطارد ، والشمس ، والقمر ، وزحل .

وأما الأربع : أراد بها الطبائع ، فقلت له : ما قولك في الطبيعة الواحدة النارية يتولد منها دابة يحوزها تمس (٢) الأيدي ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات (٣)، ويبقى الجلد صحيحاً لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار ، والنار لاتحرق النار ، والثلج أيضاً تتولد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة ، والماء في البحر على طبيعتين ، يتولد منها السموك والضفادع (٤) والحيات والسلاحف وغيرها ؛ وعنده لايحصل الحيوان إلا بالأربع ، فهذا مناقض بهذا .

---

(١) هكذا في الأصل ، وهو غير واضح مثل أصله ، والشعرى لاتخرج عن ذلك أو نحوه ، فتأمل (ح) .

(٢) ليس أصلها عن أي تصحيح ، ولعل هذه الدابة هي التي يسمونها السمندل (ح) .

(٣) الزهومة والزهمة بالضم : ريح لحم سمين منتن .

(٤) في نسخة : « الضفدع » (ج) .

وأما المؤثر ، أراد به الرجل ، قلت له : ماقولك في المؤثرات ، أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده مؤثرات ، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً .

وأما النحسين : أراد أنها من النجوم السيارة ، إذا اجتمعا خرج من بينهما سعد ، فقلت له : ماقولك في السعدين إذا اجتمعا خرج من بينهما نحس ؟ هذا حكم أبطله الله تعالى ، ليعلم الناظر أن الأحكام لاتتعلق بالمسيرات ، لأن الشاهد يشهد أن العسل والسكر إذا اجتمعا لايحصل منهما الحنظل والعلقم ، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لايحصل منهما الدبس والسكر ، هذا دليل على بطلان قولهم .

وأما قولي : ألا كلّ ملحد ملهد ، أردت أن كل مشرك جاهل ، لأن في اللغة ألحد الرجل : إذا عدل عن الدين ، وألهد : إذا [illegible] ، فعلم أبو العلاء ذلك ، وأخبرني عن علمه فقرأت ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ ... ﴾ الآية . وقيل : إن المعري لما خرج من العراق سئل عن السيد المرتضى ، فقال :

يَا سائلي عنهُ لما جئتُ أسألهُ ... ألا هوَ الرجلُ العاري عن العارِ [1]

لو جئتَهُ لرأيتَ الناسَ في رجلٍ ... والدهرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارِ

وهذه الحكاية لم تذكر في ديوانه ، ولا رأيتها في غير هذا المكان .

ومنهم علي بن عيسى بن فرج بن صالح الربعي . [2] ولد سنة ٣١٨ هـ وتوفي سنة ٤٢٠ هـ في بغداد عن نيف وتسعين سنة ، وكان

(١) وفي تعريف القدماء بأبي العلاء وفي (أبو [illegible]) [illegible] المعري من [illegible] .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ١٨ ، ومعجم الأدباء ٥ / ٢٨٧ ، ونزهة [illegible] ٣١٤ ، والوفيات ، والكامل (ج) .

من أكابر النحاة ، درس على أبي علي الفارسي في شيراز عشرين سنة تقريباً ، وعاد إلى بغداد . وقد ذكروا له قصصاً تدل على أنه كان مجنوناً أو قريباً من المجنون ، منها أنه شرح (كتاب سيبويه) ثم نازعه تاجر في مسألة ، فحمل الشرح في إجّانة (١) وصب عليه الماء ، وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول لا أجعل أولاد البقالين نحاة

وسأل أولاد الأكابر الذين يحضرون مجلسه أن يعبروا معه إلى كلواذي ، فركبوا خيولهم وهو يمشي بين أيديهم ، حتى وصل إلى خرابها ، فوقفهم على تل ، وأخذ عصا وكسف ، ونبح كلباً ، ووقع بينه وبينه مواثبة حتى تعب ، وعدوه حتى أمسكوه فعض بعض الكلب بأسنانه ، والكلب يستغيث ، حتى اشتفى ، وقال : هذا عضني منذ أيام ، وأريد أن أخالف قول الأول :

شاتَمني كلبُ بني مِسْمَعٍ   فصُنْتُ عنهُ النفْسَ والعِرْضا

ولمْ أجبهُ لاحتقاري بهِ   مَنْ ذا يعَضُّ الكلْبَ إنْ عضّا

وقال أبو منصور موهوب الجواليقي فيه : كان يحفظ الكثير من شعر العرب ، ولم يكن عنده من ظرافته يقوم به ، إلا أن جنونه لم يكن يدعه يتمكن منه أحد في الأخذ عنه والإفادة منه . وقال ياقوت ج ٣ ص ١٦٩ : إن أبا العلاء لما ورد بغداد قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربعي ليقرأ عليه ، فلما دخل إليه قال علي بن عيسى : ليصعد الإصطبل ! فخرج مغضباً ولم يعد إليه . والإصطبل في لغة أهل الشام : الأعمى ، ولعلها معربة . ولم يبق [illegible] من كان يريد أن يقرأ على الربعي ،

(١) الإجانة : آنية من زجاج .

وقد بينه ابن الأنباري في (الطبقات) ص ٤٢٦ وابن العديم ، فقالا : دخل على الربعي ليقرأ عليه شيئاً من النحو . وهذا ينفي قول أبي العلاء . « وقد فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي ولا شآم » ولا يبعد أن يكون قصده الزيارة أو الاطلاع على ما عنده ، لا للأخذ عنه . وقال الخفاجي في (شفاء الغليل) ص ٣٣ : اصطبل لغة أهل الشام ، معناه لأمير كما في كتاب (العين) ، ولذا قال ابن عباد جرّوا الإصطبل » في قصته مع المعري ، وهذا خطأ لأن ابن عباد توفي سنة ٣٨٥ قبل ذهاب المعري إلى بغداد ولم يثبت اجتماعه به في مكان مطلق

ومنهم ابن فورّجة

قال في (فوات الوفيات) ج ٢ ص ١٩٨ : محمد بن حمد بن فورّجة بالفاء المضمومة وبعد الواو المضمومة راء وجيم مشددة البروجردي ، ونقل عن الثعالبي في اليتيمة أبياتاً من شعره ، ثم قال : قال ياقوت : وفاة ابن فورجة بنهاوند في ذي الحجة سنة ٣٨ هـ وله (التجني على ابن جني) و (الفتح على أبي الفتح) ، والكتابان رد فيهما على ابن جني في شعر المتنبي اهـ

وعلى هذا القول لا يمكن اجتماعه بأبي العلاء في بغداد لأن أبا العلاء كان بها سنة ٤٠٠ هـ كما تقدم .

وقال السيوطي في (البغية) ص ٣٩ : محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود ابن فورّجة ، بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم البروجردي ، ونقل عن ياقوت أن له كتابي (الفتح والتجني) ثم قال : وذكره الشيخ مجد الدين الشيرازي في كتابه (البلغة في أئمة اللغة) لكن سماه محمد بن محمد ، ثم قال : مولده في ذي الحجة سنة ٣٣٠ هـ ، وقال

الثعالبي : هو من أهل أصبهان المقيمين بالري ، المتقدمين في الفضل ، المبرزين في النظم والنثر ، كان موجوداً في سنة ٤٥٥ هـ وذكر له ثلاثة أبيات آخرها :

إنّ لي غيرةً عليكَ من اسمي ‏ ‏ ‏ إنّهُ دائمٌ يُقبّلُ فاكْ

وقال : قلت هذا الشعر يؤيد أن اسمه محمد ، اهـ .

وقال الباخرزي في (دمية القصر) ص ٩١ : محمد بن هورجه ، هو في الصنعة من الفحول ، والتنبيه على فضله طرف من الفضول ، وشعره فرخ شعر لأعمى ، أعني شاعر معرة النعمان ، وإن كان هذا الفاضل منزهاً من معرة العميان ... ، ثم أورد له أبياتاً منها ما سمعه بالري .

وفي رواية (اليتيمة) عن الثعالبي أنه كان موجوداً سنة ٤٥٥ هـ خطأ ، لأن الثعالبي توفي سنة ٤٢٩ هـ ، على ما ذكره ابن خلكان ، وكذلك قوله إنه ولد سنة ٣٣٠ هـ لأنه اجتمع بأبي العلاء سنة ٤٠٠ هـ ولم يكن عمره سبعين بل كان شاباً .

وفي (كشف الظنون) ج ١ ص ٥٢٢ : محمد بن أحمد المعروف بابن هورجة النحوي وكان حياً في سنة ٤٣٧ هـ ، في ج ٢ ص ١٧٢ محمد بن محمد وكان حياً في سنة ٤٢٧ هـ فقد جعل أباه مرة أحمد ومرة محمداً ، وجعله حياً سنة ٤٢٧ هـ وسنة ٤٣٧ هـ .

وذكر العكبري ج ٢ ص ٤٣٠ عن ابن هورجه أنه قال : قرأت على أبي العلاء المعري ، ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب ، فقلت له يوماً في كلمة : ما ضرّ أبا الطيب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها ، فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها ثم قال : لا تظن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فجرب إن كنت مرتاباً ...

وقال البديعي في (الصبح المنبي). قال ابن فورّجة في كتاب (التجني) عن أبي العلاء المعري عن رجل من أهل الشام. ثم أورد قصة خلاصتها: أن المتنبي استدعى غلاماً، وبات معظم ليلة يكتب من دفتره لا يلتفت إلى الغلام، ثم نام وكان وكيل المتنبي معه شاهداً ...

هذه حلقة مما ذكره العلماء في ابن فورّجة وأبي العلاء، وقد رأيت ما فيها من الاختلاف والتباين. وإذا رجعت إلى قول أبي العلاء نجد فيه ما يقنع الباحث من بعض الوجوه ويدفع الشك من بعض النواحي.

فقد ذكر في (التنوير)[1] ج ٢ ص ٨٠ أن أبا علي المهروذي محمد بن حمد بن فورجة مدح أبا العلاء بقصيدة أولها:

ألا قامتْ تُجاذِبُني عِناني وتسألُني بِعَرْصَتِها مَقيلا

فأجابه أبو العلاء، وهو في مدينة السلام، بقصيدة أولها:

كفى بِشُحُوبِ أوْجُهِنا دليلاً عَلى إزْماعِنا عنْكَ الرحيلا

وفيها يقول، وقد بيّن كتب ابن فورجة، وأنه كان بالعراق:

كَلِفْنا بالْعِراقِ ونحنُ شُرْخٌ فلَمْ نُلْمِمْ بِه إلاّ كُهُولا
وشارَفْنا فِراقَ أبي عَليٍّ فكانَ أعزَّ داهِيَةٍ نُزُولا

ثم وصف السيف بما لم يُسبَق إليه، وبيّن اسم ابن أبي فورجة بقوله:

فَذلِكَ شِيمةُ عزْمِكَ يابنَ حَمْدٍ ولكنْ لا نُبُوَّ ولا فُلُولا

---

(١) وفي التنوير ٢ ص ١١ طبعة المكتبة التجارية — مصر.

ثم بين أن هذه القصيدة جواب عن قصيدة ابن فورجة بقوله :

وقدْ كافأتَ عنْ شعرٍ بشعرٍ ... ولكنْ حازَ منْ بدأَ الجميلا

وأشار إلى عمر ابن فورجة بقوله :

تهرتَ ويومُ عُمرِكَ في شروقٍ ... فدامَ ضحًى ولا بلغَ الأصيلا

ويفهم من هذه الأبيات أن كنية الرجل أبو علي ، وأن أباه أحمد ، وأنه لقي المعري في شروق عمره وصبوته ، وأن اللقاء في بغداد . فأقرب الأقوال في حداثته أن يكون حدثاً سنة ٤٢٧ ه لصحة كلام الثعالبي وغيره

صلاته بالخليفة

لم نر أحداً من مؤرخي العرب وأدبائهم ذكر أن أبا العلاء اجتمع بالخليفة أو بأحد من وزرائه إبان إقامته في بغداد . وقد قدمنا أن الخليفة في ذلك العهد هو القادر بالله أحمد بن إسحق بن المقتدر بالله . ولكن دولت شاه الفارسي قال في كتابه (تذكرة الشعراء) ما هذه ترجمته [1] : المعرة من محلة بلاد الشام في جوار حمص ، ومنها أبو العلاء ، وكان ذا فضل كامل وعلم شامل ، وله تصانيف في علم المعاني والبيان ، وكان أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي يعزه ، وكان في صحبته ، ولأبي العلاء قصائد في مدح البيت العباسي

ويحكى أن أبا سعيد الرستمي كان تلميذاً لأبي العلاء ، وأبو سعيد هذا من أكابر الشعراء الفضلاء ، وفي حياته حدث عمى أبي العلاء ويسمى بذلك أبا العلاء الضرير . وكان أبو العلاء كلما نظم قصيدة في مدح الخليفة قاله أبو سعيد الرستمي

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦٦ عن تذكرة الشعراء — دولت شاه .

ويحضره مجلس الخليفة ويحكون أنه كان لدار الخلافة أبواب عالية بحيث يمكن حاملو الأعلام أن يمروا تحتها دون أن ينكسوا أعلامهم ، إذ كانوا يتشاءمون بنكس العَلَم وكان أبو سعيد الرستمي كلما يدخل على أبي العلاء الأديب يقول : نِعمَ الأستاذ ، أعني أستاذي أبو العلاء ، فيضحك الخليفة وأركان الدولة ، فيقول أبو العلاء : أحسنت كثيراً نعم التلميذ البار أنت [illegible] .

قال المعري هذه القطعة في عماه وهجاء أهل زمانه

أبا العَـلا يا ابن سُليمـانا ... عماكَ قدْ أولاكَ إحسانا (١)
إنّكَ لوْ أبصرتَ هذا الوَرَى ... لمْ يـرَ إنسانُكَ إنسانا

وقال أيضاً (٢) :

ألا إنما الأيامُ أبناءُ واحدٍ ... وهذي الليالي كُلها أخواتُ
فلا تَطلُبَنْ مِن عندِ يومٍ وليلةٍ ... خِلافَ الذي مَرّتْ به السّنواتُ

وقال (٣) :

مَن راعَهُ سَبَبٌ أو هالَه عَجَبٌ ... فلي ثمانُونَ حَوْلاً لا أرى عَجَبا
الدّهرُ كالدّهرِ والأيّامُ واحِدَةٌ ... والنّاسُ كالنّاسِ والدّنيا لِمَن غَلَبا

هذه خلاصة ما ذكره

(١) وفي تعريف القدماء ص ١٦٥ : « أبا العلاء ابن سليمانا » .
(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٣٨
(٣) البيتان مما لم يرو في الديوانين

ودولت شاه هذا ، ابن علاء الدين بختي شاه من أدباء الفرس ، وضع (تذكرة الشعراء) وهو كتاب في طبقة شعراء الفرس . بدأ في تأليفه حين أشرف على الخمسين ، وأتمه في سنة ٨٩٢ هـ ، وقد ذكر في مقدمته فضل العرب على الشعر الفارسي وأثرهم العظيم فيه . وصدّر كتابه هذا بذكر جماعة من شعراء العرب ، كلبيد ، والفرزدق ، ودعبل ، وابن الرومي ، والمتنبي ، وأبي العلاء المعري ، والحريري ، والبستي ، وزهير بن أبي سلمى .

أما أبو سعيد الرستمي ، فلا أعرف مكنيًّا بهذه الكنية ، إلا محمد بن محمد بن الحسين بن رستم من فضلاء أصبهان . وقد ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٢٩ في المتصلين بالصاحب ابن عباد ، ولم أر من ذكر أنه كان يختلف إلى الخليفة القائم بأمر الله ، ولا من ذكر أنه كان تلميذًا لأبي العلاء ، ولا من ذكر أن أبا العلاء اجتمع بالخليفة المذكور . وفيما ذكره دولت شاه أغلاط كثيرة ، منها قوله : إن المعرة في جوار حمص ، وهو غير صحيح لأن حماة وصاحبتها ، كلها تفصل بين حمص والمعرة ، ومسافة الطريق من حمص إلى المعرة نحو من ١٣٥ كيلو مترًا . ومنها قوله : إن لأبي العلاء تصانيف في علمي المعاني والبيان ، وهذا لم يذكره أحد غيره ، ولا يعرف لأبي العلاء كتاب في هذين العلمين . ومنها قوله : إن لأبي العلاء قصائد في مدح البيت العباسي ، وإن القائم بأمر الله ولي نعمته وكان يعزه .. وإن الرستمي تلميذه .. فكل هذا مما انفرد بروايته ولم نره لغيره . وأغرب ما في كلامه قوله : وفي نهاية الحال عمي أبو العلاء . لأن المؤرخين مجمعون على أنه عمي في بداية الحال . وفي كلامه تناقض بيّن لأنه يقول : إن الخليفة يعزه ، وإن الرستمي كان يقول : نحن ، فيمتحني ، فيصمت الخليفة . ومن البعيد أن يقع مثل هذا مرات في حضرة الخليفة مع من يعزه .

ومجموع ما ذكرناه يشهد بأن ما ذكره دولت شاه لا نصيب له من الحقيقة ، ولو كان شيء منه وقعاً لتضافرت الروايات على نقله ، ولذكره أبو العلاء في شيء من كلامه ، لا سيما حفاوته بالخليفة ومدحه إياه . ونُكبر غلطه فيه جعل الحادثة مع القائم بأمر الله مع أن أبا العلاء كان في بغداد في سنة ٤٠٠ هـ ، والقائم بأمر الله ولي الخلافة في سنة ٤٢٢ هـ بعد وفاة أبيه القادر بالله فتأمل

ويقرب من هذا ما ذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) في ترجمة أبي العلاء ، حيث قال (١) : ودخل بغداد سنة ٣٩٩ هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريداً منهزماً لأنه سأل سؤالاً بشعر ، يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال (٢) :

تناقضٌ ما لنا إلا السكوتُ له . . . .

البيتين

ثم قال : ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله ، هرب ورجع إلى بلده ولزم منزله ، فكان لا يخرج منه ، (٣) وكان يوماً عند الخليفة ، وكان الخليفة (٤) يكره المتنبي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٠٢ عن البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) اللزوميات ج ١ ص ١٥٢ ، والبيتان :

تناقض ما لنا إلا السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

(٣) نقل هذا في طبقات النحاة والقفطي ص ١٧٠ عن ابن الجوزي في المنتظم ، ولم أجده في القسم المطبوع منه في تعريف القدماء بأبي العلاء ونقله العيني في عقد الجمان عن ابن كثير (ح) .

(٤) كذا ، وإنما هو الشريف المرتضى .

ويضع من قدره وعيبه ، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس ، فذمه الخليفة ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها :

لكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ . . . .

لكفاه ذلك ، فغضب الخليفة وأمر به ، فسحب برجله على وجهه وقال : أخرجوا عني هذا الكلب ، وقال الخليفة : أتدرون ماذا أراد هذا الكلب من هذه القصيدة وذكره لها ؟ أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتي مِنْ ناقِصٍ فَهِيَ الدَّليلُ عَلَى أنّي كامِلُ[1]

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذه ، وهذا من فرط ذكاء الخليفة حيث تنبه لهذا . وقد كان المعري أيضاً من الأذكياء اهـ

ولم نر أحداً ذكر أن فقهاء بغداد تآمروا على أخذه من أجل شعره ، ولا أنه هرب إلى المعرة ، ولا أنه اجتمع بالخليفة الذي لم يسمه ابن كثير ، وقد علمنا أن هذه الحادثة وقعت مع الشريف المرتضى ، ورواها جمهور كبير من المؤرخين والنقاد ، وأن ابن كثير تفرد بهذه الرواية ، وأغفل ذكر اسم الخليفة ، واختلق هرب أبي العلاء ، وأخطأ في رواية بيت المتنبي المشهور . فلا يقام لكلامه وزن ولا يعول عليه .

* * *

(١) المشهور في رواية البيت «فهي الشهادة لي بأني كامل» ، ورواية ابن كثير محرفة عن (ج) .

المجالس العلمية في بغداد

لم يكن في ملوك الأرض قاطبة ، في ذلك العهد ، من يشبه الخلفاء العباسيين في ترغيبة العلم ونشره ، وفي إعلاء شأن أهله ، وكتب التاريخ والأدب طافحة بأخبارهم من الأعمال الجليلة ، وبما أنفقوه من الأموال الجزيلة في هذا السبيل ، وحسبك دليلا على ذلك أن الرشيد ، على عظم شأنه وجلالة منصبه ، صب الماء على يدي أبي معاوية الضرير بعد ما أكل طعاما عنده ، ثم قال له : أتدري من يصب الماء على يديك ؟ قال : لا ، قال : أنا ، فقال : أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، إجلالا للعلم

وعهد إلى الكسائي بتأديب ولديه الأمين والمأمون ، ثم أشرف عليه ، وهو لا يراه ، فقام الكسائي ليلبس نعله ، فابتدراها ، فوضعاها بين يديه ، وأقسم عليهما أن لا يعاودا ذلك . فلما جلس الرشيد مجلسه قال : أي الناس أكرم خادما ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، قال : بل الكسائي ، يخدمه الأمين والمأمون . ثم حدثهم الحديث

وكذلك فعل المأمون ، بل زاد على أبيه ، حين عهد إلى الفراء أن يلقن ولديه النحو ، وأراد يوما أن ينهض إلى بعض حاجته ، فابتدرا إلى نعله ينازعان أيهما يقدمها له ، ثم اتفقا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة فكتب صاحب الخبر إلى المأمون ذلك ، فاستدعى الفراء ، فلما دخل عليه قال له : من أعز الناس ؟ قال : لا أحد أعز من أمير المؤمنين ، قال : بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله ولدا عهد المسلمين ، حتى رضي كل منهما أن يقدم له فردا . فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أردت منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها . فقال له المأمون :

لو سمعتها عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً ، وما وضع ما فعلاه من شرفي بل رفع قدري . ثم عوض كلاً منهما عشرين ألف دينار ، وأعطى المرأة عشرة آلاف درهم على حسن تأديبه إياهما . ثم طبع من بعده من الخلفاء على غراره .

ولما فشت الزندقة ، واتسعت شقة الخلاف بين أصحاب المذاهب والآراء ، أخذ الخلفاء يحضون العلماء على تصنيف كتب في مواضيع متعددة . وكانت هناك مجالس تجتمع فيها العلماء للمناظرة ، حتى إذا كان عهد المأمون ، وظهر القول بخلق القرآن ، أخذ يعقد مجالس للمناظرة فيه وفي سواه ، وعين لذلك يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظر من أهل المقالات ، أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا أخفافكم ! ثم أحضرت الموائد ، وقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجددوا الوضوء ، ومن كان خفه ضيقاً فلينزعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فتبخروا وتطيبوا ثم خرجوا ، فاستدناهم حتى يدنوا منه ، ويناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون .

ثم استفحلت مجالس العلم في بغداد ، فكانت تعقد عند الحاجة إلى إثبات رأي جديد ، أو إدحاض شبهة أو ما ماثل ذلك .

وقد كان ليحيى بن علي بن المنجم مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي . ولأبي حامد الإسفراييني مجلس يحضره ثلاثمائة فقيه إلى سبعمائة ، وقد أشار ابن السبكي في طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٤ فما بعد إلى ما كان يقع بينه وبين غيره من المناظرات ، وذكر شيئاً من المناظرات التي وقعت بين أبي إسحق الشيرازي والدامغاني ، وبين أبي الطيب الطبري وأبي عبد الله الصيمري ، وبين أبي إسحق وعبد الجبار المعتزلي ، وبين الطبري وأبي الحسن الطالقاني ، وبين الطبري والقدوري ، وغيرها .

وكان للشريف المرتضى علي بن الحسين مجلس يجري فيها ضروب من المسائل . وكتابه الذي سماه (الغرر والدرر) مجالس أملاها في ضروب من معاني الأدب كالنحو واللغة وغيرهما .

وكانت لأبي القاسم علي بن المحسن التنوخي حلقة يحضرها طائفة من العلماء والأدباء . وقد ذكر في (معاهد التنصيص) ص ٥٩٨ أن البغداديين عرضوا على أبي العلاء في كلمة (نوح) في حلقة التنوخي ، وكذلك ذكر البطليوسي في (شرح السقط) ج ١ ص ٢٧٩ هذه الحادثة في حلقة التنوخي

اخوان الصفاء

وقد ذكر صاحب (ذكرى أبي العلاء) ص ١٧٩ وتجديده ص ١٥٠ أن أبا العلاء كان يحضر المجمع الخاص العلمي الذي كان يتألف يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري ، وفيه يقول من قصيدة بعث بها إليه .(١)

يُهيِّجُ أشواقي عَروبةُ إنَّها   إليكَ رَوَتْني عن حُضورِ مُجَمَّعِ

ثم قال : وهذا المجمع البصري الذي أسميه (إخوان الصفاء) لشيوع هذا الاسم بين الناس في ذلك العصر ، وذلك لاحتوائه على جماعة فلسفية تشترك في الأغراض والآراء ، وذلك حيث يقول من أبيات ثلاثة (٢)

وإذا أضاعَتْني الخُطوبُ فلن أرى   لِعُهودِ إخوانِ الصَّفاءِ مُضيعا

(١) انظر ما سبق ص ٢٣٦ الحاشية ٣

(٢) شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٧٢١ ، والأبيات :

كم بلدة فارقتها ومعاشر   يذرون من أسف علي دموعا

وإذا أضاعتني . . .   .

مثلك موضع الأصدق للوف   [illegible] أود [illegible] عندي شوعا

وزاد على ذلك في المقدمة التي وضعها للكتاب (رسائل إخوان الصفاء) فقال في ص ٧ : «فهذا الكتاب [illegible] يمثل من جهة فساد الحياة السياسية الإسلامية في ذلك الوقت، لأن الذين كتبوه جماعة لا نعرف منهم أحداً، لأنهم كانوا يعملون من وراء ستار، وكانوا يعملون لغرض سياسي قبل كل شيء. وقد كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف، لأنهم من غلاة الشيعة، ونعلم من الإسماعيليين [illegible]»

وقال في ص ٨ : «وكان هؤلاء الناس إذن يعملون من وراء ستار، ويؤلفون جماعة سرية، وكان غرضهم [illegible] فيما يظهر [illegible] سياسي عقلي (١)، فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي يومئذ [illegible]»

وقال في ص ٩ : «وقد حافظ هؤلاء [illegible] في الستر والاستخفاء، فلم يمكن أن نعرف منهم أحداً [illegible] لا نتصور الجماعة ولا نعلم من [illegible] أن هؤلاء من [illegible] هذه الجماعة، ثم نشأت في البصرة في منتصف القرن الرابع، وعرف لها فرع في بغداد [illegible] ومن [illegible] في [illegible] أبا العلاء قد اتصل بهذا الفرع حين ارتحل إلى بغداد آخر القرن الرابع، وكان يحضر جماعته يوم الجمعة من كل أسبوع، نرى ذلك في (سقط الزند)، بل نرى بعض أسماء الذين كانوا يحضرون جماعة هذا الفرع، ونكاد نعرف المكان الذي كانوا يجتمعون فيه يوم الجمعة من كل أسبوع، ونكاد نسمع في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو المعتدل. وقد أشرت إلى شيء من ذلك في (ذكرى أبي العلاء) على أني أشك [illegible] الآن، وأعتقد أنا نجد في رسائل إخوان الصفاء أحسن تفسير لكثير من غوامض أبي [illegible]» إلى آخر كلامه

(١) كذا في الأصل (ح).

ويتحدّث قوم [illegible] بأن جماعة إخوان الصفاء من غلاة الشيعة أو من الإسماعيليين، وأنهم [illegible] [illegible] وهو [illegible] نظام الحكم، وأنهم يجتمعون [illegible] في [illegible] عند [illegible] السلام، وهو مجمعهم الخاص في كل يوم جمعة، وأنهم [illegible] في [illegible] والاستجداء.

وهذا كله وهم باطل [illegible] في [illegible] أمور كثيرة منها:

[illegible] في [illegible] [illegible] ليس فيه تصريح بأن الجمع [illegible] عند [illegible] السلام، ولأنه مجمع علمي [illegible] والأقرب أن يكون ذلك اصطلاح [illegible] في كل [illegible] السلام [illegible] [illegible] يوم جمعة يجوز أن يكون عند [illegible] السلام [illegible] [illegible] في ذلك اليوم [illegible] [illegible] [illegible] يجتمعون [illegible] في دار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عند [illegible] السلام من صدق والتقوى، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وغيرهم، ولو [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] عن روايته.

[illegible] [illegible] [illegible] ذكره [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] العلاء، وهو [illegible] [illegible]، وقد نقل عن أبي حيان [illegible] [illegible] في منزل أبي [illegible] [illegible]، وهذا جمع منهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] أن كتب إخوان الصفاء في أبيات المعري المتقدمة، لا تدل على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المراد، [illegible] [illegible] [illegible] الكلمة في كلام كثير من الشعراء والكتاب، منهم [illegible] [illegible] حيث يقول [illegible]

[illegible] (ح)

تذكرتُ إخوان الصفاء تيمّموا   فوارس سعدٍ واستبدّ بهم جهلا

ومنهم [illegible] حيث يقول :(١)

ولم يخزِ إخوان الصفاء ويكتسي   عجاجاً أثارته السنابكُ أكدر

ومنهم [illegible] حيث يقول :(٢)

أولئك إخوانُ الصفاء رزئتُهم   وما الكفُّ إلا إصبعٌ ثم إصبع

ومنهم إسماعيل بن [illegible] حيث يقول (٣)

وإنْ أيقنتَ أنَّ العيَّ فيما   دعاك إليه إخوانُ الصفا

ومنهم عبد السلام بن رغبان ، حيث يقول :(٤)

فهاك أخاً لم تحوهِ بقرابة   بلى إنّ إخوان الصفاء أقارب

ومنهم ابن الرومي حيث يقول (٥).

لو أنّ إخوان الصفاء تناصفوا   لم يفرحوا بتفاضلِ الأعمار

ومنهم ابن المقفع حيث قال في باب «الحمامة المطوقة» من كتاب (كليلة ودمنة)
« [illegible] إخوان الصفاء [illegible] في الصحبة ».

(١) ديوان [illegible] ص ١٢٣ (ح).

(٢) [illegible] ج ١ ص ٣٠٢ (ح)

(٣) [illegible] (ح) ص ٣٥٣ [illegible]

[illegible]

(٤) [illegible] ج ٣ ص ١٠١ (ح)

(٥) ديوانه ص ٣٣ [illegible] كيلاني

هؤلاء كلهم ذكروا إخوان الصفاء ، وهم يريدون إخوان المودة الصادقة الجامعة من أن تؤلف جمعية إخوان الصفاء وأبو العلاء حتى على مثالهم .

على أن ياقوتا روى في معجم الأدباء ج ١ ص ١٧٥ عن أبي الوليد الدربندي ، قال : « أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره عند وداعي إياه » . وذكر الأبيات الثلاثة العينية التي ذكرتها إخوان الصفاء . وأبو الوليد هذا هو الحسن بن محمد البلخي الدربندي المحدث الصوفي طاف الآفاق في طلب الحديث ، ثم رجع إلى سمرقند ، وتوفي بها سنة ٤٥٦ هـ ، كما قال ابن عساكر في ج ٤ ص ٢٤٧ ، وذكره ياقوت في (دربند) ، وفي (سقط الزند ، ج ٢ ص ١٣٦ أنه قال هذه الأبيات على لسان البلخي .

وفي كلام الدكتور بعض ما يصح مثلا في قوله : « لا نكاد نعرف منهم أحدا ... احتاط هؤلاء في التستر ، فلم نكد نعرف أحدا منهم . لا نعرف من أن نجيء بالشك وكل ما نستطيع أن نعرفه .. أنها نشأت في البصرة .. وعرف لها فرع في بغداد » .

وفي قوله : « ليس عندي شك في أن أبا العلاء اتصل بهذا الفرع وكان يحضر مجالسه ... ونرى ذلك في سقط الزند .. ومن بعض أسماء الذين كانوا يحضرون ... ونكاد نعرف الكاتب .. ونكاد نلمح .. على أبي أشد استيقانا » . إلى آخر ما قال

والواقف على كلامه لا يدري على أيها يعول ، أعلى قوله : « لا نكاد نعرف » ؟ أم على قوله : « نكاد نعرف .. ونرى .. ونلمح » ؟ ومن الغريب حكمه على إخوان الصفاء بأنهم من غلاة الشيعة وحكمه على أبي العلاء بأنه منهم ، وهو أشد الناس إنكاراً على الفريقين .

وأغرب منه أن يكون من بعض الأعراض العصبية المتطرفة .

وأغرب من كل ذلك أن يرى الدكتور ، بعد ألف سنة تقريباً وهو في مصر يعرف ويفهم ما لم يعرفه ويفهمه أهل البصرة وبغداد من هذه الجماعة مع شدة تحري الحكومات وعنايتها والبحث عنهم .

وقد بينت بطلان هذه المزاعم بأوسع من هذا في مقالة نشرت في مجلة المجمع العلمي لدمشق في جزء ٧ من مجلد ١٦ ص ٣٤٦

وقد ذكر ابن تيمية في منهاج السنة ج ١ ص ٢٣١ ، أن الرافضة كذبوا على جعفر بن محمد الصادق حتى نسبوا إليه كتاب الجفر والبطاقة والهفت ... حتى زعم بعضهم أن كتاب رسائل إخوان الصفاء من كلامه ، مع أن كل عاقل يعلمها ، ويعرف أسرارها ، يعلم أنها ضد دين الإسلام ويعلم أنها وضعت بعد موت جعفر بن محمد ، رضي الله عنه ، بنحو مائتي سنة ، فإن جعفر بن محمد توفي سنة ١٤٨ هـ وهي وضعت في أثناء المائة الرابعة ، لما ظهرت دولة القرامطة بعد وظهور ... ، متشيعة على مذهب ... الإسماعيلية ، كما يدل على ذلك ما فيها ... وقد ذكروا فيها ما جرى على المسلمين من ... على سواحل الشام ، وهذا كان بعد المائة الثالثة في ...

حنينه إلى المعرة وهو في بغداد

كان أبو العلاء ، وهو في بغداد ، يكثر الحنين إلى وطنه ، ويفيض شعره بالشوق إليه . والذي ظهر لي أن ذلك لأمرين :

أحدهما : فقد أمه التي كانت تتعهده ، وفقد أسرته الذين كان يقضي

[illegible] بشذوره (١) ، وفقد أصدقاءه [illegible] وأعزه [illegible] ، ورضى [illegible] عنهم ورضوا عنه

[illegible] : أن أبا العلاء كان شديد الأنفة [illegible] ، [illegible] لذي اضطره إلى [illegible] الكثيرة في [illegible] [illegible] لعدم غيره من المعرة لبعد الشقة ، أو لعدم وجود [illegible] ، كما أنه لم يستطع أن يبذل ماء وجهه بسؤال أحد . ويدل على هذا أقواله في بغداد ، منها قوله من قصيدة : [2]

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة ... تجهلني كيف اطمأنت بي الحال

فأذهل أني بالعراق على شفا ... رزيء الأماني لا أنيس ولا مال[3]

مقل من الأهلين يسر وأسرة ... كفى حزنا بين مشت وإقلال

. . . .

متى سألت بغداد عني وأهلها ... فإني عن أهل العواصم سآل

إذا جن ليلي جن لبي وزائد ... خفوق فؤادي كلما خفق الآل[4]

وماء بلادي كان أنجع مشربا ... ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال

(١) [illegible] الحاجة والأمور [illegible]

(٢) [illegible] ج ٣ ص ١٢٦١

(٣) [illegible]

[illegible]

(٤) خفوق [illegible] في [illegible]

ومن ذلك قوله :

فيا وطني إن فاتني بك سابق (١) من الدهر فلينعم لساكنك البال

وإن أستطع في الحشر آتك زائرا (٢) وهيهات لي يوم القيامة أشغال

ولما ذكر الإقلال من الدرهم ، خشي أن يسبق إلى ظن [illegible]

مع كرامة نفسه ، فصرح بإبائه وشممه في هذه القصيدة بقوله :

وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم له بارقاً والمرء كالمزن هطّال

إلى آخر الأبيات [illegible]

ومنها قوله من قصيدة ثانية (٣)

ومن لي بأني في جناح غمامة تشقّ بها في الجنح أمّ رئال

تهاداني الأرواح حتى تحطّني على يد ريح بالفرات شمال

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء المعرّة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال

وكلمة « رماني إليه الدهر » تدل على حزن عميق لفراق داره ،

(١) رواية البطليوسي « [illegible] »
(٢) في شروح [illegible] « وإن أستطع »
(٣) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١١٩٢
(٤) [illegible] وأم رئال [illegible]

وأسف شديد من مقامه في الكرخ التي اجتواها . ثم لا يتفق أن يظن ظان أنه ذهب إلى بغداد ليتخلى عن شممه وعزة نفسه فقال :

أإخواننا بين الفرات وجلّق   يدَ الله لا خبّرتكم بمحال (١)

أنبّئكم أني على العهد سالم   ووجهي لمّا يُبتذلْ بسؤال ...

. . .

ندمت على أرض العواصم بعدما   غدوتُ بها في السوم غيرَ مغال ...

حزنه على مفارقة بغداد وأسبابها

اختلفت كلمة القوم في أسباب رحلته عن بغداد ، كما اختلفت في أسباب شخوصه إليها ، كما قدمنا . فذهب صاحب (ذكرى ...) إلى أن أبا العلاء إنما رحل إلى العراق يلتمس الشهرة وخفض العيش ، وليفر من الحياة السياسية السيئة بحلب . ونرى (٢) . وأما الشهرة فقد ظفر بها ، بل لم يلق من دونه ببغداد وعلمائها وفقهائها من لم يعرفه ولم يعجب به . وأما الحياة السياسية ، وخفض العيش فلم يوفق لهما ، ذلك أن حال العراق لم تكن خيراً من حال الشام ، ولا أصلح في عهد أبي العلاء . وكذلك لم يتح لأبي العلاء من الثراء ما كان يريده ، وربما تشدده في العفة ، وإباؤه التكسب بالشعر ، وترفعه عن سؤال الناس ، جعل وصوله إلى الثروة أمراً لا سبيل إليه . وفوق كل هذا لم يسلم من حسد الحساد ، ومن

---

(١) يد الله : أي أقسم بيد الله ... والمراد بقوله « بين الفرات وجلق » المعرة . (ج)

وهو للطوسي ... أحمدنا .

(٢) ذكرى أبي العلاء لطه حسين ص ١٨١ وما بعدها

يجده بعض الناس [illegible] يكره [illegible] وحسد من خصومه ، واستشهد للأول بقصته مع الشريف المرتضى وتعصبه للمتنبي ، وللثاني بقصته مع علي بن عيسى الربعي [illegible] لإرجاع أبي العلاء عن [illegible] من معرة [illegible] [illegible] وذهب [illegible] في مجلس المرتضى [illegible] [illegible] الراحة . ثم [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] إلى [illegible] بعد عودته إلى [illegible] [2]

أثاري عنكم [illegible] والد [illegible] [illegible] عاد [illegible] [3]

[illegible] [illegible]

لولا [illegible] [illegible] [illegible] [4]

[illegible] ١٧٢

[illegible] ١٦٤٤

(٣) [illegible] (ح)

(٤) [illegible] (ح) [illegible]

وقد تقدم في قصيدته اللامية المرفوعة شكواه من فقد المال والأهل، حتى تمنى حين الجزر يدهن أنه في غرق مال من دهقين مصر والأمراء.

وقال في رسالته التي كتب إلى خاله بعد رجوعه إلى المعرة[1] : « وكنت ظننت أن الأيام تسمح لي بالإقامة هناك، فإذا الضارية[2] أحيا بعرق، والأمة تجن بضربتها[3]، والعبد أشح بكراعه[4]، والغراب أضن بتمرته، ووجدت العلم ببغداد أكثر من الحصى عند جمرة العقبة، وأرخص من الصيحاني[5] بالجابية[6]، وأمكن من الماء بمضارة[7]، وأقرب من حريد[8] باليمامة، ولكن على كل خير مانع، ودون كل درة خرساء[9] موحية[10] وحمراء غضبية[11] ».

(1) رسائل أبي العلاء [illegible] شرح [illegible] ص ٧٣ ، [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible] (ج)

(4) [illegible] (ج)

(5) [illegible] (ج)

(6) [illegible] (ج)

(7) [illegible] (ج)

(8) [illegible] (ج)

(9) [illegible] (ج)

(10) [illegible] (ج)

(11) [illegible] (ج)

إذا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ   وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ(١)

يكفيك ما بلغت [illegible] ، إن عجز [illegible] عن شخصك ، فلا [illegible] عن عصو منك . [illegible] (٢) الضروس (٣) لحالب ، وربت (٤) العنود (٥) تحت [illegible] ، ومنعت القلوع (٦) النازع ، [illegible] الفلوت (٧) شاكي الأزير (٨) وعشي القوب (٩) وجه المشار ، وحبست [illegible] سحب ، وكذب شم [illegible] ، وأخلف [illegible] (١٠) [illegible] عادت [illegible] عثرها لمس (١١) ،

(١) [illegible] بيت عمرو بن معدي كرب . (ج) [illegible] : « [illegible] » .

(٢) [illegible] (ج)

(٣) الناقة السيئة الخلق . (ج)

(٤) وثب . (ج)

(٥) العنود بالنون : الدابة المتقدمة في السير ، وناقة عنود : تنكب الطريق من [illegible] وقوتها ، والعنود من الإبل الذي لا يخالطها ، ولا يزال ينفرد عنها ، وفي نسخة (الشرود) بالشين ، وهو من أولاد [illegible] ما أتى عليه حول ، وفي حديث [illegible] ، وقد ذكر سياسته فقال : « وأضم الشرود » ، أي أرده إذا [illegible] وشرد . (ج)

(٦) [illegible] (ح)

(٧) كساء لا ينضم طرفاه صغراً وضيقاً . (ج)

(٨) الضيق والبرد . (ج)

(٩) هكذا في النسخ ، ولا معنى [illegible] ، [illegible] عرف عن [illegible] وهو [illegible] [illegible] أي [illegible] . (ح)

(١٠) [illegible] . (ح)

(١١) أي [illegible] أصلها ، وهو [illegible] . (ج)

وذكر بصدره (١) ثعالة (٢)، وطرب لو كنت (٣) ابن دأية (٤) »

فهذه النصوص تدل على أن أبا العلاء ضاق ذرعه ببغداد لضيق ذات يده، وأن إفراطه في التعفف مع قلة ماله، لاشك مما يحرج صدره، ويضيّق بغداد على رحبها به. وفوق هذا حنينه إلى أمه، ورجاؤه لقاءها كان من أكبر البواعث على إزعاجه من بغداد. وليس في كلامه ما يدل على تذمره من الحياة السياسية أو الاجتماعية في بغداد أو المعرة، ولا رغبة في تظلم من عامل، أو على أن لحسد الحساد أثراً في ذلك. ولكن قوله المتقدم «على كل حبر مانع. فلما رمت الصروف الحائل» يدل على أنه كان معرضاً لفقد الثقة والخصم، أسعد لحيلولة الدقة بينه وبين كثير مما كان يتمناه.

احتفاء البغداديين به

لم نعثر فيما وصل إلينا من تاريخ أبي العلاء، على تفصيل مقامه في بغداد، ولا على ما كان يلقاه من كل واحد ممن عرفه فيها، ولكننا وجدنا في كلامه شذرات يدلنا مجموعها على أنه كان يلقى من ضروب الحفاوة القولية شيئاً كثيراً، وأنهم عرضوا عليه أموراً أبت قناعته، ولعلهم عرفوا أنه لا يقبل من أحد هبة ولا صلة، فعرضوا عليه ما عرضوا ولم يتعدوا حدود القول. يشير إلى ذلك قوله السابق «... على كل حبر مانع

(١) حجره (ج)
(٢) الثعلب. (ج)
(٣) عقبة. (ج)
(٤) الغراب. (ج)

ودون كل درة خرساء موجبة ، فما رعت الضروس الحالب . وخيبت رائداً سحاب ، وكذب شائقاً برق .. »

[illegible] من [illegible] في مقامه ، والاسف لفراقه ، فقد ذكره في رسالته إلى [illegible] أبي القاسم وأشار فيها إلى ارتيابه فيما لديه منهم ، [illegible] في الرسالة بعد أن ذكر فيها أن أبا طاهر مازالت كتبه طرق [illegible] على المكارم ، ومراعاة لأمر غير لازم ، قال [1] :

« وكلما عرضوا [illegible] ، عرضت عن تكليف المشقة ، لأني أعتقد حكمة زهير في قوله :

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم

ولو علمت أني أرجع على [illegible] [2] لم أتوجه هذه الجهة . ولكن [illegible] موكل بالمنطق ، و حيرة معيبة . والخطوب مثل [illegible] [3] التنوفل ، [illegible] بعضه عن [illegible] الغمق [4] وبعضه عن ذوات النسق . لايدري الرحل [illegible] [5] . ولا إلى أي أجمة يسوقه جده ،

﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾

يا أيها المضمر هماً لا تهم إنك إن تقدر لك الحمى تحم [6] [7]

(1) رسائل [illegible] لشاهين عطية ، ص ٧٦ ، وتعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨٣ – ٩١
(2) [illegible] (ج)
(3) [illegible] ضرب من [illegible] (ج) .
(4) [illegible] الأرض [illegible] (ج)
(5) عنه (ج) .
(6) سورة الأعراف آية ١٨٨
(7) في تعريف القدماء ص ٨٨ [illegible] وهي [illegible]
[illegible]
[illegible] ص ٧٦

ولو علوتَ شاهقاً من [illegible] كيف توقّيك وقد [illegible]

وخطّ أيم الضحى والظلم [1]

ورغبة [illegible] أي [illegible]

و[illegible] في [illegible] والفقه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولا [illegible]

و[illegible]

[illegible] ، وما [illegible] ، و[illegible]

[illegible] و[illegible] .

١) [illegible]

٢) [illegible] (ح)

٣) [illegible] (ح)

٤) [illegible] (ح)

٥) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (ح)

٦) [illegible] (ج) .

٧) [illegible] (ج)

٨) [illegible] (ح)

٩) [illegible] (ح) .

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر [1]

. . .

على حين أن ذكيت [2] وابيض مفرقي أسام الذي أعييت إذ أنا أمرد

. . .

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت [3] يوما وضاق بها الصدر

وقد يحسن [illegible] إن كان ما يفعلونه حفاظاً [4] فهو منة عظيمة، وإن كان [illegible] فهو [illegible] وقد صرفت [illegible] في سفاه غير مرب [illegible] في طلب [illegible] ولا [illegible]. وقد [5] فارقت العشرين من عمري [illegible] عن [illegible] من عراق ولا شآم [illegible] [6] ولدي [illegible] دار الكتب بها

ولست وإن أحسنت من يسكن العصا بأول راج حاجة لا ينالها

(١) [illegible] (ح) ديوانه ص ١٠٤–٨.

(٢) [illegible] (ح) [illegible] أراد، [illegible] ص ٨٩.

(٣) [illegible] (ح) من قصيدة له في [illegible] ديوان [illegible] ص [illegible]

(٤) [illegible] (ح)

(٥) [illegible] (ح)

(٦) وفي نسخة [illegible] (ح) ورواها هكذا ياقوت في إرشاد الأريب. [illegible] ص ٨٩

(٧) سورة الكهف، [illegible]

شرفاً لذلك المنزل منزلاً ، وهما كتمن [illegible]

ومشربا .

وإني وتهيامي بعزة بعدما تخليتُ من حبل الهوى وتخلّتِ

لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلما تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ

وكنتُ [illegible] في حفلات [illegible] (٢) [illegible] العراق [illegible]

قال لهم حيّوا وأثنى عليهم وودّعهم وداع أن لا تلاقيا » .

هذا صريح في [illegible] ولا علم ولا أدب . [illegible] القوم [illegible] حدود القول ، وأنه غير جازم بأن ما [illegible] كان حفاظ [illegible] لم يورد هذا الشك إلا وهو [illegible] ، ولكنه كان كثير الاعتراف بالجميل ، كثير الذكر [illegible] الحق .

١) [illegible] (ح) [illegible]

٢) [illegible] والتعصب [illegible] (ح)

٣) [illegible] (ح)

٤) [illegible] (ح)

«ولو علمت أني أرجع على قروني» ما يشعر بأنه آسف على ذهابه إلى بغداد، وأن بقاءه فيها كان عبثاً. ولذلك جعلها آخر ساعة إبهاجه.

وفي قصيدته اللامية ما يشعر بمثل ذلك كقوله: (١)

ندمتُ على أرض العواصم بعدما ... غدوت بها في السّوم غيرَ مُغال

وصرح في رسالته التي أنفذها (٢) إلى أهل المعرة، بأنه ما سافر إلى بغداد مستكثراً من المال، ولا مستكثراً بلقاء الرجال، وإنما آثر الإقامة بدار العلم. وذكر في هذه الرسالة أن القوم ألحوا عليه بالأموال، فأبى. وسنذكر هذه الرسالة.

ونستنتج من هذه الآثار أن البغداديين أحبوا عشرته، وعرضوا عليه الأموال رغبة في بقائه عندهم، وأنه لم يقبل شيئاً، ويعترف بالجميل كيف ما كان، وأن الذي أشخصه إلى بغداد دار العلم والإقامة فيها، والذي أرجعه منها إقلاله من المال والآب، وشوقه إلى أمه. وليس فيها ما يدل على أن لاضطراب الحياة السياسية أو الاجتماعية في بلده أو بغداد أثراً في رحلته إليها أو عنها، ولا أن فيها للنظام من عامل أو غيره.

متى خرج من بغداد

قال في رسالته إلى خاله (٣): «وصرت عن بغداد لست بقين من شهر رمضان» كما سيأتي. وكذلك بدأت مؤونة الاختلاف. ففي قول

(١) شروح سقط الزند ق ٣، ص ١٢٠٧

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٩٢ عن إرشاد الأريب ــ لياقوت، وفي الرسائل رواية عصمة ص ٨١ ــ ٨٣

(٣) انظر ما سبق ص ٢٧٢ حاشية (١)

من قال : إنه أقام فيها سنة وسبعة أشهر ، يكون وصوله إليها في ٢٤ ذي الحجة سنة ٣٩٨ هـ . وعلى قول من قال : إنه أقام فيها سنة وسبعة أشهر ، يكون وصوله إليها في ٢٤ صفر سنة ٣٩٩ هـ . وعلى قول من قال : إنه أقام فيها سنة وستة أشهر يكون وصوله إليها في ٢٤ ربيع الثاني سنة ٣٩٩ هـ . وتخطئ يسير على جميع هذه الأقوال . أما من قال إنه دخلها سنة ٤٠٠ هـ أو إنه رحل إليها مرتين ، فلا يتفق مع شيء مما ذكر ، لأنه قال في تمت كتبه ولزمت مسكني منذ سنة أربعمائة ، وهذا كان بلا شك بعد رجوعه من بغداد وإقامته فيها سنة فأكثر .

مسيره عن بغداد وطريقه الى المعرة

يفهم من قوله في قصيدته اللامية المكسورة : (١)

دعا رَجَبٌ جيشَ الغرامِ فأقبلتْ   رِعالٌ تَرُودُ الهمَّ بعدَ رِعالِ
يُغِرْنَ عليَّ الليلَ إذ كلُّ غارةٍ   يكونُ لها عند الصَّباحِ توالي

أن شوقه إلى بلاده وأهله ازداد لما دخل شهرُ رجب . وقد ذكر رحلته من بغداد إلى المعرة في رسالته إلى خاله أبي القاسم ، وبيّن الطريق التي سلكها ، والمطية التي ركبها فقال : (٢)

«وصرتُ عن بغداد لستٍّ بقين من رمضان ، سيرا تنحط إليه »

(١) شروح سقط الزند ... ص ١١٠٥ ... وحدها رعلة ورعل وهو جماعات الخيل وغيره
(٢) انظر ما سبق ص ٢٧٢ الحاشية ١ .

وتنشط [illegible] (١) ، و[illegible] العرق [illegible] ، يود الماشي الرجيل (٢) فيه أنه [illegible] ، و[illegible] ركبات الجذوع ، وأنه انتقل (٣) و[illegible] واحتجم ولو على القصد والشبهات (٤) [illegible] ثم [illegible] ، ومررت بطرف الشهباء ، لأني سلكت طريق الموصل و[illegible] ، وفيها أمواه كأمواه الطثرة و[illegible] » ثم قال : « ولما نزلنا بالحسنية تساوى حامل المال وحامل الرمال ، وقل بلاء الغادي أين قال ، والرائح أين عرّس و[illegible] ، [illegible] ثم [illegible] (٦) عادت الشمس إلى غوائلها ، وسلكت (٧) الرفاق مخاوفها

فما بلغتنا إلا حريصاً بلا بقي العصام ولا سنام ». (٨)

فتكون رحلته [illegible] على طريق الموصل ، وهي مدينة على طرف دجلة ، [illegible] الشرقي [illegible] ، وهي بلدة

(١) [illegible] (ج)

(٢) [illegible] (ح)

(٣) [illegible] وهو [illegible] (ح)

(٤) [illegible] (ح)

(٥) [illegible] ما بين القادسية والمبثة ، وهي [illegible] (ح)

(٦) [illegible]

(٧) [illegible] (ح)

(٨) [illegible] ، وأمات فلان حريصاً [illegible] (ح)

بديار بكر بقرب آمد [illegible] ثم [illegible] ، وهي [illegible] في الموصل [illegible] يومين [illegible] ثم [illegible] إلى [illegible] ، وهي [illegible] إليه ، في ديار بكر ، ودجلة تحيط [illegible] وهي مدينة على الفرات [illegible] كتب [illegible] فيه ما يدل على [illegible] ولا في كلامه ما يدل على [illegible] بالموصل أو ميافارقين

والظاهر من كلامه أنه عاد من بغداد على ناقة ، فإنه [illegible] : « سرت عن بغداد سيراً [illegible] إليه وتنقطع [illegible] » وقال في قصيدته [illegible] (١)

وليت قلاصاً بالعراق [illegible] [illegible] ولم [illegible] ذلك من الحلم

وقد وصل [illegible] فوجد أمه قد توفيت قبل مقدمه [illegible] ولم يعلم بذلك قبل قدومه ، كما يدل على ذلك عنوان رسالته إلى [illegible] أبي القاسم (٦٧) (٢) ، وعنوان مرثية في [illegible] ج ٢ ص ٨٧ ، وقوله في رسالته إلى بعض العلوية [illegible] ص (٨٤ ، (٣)) « ووجدت الوالدة رحمها الله قد سبقت [illegible] » [illegible] يقول صاحب ([illegible]) [illegible] (٣) [illegible] ما يؤيده ، وقال البطليوسي في شرحه ص ١٤٥٣ قال أبو العلاء [illegible] أمه ، وكانت توفيت قبل مقدمه من العراق [illegible] في بعض شعره

ووالدة [illegible] [illegible] يوم [illegible]

وهذا البيت لم [illegible] في ديوانه

(١) [illegible] ٣ [illegible] ١٣٦٤ ، [illegible] أبي [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] ١٧٦

إقباله على الانفراد والعزلة وسبب ذلك

[illegible] أبو العلاء نحو خمس وثلاثين سنة في المعرة ، وهو سنة وقتـه [illegible] في بلده . وكان [illegible] شديد العطف كثير الشك ، لا [illegible] من [illegible] إلا [illegible] ويتشكون ، [illegible] من خمس [illegible] وكان منذ حداثة سنه [illegible] أو [illegible] وكان كما قال . [illegible] له الانقباض عن [illegible] وحبب إليه العزلة

[illegible] وكانت ملتقى الأمم من عرب وعجم ، ورأى [illegible] بقدر ما ازداد علمه بهم ، واطلاعه على [illegible] من أخلاق لا تتفق مع مذهبه ، ومعرفته من [illegible] وقد صرح في قصيدة درعية بسبب محبته فقال : (١)

بُنو الوقت إن غرّوك منهم بحكمة   فما [illegible] إلا عرائز جُهّال

[illegible] حتى أرحتها   من الأنس ما أحلاه ربع بإحلال

إذ [illegible] الأذى   [illegible] من روضة غير محلال

وكان [illegible] كله قليل المال كثير الآفة ، مفرطاً في التقشف [illegible] وضيق ماله عن [illegible] آماله ، وثقلـه [illegible] كثير [illegible] شديد الاحتياط والحذر ، يكره أن يرى الناس [illegible] يجدون ، أو ما يجعله عرضة للازدراء والاستهزاء به .

[illegible] ينجو به من كل ذلك أو من جله إلا اعتزال الناس .
[illegible] صمتاً على [illegible] في [illegible] في بعض

(١) شروح سقط الزند [illegible] ١٨٨

الطبقة التي كان يتوقع أن تقدره حق قدره، وتعرف له فضله وأدبه وعلمه، فاسودت الدنيا عنده، كما اسود أمله، وقوى ذلك في نفسه الميل إلى الانفراد عن الناس، وقد كانت نفس أبي العلاء تطمح إلى تسنم مكانة في الحياة، ولكن الدهر ضرب عليه وصب عليه بالأضداد، فزهد في الدنيا كلها، لأنه لا يرضيه إلا أن ينال الإنسان أعظم معونة فيها، أو يعرض عن كل ما فيها. ولعله فكر في الزمن وتصرفاته، ثم لم يجد فيه سبيلا إلى الحياة الحسنة التي يبتغيها، وجرب الناس، فزينه ذلك لا زهد في الدنيا وأهلها، ولقد أشار إلى هذه بأبيات من قصيدة قالها في بغداد حين كان [illegible]، حيث يقول[1]

تأملنا الزمان فما وجدنا ... إلى طيب الحياة به سبيلا

ذرِ الدنيا إذا لم تحظ منها[2] ... وكن فيها كثيرا أو قليلا

وأصبح واحد الرجلين إما ... مليكا في المعاشر أو أبيلا[3]

ويقول من قصيدة قالها في بغداد أيضا:[4]

جربتُ دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ود امرىء غرضا

متى حدثت له فكرة العزلة وأين كان ذلك ؟

زعم بعضهم أن فكرة العزلة حدثت لأبي العلاء في بغداد، وأنها أثر من آثار اطلاعه على كتب الفلسفة فيها واحتكاكه بالفلاسفة. وقال في

(١) شروح سقط الزند: ق ٣ ص ١٣٢٧

(٢) [illegible]

(٣) الأبيل: [illegible] أو [illegible]، والراهب [illegible]

(٤) شروح سقط الزند: ق ٢ ص ٦٥٦.

ثبت ذلك. ويظهر عند التأمل أن ذلك غير صحيح، وأن هذه الفكرة هدية في نفس أبي العلاء، تدور في خلده قبل ذهابه إلى بغداد. ولعله لم يتمكن من [illegible] يدلنا على ذلك قوله في كتابه الآتي في أول العمر [illegible] «وهو أمر أسري عليه بليل [illegible] الساعة، ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذيّ الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل».

متى جاهر بالعزلة وأين كان ذلك؟

أجمع أبو العلاء على اعتزال الناس والانفراد عنهم، وجهر بهذه الفكرة، وهو في بغداد، كما يتبين ذلك من رسالة كتبها إلى تنوخي يقول له فيها[2]: «وقد كنت عرفته بانصرافي، عما عزمت عليه من الانفراد، بجحري عن العالم، ووجدت الوالدة، رحمها الله، قد سبقت بها الأقدار إلى المقدر، [illegible] فطويت على [illegible] ومحادثة الناس ...». وهو يقول[3]: «ولو [illegible] أجمعت على الانفراد يجعلني كالذي في الكناس، ويقطع ما بيني وبين الناس، إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد، والليلة بالغد ...».

وكتب أبو العلاء كتاباً [illegible] من بغداد، ولم يصل إليهم، وقد رسم في هذه الكتب [illegible] ما يشتمل عليها مدة إقامته بين ظهرانيهم،

(١) [illegible] ص ٨٢ [illegible] ص ٩٩ [illegible]

(٢) [illegible] ص ٨٤

(٣) [illegible] ص ٨٠ [illegible] محمد كرد علي [illegible]

ويخبرهم فيه بما أجمع عليه من العزلة، ويثنيهم عن زيارته، ويبين لهم السبب الذي رحل من أجله إلى العراق، وما لقيه فيها. وهذا الكتاب، وإن لم يصل إلى أهل المعرة، فقد رجع عنه أبو العلاء بعد حينه. وهذا هو الكتاب. (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة، شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان، خص به من عرفه وداناه، سلّم الله عليهم كافة ولا أستثنيها، ولم شعثها ولا آلها

أما الآن فهذه مناجاتي (٢) بعد منصرفي عن العراق، مجتمع أهل الجدل، وموطن بقية السلف، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشبيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره، وجربت خيره وشره، فوجدت أوفق (٣) ما أصنعه أيام الحياة أن اخترت عزلة تجعلني من الناس كبارح الأروى (٤) من سانح النعام، وما ألوت نصيحة لنفسي، ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزي، فأجمعت على ذلك، واستخرت الله فيه بعد جلائه على نفر يوثق بخصائلهم، فكلهم رآه حزماً، وعده إذا تم رشداً،

١) انظر ما سبق ص ٢٨٢ الحاشية ١.
٢) كذا في الأصل، وفي [illegible] ، [illegible] .
٣) في [illegible] المدم [illegible] (ج)
٤) [illegible]
و [illegible] الأروى [illegible]
[illegible]
[illegible]

وهو أمر أمري عنه [illegible] (١) ، فمن [illegible] (٢) ، وحثت (٣) به العامة ، [illegible] الساعة ، ولا ريب الشهر والسنة ، [illegible] الحقب المتقدمة ، [illegible] المكر [illegible] ونادرت إعلامهم [illegible] ، [illegible] أن يتفضل [illegible] بالهوس [illegible] الحارة [illegible] سكناه ، ليلتقي [illegible] ، فيتعذر ذلك عليه ، [illegible] جمعت [illegible] (٤) . [illegible] الأدب [illegible] القطعة . [illegible] لا أدب له [illegible] ومن اختار . وما [illegible] (٥) [illegible] الأدب [illegible] أشياء ثلاثة ، [illegible] (٦) [illegible] النجوم ، [illegible] من [illegible] كانقضاب [illegible] من الثوب ، [illegible] في [illegible] (٧) [illegible] من حروف [illegible] فإن أبى من يشفق علي أو يظهر الشفق إلا الشقرة مع السواد كانت [illegible] الأعز (٩) أو الأدماء .

(١) [illegible] عنه [illegible] ، وليس [illegible] . (ج)

(٢) [illegible] ، وهو [illegible] موضع [illegible] ، كان [illegible] فأشار [illegible] [illegible] [illegible] موضع [illegible] من شاطئ [illegible] (ج)

(٣) [illegible] وهو ضرب من [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible] شيء [illegible] شق عن الشيء ، والنجوم [illegible] كما يطرح [illegible]

(٧) [illegible]

(٨) [illegible] (ج) [illegible] أي [illegible] .

(٩) [illegible] (ج) ، والأعز [illegible] ، [illegible] .

وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان[1] لم يسعف الزمن بإقامتي فيه، والجاهل مغالب القدر، فلهيت عما استأثر به الزمان. والله يجعلهم أحلاس الأوطان، لا أحلاس الخيل والركاب، ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء[2] الطلقة على الظبي الغرير، ويحسن جزاء البغداديين، فلقد وصفوني بما لا أستحق، وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم، وعرضوا عليّ أموالهم عرض الجد، فصادفوني غير جذل بالصفات، ولا هشّ إلى معروف الأقوام، ورحلت وهم لرحلتي كارهون، وحسبي الله وعليه يتوكل المتوكلون».

وقال في الفصول والغايات ج ١ ص ٢٧٣: «طفت الآفاق، فإذا الدنيا نفاق، ومللت من مداراة العالم، فلم يصبر غير الفؤاد، فاخترت الوحدة على جليس الصدق، ليبيت مع الظليم الهجهاج[3]».

وقال في ص ٢٩٧: «إذا أنا حي كالميت، أو ميت كالحي، وما اعتزلت إلا بعد ما تجددت وهم لست، فما حدثني أن أشفق في جد ولا هزل، ولا أتخصب في التصريح[4] ولا الرمز، فمتى الصبر، لا بد للمبهمة من انفراج».

ومحصل ما يستنتج من أقواله أن فكرة العزلة كانت تدور في خلده قبل أن يشخص إلى بغداد، وأنه عزم على إخراجها إلى حيز الوجود في بغداد، ثم في المعرة. ولعلنا نرى من آثار احتكاكه بالفلاسفة واطلاعه على كتبهم

(١) وفي ابن العديم: «أنفس ما كان». (ج)

(٢) القمراء: البيضاء. (ج). والطلقة: الليلة لا حر فيها ولا برد.

(٣) الظليم: ذكر النعام. والهجهاج: الغيور أو كثير الصياح (ج)

(٤) كذا في الأصل، وفي الفصول: «في التصريح» ... والأولى الحس

ماذا فعل بعد عودته الى المعرة ؟

بعد أن عاد إلى المعرة ، وجد أمه قد ماتت ، أقام في منزله حبيس لا يدخل عليه [illegible] وأخذ [illegible] إلى الآخرين [illegible] في [illegible]

حنينه الى بغداد

[illegible] بغداد ، وبعد أن عاد إلى المعرة ، ولقي [illegible] ومن كان [illegible] من إخوان الصفاء والمودة ، وما [illegible] الذكرى أشواقه ، [illegible] على معارفهم . وكان كلما ضاق ذرعا ببغداد تشوق إلى المعرة وأهلها ، فصار كلما ضاق ذرعه في المعرة يشتاق إلى بغداد ومن عرفه فيها [illegible] كل [illegible] ويتألم [illegible] إخوانه [illegible] وقد أكثر في شعره من اللوعة والحنين إلى بغداد ومن فيها ، ومدحها ومدحهم . من ذلك [illegible] في قصيدة [illegible] ( )

سقياً لدجلة والدنيا مفرقة ... حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا(٢)

وبعدها لا أريد الشرب من نهر ... كأنما أنا من أصحاب طالوتا(٣)

. . .

(١) [illegible] ١٩٣٨

(٢) [illegible] (ج)

(٣) [illegible]

[illegible] (ح)

دمُ الوليدِ(١) ولم أذمُمْ جوارَكمُ ... فقال ما أنصفَتْ بغداذُ حُوشيتا

فإنْ لقيتُ وليداً والنوى(٢) قذفٌ(٣) ... يومَ القيامةِ لم أعدمْهُ تبكيتا

وقوله من قصيدة أرسلها إلى أبي أحمد عبد السلام البصري : (٤)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنِّي تَفَرَّدْتُ بعدكم

من الإنس من يشرب من العِدِّ ينقعِ(٥)

نعم حبّذا قيظُ العراقِ وإنْ غدا ... [illegible] حمارٍ أي مقصٍ ومصحعِ

فكمْ ثَمَّ مِنْ أصمعِ القلبِ آيسِ

يفوقُ ابنَ أوسٍ فطنةً وابنَ أصمعِ(٦)

أحبُّ لذكراهُ وأحفظُ غيبَهُ ... وأنهضُ فعلَ الناسكِ المتشرّعِ(٧)

. . . .

(١) الوليد : البحتري ، قال من أبيات

ما أنصفت بغداد حين [illegible] ... [illegible] لاذ . (ح)

(٢) الخوارزمي « وبدى » وبعدى [illegible]

(٣) البطليوسي « كثب »

(٤) شروح سقط الزند : ص ١٠٨٨

(٥) العد : الماء الذي لا ينقطع ، و[illegible] (ح) وفي شروح

« عن الإنس » .

(٦) ابن أوس : أبو تمام حبيب بن أوس ، وابن أصمع [illegible] الأصمعي

ورواه التبريزي : « يطول ابن أوس » و[illegible] هو [illegible] أوس [illegible] ، وكذلك

البطليوسي ، وقال الخوارزمي [illegible] ابن أوس ، هو [illegible] أوس بن [illegible]

ابن زيد الأنصاري ولد سنة ١٢٢ هـ وتوفي سنة ٢١٤ هـ [illegible]

أبا تمام حبيب بن أوس وراجعه ص ١٠٨٩ (ح)

(٧) وفي شروح « المتخشع »

ومنها :

لقد صحّحني في المقام بأرضكم — رجاءٌ وكم ذنبٍ لصحبٍ مُضيِّعِ

فلا كان منّي عنكمُ غيرُ(١) ماجدٍ — يقولُ بيأسٍ من مَعادٍ ومرجعِ

وقوله من قصيدة كتب بها ... (٢)

وفي جبهة عبد العزيز وأهله — فإن تعصباها فالجراءة هو لشرطُ

سلا علماء الحُسين وقتبة — أسوهما أختي مما فهم شُمطُ

أعندهمُ علمُ السلوّ لسائلٍ — به لو كنت لم يعرف أماكنهُ قطُّ

وما أرى إلا مُعرّسُ معشرٍ — هم الناس لا سوق العروس ولا الشطُّ

. . .

ومنها

ألا ليت شعري هل دين ركائبنا — أمطي بها حتى يصلحها المطُ(٤)

وهل يستضي من عقال إبلكم — رضى رمي أم كلُّ شيمته سخطُ

. . .

(١) وفي شروح سقط ... رأي ...
(٢) شروح سقط ... ج ٤ ص ١٠٢٨
(٣) أي ... أقام (م)
(٤) ... (م)

ومنها :

وإنْ خلطتني بالتراب منيّةٌ فتعسَ ترابي من موتٍ بكم خلطْ

فياليتني طارت بكوري ذرّةً بكوري فتاة ناضراه لهو قصّ (١)

لأقضيَ همّي لنفسٍ فمن تجدّدُ (٢) كأنَّ عظامي البالياتِ بها حَط

وله جاء في [illegible] (٣)

يلهف نفسي على أني رجعت إلى هدى البلاد وما أهلك بغدادا

إذا رأيتُ أموراً لا توافقني قلت الإياب إلى الأوطان أدنى دا

وقوله (٤)

شُئمتُ يا همّةً عادت شآميةً من بعدما أوطنت عصراً ببغداد

ولستَ ذات نخيلٍ لا ولا أبٍ كرميةٍ فتقوى شغفي دادي (٥)

(١) [illegible] في [illegible] (م) [illegible]
[illegible] بكوري [illegible]

(٢) أراد [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] (م)

(٣) [illegible] ص ١١٦

(٤) [illegible] ص ١١٧

(٥) [illegible]
[illegible]
[illegible] (م)

حنينه إلى بغداد على مغادرته لها [illegible]

كان [illegible] العراق [illegible] من [illegible] لعرفهم، ويكثر الولوع [illegible] من الأسف على فراقها، و[illegible] في نفسه من الولاء والحب والاعتراف بالجميل لأهلها، من ذلك قوله من قصيدة [illegible] في بغداد [illegible] القاضي التنوخي: (١)

إذا نأت [illegible] العراق [illegible] المصاب   فلا كنا ولا كان المطيُّ
على الدنيا السلامُ فما حياةٌ   إذا فارقتكم إلا نعيُّ (٢)

وقال من قصيدة [illegible] بغداد [illegible] (٣)

[illegible] بأهل بغداد واحتشى   على زفرات ما ينين من اللذع (٤)
وداع [illegible] لم يستقلّ [illegible]   تحامل من بعد العثار على ظلع (٥)
إذا أطربتنا قلتُ والدمع [illegible]   أحدكم لم تفهموا طرب السمع
فبئس البديل الشام عنكم وأهله   على أنهم قومي وبينهم ربعي (٧)

(١) [illegible] ج [illegible] ق ٣ ص ٣٣
(٢) [illegible]
(٣) [illegible] ق ٣ ص ١٣٤٩
(٤) [illegible] (ح)
(٥) [illegible] (ح) [illegible]
(٦) [illegible] (ح)
(٧) [illegible]

ألا زوّدوني شربةً ولو انني ... قدرتُ إذا أفنيتُ دجلةَ بالجرع

وأنى لنا من ماءِ دجلةَ نغبةٌ ... على الخمسِ من بعدِ المفاوزِ والرِّبع (١)

. . .

ومنها :

سأعرضُ إن ناجيتُ من غيركم فتى

وأجعلُ زوّاً من بيانيَ في مسمعي (٢)

. . .

ومنها

أبيتُ فلم أطعمْ بقيعَ فراقكم ... مطاوعةً حتى علستُ على الشبع (٣)

. . .

ومنها

لبستُ حدادًا بعدكم كلَّ ليلةٍ

من الدُّهمِ لا الغُرِّ الحسانِ ولا الدرعِ (٤)

(١) [illegible] والخمس والربع من أظماء الإبل (ح)
(٢) [illegible] (ح)
(٣) [illegible] (ح)
(٤) الدهم السود والغر [illegible] [illegible] عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة [illegible] من أول الشهر [illegible] من آخر الشهر [illegible] أول الشهر [illegible] (ح)

ثم تمنى في بقية هذه القصيدة أن يحم له أجله في العراق، حتى لا يفارق أهلها، وتمنى للنوق التي حملته من العراق أن تنحر ويطبخ لحمها في الخلع (١).

ومنها قوله من قصيدة أجاب بها ابن فورجة: (٢)

وردْنا ماءَ دِجْلةَ خيرَ ماءٍ   وزُرْنا أشرفَ الشجرِ النخيلا
وزُلْنا بالغليلِ وما اشتفَيْنا   وغايةُ كُلِّ شيءٍ أنْ يزُولا

ولا أعرف شاعراً زار مدينة من المدن فأكثر من الثناء عليها وعلى أهلها، ومن الحنين إليها وإليهم مثل أبي العلاء. فإنه أكثر من الثناء والمدح على بغداد وأهلها، واعترف لهم بكل جميل، وأكثر اللوعة والحزن على فراقهم، وتمنى أن يموت فيها في نظمه ونثره. وقد رأيت مثلاً من ذلك

* * *

(١) الخلع: أن يجز عرقوب ويطبخ لحمها بشحمها ويفرغ فيه توابل ثم يفرغ في جلد

(٢) شروح سقط الزند: ق ٣ ص ١٣٩٩.

المقالة الثانية

حياة أبي العلاء في المعرة

بعد عودته من بغداد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

معرة النعمان ، وهو [illegible] جداً عن هذا البحث ، ولا ذلك الوصف . وسيأتي أيضاً أن له داراً فوراء ، وخدماً ونحو ذلك . وكل هذا كلام [illegible] محض قائم على الظن .

أما أبو العلاء ، فقد قال في جوابه إلى داعي الدعاة(١) « وبما حثني على ترك أكل الحيوان أن الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً ، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب ، بقي ما لا يعجب » .

والنص صريح في القلة ، وهو يبين مقداره ، ولا يبين الجهة التي يحصل له منها هذا المقدار ، فهل هي ميراث أم وقف ؟ [illegible] كان هذا المبلغ قليلاً لا يسد حاجات أبي العلاء [illegible] على كثير [illegible] معيشه ، وينفق على طلابه ، ويعطي [illegible] وهم كثير ، كان يعد هذا المال كلا مال ، ولذلك كان يشكو الفقر [illegible] ، ويعيبه حين آخر ، كقوله من أبيات قالها بعد أن وهب له [illegible] صالح بن مرداس(٢) :

ما كان لي فيها جناحُ بعوضةٍ ... واللهُ ألبسني جناحَ تفضّلِ

وقوله(٣) :

ماذا تريدونَ لا مالٌ تيسّرَ لي ... فيُستماحُ ولا علمٌ فيُقتبسُ

وقوله في كتابه [illegible] في وصف [illegible] : « ولم أكن صاحب ثروة فكيف [illegible] على أبي العلاء [illegible] طائفة من كلامه في ذلك .

(١) [illegible] ص ١٢٥ [illegible] ٣١٦ [illegible]
[illegible]
(٢) [illegible] ص ٢٢ [illegible]
(٣) [illegible] ص ٣١٣
(٤) [illegible] ص ٢٤٤ [illegible] المصري

والذي يمكن التعويل عليه، هو أن ماله ستة وعشرون دينارا، يأخذ خادمه نصفها، والباقي ينفقه على نفسه، ويؤدي منه حقوق ضيفه وقاصده، ويجري على كتّابه، ويقوم بكل ما يحتاج إليه منها

طعامه

بعد أن علمنا ما كان لأبي العلاء من مال في السنة، لا نستنكر أن نراه يعيش عيشة التقشف والخشونة، ويصاحب صوم الدهر منذ بلغ ثلاثين عاما، ويقتصر على النبات حتى صار ذلك طبعا له. وقد قال في رسالته إلى داعي الدعاة [illegible]: «ومن [illegible] سمع العبد الضعيف العاجز باختلاف الأقوال، ومع ثلاثين عاما، [illegible] ربه بعاهة، ورزقه صوم الدهر، فلم يفطر في السنة ولا في الشهر إلا في العيدين ... وظن اقتياته بالنبات يثبت له جميل العاقبة .... فاقتصرت على فول وبلسن، وما لا يعذب على الألسن ..»

وقال في رسالته إليه[2]: «ومن [illegible] العبد الضعيف العاجز ماله رغبة في التوسع ومعوده الاقتصار، وتركها [illegible] طعام [illegible] ولم يأكل شيئا من حيوان [illegible] وبعض سنة»

وذكر الرحالة الفارسي أنه لم يكن يأكل غير نصف منّ[3] من خبز الشعير، وربما أكل خبزا بلا إدام أصلا

(١) ياقوت ١ : ١٩٩ [illegible] (ج) [illegible] أنظر من ١٢٣ [illegible] ولا [illegible] لا [illegible]
(٢) [illegible] من ١٣٢ [illegible]
(٣) [illegible] الذي [illegible] من ١٢٨ [illegible] تقريبا (ج) [illegible]
[illegible] من ٤٦١ من [illegible] ناصر خسرو [illegible] اختلاف

وفي (لسان الميزان)(١): «وبقي خمساً وأربعين سنة، لا يأكل اللحم ولا البيض ولا اللبن، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس خشن الثياب، ويديم الصوم». وذكر ابن الجوزي في (المنتظم) [illegible] وذكر القفطي والصفدي(٢) [illegible] العدس [illegible] مطبوخاً، وحلاوته التين [illegible]

[illegible] وقد أشار في شعره [illegible] قوله

يُقبِّحني [illegible] أَتَتْني حَلاوةٌ فَبَلَس(٣)

فلس ما احترت إن أروح من [illegible] عقبة و فلس(٤)

* * *

وقوله(٥)

وقوتي الشيء [illegible] أبي [illegible] فصيحُ هذا الخلقِ والأَلكنُ

* * *

١ [illegible]

٢ [illegible]

٣ [illegible] (-) [illegible]

٤ [illegible]

(ح)

٥ [illegible]

وقوله : (١)

أقفرتْ من جهتَيْن قفرٌ مفازةٍ　　وطعام ليس حار وهو قفارُ

. . .

وقوله : (٢)

وما عرسي حوزاء　　ولا خبري حُوارى

. . .

وقوله

وإذا علا المرءُ المقيّ فشارك السمّ [illegible] لكريم وساوص فت بمجد (٣)

واجعل لنفسك من سليطِ صيانها　أُدماً ونور حلاوة من عنجد (٤)

. . .

(١) أقفر [illegible] (ح) [illegible] ص ٢٦

(٢) [illegible] (ح) [illegible] ص ٢٨

(٣) [illegible] (ح) [illegible] ص ١٦٣

(٤) [illegible] (ح)

وقوله : (١)

يكفيك أدماً سليط ما أريق له ... دمٌ ولا مسّ روحاً إذ جرى ألمُ

. . .

وقوله : (٢)

فاتركْ لأهل الملك لذاتهم ... محسننا الكماةُ والأخطلُ

. . .

وقوله (٣)

طهت لك الشمس ما يغني آخادعة ... عن أن يكون له في الارض طاهونا

. . .

وقوله (٤)

عدوتُ أعد الحرف سعداً كأنني ... ظليمٌ تغذّى راصيا بهبيد

ومن الثاني قوله (٥)

أبى الله أكلي دَرّ صابٍ وماعرٍ ... وإذ حالي الأمر المصرّ على السّخلِ

. . .

(١) اللزوميات ه ص ٢٣٢
(٢) [illegible] (ج) اللزوميات ه [illegible]
(٣) [illegible] (ج) اللزوميات ه ص ٢٩ [illegible]
(٤) [illegible] ذكر [illegible] (ج) اللزوميات ه ص [illegible]
(٥) [illegible] اللزوميات ه ص ٢١ [illegible]

وقوله : (١)

لا أشركُ الجديَ في دَرٍّ تعيشُ به ولا أروّعُ بناتِ الوحشِ والصّافِرِ

. . .

وقوله : (٢)

لا أفجعُ الأمَّ بالرّضيعِ ولا أشركُ هذا الفريرَ باللبنِ
أقتاتُ مِن طِيبِ النّباتِ وهل يسلمُ عودُ الفتى من الأبنِ (٣)

. . .

وقوله : (٤)

تقَ اللهَ حتّى في جنَى النحلِ شُرتَهُ فما جمعَتْ إلا لأنفسِها النّحلُ

. . .

وقوله (٥)

أعرِضْ عنِ النّورِ مصنوعًا أطايبُهُ بالزّعفرانِ إلى نورٍ من الأقطِ

. . .

(١) الجدي : الذكر من أولاد المعزى (ج) الروضيات « ص ٢٧٧
(٢) الفرير : ولد بقرة الوحش . (ج) مختار الروضيات « ص ٢٨١ وفيه « في اللبن »
(٣) لأن جمع أمة : لغدده ، وفي الروضيات « طيب النبات » ولعلها تصحيف
(٤) الحتى : العسل ، وشاره يشوره : استخرجه من الوقبة واجتناه . (ج) الروضيات « ص ١٩٤ .
(٥) النور : ذكر الثمر ، والقطعة الطيبة من الأقط ، وهو لبن جامد مستحجر ، وأعاب الحرور خبزه (ج) الروضيات « ص ١٧٩

وقوله (١)

فلا تأكلن ما أخرج [illegible] ... ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح

. . .

إلى آخر هذه [illegible] في رفق الحيوان .

ترك أكل لحم الحيوان وما يتولد منه

امتنع أبو العلاء [illegible] عن أكل الحيوان ، ولا ما يتولد من حيوان [illegible] وزهد فيه ، وظل [illegible] في اجتناب اللحم إلى أن مات . وقد ذكر ياقوت (٢) ج ، ص ١٧ ، أنه مرض مرة ، فوصف له الطبيب فروجا ، فلما جيء به لمسه بيده وقال : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد . وفي رواية [illegible] وصف لمرض فروج [illegible] .

سبب ترك اللحم

ذهب بعض [illegible] إلى أن أبا العلاء كان برهميا ، فكان لا يأكل الحيوان وما يتولد منه تدينا واعتقادا . وذهب بعض آخر إلى أنه كان لا يأكل ذلك زهدا .

وذكر أبو العلاء نفسه في رسالته إلى داعي الدعاة ، أن السبب الأول الذي حمله على ترك أكل الحيوان وما يتولد منه ، هو الرأفة به ، لأن الحيوان كله حساس يقع به [illegible] ، ولم يرض إلى السعوم بإيلام الحيوان ، وأنه ترك [illegible] في [illegible] ورحمة للمذبوح . وأن مما حمله على ترك أكله

(١) [illegible] العرب (ج) [illegible] ص ٨١ [illegible]
(٢) معجم الأدباء .

أن الذي [illegible] في السنة [illegible] وعشرون [illegible] ، يأخذ بعضها خادمه . وقد أنشد [illegible] على [illegible] [illegible]

إن كنت لم [illegible] الشمس [illegible]

[illegible] في تاريخه ج ١ ص ٢٥٨ أن [illegible] ، [illegible] من [illegible] أعرف [illegible] في [illegible] الكلام في [illegible] الذي [illegible] من [illegible] يسر الموجود .

شراب

[illegible] في [illegible] والد [illegible] من [illegible] في [illegible] أنه [illegible] كؤوس خمر [illegible] الروم [illegible] في [illegible] بالماء [illegible] شربها ، [illegible] وهو في العراق .

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة

فلا [illegible] في خمر [illegible] على [illegible] في [illegible] في [illegible] من [illegible] أن يشربه ، فأجابه بيتين

(١) عجز البيت [illegible]
[illegible] الشعراء ص ٢٥ [illegible]

آنيته

ولما كان [illegible] هؤلاء زهده في مطعم الطيب والمشرب الطيب، كان زهده في المجد [illegible] عن [illegible] ، ولقد [illegible] في شعره ما كان [illegible] ، ولا [illegible] قال (١)

وتشرب الماء براحاتنا ... إن لم يكن ما بيننا حُنتُل

. . .

وارسم بمخبر شرابك لا ترد ... قدح اللجين ولا إناء العسجد (٢)

. . .

من مذهبي أن لا أشدّ بفضة ... قدحي ولا أصغي لشرب مموّج (٣)

. . .

فعُج بيدك اليمنى لتشرب طاهراً ... فقد عيف للشرب الإناء المموّج (٤)

. . .

(١) الحنتل : قدح عظيم من خشب (ج) اللزوميات ج ص ٢

(٢) اللزوميات ج ص ١١٢

(٣) شده : أوثقه وقواه . وصغى إليه : مال . وأصغى [illegible] أماله . والمموج : [illegible] فيه [illegible] وهو [illegible] أو [illegible] (ج) اللزوميات ج ص ٧٨ وفيه « إلا أشد »

(٤) اللزوميات ج ص ٧٣

قد شربتُ المياه بالخزف الوخـــش فأغنى عن مُحكَمات بخَرْش [1]

ومنها نعلم أن الماء الذي يشرب به من خشب أو فخار ، وإن لم يكن أحدهما شرب منه ، ولا نجد قدحًا من فضة أو ذهب ولا مذهّبًا ولا مموّهًا

وقد وصف الماء الذي كان يشربه في الشتاء ، والكوز الذي كان يشرب به في الصيف فقال [2]

والماء وِردي لا تراب بواحدي   في مُنتضاة سوابحًا كأوارِمِ

يُمسي ويُصبح كوزنا من فضة   ملأت فم الصادي كسور دراهم

يقول إنه يشرب الماء وقد جمد بعضه بشدة البرد ، فيرى جمده سابحة فيه كفضة عليه ، والكوز قد جمد عليه الماء فكأنه مصنوع من فضة ، وإذا شرب امتلأ فمه فضة ككسور الدراهم :

لباس وأثاث وفراش

ولابد للإنسان عادة من كل ما [illegible] ، ثم استطاع أن تكون حياته بادية ، إن الله لم يجعل له في [illegible] ما يستره ، [illegible] يسترها من جهة ، ويقيه أذى الحر والبرد ، ويدفع عنه عادية الحيوان ، [illegible] من جهة ثانية . والناس يتفاوتون في الملابس ، فيظهر بعض تفوّق على الفقير ، ولم

(1) [illegible] (م) [illegible] ص ٣٢٨

(2) شروح سقط الزند [illegible] ص ١٤١٨ [illegible]

يقتصروا في ذلك على الأجبة ، بل يتعدى إلى الكتان الموشى كما سيأتي

وأبو العلاء يرى أن الغاية المقصودة من اللباس تحصل بأي نوع كان ، واتخاذ الناس الفاخر ، فيه كسر لقلب الفقير وإسراف فيما يمكن الاستغناء عنه ؛ ولذلك كان لباسه خشن الثوب من القطن وكان فراشه من لباد في الشتاء وحصير من البردي في الصيف ونحن نجد في شعره ما كان يختاره من لباس وأثاث ، وهو يعطي صورة صادقة من الزهد ألزم به نفسه ، من ذلك قوله :

لَمْ يَكُنْ لِي عَرْشٌ فَيُثْلَمَ عَرْشِي ... كَمْ جُرُوحٍ جُرِحْتُهَا ذَاتِ أَرْشِ [1]

مُقْنِعِي فِي الزَّمَانِ سِتْرِي وَدِفْئِي ... مِنْ لِبَاسٍ رَاقَ الْعُيُونَ وَفَرْشِ [2]

وقوله [3]

لِبَاسِيَ الْبِرْسُ فَلَا أَخْضَرٌ ... وَلَا خَلُوقِيٌّ وَلَا أَدْكَنُ

وكان يلبس ثوبا لبست له معاطفه ، ويقاسي في الشتاء من شدة برد

(١) العرش: البيت ولعرش وسرير الملك ، وشبه بيت من جريد يجعل فوقه الثمام ويظل . عدب منه حبل . والأرش : الفساد ، ثم قيل لدية الجراحات : أرش . (ج) البيت والذي بعده في اللزوميات ١ ص ٣٢٨ .

(٢) الفرش : المفروش من متاع البيت . (ج)

(٣) البرس : القطن ، والخلوق : نسبة إلى الخلوق ، وهو طيب يتخذ من الزعفران وغيره وتغلب عليه الحمرة والصفرة . والدكنة : لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد وقيل يضرب إلى السواد ، دكن كفرح فهو أدكن . (ج)

اللزوميات ١ ص ٢٦٣

مالا يحتمله غيره ، ولذلك كان يتمنى انقضاء الشتاء ، وقدوم الربيع والصيف ليدفأ ، كما يصور ذلك قوله : (١)

أُجاهدُ بالطِّهارةِ حينَ أشتو — وذلكَ جهادُ مِثلي والرِّباطُ
مَضى كانونُ ما استعملتُ فيهِ — حميمَ الماءِ فاقدمْ يا سُباطُ
تُشابِهُ أنفسَ الحشراتِ نفسي — يكونُ لهنَّ بالصيفِ ارتباطُ (٢)

وسيأتي أن عبد الله بن الوليد بن غريب رأى أبا العلاء قاعداً على سجادة لبد يسبّح ، [illegible] يؤدي بوحده ، ويأتي عن (النور السافر) أن لأبي العلاء سريراً يجلس عليه ، ولكن لم نعثر له [illegible] نوع ذلك السرير . وكلامه في السقط يدل على أن له بساطاً ومرقة توقد فيها ناره مع ضعفها ، وذلك قوله : (٣)

ولَديَّ نارٌ ليتَ قلبي مِثلُها — فيكونَ فاقدَ وقدةٍ وسخائمِ
عبِثَتْ بثوبي والبساطِ وغادرَتْ — في نُمرُقي أثراً كوَسْمِ الواسِمِ

(١) الجهاد : محاربة العدو ، والمبالغة ، واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل . والطهارة في الشتوة [illegible] ، ومن [illegible] منه وكان [illegible] أشتو أي [illegible] . (ح) اللزوميات ٥ ص ١٧٧ .

(٢) الحشرات : هوام الأرض (ج)

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٢٣ ، [illegible] واحد . وفي البطليوسي « كوشم [illegible] » .

مسكنه

ومما يعاب من تاريخ أبي العلاء أنه لا يعين الباحث على تصوير حياته تصويراً كاملاً يحدثه كيف كان يعيش في مطعمه وملبسه ومسكنه وغير ذلك مما يقتضيه البحث. وربما نعمد إلى إزالة ما في أقوال المؤرخين والعلماء من التناقض في حياة أبي العلاء وسيرته. ولم يصف أحد ممن زاره الدار التي كانت مسكنه، إلا ما رواه أبو الفرج محمد بن أحمد قال: «إن لأبي العلاء داراً حسنة» كما سيأتي. وذكر القدماء في قصة الصوفية الآتية أنه أنزلهم في دار الضيافة، ولم يعين أنها هي ولا لمن هي. ومنهم من جعل له عبيداً وخدماً كثيرة، وجعله صاحب مسكن واسع. ومنهم من جعله حاكماً في معرة، وجعل مسكنها خدمه به. ونحو ذلك من المبالغات والإسراف الدالة على الجهل والخطأ. وعندنا بعيد أن تكون له دار حسنة هو راويه.

والغريب اللافت مع فقر أبي العلاء وزهده في كل شيء، أن تكون داره متشبهة بقية النواحي من حياته. وكلامه في (الفصول والغايات) ص ٤٧ يدل على أنه ليس له مسكن يأوي إليه، وذلك حيث يقول: «الله عالم الملوك، وأنا معترف مقر أن شيء الدنيا حقير(١)، وأن غنيها مفتقر، أعوزني مسكن آوي إليه(٢) وأسكن، وسرت السائحة بين الثاب»

ومن الغريب أن يدفن في دويرة من دور أهله، أو في ساحة منها، ولا يدفن في داره التي وصفها أبو الفرج. وذكر الذهبي وابن حجر(٣)

(١) حقير الشيء وهو تصغيره شيء ...

(٢) ... أوى ... موضع أو مسكوب ... : ... (م)

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٢٢، ٢١٢ في تاريخ الإسلام للذهبي ... ولابن حجر

أن لأبي العلاء مغارة كان يزاول الشيء ويأكل فيه منفردا، ويقول: والعمى عورة، والواجب سترها في أحوالها». وقال القفطي مرة: سرداب، ومرة: مغارة. ولما أرادت الحكومة السورية منذ مدة تجديد ضريحه، وجدوا مغارة تحت قبره، فلزموها ترابا ولم يحفروها لمعرفة ماهيتها. ولا نعرف إن كانت هي المغارة التي أكل فيها دبسا أم لا

عفافه وإباؤه

لا يعرف التاريخ شاعرا ولا عالما فقيرا نال كبير حظه وخلود مثل أبي العلاء، فقد كان يعيش عيشة التقشف والزهد، ولا يبذل ماء وجهه بسؤال، ولا يمد يده لقبول عطاء أو منحة، ولو كانت من أمير أو وزير، ولم يشكو الدهر بحرمانه فقد كان يقول (١)

ولمْ يحتُسي أحدٌ بنعمة   ولكنْ مولى الموالي حبا

وبينما نرى البحتري والمتنبي وأمثالهم كانوا يحرقون الأوراق في مدح الأكابر بعد ما أصبح كل منهم يشكو من الفقر أو الإملاق والضيق شيئا كثيرا، نرى أبا العلاء يعرض عليه الخلفاء والأمراء وغيرهم أموالا جمة، فيأبى على شدة فاقته وحاجته

وقد ذكر ياقوت وابن العديم أن المستنصر صاحب مصر أحد الصديقين بذل لأبي العلاء ما بيت المال بمعرة النعمان من مال الحلال، فلم يقبل منه شيئا، وقال

(١) اللزوميات ج ١ ص ٤٤

كأنما غانةٌ لي من غنى   فقدٌ عن معدنِ أسوانِ

سرتُ برغمي عن زمانِ الصبا   يُعجلني وقتي وأكواني

صدَّ أبي الطيبِ لمّا غدا   منصرفًا عن شِعبِ بوّانِ (١)

وكتب داعي الدعاة بمصر إلى تاج الأمراء، ثمال بن صالح، وكانت بيده حلب، [illegible] على العبيد بن محمد ومعه السلطان، بأن يجري لأبي العلاء ما تدعو إليه حاجته، بجميع مهامه وأسبابه، وما يحتاج إليه مما هو بُلغة له من أمر الطعام، وأن يضاعف حرمته ويرفع منزلته عند الخاص والعام؛ فامتنع من قبول ذلك

(١) [illegible] البيت في رواية [illegible] وفيه [illegible]

[illegible] الأزرق و [illegible] [illegible] رزل

[illegible] [illegible] أن ذلك [illegible]

وفي [illegible] (الإنصاف [illegible]) [illegible] أولان [illegible] والأبيات [illegible] في [illegible] وقد ذكره أبو العلاء في لزوم [illegible] [illegible] ص ١٢١

[illegible] من أو يكثر [illegible]

[illegible] في [illegible] بلاد المغرب [illegible] السودان [illegible] [illegible] بلاد مصر وقد ذكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وأسوان [illegible] في آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة، في جبالها [illegible] بالإسكندرية، ويزعم [illegible] أن فيها معادن الذهب. وسرنديب جزيرة عظيمة في أقصى بلاد الهند. قال ياقوت: وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم [illegible]، والياقوت الأحمر على هذه الحالة، تحدره السيول والأمطار وفيه الماس [illegible] عود. (ج)

[illegible] في [illegible] ص ٩٠٩، ٥٦٥ عن الإرشاد لياقوت، والإنصاف والتحري — لابن العديم

وكتب الوزير الفلاحي الى عزيز الدولة أبي شجاع فاتك متولي حلب وأعمالها، بأن يحمل أبا العلاء الى مصر ليبني له دار علم يكون متقدما فيها، ويبيح له خراج معرة النعمان في حياته وبعده. فسار عزيز الدولة الى المعرة، واجتمع بأبي العلاء، وقرأ عليه النص فاستمهله وكتب الى الوزير الفلاحي يستعفيه من ذلك، فأعفاه وسمح بتركه ذلك كله.

وقال أبو اليسر شاكر بن عبد الله المعري التنوخي في أبي العلاء: «لم يكن من شأنه أن يلتمس من أحد من خلق الله شيئاً، ولم يمدح أحداً لأخذ عطاء أو جائزة، ولم يقبل هدية أو صلة من شريف». وقد صرح في رسالته الى أهل المعرة بقوله (١): «وما سافرت أستكثر من النشب.» وقال فيها عن البغداديين: «وعرضوا عليّ أموالهم عرض الجد، فصادفوني غير جذل بالصفات، ولا هشّ الى معروف الأقوام». وصرح وهو في بغداد بقصيدة قالها فيها بقوله: (٢)

أَأُبْنِكُمْ أَنِّي على العَهْدِ سالمٌ ووَجْهي لمّا يُبْتَذَلْ بسُؤالِ

وقال في قصيدته إلى أبي حامد الإسفراييني: (٣)

ولم أكُنْ ورَسُولي في رسالتِهِ مثلَ الفَرَزْدَقِ في إرْسالِ وَقّاعِ

وقال في قصيدته (٤) إلى التنوخي، يذكر مقامه ببغداد ورحيله [إليها]:

(١) رسائل أبي العلاء المعري، شاهين عطية، ص ٨٣
(٢) شروح سقط الزند، ق ٣ ص ١٢٠٢
(٣) شروح سقط الزند، ق ٣ ص ١٢٧٦ وفيه: «ورسولي حين أرسله».
(٤) شروح سقط الزند، ق ٤ ص ١٦٣٩

رحلت لم آت قرواشاً أزاوله ولا المهذب أبغي النيل تقويتا

والموت أحسن بالنفس التي ألفت عز القناعة من أن تسأل القوتا

وذكر في مقدمة السقط ما يدل على أنه لم يمدح أحداً ابتغاء ثواب أو صلة ، وذلك حيث يقول : (١) « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طالباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس . (٢) فالحمد لله الذي ستر بغفة (٣) من قوام العيش ، ورزق شعبة من القناعة أوفت بي على جزيل الوفر » . وكثيراً ما كان يصرح بالفاقة والعدم ، ويفتخر بالقناعة والصبر في مثل قوله في اللزوم (٤)

أعاشنا الله كلٌّ في معيشته يلقى العناء فسري فوقنا دس

ماذا تريدون لا مال تيسّر بي (٥) . . . .

وقوله : (٦)

الحمد لله قد أصبحت في دعة أرضى القليل ولا أهتم بالقوت

وقوله : (٧)

لكن أقضي مدتي متقنعاً يعني وأفرح باليسير الأروح

(١) شروح سقط الزند ق ١ ص ٢٢

(٢) السوس : الطبع (ج)

(٣) الغفة : البلغة من العيش وما تيسر منه (ج)

(٤) اللزوميات ج ١ ص ٢٩٣ ، دس : ... ودس ... .

(٥) ... ولا ... .

(٦) اللزوميات ج ١ ص ٦٦

(٧) اللزوميات ج ١ ص ٧٨

وقوله (١)

ما سرّني بقناعةٍ أوتيتها في العيشِ مُلكُ غالبٍ وذمارِ

وأحيانا يعدّ الجوع قربة (٢)

إذا جعتُ قليلاً عددتُ ذلك قُربة

وأحيانا يكتم فقره حتى لا يشمت به حساده ، كقوله (٣)

إني أواري خَلّتي فأريهمْ ريّا وفي سرّ الفؤادِ أُوارُ

ويعتقد أن القنع يشق على النفس كما يشق عليها الجهاد في العدو ، ولكنه يورث النفس عزة ورفعة تصونها عن الابتذال كما قال (٤)

قنعتُ فخِلتُ أنّ النجمَ دوني وسيّانِ التقنّعُ والجهادُ

* * *

قبول الهدايا

تقدم قول أبي نصر ، أن أبا العلاء لم يقبل هدية أو صلة ، وذكر ذلك الذهبي في (تاريخ الإسلام) ولم يحدد [illegible] شيئاً من [illegible]

(١) غالب : موضع [illegible] ، وذمار [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] ، وذمار [illegible] (ج) لزوميات ج ١ ص ١٦ .

(٢) اللزوميات ج ١ ص ٤٣ ، [illegible]

(٣) اللزوميات ج ١ ص ١٣٠

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٨٣

والآلات والرياش . وربما كان يقبل بعض الهدايا من أصحابه ، ولكننا لم نوفق إلى معرفة نوعها [illegible] لا نشك في أنها تكون من أنواع الطرف والألطاف والتحف من الأطعمة ، ولم تكن من الذهب والفضة . وقد زعم صاحب شرح التنوير على سقط الزند (ج ٢ ص ٥١) في شرح قوله :

لك الخيرُ قد أنفذتَ ما هو مُلبسي ... حياءً وعندَ اللهِ من قائلٍ علمُ(1)

أن هذا الشاعر قد بعث نفقة إلى أبي العلاء . فهو يعتمد على ذلك وعلى هذا يجب أن تقرأ كلمة « أنفذت » بفتح التاء ، وعلى فرض أن ذلك صحيح فقد [illegible] من النفقة بقوله بعده :

ولو أنهُ أضعافُ(2) . . . .

وفي (ضوء السقط) ما يدل على أن شاعراً عراقياً كتب إلى أبي العلاء قصيدة ذكر فيها مصيبته في الغربة وبعده عن الوطن خشية سرعة الانتساخ ، فكتب إليه أبو العلاء أبياتاً وأرسل معها شيئاً من النفقة

وقال الخوارزمي :(3) والرواية في (أنفذت) ضم التاء على الحكاية ، ورواه بعضهم (أنفذتَ) بفتح التاء على الخطاب ، وهو منكر لأن الأبيات التي تردف هذا البيت تدفع ذلك ، ولا سيما قوله :

فمنّيَ تقصيرٌ ومنكَ تفضلٌ ... فعذرٌ فلا حمدٌ لديّ(4) ولا ذمُّ

. . . .

ولو أنهُ أضعافُ أضعافِ مثلِه ... من التّبرِ لم يثبت لذمّي(5) بذاك اسمُ

(١) وفي شروح [illegible] ص ١١٥٧ [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) في الشروح « عليّ »
(٥) في شروح والتنوير « في »

ويؤيد ما قاله في (ضوء السقط) أن عنوان هذه الأبيات جاء في الديوان هكذا: «وقال في هذا المعنى» وفي شرح البطليوسي: «وقال أيضاً». وفي الخوارزمي: «وقال أيضاً في المعنى» ولم يشر إليه بكلمة أيضاً، وبكلمة في المعنى، أبيات تقدمت هذه الأبيات، قالها أبو العلاء لشاعر «صريع البين[1]»، وأرسل إليه معها شيئاً من النفقة. فهذه الأبيات في معنى تلك، ويكون المُهدي أبا العلاء.

وقال التبريزي: «وكان هذا الشاعر قد لبس السواد كما يلبسه الغرباء، وذكر ذلك في شعره إلى أبي العلاء مع ما ذكره من شكايته من الزمان. وسواد الثياب كناية عن اتساخها».

ومن البعيد بعد ما تقدم أن يكون هذا الشعر هو الذي أهدى إلى أبي العلاء مع حاله هذا. وبذلك يتبين عدم صحة ما قيل في التنوير، وأن الأبيات لا تصلح دليلاً على قبول المعري هدية.

كرمه وسخاؤه

عرفنا أن لأبي العلاء نيفاً وعشرين ديناراً في السنة، يعطي نصفها خادمه، ويعيش بالصبابة الباقية منها، ويجري منها على جماعة من الكتّاب الذين يكتبون عنه ما يمليه وما يصنفه. وقد ذكر ابن العديم[2]، أن له أربعة رجال من الكتّاب لموجودين في جرايته وجاريه. وكان فوق ذلك يدفع شيئاً لذوي الحاجات ممن يتردد إليه. فقد قال أبو زكريا التبريزي: «إن المعري كان يجري رزقاً على جماعة ممن كان يقرأ عليه، ويتردد لأجل

(١) صريع البين: شاعر كان يحضر مجلسه. الشروح ق ٣ ص ١١٤١.

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٢٤ و ٥٧٥ عن الإنصاف والتحري لابن العديم.

الأدب إليه » . وذكر البديعي ذلك أيضاً . ونقل عن أبي الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب (١) أنه دخل في سنة ٤٢٨ هـ من أذربيجان إلى الشام ، ومر بمعرة النعمان ، وسمع من أبي العلاء ، وأنه ذكر فصلاً في تقريظه والثناء عليه ، ومن جملة قوله : وحصر همه على أدب يفيده ، وتصنيف يجيده ، وعلم يحصل ثوابه ، ومستفيد صعلوك يحسن إليه ، وله دار حسنة أو بيت ، ومعاش يكفيه وتوابعه ، وأولاد أخ باق وخدمه ، ويقرؤون بين يديه ، ويدرسون عليه ويكتبون له ، ووراق برسمه متأخر ، لم ينفق من نفسه من دخل معاشه نفقة طفيفة ، وما يفضل عنه يفرق على أخيه وأولاده ، والقاصدين له ، والفقراء والقاصدين من أهله (٢) . اهـ

انفاقه على الخطيب التبريزي مدة مقامه عنده

نقل الزرعوني (٣) أن الخطيب أبا زكريا التبريزي قدم على أبي العلاء ، وأقام عنده مدة يقرأ عليه ، وقد أعطاه الخطيب صرة فيها ذهب ، وقال له : أريد من الشيخ أن يدفعها إلى بعض من يراه ليشتري لي بها خبزاً وغيره ، ومن يخبز خبزي إليه ، ويشتري ذلك علي في كل يوم ، لا أتناوله مدة مقامي عنده لنفرده ، وهو يتحدث على الأشياء ويتفرغ بالي للاستفادة ، ويروق خاطري ، ولا يكون لي شغل سوى ما أنا بصدده ، فأخذ أبو العلاء الصرة منه ووضعها عنده ، وتقدم إلى وكيله ، وأجرى للخطيب ما يحتاج إليه من نفقته ، ويستدين ذلك مدة مقامه بمعرة النعمان ، وهو يظن أنه من ذهبه الذي دفعه إلى أبي العلاء ، فلما أراد الانصراف ودع أبا العلاء ، فدفع إليه صرته بعينها ، فقال الخطيب للشيخ : ما علمت أنك تفعل هذا ، ولا أردت

(١) أوج التحري – يوسف البديعي – ص ١٢ تحقيق ابراهيم الكيلاني .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٧٥ عن الإنصاف والتحري – لابن العديم .
(٣) انظر من ذلك الإنصاف والتحري لابن العديم في تعريف القدماء ص ٥٧٦ .

التثقيل عليك بغير الاستفادة من علمك، وعرض له بالمسألة، فقال أبو العلاء: قد كان ذلك ولا سبيل إلى رد هذه عشرة ثانية، وقد ذهب بعضه، وانصرف وكان مقتراً محتاجاً

وسيأتي بيان هذه التي أقدم عليه ودمهم. ويذكر أيضاً أن أبا العلاء أعطى حريج الشاعر أو ابن نداء، وبدعى عبد الوهاب، وبعض شعراء العراق وغيرهم شيئاً من المال، وقد تقدم بعض من هذا

وذكر القفطي (1) أن أبا العلاء سمع الجماعة يذكرون بطيخ حلب، فكان يستنزر من يبيع منه حلاء، واحضروه إياه، فأفردوا له منه عدداً يسيراً، وتركوه في سرداب كان يأكل فيه، فنزل الخادم بعد أيام لتفقد أمره، فوجد البطيخ بحاله لم يعرض له وقد فسد، فراجعه في ذلك فقال: واستحيا أن ... كان يسكنه، وربما كان يتناول مايقوم بالأود من أيسر الموجودات.

وزار الرحالة الفارسي ناصر خسرو المعرة في سنة ٤٣٨ هـ، وقال في رحلته (2): «وكان بها ـ أي المعرة ـ رجل ضرير، يدعى أبا العلاء، وكان أمير البلدة، وله من النعمة والعبيد والخدم ما يستكثر، وكان أهل البلد كالعبيد له، إلا أنه سلك طريق الزهد، وارتدى الصوف، وجلس في بيته، وكان يأكل كل يوم نصف من من خبز الشعير ولا يأكل غيره، وفتح بابه، ويتولى عنه نوابه وعماله أمور البلدة إلا ما يهم، فيرجعون إليه، وهو لا يمنع أحداً مما آتاه الله، ويصوم الدهر، ويقوم الليل، ولا يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا. وقد قيل له: إن الله حولك موفور من المال والنعمة، فماذا

(1) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٠ عن إنباه الرواة للقفطي
(2) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦١ عن سفر نامه ناصر خسرو

تعطي الناس ولا تنتفع أنت بنفسك؟ فقال: ليس لي منه إلا ما أتبلغ به من القوت فحسب».

وقد ظن صاحب (الذكرى)[1] من كلام الرحالة الفارسي أن أبا العلاء ملك المعرة، وذهب يلتمس لذلك وجهاً، فتأول قول صالح بن مرداس لأبي العلاء حين شفع عنده في المعرة وقد وهبتك إياها، أنه أقطعه إياها إقطاعاً ثم أعنت نفسه في تلمس هذه القصة. وظن أيضاً أن أبا العلاء غني واستأنس لهذا الرأي بقول الرحالة المتقدم، وربما كان يعطيه أبو العلاء من الصلات والهدايا، حتى لا يستقصى حاله عند أقواله الدالة على فقره، وأغرب شيء في كلامه اعتقاده أن أبا العلاء كان يقبل الهدايا ويشكر عليها، وأن أخواله كانوا يواصلونه بالهدايا. وظن أنه لم يقبل من أخواله براً إلا ما كان من باب الطرف والأطعمة والفواكه. ومن في رسائله ما يوهم ذلك، جرى فيه أبو العلاء على عادته في عد كل شيء نعمة يجب شكرها، ولو كانت سؤالاً عن حاله.

وأنا أقول إن العادة جارية في المعرة، على عهدنا هذا، أن الرجل منهم إذا كان وجيهاً في قومه، وكان غير موسر ونزل به ضيوف، هب أهله وأصحابه إلى القيام بما يجب للضيف من الحفاوة والإكرام من غير أن يشعر الضيف بشيء من هذا، وقد لا يشعر المضيف نفسه إلا بالأرزاق والطرف والطعام تتوافد إلى بيته من غير أن يعرف من هي. وإذا لم يكن له أو كانت بيته لا تليق بالضيف أنزله قريبه أو صديقه في داره، ولا يشك الضيف في أنها دار المضيف. وأن كل ما رآه من ماله، وربما ظن بعض القائمين بخدمته أنهم خدم لصاحب الدار. وأهل المعرة كرماء ولو مع الفاقة، ولهم ولع شديد بإيناس الضيف والمبالغة في إكرامه وبره، وهم لا يعدون ذلك من باب الصلة أو الصدقة أو التفضل، وإنما يرونه من باب الواجب، لأن للضيف حقاً على البلدة كلها لا على المضيف وحده

(1) ذكرى أبي العلاء ط ٢ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٦ لطه حسين

والعادة جارية أيضاً أن الناس يحدثون بالرجل المثري أو العالم، ويجعلون كلمته نافذة وإن لم يل شيئاً من عمل الحكومة وإن لم يكن عف

فإذا جاز قياس الماضي على الحاضر، جاز لنا أن نقول: إن أبا العلاء نفسه كان مثرياً لا يملك غير نصف وعشرين ديناراً كما نعلم، وكان يقتر على نفسه، لأنه لا يأكل إلا من ماله لا من مال عمه ولا خاله، وإن الناس كانوا يحبونه ويصدرون عن أمره لمكانته ولمكانة أسرته في المعرة. أما مكانته فقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن ملوك دمشق وحلب وأمراءها كانوا يجلونه ويبالغون في حفاوته، ويكلفونه أن يصنع لهم كتباً، وأن خليفة مصر أراد أن يعطيه ما في بيت المال في المعرة، وأنه لا يمر بالمعرة رجل خطير إلا يزوره. وحسبك دليلاً على علو مكانته في المعرة وغيرها أنهم بعثوه شفيعاً إلى صالح حين حصر المعرة، ودفع الخطب عنهم.

وأما مكانة أسرته فقد كان فيهم المفتون والقضاة والعلماء والشعراء والمؤرخون، وفيهم عداد المعرة وأصحاب الكلمة النافذة فيها مثل الحوري بن حطان ابن معلى التنوخي المعدود من رجال الدهر، ومن ولده أبو بشر الحواري بن محمد بن علي التنوخي عمدة المعرة، وودع بن سليمان من أحفاد أخي أبي العلاء، كان قاضي المعرة والمستولي على أمورها في عصره، وكان رجل زمانه همة وعلماً كما قال ابن الأثير، وهم كثيرون.

فإذا نزل به ضيوف قام إخوته وبنوهم وذوو قرباه عنه بحق من القرى، وأحاطوا به هم وخدمهم وأشياعهم، حتى يخيل إلى ضيفه أنه ملك مطاع، وأن كل من يراه من الخدم والحشم والعبيد مماليك له وما يراه من غيرهم أعوان له، وما يراه من أثاث وزينة وأبنية ملك له. ولا يرى أبو العلاء في ذلك غضاضة بحكم العادة المتبعة. وقد سلف هذا لا نرى شخصاً من أحواله وقوله. ونحن الآن نذكر الصيغة التي أنزل بها الضيوف لحسن الذين جاءوا ليجبروه إلى حفظ كتاب لأحد إخوته، أو

أمامه أو من عنه . وفي كلام أبي العلاء ما يدل على أنه كان يتضجر من قلة ماله ، لأنه كان يجب أن يقوم من ماله بشكر ما توجبه الضيافة عليه لأضيافه وهم كثيرون ، وأنه يعطي كل سائل ما يريده أو مرتزق من أهله ، وسائلوه كثيرون ، ولكنه لا يجد ما يفي به عند كل طالب ، ويشق عليه أن يأخذ من أحد شيئاً ، فهذا هو السبب في تضجره من قلة المال ، وقد كثر ذلك في شعره كقوله :

صَدقتكَ صاحبي لا مالَ عندي ... وقد كثُرَ الضِّيافُ والضيوفُ (١)

وكان الناس يظنون به الغنى ويحسبونه ذا مال ، فيكلفونه ما لا يطيقه إلا الموسرون ، وكان ذلك يزيده تضجراً ، إذ لا يستطيع أن يجيب ما يطلب منه ، ويشعر بذلك مثل قوله :

واتِّهامي بالمال كلَّف أن يطـــلب مني ما يقتضي التَّمويلَ (٢)

وما يدل على كرمه فكثير ، منه قوله :

إذا وَرَدَ الفقيرُ على احتياجي ... أعنتُ لبيهة بالمُستدقِّ (٣)

ولو كانَ الكثيرُ لقلَّ عندي ... وأهونْ بالضعيفِ المستطف (٤)

• • •

(١) الضيف من نزل بغيره ، وهو الضيف ، يكون للواحد والجمع ويكسر على أضياف وضيوف وضيفان . والضيفن الذي يجيء مع الضيف والنون زائدة ، وجمعه ضيافن . (ج) اللزوميات ج ص ٢٠٢

(٢) اللزوميات ج ص ٢٠٢

(٣) اللزوميات ج ص ٢٩٥ ، والمستدق : المتمكن

(٤) [illegible] النفس [illegible] ، والمستطف من استطف : أي أمكن ودنا

وقوله (١) :

فَما دِرْهَمي إنْ مَرَّ بي مُتَلَبِّثاً ولا طِفْلَ لي حتى ترى الشَّمسَ مُطْفِلا
وَيرزُقُني اللهُ الذي قامَ حُكْمُهُ بِأرْزاقِنا في أرْضِهِ مُتَكَفِّلا

. . .

وقوله (٢) :

إذا وَهَبَ اللهُ لي نِعْمَةً أفَدْتُ المَساكينَ مِمّا وهبْ

تولية المناصب

حدثنا التاريخ أن أكثر قضاة المعرة وعلمائها وأدبائها وشعرائها في عهد أبي العلاء كانوا من أسرته تنوخ ومن بني سليمان جد أبي العلاء الأعلى ، وأن الفتاوى كانت في بيتهم على مذهب الشافعي أكثر من مائتي سنة بالمعرة. ولم أر أحداً ذكر أن أبا العلاء ولي الإفتاء أو القضاء أو شيئاً آخر من الأعمال ، وإنما كلامه في اللزوم يدل على أنه كان يكره أمثال هذه الأمور لأقاربه وأصادقه ، فمن الأولى أن يكرهها لنفسه ، يشعر بذلك من قوله : (٣)

أنْهاكَ أنْ تَليَ الحُكُومَةَ أوْ تُرى جابَ الخطابَةِ أو إمامَ المسجدِ
وذَرِ الإمارَةَ واتِّخاذَكَ دِرَّةً في المِصْرِ تَحْسَبُها حُسامَ المُنْجِدِ
تِلْكَ الأمُورُ كَرِهْتُها لأقارِبٍ وأصادِقٍ فانْحَلْ بنفسِكَ أوْجِدِ

---

(١) اللزوميات هـ ص ٢٠٣ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٥٧ .
(٣) اللزوميات هـ ص ١١٢ .

ولكني رأيت قوله في اللزوم :(١)

قَلَّدَتْنِي الفُتْيَا فَتَوَّجَتْنِي غَدًا   تَاجًا بِإِعْفَائِي مِنَ التَّقْلِيدِ

وهذا يدل على أنه ولي الفتيا وربما كانت على مذهب الشافعي أسوة بأقاربه ، ولعله استعفى منها فأعفي ، لأنه كره لأقاربه ، ولأنه كان يعز عليه من تركه سدى واتباع غيره كما قال :(٢)

وَيَنْفِرُ عَقْلِي مُغْضَبًا إِنْ تَرَكْتُهُ   سُدًى وَاتَّبَعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكَا

ولعله كان يلي الفتيا حين زار الرحالة الفارسي (ناصر خسرو) مدينة المعرة ورأى ما رأى من مكانة أبي العلاء فيها .

* * *

(١) اللزوميات ح ص ١١٤ .

(٢) اللزوميات ح ص ١٨٥ .

القول الجامع في أخلاقه وسيرته

توفر أبو العلاء منذ حداثة عهده على الدرس ، وأدبه أبوه فأحسن أدبه ، وأدب هو نفسه فجمع بين أدب النفس وأدب الدرس ، وتوفر فيه من مكارم الأخلاق ما لم يتوفر لغيره من العلماء والحكماء والشعراء بعضه .

صبره

الصبر في الأصل الحبس . ويختلف اسمه باختلاف موقعه ، فحبس النفس عن الجزع عند المصيبة يسمى صبراً ، وإمساكها في وقت الحرب يسمى شجاعة ، وإمساكها عن الفضول قناعة وعفة ، وإمساك كلام الضمير يسمى كتماناً . وقال بعض الحكماء : الصبر ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى . وقد كان أبو العلاء قليل المال كثير العلل والخصوم ، فكان يصبر على محن الأيام والأنام ، وكثيراً ما لمح في شعره إلى صبره كقوله : (١)

طَالَ صَبْرِي فَقِيلَ : أَكْتَمُ شَيْما   نُ وإِنِّي لَمُنْطَوٍ طَيَّانُ

وقوله في اللزوميات : (٢)

غَدَوْتُ وَرَيْبَهُ قِرْنَيْ رِهَانٍ   يُجِيدُ نَوَائِبًا وأُجِيدُ صَبْرًا

وفي نثره كثير من هذا فقد قال في (رسالة الإغريض ص ٥١) (٣) .
« وأما في النسب فمن نزل في محمد الله وبقاء سيدنا بلطفه ، بلغة صبر

(١) اللزوميات ج ١ ص ٣٠٢ ، وذكر [illegible] والشعب [illegible]
لم يأكل شيئاً
(٢) اللزوميات ج ١ ص ١٤٠ .
(٣) رسائل أبي العلاء المعري — لشاهين عطية — [illegible] [illegible] .

وطبعه وفره . . وهو يعد الصبر من خير حالاته التي يكون عليها ، كما يشعر بذلك قوله في السقط : (١)

وَحالي خَيْرُ حالٍ كُنْتُ يَوْماً عَلَيْها وَهْيَ صَبْرٌ واعْتِزالُ

ويرى أن مصائب الدهر تختلف . فمنها ما لا تستطيع النفس احتماله والصبر عليه ولا رده ، ولكنها تصبر عليه كرهاً لا طوعاً ، كما قال : (٢)

والنَّفْسُ لَيْسَ لَها عَلى ما نالَها صَبْرٌ ولَكِنْ بِالكَراهَةِ تَصْبِرُ

وهذا النوع لا يرى في الصبر عليه فضلا ، لأن الصبر فيه عن عجز واضطرار . ومنها ما يستطيع الإنسان احتماله أو رده . وهذا النوع يرى الصبر فيه فضلا لأنه عن قدرة واختيار ، كما يشير إليه قوله : (٣)

وَصَبْرُكَ فَضْلٌ فِيكَ إِنْ كُنْتَ قادِراً وإِلاَّ فمَخرَجٌ مِنْ خلائِقِكَ الصَّبْرُ

احتماله الأذى

وكان شديد الاحتمال للأذى من خصومه ومن عيوبهم ؛ فقد قال له الوزير المغربي (٤) في قصة تأبى : علام حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ؟ فلم يكلمه حتى مات . وقال القاضي عبد السلام القزويني : (٥) لم أعجب أحدا فقال له صدقت إلا الأنبياء فلم يرد عليه شيئا . ووقع له كثير من مثل هذا فاحتمله .

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٩

(٢) اللزوميات ج ١ ص ١٢٢

(٣) اللزوميات ج ١ ص ١١٨ .

(٤) هو أبو نصر أحمد بن يوسف الوزير [illegible] ، [illegible] من أرمينية توفي في ميافارقين سنة ٤٣٧ هـ ، انظر وفيات الأعيان .

(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٧٧ عن إرشاد الأريب — ياقوت .

قناعة وعفاف

قدمنا طائفة صالحة مما يدل على قناعته وعفافه وإبائه . وفي (اللزوم والسقط) أمثلة كثيرة من ذلك .

لين جانبه

لم نجد في كلام خصومه الذين يتتبعون هفواته وسقطاته ، فضلاً عن محبيه وأنصاره ، مايدل على أنه كان شرساً شكساً جافي الطبع متكبراً صلفاً . بل المعروف أنه كان دمث الأخلاق لين الجانب

طهارة يده وذيله ولسانه

لايعرف التاريخ أن أبا العلاء لوث يده باقتراف منكر ، ولا دنس ذيله بارتكاب فسوق أو فجور ، بل كان يترك كثيراً من الحلال خشية الوقوع في الحرام ، وربما منع نفسه عن كثير من الملاذ المباحة زهداً فيها واحتقاراً لشأنها . ولم يحدثنا التاريخ أنه تصدى لإيذاء أحد بلسانه أو بغيره . ولم يعرف أنه هجا أحداً مطلقاً . وقد رويت له أبيات في السقط مطلعها :(١)

وَرَائِي أَمَامٌ والأَمَامُ وَرَاءُ   إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِي الكُبَرَاءُ

ولم يعيّن فيها أحد ، وزعم أنه يخاطب بها رجلاً متخيلاً ، كما فعل في قصيدته المعرية ، وفي بعض أبياته التي يفتخر بها أو يعرض بحساده وأعدائه . وهذا شائع مستفيض عن الشعراء . أما البيتان اللذان قالهما في أبي القاسم :(٢)

هٰذا أَبُو القَاسِمِ أُعْجُوبَةٌ   في كُلِّ مَا يَدْرِي ولَا يَدْرِي ...

(١) شروح السقط ق ١ ص ٣٩٢ .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٩٧ ، عن إرشاد الأريب — منسوب ، وفيه « لكل من يدري ولا يدري » . وثاني البيتين :

لا يحفظ الشعر ولا يحفظ الـــقرآن وهو الشاعر القاري

والبيتان مما لم يرو في الدواوين .

فقد أراد بها التظرف والمزاح . وأغرب من ذلك كله أنك لاتجد في كلامه على كثرته لفظاً بذيئاً ، ولا لفظاً يدل على شيء من أعضاء الإنسان أو الحيوان التي يستهجن ذكرها . وقد اضطر في (رسالة الملائكة) إلى ذكر كلمة فاؤها ولامها من جنس واحد ، وقد تحذف لامها ، وليس لديه إلا كلمة « حرح » فلم يصرح بها وإنما كنى عنها بما يدل عليها .

زهده

الزهد في اللغة : ترك الشيء والإعراض عنه . وفي (اللسان) الزهد : ضد الرغبة والحرص على الدنيا . وأما عند العلماء والمتصوفة فقد اختلفت كلمتهم فيه بحسب أحوالهم ومقاماتهم على أكثر من أربعين قولا . فقيل : الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، لأن الذم من الدنيا وهو مرغوب فيه . وقيل . الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف ، فبقدر ما تملك من بطنك تملك من الدنيا ، وقيل : الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها . وقيل : هو قصر الأمل . وقيل : هو النظر الى الدنيا بعين الزوال . وقيل : هو أن لاتفرح بموجود من الدنيا ، ولا تأسف على مفقود . وقيل : هو بغض المحمدة . وقيل . وقيل . وقيل .

وإذا تصفحنا أقوال أبي العلاء في الزهد تبين لنا أنه زاهد على كل قول . فإنه مثل قوله (١)

يُبعدني عن الناس بُرْءٌ من سقامهمُ ... وقُربُهُمْ لِلْحِجا والدِّينِ أَدْواءُ

. . .

طَهارةُ مثلي في التَّباعُدِ عنكُمُ ... وقُربُكُمْ يجني هُمومي وأدْناسي (٢)

. . .

(١) اللزوميات ج ١ ص ٣٣ ، وفيها : « يبعدني من الناس » . وفي شروح اللزوم — حه حس ، أيري : « يبعدني من الناس »

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٢٩٨

وَخَيْرُ بِلادِ اللهِ ما كانَ خالياً
مِنَ الإِنْسِ فاسْكُنْ في القِفارِ السَّباسِبِ(١)

يمثل زهده في الناس وكراهيته لهم ومثل قوله (٢)

الحَمْدُ لِلّهِ قَدْ أَصْبَحْتُ في دَعَةٍ   أَرْضَى القَلِيلَ وَلا أَهْتَمُّ بِالقُوتِ

• • •

فاتْرُكْ لِأَهْلِ المُلْكِ لَذّاتِهِمْ   فَحَسْبُنا الكَمْأَةُ والأَحْسَلُ(٣)

والأبيات التي تقدمت في طعامه وشرابه تمثل قناعته وزهده في الحرص ومقدار ما يملك من بطنه ، ومثل قوله : (٤)

وَنَحْنُ كَرُكّابِ المَوْجِ ما بَيْنَ بَعْضِهِمْ   وَبَيْنَ الرَّدى إِلّا الذِّراعُ أَوِ الشِّبْرُ

• • •

وأَيّامُ الحَياةِ ظِلالُ عِتْرٍ   وَمَنْ لي أَنْ تَكُونَ ظِلالَ دَوْمِ(٥)

• • •

ومَنْ لَمْ تُبَيِّتْهُ الحُتُوفُ فَإِنَّهُ   سَيَصْبَحُهُ مِنْ حادِثِ الدَّهْرِ صابِحُ(٦)

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٨ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٦٦ .
(٣) اللزوميات ﻫ ص ٢٠٩ ، والأحسل [illegible] واحد [illegible]
(٤) لم نعثر على هذا البيت في دواوين أبي العلاء [illegible] ، وقد ورد في [illegible] ص ١١٨ بيت في [illegible] [illegible] المؤلف [illegible]
عجب ركب الموج يمشون كركب   وبين [illegible] من [illegible] شبر
(٥) اللزوميات ﻫ ص ٢٥١ ، والعتر : نبات قصير يرتفع عن الأرض قدر ذراع ، والدوم : شجر عظيم يعلو في السماء وظله مستحسن .
(٦) اللزوميات ﻫ ص ٨٩ .

يثل قصر أمله في الحياة . ومثل قوله :(١)

يَسعَى الفَتى لابْتِغاءِ الرِّزْقِ مُجتَهِداً
بالسَّيفِ والرُّمحِ فوقَ الطِّرْفِ والجَمَلِ

ولو أقامَ لوافاهُ الّذي سمَحَتْ به المَقاديرُ مِنْ نَقْصٍ ومِنْ كَمَلِ

. . .

ويأتي الفتى رِزْقُهُ وادِعاً ولو كانَ في السَّبقِ عِنْدَ القُدُرْ(٢)

يثل ترك طلب المضمون . ومثل قوله :(٣)

ولو كانَتِ الدُّنيا مِنَ الإنسِ لم تكُنْ سِوَى مُومِسٍ أَفْنَتْ بِما ساءَ عُمْرَها

. . .

بِئسَتِ الأمُّ لِلأَنامِ هِيَ الدُّنْـيا وبِئسَ البَنونَ لِلأُمِّ نَحنُ(٤)

يثل بغض الدنيا . ومثل قوله :(٥)

وما سَرَّني أنّي ابنُ ساسانَ أَعتَدي على المُلْكِ في الإيوانِ أُصبِحُ أم أُمسي

. . .

(١) اللزوميات ج ص ٢١٤ . والطرف : الكريم من الخيل .
(٢) اللزوميات ج ص ١٧٦ والسبق : أرفع موضع في الحلبة ، والقُدُر مفرده قدر وهو أوفى الحظ في جزل .
(٣) اللزوميات ج ص ١٣٨
(٤) اللزوميات ج ص ٢٦٣
(٥) اللزوميات ج ص ٢٩٧ ويروى « أو أمسي » .

وأفضلُ من عيشِ الغنى عيشُ فاقةٍ   ومن زيِّ ملكٍ رائقٍ زيُّ راهبِ (١)

يمثل حبه الفقر . ومثل قوله : (٢)

أأخشى عذابَ اللهِ واللهُ عادلٌ   وقد عشتُ عيشَ المستضامِ المعذّبِ

. . .

وإني ولم آتِ خيراً أعدّهُ   لآملُ إرواءً بغيرِ ذنوبِ (٣)

يمثل ثقته بالله . ومثل قوله . (٤)

وكيفَ أجيدُ في دارٍ بناءً   وربُّ الدارِ يؤذنني بنقلِ

. . .

هوّنْ عليكَ فما الدنيا بدائمةٍ   وإنما أنتَ مثلَ الناسِ مغرورُ (٥)

يمثل نظره إلى الدنيا بعين الزوال . ومثل قوله : (٦)

لا تفرحنّ بما بلغتَ من العُلا   وإذا سَبقتَ فعن قليلٍ تُسبَقُ

. . .

(١) اللزوميات ه ص ٤٦

(٢) اللزوميات ه ص ٥٠

(٣) اللزوميات ه ص ٤٧ ، وفيها

« وإني وإن لم آت خيراً أعده   لآمل إرواء بغير ذنوب »

ويبدو أن المؤلف قد أسقط سهواً (إن) من الشطر الأول لأنه لايستقيم وزنه بدونها .

(٤) اللزوميات ه ص ٢١٨ .

(٥) اللزوميات ه ص ١٢٣ .

(٦) اللزوميات ه ص ١٠٣ .

لا يَفْرَحَنْ بِالْحَيَاةِ عِزٌّ فَإِنَّهَا مَهْلَكًا تَسُوقُ(١)

. . .

لا تَأْسَفَنْ لِفَائِتٍ مَا وَاجِدٌ يُقْضَى لَهُ فِي نَفْسِهِ إِيثَارُ(٢)

يمثل أنه لا يفرح بموجود، ولا يأسف على مفقود. ومثل قوله: (٣)

إِنْ مَدَحُونِي سَاءَنِي مَدْحُهُمْ وَخِلْتُ أَنِّي فِي الثَّرَى سُحِتُّ

. . .

دُعِيتُ أَبَا الْعَلَاءِ وَذَاكَ مَيْنٌ وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَبُو النُّزُولِ(٤)

يدل على أنه يبغض المدح. وهناك أبيات تدل على أنه جرى في الزهد على مذهب قوم آخرين. وعلى هذا يمكن أن يقال: إنه زاهد على كل قول ورأي. وإن تعدد قوله في هذا الغرض ليس من باب التكرار المجرد عن الفائدة. وإنما هو للدلالة على أنه زاهد على كل وجه وفي كل رأي.

حضه على العمل والكسب

رأى بعض الأدباء أن أبا العلاء أكثر من الزهد والتزهيد في الدنيا، وحض على عدم الاسترسال إليها، والانصراف إلى الآخرة. فظن أنه هدام للمجتمع، داعية إلى الخمول والكسل. ومن نظر في أقواله نظر مدقق

(١) اللزوميات ـ ص ٣ .

(٢) اللزوميات ـ ص ١٢٩ .

(٣) اللزوميات ـ ص ٦٢ ، وسحت : [illegible] .

(٤) اللزوميات ـ ص ٢١٩

منصف تبين له بأجلى وجه أنه على غير ما يظن، وأنه يريد بتزهيده في الدنيا وتنفيره عنها أن لا ينخدع بها الإنسان فيجعلها أكبر همه وأقصى أمله، ويغفل عما تقتضيه واجبات الإنسانية في الدنيا، وعما يجب للآخرة. يدل على ذلك ما تراه في أقواله من الحث على العمل، واطراح التوكل، وامتهان النفس في المسألة. كما ترى ذلك في مثل قوله في اللزوم: (١)

أعمَلْ لِأُخراكَ شَرْوى مَنْ يَمُوتُ غَداً
واذأبْ لِدُنياكَ فِعلَ الغابِرِ الباقي

. . .

وقوله: (٢)

تَرُومُ رِزْقاً بأنْ سمّوكَ مُتّكِلاً ... وأدْيَنُ النّاسِ مَنْ يَسعى ويَحترِفُ

. . .

وقوله: (٣)

إذا قِيلَ: إنّ الفَتى ناسِكٌ ... ورامَ الجمالَ فلا نُسكَ لَهْ
يُصلّي وهِمّتُهُ أنْ يُقا ... لَ سابِقُ حيلٍ رِضا(٤) مِسْكَلَهْ(٥)

(١) اللزوميات ه ص ٣٠٧، وشروى: مثل.
(٢) اللزوميات ه ص ٢٩١
(٣) اللزوميات ه ص ٢٠٩
(٤) كذا. (ج)
(٥) المسكل، كمقعد وزناً: الفرس الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل.

وأفضلُ منهُ امرؤٌ خاملٌ يقوتُ بمكسبِه حِسْكِلَهْ[1]

. . .

وقوله : [2]

لا تكوني روّادةً غزّالَه واحذري من نوائبَ جزّالَه
اغزلي[3] في الحياةِ فالشمسُ قِدمًا غزلتْ خيطَها فقيل غزالَه

. . .

وقوله [4]

لا تقومنَّ في المنا حِدِ ترجو بها الزُّلَفْ
مُعمِلاً بسطَ راحتَيْـ ـكَ إلى نائلٍ يُلَفّ
وذُمِ الرزقَ في البلا دِ فمن رُمتَهُ ازدلَفْ

. . .

وقوله : [5]

خيرَ فيما أراهُ لامرأةِ الجنـ ـديِّ من بعدِ زوجِها المقتولِ
إذ[6] أغارتْ حبلَ القناعةِ تبغي الرِّ زقَ من عندِ خيطِها المفتولِ

(١) الحسكل : بالكسر الصغير من ولد كل شيء جمع حساكل وحسكه .
(٢) الروميات « ص ٢٠٩ » .
(٣) في الروميات « عني » وما رواه المؤلف أصح .
(٤) الروميات « ص ٢٩٧ » .
(٥) الروميات « ص ٢٢٣ »
(٦) أغار : شدّ الفتل

وقوله في (الفصول والغايات ج ١ ص ٨٥) :

«وَحارِثُ الأَرْضِ عِنْدَ رَبِّه أَوْجَهُ مِنَ الحَارِثِ الحَرَّابِ[1]»

وقوله في سقط الزند :[2]

وَالموْتُ أَحسنُ بالنَّفسِ التي أَلِفَتْ عِزَّ القَناعَةِ مِنْ أَنْ تَسأَلَ القُوتَا

ولكنه كان يكره طلب الرزق من الحروب كما كان يكره الحروب . يدل على ذلك قوله :[3]

وَأَطْلُبُ الرِّزْقَ بالمُرُورِ مِنَ الشَّجْرَاء لا مِنْ أَسِنَّةٍ ومَناصِلْ

وقد ذكرنا في الكلام على الحروب شيئاً مما يتعلق بهذا .

التشاؤم أو التطير

الشؤم في اللغة : خلاف اليمن ، كما في (اللسان) . ونقيض اليمن كما في (الصحاح) . وضد اليمن كما في (القاموس) وعلماء اللغة قد يتسامحون فيستعملون كلاًّ من الألفاظ الثلاثة : الخلاف ، والنقيض ، والضد ، مكان الآخر . والمناطقة والمتكلمون ومن طبع على غرارهم يفرقون بينها . فالنقيضان عدم لا يجتمعان ولا يرتفعان ، كالعدم والوجود ، والضدان لا يجتمعان ولكن يرتفعان ، كالسواد والبياض . والخلاف ، بمعنى التخالف ، أعم من الضدين ، لأن كل ضدين مختلفان وأهل اللغة يفسرون كثيراً ما يفسرون التطير بالتشاؤم والتشاؤم بالتطير . والسبب في ذلك أن العرب كانوا يزجرون الطير ، فكان أحدهم إذا أراد عملاً أو سفراً أثار الطير من مجاثمها ، فكانوا

(١) الحارث الحراب : ملك من ملوك كندة .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٠ .

(٣) اللزوميات ج ٢ ص ٢٢٦ .

يتشاءمون بارحها ، فسموا الشؤم طائراً وطيراً لتشاؤمهم بها . قال الجوهري: وتطيرت من الشيء وبالشيء ، والاسم منه الطيرة ، مثال العنبة . وهو مايتشاءم به من الفأل الرديء .

وفي (المصباح) : الشؤم الشر ، وتشاءم القوم به مثل تطيروا به . وفيه : وتطير من الشيء واطّير منه والاسم الطيرة وزن عنبة ، وهي التشاؤم . فالتطير والتشاؤم عندهم من جهة المعنى ، لأن المادة التي اشتق منها أحدهما غير المادة التي اشتق منها الآخر ، ولكنهما متفقان في يصدقان عليه ، وهو مايتشاءم به .

وقد ذكر العلماء أمثلة للتطير أو التشاؤم . منها : أن النابغة الذبياني ، وزبان بن سيار ، خرجا يريدان الغزو ، فرأى أحدهما جرادة ، فتطير وقال : حرب ذات ألوان ، ثم رجع عن عزمه . ومنها : أن ابن الرومي تطير من «ظ» و «إقبال» لأنه ينقلب إلى «لابق» . ومن قول العصافير «سيق سيق» ومن رؤية لدرهم كبيثة «اللام ألف» وتحتها نوى تمر . وقـــال : هذا يشبه «لا تمرّ» .

وإذا تأملنا أقوال العلماء في التطير أو التشاؤم ، وما ذكروه من الأمثلة لهما ، تبين لنا أن المراد منهما أن يتوهم الإنسان وقوع شر من شيء أو أمر يجهل عاقبته ، وهو في ذاته ليس شراً متيقناً ، ولا دليل له على مايتوقعه منه كما توقع النابغة أو زبان حرباً ذات ألوان ، لأنه رأى الجرادة ذات ألوان ، وليست الجرادة في نفسها شراً ، وليس لديه دليل قاطع على وقوع ماتوهمه ، بل كان الأمر بالعكس ، لأن رفيقه مضى غنزا وغنم وعاد سالماً غانماً . وكذلك ماتوهمه ابن الرومي .

وكلام أبي العلاء في (رسالة الغفران)[1] ص ١٦١ ، يدل على أنه كان ينكر التشاؤم فقد قال : «ومن أولع بالطيرة ، لم يرِ فيها من خيرة ، وإنما هي شر متعجل ، وللأنفس أجل مؤجل ، وكل ذلك تحذرٌ من الموت الذي هو رِبَقٌ في أعناق الحيوان ، حكمٌ لنافذ في كل أوان ، وفي الناس من يظن أن الشيء إذا قيل جاز أن يقع ، وكذلك[2] قالت العامة : الإرهاف أول الكون ... » ثم قال : «وكان ابن الرومي معروفاً بالتطير ، ومن الذي أجرى على التطير ؟ وقد جاءت عن النبي ـ ﷺ ـ أخبار كثيرة تدل على كراهة الاسم الذي ليس بحسن ، مثل «مرة» و«شهاب» و«الحباب» لأنه يتأوله في معنى الحية» . ثم قال : «وإذا كان الرجل حشارماً[3] لم يزل في الكثكث آرماً[4] إن رأى سمامة[5] من الطير ، حسبها من السمام ، أو حمامة فرق من الحمام» إلى أن قال : «وهذه الطريقة جعلت «ابن الرومي» جعفراً من الجوع والفرار ، ولو هُدي لصرفه إلى النهر الجرار ، لأن الجعفر النهر الكثير الماء ولكن إخوان هذه الخليقة ، لا يحملون الأشياء الواردةَ على الحقيقة» .

ثم ذكر أن الرجل قد يحتفر بئراً له في الشام فيموت في اليمن أو الهند ، وقد يظن أنه يهلك بسبب فيهلك بغيره ، أو أنه يموت على مهاد فيموت في وهاد .

(١) الرسالة بتحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص [illegible]
(٢) في المصدر المتقدم ولذلك
(٣) الحشارم : الرجل [illegible] (ج) .
(٤) الكثكث والكثكث : دقاق التراب ، وفتات الحجارة أو التراب مع الحصى . وأرم : أكل وعض وبلى وشد (ج) .
(٥) السمامة جمع سمام : ضرب من الطير دون القطا وجمعها سمام ، والسِّمام بالكسر ، جمع سم .

وكلامه في (لزوم ما لا يلزم) صريح في إنكار الطِّيَرة، وهو كثير، منه قوله: (١)

أَسْرَرْتَ إِذْ مَرَّ السَّنيحُ تَفاؤُلاً ... والفَأْلُ مِن رَأْيٍ لَعَمْرُكَ فائِلِ
أَرَأَيْتَ فِعْلَ الدَّهْرِ في أُمَمٍ مَضَتْ ... قَتْلاً ومَرْجَ قَبائِلٍ بِقَبائِلِ

. . .

وقوله (٢)

إِنْ تَتَطَيَّرْ أَوْ تَفاءَلْ فَما ... تَمْلِكُ رَيْبَ الدَّهْرِ أَنْ تَرْسُنَهْ
خِيرِيَّةٌ في لَفْظِها خِيرَةٌ ... جاءَتْكَ بِالسُّوءِ مِنَ السَّوْسَنَهْ

. . .

وقوله: (٣)

لا تَفْرَحَنَّ بِفَأْلٍ إِنْ سَمِعْتَ بِهِ ... ولا تَطَيَّرْ إِذا ما ناعِبٌ نَعَبا
فَالخَطْبُ أَفْظَعُ مِن سَرّاءَ تَأْمُلُها ... والأَمْرُ أَيْسَرُ مِن أَنْ تُضْمِرَ الرُّعُبا

. . .

---

(١) اللزوميات ج ص ٢٢٦، والسنيح والسانح: ما أتاك عن يمينك من طائر أو ظبي وأكثر العرب على التيمن به. والمرج: الخلط.
(٢) اللزوميات ج ص ٢٧٠. والخيريّ: المنثور الأصفر.
(٣) اللزوميات ج ص ٣٩.

وقوله : (١)

زَجرَ الغُرابُ تَصَيُّرًا و نَقِيضَهُ ديكٌ لأهلِ الدارِ أبيضُ أفرقُ

. . .

وقوله : (٢)

تَعَرَّضُ لِلطيرِ السَّوانحِ زاجِرًا أَمالَكَ مِن عَقلٍ يَكُفُّكَ زاجِرُ

. . .

وقوله : (٣)

آليتُ لا يَدرِي بما هُوَ كائنٌ مُتَفائلٌ بالأمرِ أو مُتَطَيِّرُ

كالدارِ صَنَّحَها سِوى قُطّانِها فَثَوَوا بِها وتَحمَّلَ المتَدَيِّرُ

. . .

وقوله : (٤)

لِلْحَالِ بالقَدَرِ اللّطيفِ تَغَيُّرٌ فَإِلَيْمَا عَنكَ تفاؤُلٌ وتطيُّرُ

. . .

وقوله : (٥)

لا يَتَطَيَّـــرْ بِناعِبٍ أحدٌ فَكُلُّ ما شاهَدَ الفتى طِيَرَهْ

رُؤْيَتُكَ الميتَ في الكرى سَبَبٌ يقولُ مَن يَفقِدِ الحياةَ يَرَهْ

. . .

(١) اللزوميات ﻫ [illegible]

(٢) اللزوميات ﻫ ص ٢٢١

(٣) اللزوميات ﻫ ص ١٢٦

(٤) اللزوميات ﻫ ص ١٢٥

(٥) اللزوميات ﻫ ص ١٤٤ .

وقوله :(١)

وَمَا طَيْرُ اليَمِينِ بِمُنْجِيَاتِي   فأَخْشَى الهَمَّ مِن طَيرِ الشِّمَالِ

• • •

وقوله (٢)

هَلْ تَرَى نَاعِبًا كَعَنْتَرَةَ العَبْسِيّ يَبْكِي عَلَى مَنَازِلِ عَبْلَهْ

أو خُفَافٍ يَرْثِي رِجَالَ سُلَيْمٍ   أو سُحَيْمٍ يَحْدُو مَعَ الرَّكْبِ إبْلَهْ

لا تَهُمُّهْ وَلَا سِوَاهُ مِنَ الطَّيْرِ فَمَا يَتَّقِي أَخُو اللُّبِّ تَبْلَهْ(٣)

وقد زعم بعض الأدباء أن أبا العلاء كان من المتشائمين ، وزعم آخر أنه في طبيعته متشائم ، وجعل موازنة بينه وبين بعض فلاسفة الغرب المتشائمين ، وذكروا الوجوه التي يتشابه فيها الرجلان ، والوجوه التي يختلفان فيها ، وقالوا : إن أبا العلاء يتطير من بعض الطير ، وقالوا غير ذلك .

وإذا استقرينا أقوال أبي العلاء في هذا الباب ، وجدناها ثلاثة أنواع :

الأول منها مثل قوله في السقط (٤)

سَنَحَ الغُرَابُ لَنَا فَبِتُّ أعِيفُهُ   خَبَرًا أمَضُّ مِنَ الحِمَامِ لَطِيفُهُ

زَعَمَتْ عَوَادِي الطَّيْرِ أنَّ لِقَاءَهَا   بَسَلٌ تَنَكَّرَ عِنْدَنَا مَعْرُوفُهُ(٥)

• • •

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢١٩

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٢٠٩

(٣) [illegible]

(٤) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٣ ١١ ، [illegible]

(٥) في شروح [illegible] معروفه [illegible] وهو من الأضداد .

وقوله فيه(١) :

نبيٌّ من الغربان ليس على شرعٍ   يُخبِّرنا أنَّ الشعوبَ إلى الصَّدعِ
أُصدِّقُه في مِريةٍ وقد امترت   صَحابةُ موسى بعدَ آياتهِ التِّسعِ

إلى آخر الأبيات . ولا شك أن هذه الأبيات [illegible] لا تدل على أنه كان يعتقد صحة الطيرة ، ولا أنه كان متطيراً ، وإنما [illegible] بلاغة هذا المعنى في أبياته ، جرياً على عادة الشعراء [illegible] في نسبة الفراق إلى الغراب ، فجعل الغراب نبياً ، و[illegible] به في هذه الصورة [illegible] البديعة ، ودل على أنه لا يعتقد صحة ذلك بقوله في البيت [illegible] « وعنت عوادي الطير ... » وبقوله في البيتين الأخيرين « وأصدقه في مرية ... » وبقوله في الدرعيات(٢)

وَليسَ عرناني بمزجورةٍ   ما أنا من ذي الحقةِ الأسحمِ

النوع الثاني مثل قوله في [illegible](٣)

يَدعُو الغرابَ أُناسٌ حاتماً أبداً   لأنه بفراقٍ عندهم حتَما
هذا التكذُّبُ ما للجُونِ معرفةٌ   ولا يُبالي أنالَ المدحَ أم شُتِما

وقوله المتقدم « و يغنيك عن [illegible] طوائح [illegible] طمك في الفتن »

وقوله في [illegible] الغراب المتقدم [illegible] وهذا النوع صريح في إنكار التطير أو التشاؤم » .

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٣٢ [illegible]
(٢) شروح سقط الزند ق [illegible] ص ٩ ١٨ ، [illegible]
(٣) اللزوميات ص ٢٤١ [illegible]

النوع الثالث ما تراه في مثل قوله (١) .

وكَيفَ أُقضّي ساعةً بمَسرّةٍ   وأعلَمُ أنّ الموْتَ مِن غُرَمائي

. . .

وإذا الفتى كانَ التّرابُ مآلَهُ   فعلامَ تَسهرُ أمُّهُ وتُرَبّتُ (٢)

. . .

تَهوى السّلامةَ والقبورُ مَضاجِعٌ   سَلِمتْ عنِ اليَقَظاتِ مُضطَجِعاتُها (٣)

وكيفَ أُرجّي مِن زماني زيادةً

وقدْ حذفَ الأصليَّ حذفَ الزّوائِدِ (٤)

. . .

تَعَبٌ كُلُّها الحياةُ فمَا أعـ   ـجَبُ إلاّ من رَاغِبٍ في ازدِيادِ (٥)

. . .

وجدتُ الموتَ للحيوانِ داءً   وكيفَ أُعالِجُ الداءَ القديمَا (٦)

وما دُنياكَ إلاّ دارُ سُوءٍ   ولَستَ على إساءتِها مُقيمَا

(١) اللزوميات هـ ص ٢٦

(٢) « « هـ ص ٦١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) اللزوميات هـ ص ١٠٥

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٢٧٧ .

(٦) اللزوميات هـ ص ٢٤٢

إلى آخر الأبيات .

فهذا وما أشبهه ، كله لا يرى فيه بعض شيئاً مما يراه في قصة النابغة وابن الرومي وشبهها ، ولا يرى شبهاً بينه وبينه . لأن كلامه هذا ، مما يدل على الحقيقة الواقعة في الحال ، وهو يدل على الحقيقة متوقعة في المستقبل . مثله في ذلك مثل الطبيب الحاذق إذا عرض عليه مريض فرأى من حاله ما يدل على تفاقم مرضه ، أو على هلاكه بسبب المرض فحسب ما أرشده إليه طبه وذوقه عليه عنده ، فإذا سألنا هذا الطبيب عن حقيقة حالة المريض ، وعن المباح له بأكل ما يشتهيه ، فإن أخبرنا بخلاف الواقع كان كذاباً خداعاً ، وإن أخبرنا بالحقيقة كان صادقاً ، ولكن من يعده متشائماً لأنه دل علينا وأخبرنا بالحقيقة ؟ والحكماء والشعراء في باب الوعظ والإرشاد قد يجمعون بين التهويل والتخفيف ، ويجمعون حكم الأكثر بالجميع . وقد يقصرون في باب التحذير ويسهبون من الشيء على ذكر مساوئه ومضاره ، ويسكتون عما يكتنفه من ملاذ ومنافع . وقد ذكرنا غير مرة أن كتب أبي العلاء ليست كتب ترغيب تقدر فيها لأنفسنا على قدر الطاقة ، وإنما هي كتب أدب ، وحكمة يجري فيها على طريقة الأدباء والحكماء .

وقد كان علي بن أبي طالب (ص) يخطب مرة ، فقال له رجل : « يا أمير المؤمنين ، صف لنا الدنيا ، فقال : ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من صح فيها أمن ، ومن مرض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن »(1)

---

(1) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠ (ج)

وقال في خطبة أخرى : « انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها ، الصادفين عنها ، فإنها والله ، عما قليل تزيل الثاوي الساكن ، وتفجع المترف الآمن ، لا يرجع ما تولى منها فأدبر ، ولا يُدرى ما هو آت منها فينتظر ، سرورها مشوب بالحزن ، وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن »

وقال في خطبة أخرى : « ألا ما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة ، وما يصنع بالمال من عما قليل يُسلَبُه ، ويبقى عليه تبعته وحسابه ؟ » .

وننظر كيف تحدث علي (ع) في الدنيا وهو أمير المؤمنين ومن أئمة الزاهدين والمرشدين ، وكيف نصحهم ولم يعد من المتشائمين .

وللشعراء والحكماء في باب التزهيد والوعظ ألوان مختلفة وصور متعددة من التحذير من الدنيا ، والتخويف من الاغترار بما فيها من نعيم زائل ، والتذكير بالقبر والبلى ، وربما كان المزهد أو الواعظ منغمساً في ملاذه مستمتعاً في حياته ، فهذا أبو تمام يقول من قصيدة مطلعها (١)

أتأملُ في الدُّنيا تجدُّ وتعمُرُ ... وأنت غداً فيها تموتُ وتُقبَرُ

وهذا صباحُ اليوم ينعاكَ ضوؤهُ ... وليلتُهُ تنعاكَ إن كنتَ تشعرُ

فلا تأمَنِ الدنيا وإن هي أقبلت ... عليكَ فما زالت تخونُ وتغدرُ

فما تمَّ فيها الصفوُ يوماً لأهلهِ ... ولا الرَّنْقُ إلا ريثما يتغيَّرُ

فهذي الليالي مؤذناتك بالبلى ... تروحُ وأيامٌ كذلكَ تبكرُ

ويقول من قصيدة أخرى مطلعها (٢)

ألم يأنِ تركي لا عليَّ ولا ليا ... وعزمي على ما فيه إصلاحُ حاليا

(١) ديوانه شرح محيي الدين خياط ص ٤٨٢
(٢) المصدر السابق ص ٤٨٣

وما تسرح الأيام تحذف مدتي | بعدّ حسابٍ لا كعدّ حسابيا
لتمحو آثاري وتخلق جدتي | وتخلي من ربعي بكرهٍ مكانيا
أقول لنفسي حين مالت بصفوها | إلى حضرات قد فتحن أمانيا
هبيني من الدنيا ظفرت بكل ما | تمنيت أو أُعطيت فوق الأمانيا
أليس الليالي غاصباتي مهجتي | كما غصبت قبلي القرون الخواليا

. . .

ويقول : (١)

إن شئت أن يسودّ ظنك كله | فأجله في هذا السواد الأعظم

وهذا البحتري يقول من قصيدة (٢)

أطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها | فما العاقل المغرور منها بعاقل
يسار بنا قصد المنون وإنما | لتشغف أحياناً بطيّ المراحل
عجالاً من الدنيا فأسرع سعينا | إلى أجل منها شبيه بعاجل
عمينا عن الأيام أطول عملة | وما نحوها المخشيّ عنا بغافل
تعلّق رواد الفناء وفتّشت | دواعي المنون عن جوادٍ وباخل

(١) ديوانه – شرح [illegible] ص ٣١٢ وهو البيت السابع من قصيدة مدح بها [illegible]

[illegible]

ولو [illegible] أُعطي [illegible] الأدنى [illegible]

(٢) ديوانه [illegible] ١٣٨ [illegible] من قصيدة مدح بها [illegible] بن ميكال ، مطلعها

تقضّى [illegible] وأعيى الشمس عن ملاء سواده

وكتب الوعظ والأدب مكتظة بمثل هذا من التنفير من الدنيا والنظر إليها بمنظار قاتم، حتى من أناس مغمورين بنعيم الدنيا، غرقى في ملاذها ومسراتها. ولم يعدّ أحد منهم متشائمًا، لأن طبيعة الوعظ تقتضي ذلك. وما رأينا ولا سمعنا واعظًا يعدد أصناف النعيم في الحياة ويحض عليها، لأن النفوس البشرية لا تحتاج إلى ذلك.

نفي التشاؤم عنه

إذا تأملنا سبيل الزاهدين والوعـاظ والمرشدين من الأئمة والحكماء والعلماء والشعراء، وأنعمنا النظر فيما قاله المعري في معنى التشاؤم والتطير، وفيما ضربه لهما من الأمثال اتضح لنا أن أبا العلاء غير متشائم، وأن ما في كلامه مما يوهم ذلك بيان للحقيقة الواقعة في المـاضي أو الحال أو المتوقعة في المستقبل وقد فرض عليه التشاؤم فرضا، وألزم به وهو لم يلتزمه، وأن سبيله في التزهيد سبيل غيره، إلا أنه أكثر منه، لأن احتقاره الدنيا وأهلها كان أكثر، وتفكيره فيها كان أدق وأعمق، وكرهه لها أشد لأنها فجعته ببصره وهو صغير، ثم فجعته بأبيه ثم بأمه فتركته عاجزا لا يستطيع شيئا إلا بغيره. وهناك شيء آخر وهو أنه كان غزير المادة، واسع الاطلاع قوي البديهة فيـاض القريحة كثير الابتكار والاختراع محبا للحكمة والأمثال، وكان يحب أن يعرض عبقريته على الناس في نثره ونظمه، وكان يربأ بنفسه عن المدح إلا لضرورة، ولا يحب الهجاء ولا الغزل إلا قليلا، فلم ير في الأغراض أوسع مجالاً من نقد الدنيا وأهلها، والتحذير منها ويستطيع أن يكون مخصبا في هذا الغرض، وأن يعرض صوراً رائعة من فلسفته وحكمته وخياله وافتنانه، على أن هذا الغرض أقرب إلى الله، وأبعد عن الناس، وهذا ما يحبه ويرتضيه.

ولعل أول من نعته بالتشاؤم فريق من المستشرقين ، ثم تبعهم جماعة من المشارقة المولعين بكل غريب ، ولو كان باطلاً صريحاً . وظنوا أنهم أطرفوا الأدب العربي بما لم تستطعه الأوائل .

ويظهر لمن استقرى آراء متشائمين وأفراقهم ، أنهم فريقان . فريق متشائم مطلق ، وهذا يعتقد أن الوجود كله شر محض وأن العدم خير منه . وفريق متشائم في بعض الأشياء دون بعض ، وهذا لا يعتقد أن الوجود شر مطلق ، وإنما يعتقد أن في الدنيا شيئاً من الخير وشيئاً من الشر ، وأن العاقل يستطيع أن يتغلب على الشر بسعيه وجده .

اعتقاده في الخير والشر

بينا أن أبا العلاء غير متشائم للأسباب التي ذكرناها ، وأن اعتقاده في الخير والشر ، فالظاهر من أكثر أقواله أنه لا يعتقد أن الوجود شر مطلق ، وإنما يعتقد وجود الأمرين معاً ، فيوافق الفريق الثاني من المتشائمين أو هم يوافقونه ويدل على هذا أمور :

١ — منها أنه يعتقد تنزه الله عن الشر ، ولا ينسب إليه إلا الخير . ولو اعتقد فيه الشر المطلق لما أثبت له صفات الكمال والخير ، ولما اعتقد أنه عادل حكيم رحيم ينشئ الطالع ويجري الشمس ويضاعف الأجر .

٢ — ومنها أنه أثبت وجود الخير في الدنيا ، كما أثبت وجود الشر ، في مثل قوله :(١)

خيرٌ وشرٌ وليلٌ بعدهُ وَصبحٌ   والناسُ في الدهرِ مثلُ الدهرِ صِنْوانِ

* * *

(١) اللزوميات ، ص ٢٧٢ ، ورويها : « قنان » .

وَيَعْلَمُ كُلٌّ أَنَّ لِلْخَيْرِ مَوْضِعاً وَفَضْلاً عَلَى إِثْبَاتِهِ أَجْمَعَ الأُمَمُ (١)

. . .

وَلَا تَكُنْ لِسَبِيلِ الشَّرِّ مُنْتَكِراً

وَاصْرِفْ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ نَهْجِ الْهُدَى سُبُلَكْ (٢)

٣ - [illegible] في مثل قوله . (٣)

وَالْخَيْرُ مَحْبُوبٌ وَلَكِنَّهُ يَعْجِزُ عَنْهُ الْحَيُّ أَوْ يَكْسَلُ

. . .

وَالْخَيْرُ أَزْهَرُ مَا إِلَيْهِ مُسَارِعٌ وَالشَّرُّ أَكْدَرُ لَيْسَ عَنْهُ مُحْجِمُ (٤)

. . .

وَالْخَيْرُ بَيْنَ النَّاسِ رَسْمٌ دَائِرٌ وَالشَّرُّ نَهْجٌ وَالْبَرِيَّةُ مَعْلَمُ (٥)

. . .

وَالْخَيْرُ يَغْدِي [illegible] أَرْضاً فَلَمَّا رَآهَا رَائِحٌ قَطَلَا (٦)

. . .

مَا الْخَيْرُ صَوْمٌ يَذُوبُ الصَّائِمُونَ لَهُ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا صُوفٌ عَلَى الْجَسَدِ (٧)

وَإِنَّمَا هُوَ تَرْكُ الشَّرِّ مُطَّرَحاً وَنَفْضُكَ الصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدِ

(١) [illegible] ٢٢٨

(٢) [illegible] ١٠ .

(٣) [illegible] ص ١ ٢

(٤) [illegible] ص ٢٣٥ [illegible] أزهر .

(٥) [illegible] ص ٢٣١ [illegible] .

(٦) [illegible] ص ٤ ٢

(٧) اللزوميات [illegible] ص ٩ ١

والقاعدة عند العلماء أن ثبوت شيء لشيء فرع عن ثبوت المثبت له ، يعني : إذا قلت : الشمس مضيئة ، فقد أثبت الإضاءة للشمس ، وثبوت الإضاءة للشمس دليل على ثبوت الشمس وفرع عن وجودها

وقد حضّ على الخير في مواطن من شعره مثل قوله (1)

بدارِ بدارِ الخيرَ يا قلبُ تائباً ألستَ بدارٍ أنّ منزليَ الرَّمسُ

ولا يناقض هذا مثل قوله (2)

من ادّعى الخيرَ من قومٍ فهم كَذُبٌ لا خيرَ في هذهِ الدُّنيا ولا خيرُ

وقوله : (3)

ما كانَ في الأرض من خيرٍ ولا كرمِ

فصل من قال إنّ الأكرمين فنوا

وإنه من باب الغلو الذي [illegible] في الفكر والتعبير ، كما في قوله : [illegible] في [illegible] ، [illegible] هذه [illegible] ويجد [illegible] من الأبيات الآتية . ومما يدل على هذا أنه صرح مرة بوجود الخير في [illegible] وغيره ، وصرح مرة أخرى بندرته في مثل قوله (4)

والخيرُ يندُرُ تاراتٍ فنعرفه ولا يُقاسُ على حرفٍ إذا ندرا

. . .

(1) اللزوميات هـ ص ٣٠٩

(2) اللزوميات هـ ص ١٢٢ .

(3) اللزوميات هـ ص ٢٦١

(4) اللزوميات هـ ص ١٤١

حياؤه

وكان شديد الحياء، دقيق الحس، شديد الاحتراس، حتى حمله ذلك على أن يأكل وحده في معزل حذراً من أن يرى مؤاكله أو غيره ما يكرهه منه. وكثيراً ما كلفه الناس نظم قصائد وكتابة رسائل وإنشاء خطب وتأليف كتب فكان الحياء يمنعه من أن يخيب أحداً منهم، ولم يخبرنا التاريخ أنه رد سائلاً أو صد مستجدياً.

صدقه

لم ينقل إلينا التاريخ أن أبا العلاء كذب في شيء مطلقاً، ولو أن معاصريه عرفوا عنه غير الصدق لم يدع له صديقاً، ولو ظفر أحد من حساده وأعدائه على كذبهم بكذبة منه لشهروها في القاصية والدانية. أما قوله (١)

أُصدقُ إلى أن تُصيبَ الصدقَ مَهلكةٌ وَبَعدَ ذلكَ فاقعُدْ كاذباً وَقُمِ

فالمَيْنُ مَيتةُ مُضطرٍّ أَلمَّ بها والحوتُ كالماءِ يُجفى خيفةَ السَّقَمِ

فهو حض على الصدق وتنفير من الكذب إلا عند الضرورة الملجئة، وإبداع في التشبيه، وإحكام للمطابقة، وبيان للحقيقة الواقعة في عصره. وهو قول محض لا يدل على أنه فعل الكذب.

وقد قدمنا قوله في (الفصول والغايات ج ١ ص ٢٠٩): «كذبت وأنا وليد فقلت: فلان مات. لا أختار لرجل صدق ما ولد له أن يدعى أنه فلان.»

يدل على حبه الصدق في كل شيء، حتى في الكتابة،

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٤٨.

وكذلك قوله في اللزوم :(١)

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فَلا حَظَّ لِي ... فِي كَذِبٍ يَنْظِمُهُ السَّارِدُ

وقد جعل الكذب مساوياً للظلم، وفضّل الصخرة على أفضل الناس لأنها لا تكذب ولا تظلم.

فقال (٢) :

أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ ... لا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلا تَكْذِبُ

جرأته

وكان على ضعف جسمه جريئاً قوي القلب، لا يخاف في الحق لومة لائم، وفي حديثه مع الشريف المرتضى حين أراد أن يغض من كرامة المتنبي دليل أوضح من الشمس على رباطة جأشه وجرأته، وكذلك قوله في مجلس المرتضى : « الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً » وأدل من ذلك كله تصريحه بما يعتقده، ومجاهرته بانتقاد الشرائع ونظام الاجتماع، وهزؤه بالأمراء والوزراء والشعراء وسائر أصناف الناس من غير مبالاة ولا جزع . وفي هذا مثال حي يدلك على مقدار ما كانت تتملكه النفس المضطربة من القوة والجرأة .

التقية

وزعم صاحب (الذكرى)(٣) أن أبا العلاء كان يتظاهر بالصيانة أحياناً، ويلطّف من سخطه أحياناً تقيةً وخوفاً ببعضه . وقد بينا بطلان ذلك في مواضع من هذا الكتاب .

(١) اللزوميات ج ص ١
(٢) اللزوميات ج ص ٣٦
(٣) انظر ذكرى أبي العلاء لطه حسين – ط ٢ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٧ .

وفاؤه واعترافه بالجميل

فما وجدنا إنساناً رجلاً وفياً لأصحابه، شكوراً للجميل، مقراً بالنعمة مثل أبي العلاء. فإنه حافظ جميله من علماء العراق وغيرهم، فكان كثير التشوق والتوجع إليهم، كثير الثناء على ما أسدوه إليه من حسن العشرة ولؤسه، وقد أثنى عليهم في قصائده ورسائله، وذكر أن لهم أيادي جمة عنده، وليس لهم غير ماد كره.

وكان أبو الحسين علي بن أبي هاشم وولده أبو الفتح يكتبان للمعري، فأثنى عليهما كثيراً وشكرهما، ووضع لولده كتابين (المختصر الفتحي) و(عون [illegible]) وكان ابن أخيه يخدمه، فأطال الثناء عليه والدعاء له، وإذا كتب إليه أحد كتاباً عده نعمة تستوجب الشكر، وبالغ في الثناء عليه وعلى أدبه. وإذا مدحه أحد بالمدح غالى في شكره ومدحه. وقد ذكرنا طرفاً من ذلك يدل على أنه صادق حين حدثنا عن نفسه بقوله (١)

وإن وَصَلتْ فشكري شكرُ روضٍ ترضّى ببَرقٍ من الأمطارِ خُلَّبِ

تواضعه

كان أبو العلاء شديد التواضع، يحب أن يتضاءل ويصغر شأنه حتى يكاد يخفى لا سيما في علمه وأدبه، وقد قال التبريزي (٢): «إنه كان يكره أن يقرأ شعره في صباه الملقب بسقط الزند ... ، ويقول معتذراً من امتناع سماعه: مدحت نفسي فيه فلا أشتهي أن أسمعه».

وقد بلغ من تساهله في تواضعه أن يكره مدحه وكتبه له بشعراء بعض المدح

(١) [illegible] ص ٤٨، و [illegible] وجعله لزوميات، [illegible]
[illegible] فشكري شكر [illegible]».

(٢) انظر مقدمة التبريزي في شرح سقط الزند، شروح السقط ج ١ ص ٢

فقال (١)

وأحمدُ سمّاني كبيري وقلّما فعلتُ سوى ما أستحقُّ به الذمّا

. . .

دُعيتُ أبا العلاء وذاك مَيْنٌ ولكنّ الصحيحَ أبو النزول (٢)

وسأل ذويه أن لا يعلوا إلى كرمه

سألتكمُ لا تكنّوني لتكرمةٍ وصغّروني نصيحاً ... (٣)

وما ألومكَ في خفضي ومنقصتي لكن ألومك في رفعي وتفخيمي

وكتبه مفعمة بما يدل على تواضعه ، منه قوله في رسالة ... « من أدبي في أدبه إلا كالمصدر في المصادر ، والنحلة عند النحلة » وقوله في رسالة الإغريض (٤) « وكنت عرفت ... الأدب كعهود في غب عهود . وأني نزلت من ذلك الصرح ... كثير وصغير » وقوله في رسالته إلى صدقة بن يوسف الفلاحي (٥) « ... في صدر العمر ... فقلت عالم ، والحق بذلك هو الظالم ... » ونشأت في بلد لا عالم فيه ... بالحوارع السامية ... » وقوله في (الفصول والغايات ص ٢٦٦) « لو كنت عبداً لغير الخالق لم يجر ... عتقي في الكفور ، ولو كنت ... لم أعرى »

(١) اللزوميات ، ص ٢٣٨ .
(٢) اللزوميات ، ص ٢١٩ ، ... .
(٣) اللزوميات ، ص ٢٥ .
(٤) رسائل أبي العلاء المعري ـ شاهين عطية ـ ص ٢٩
(٥) ... ص ٥١ ، ... وهو ... .
مثل أوله ... .
(٦) رسائل أبي العلاء ـ شاهين عطية ـ ص ٩٥ ـ ٩٧ ... .
ص ٣٥١ ـ ... .

في الأصمعية » وقوله في (رسالة الملائكة ص ٥) « وحق لمثلي أن لا يسأل ، ومن مثل نفسي عليه أن لا يجيب ، ومن أحس عورته على السامع أن لا يسمع منه ، ومن علم بسخائه ومرضه أن لا يكتب ما يقول . »

وفي (لزوم ما لا يلزم) ألوان مختلفة من ذلك كقوله (١) :

مَاذَا تُرِيدُونَ لَا مَالٌ تَيَسَّرَ لِي فَيُسْتَمَاحُ وَلَا عِلْمٌ فَيُقْتَبَسُ

وقوله (٢)

أَجْهَلُ مِنِّي رَجُلٌ يَبْتَغِي عِنْدِيَ مَا لَسْتُ لَهُ مُحْسِنَا

وقوله (٣)

مَنْ يَبْغِ عِنْدِي نَحْواً أَوْ يُرِدْ لُغَةً فَمَا يُسَاعَفُ مِنْ هَذَا وَلَا هَذِي

وقوله : (٤)

لَوْ يُنَادَى فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَيْهَا مَا اشْتَرَاهَا أَخُو رَشَادٍ بِفَلْسِ

تتمة

ولا يرد على ما ذكرناه من تواضعه ما ورد في كلامه في باب الفخر من الأشياء الدالة على تعاظمه وإكباره نفسه ، لأن ذلك شيء كان في عهد الحداثة ، ولأن طبيعة الشعر تقتضي ذلك والفخر غرض من أغراض الشعر يتنافس فيه الشعراء وقد خلا شعر شاعر مجود منه ، والإتيان به لا يكون

(١) اللزوميات ه ص ٢٩٣

(٢) اللزوميات ه ص ٢٢٠ .

(٣) اللزوميات ه ص ١١٧ .

(٤) اللزوميات ه ص ٣٢٥ .

ولا في مدح المرء نفسه وقومه ، وسنأتي بأمثلة رائعة من كلامه في الفخر كقوله من قصيدة يقول فيها (١) :

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمس ضوؤها متكامل

وقوله من قصيدة ثانية (٢)

وكم من طالبٍ أمدي سيلقى ... دُوينَ مكانيَ السبعَ الشدادا

وما ذكرنا كل هذا من أبيات لقصيدتين وغيرهما ، وقد قدمنا أنه كان لا يحب أن يتضمنَ شعرُه هذا لما فيه من المدح لنفسه .

كره الظلم

تعاقبت الشرائع السماوية ، وحكمت أهل العقول على تحريم الظلم وتقبيحه ، ولم تتشدد شريعة من الشرائع في تحريمه بقدر الشريعة الإسلامية ، وفي القرآن الكريم نهي عنه في غير موضع ، وتحذير وإنذار ووعيد لأهله .

وكتب الأحاديث النبوية طافحة بمثل ذلك ، منها قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى (٣) « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » ، ومنها قوله (٤) لمعاذ لما بعثه إلى اليمن « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ، ومنها قوله (٥) « اتق دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة » .

(١) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٥٢٣ .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٥٦٥

(٣) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه (ج) .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي مختصراً ومطولاً (ج)

(٥) رواه الحاكم (ج)

ومنها قوله (١) : « اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام ، يقول الله : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » ومنها قوله (٢) : « إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد » . إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتب السنة .

وأبو العلاء كان يكره الظلم ولو كان من ورائه ما ينفعه ، ويقبحه ولا يجوزه في حال من الأحوال ، ويعيب على الظالمين وذلك حيث يقول (٣) :

وما سرني أني أصبت معاشراً ... بظلم وأني في النعيم مخلد

ويقول (٤) :

والظلم عندي قبيح لا أجوزه ... ولو أطعت لما فاؤوا بأجلاب

ولقد فضل الحجارة على الإنسان لأنها لا تظلم غيرها في مثل قوله (٥) :

أفضل من أفضلهم صخرة ... لا تظلم الناس ولا تكذب

(١) رواه [illegible] (ح)

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي

[illegible] (ح)

(٣) اللزوميات ج ١ ص ٨٩ .

(٤) اللزوميات ج ١ ص ٤٨ ، [illegible]

(٥) [illegible] ص ٣٤٩

وفضّل صاحبَ الشرطة العادل على العدل الجائر فقال :(١)

صاحِبُ الشُّرْطَةِ إنْ أنصفني   فَهُوَ خيرٌ لِيَ مِنْ عدلٍ ظَلَمْ

وقد تعرض للظلم في مواضع من شعره ، منها قوله في وصف ناقة بالسرعة :(٢)

رَوحُ الظَّلومِ إذا هوتْ وإذا رقتْ   فكأنما هي دعوةُ المظلومِ

وفيه إشارة إلى الحديث الثالث « تصعد إلى السماء كأنها شرارة »
ومنها قوله :(٣)

لاشيءَ في الجـــوّ وآفاقهِ   أصعدُ من دعـــوة مظلومِ

وقوله :(٤)

والظلمُ يُمهلُ بعضَ من يسعى لهُ   ويُحلُّ نقمتَه بنفسِ الظالمِ

وفيه إشارة إلى الحديث الرابع والخامس ، ومن الغريب قوله :(٥)

عَجِبَ النَّاسُ للجنيـــب إذا مسّهُ الألَمْ
عَلِمَ اللهُ أنّـــهُ إنْ يُطِلْ عُمرَهُ ظَلَمْ

(١) اللزوميات هـ ص ٢٥٦ .
(٢) اللزوميات هـ ص ٢٥٣
(٣) اللزوميات هـ ص ٢٥١
(٤) اللزوميات هـ ص ٢٥٣
(٥) اللزوميات هـ ص ٢٥٨ .

وإن كان من نوع حسن التعليل عند أهل البديع فهو حسن جداً ، وإن كان يعتقد أن الله يحرمه عقاباً له على ما يفعله إذا طال عمره فهو غير صحيح ، لأن الله لا يعاقب على ذنب من لم يقترفه ، ولا يعاقب غير مكلف بلغ سن التكليف . ويعتقد أن الشر كامن في كل نفس ، تظهره عند إمكان إظهاره ، وتخفيه عند عدم ذلك .

كان تقيا قبلَ إمكانه ‏ حتّى إذا مُكِّنَ منها ظلمْ[1]

وهو يشير إلى قول المتنبي :[2]

الظلمُ من شِيَمِ النفوسِ فإن تجدْ ‏ ذا عفّـــة فلعلّةٍ لا يَظلِمُ

ويعمم الشر مهما كان صاحبه ، سواء أكان تقياً صالحاً أم شقياً طالحاً ، فهو يعتقد أن

ظُلمُ الحمامةِ في الدُّنيا وإنْ حُسِبَتْ

في الصّالحاتِ كظُلمِ الصّقرِ والبازي[3]

رأفته ورقة قلبه

من نظر في شعر المعري حين يتكلم في الدين ، يظن أن قلبه قُدّ من صخر ، ولكن من يقرأ شعره بدقة لا يجد قلباً من قلوب البشر وعى من الرأفة والرفق والعطف على كل حي مثلما وعاه قلب المعري ،

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٨٧

(٢) من قصيدة مطلعها

[illegible]

[illegible]

(٣) اللزوميات ج ٢ ص ١٧٤

والذي حمله على ما يرى من القسوة على الإنسان في كلامه ، حرصه على أن يكون الإنسان إنساناً كاملاً طاهراً من أدناس الخداع والرياء والكذب ، وما أشبه ذلك من الخلال السيئة ، فهي قسوة ولدتها الرحمة به ، لأنه لا يريد أن يكون الآدمي دنساً في مسلاخ إنسان . ورقة شعوره عطفت أمري على الحيوان الأعجم الضعيف أكثر من عطفه على الإنسان العاقل القوي المحتال . فهو يرفق بالحيوان ويرحمه ، فلا يأكل من لحمه ، إذ لا يصل إلى ذلك إلا بذبحه ، وفي الذبح إيلام لحيوان يحس كما يحس الإنسان بالألم ، ويحرص على الحياة كما يحرص الإنسان عليها ، ويتوقى من الأذى كما يتوقى الإنسان . ويريد رأفة بالحيوان الضعيف ، فلا يرى من الرحمة أن تفجع الطير بأوكارها ، والسمك في مساربه ، ويشق عليه أن تذهب الأم لتكسب لأفراخها أو أولادها ما تسد به الرمق من طعام أو شراب فيفجعها صياد فيودي بحياتها ويتلذذ بلحمها ، ويلقي أولادها وليس هناك من يعولها ، فتموت جوعاً أو عطشاً .

ويؤلمه أن يفجع ولد الحيوان أو يمنع من لبن أمه ليتمتع غيره به أو ليرفه به غيره ، ويكره أن تدأب النحلة وتصعب على جمع العسل ليكون غذاءً لها ولصغارها ، ثم ينتزع منها قسراً ، ويعطى من يكسبه لا يستحقه عنه بغيره أو يبيع لمن لا حاجة له به إلا قضاء الشهوة . وقد قدمنا نبذة من قوله ما يكرهه من هذا النوع وسيأتي في باب آرائه في الحيوان والإنسان ما يدل على أمره بالإحسان لكل ذي روح وجهه عن إيذائه من الحيوان وغيره . ولقد غالى في عطفه على الحيوان حتى حض على تسريح البرغوث أبر من درهم يعطى لمحتاج ، وسوّى بين إطلاق ... والبرغوث للداعي . على أنه يجوز أن يكون مراده بمثل هذا القول الدلالة على

شدة تدمره من أعمال الإنسان ، أو أن يريد إفناء غير الصالح منه ، وقد سبقه إلى مثل هذا المبدأ نوح ﷺ حين قال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ (١) .

رأفته بالإنسان

لا يقل عطفه على الإنسان عن عطفه على الحيوان ، فهو يحض على الإحسان للضعيف والمعتر والعاري والظامىء في مثل قوله : (٢)

إذا كُنْت في نخل جناهُ مُيسّرٌ ... لكفك فاهتف بالضعيف إلى النخل

. . .

إذا أُوتيت ملء يدٍ طعاما ... فأطعمْ من عراك ولو كظفرِ (٣)

. . .

وأسد إلى من تشكو قرّة سملاً ... من الثياب وأورد ظامئا سملات (٤)

(١) [illegible] لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا . [illegible] سورة نوح
(٢) اللزوميات ج ١ ص ٢١
(٣) اللزوميات ج ١ ص ٣٠٠ ، [illegible] أي [illegible] معروف
(٤) اللزوميات ج ١ ص ١٩١ ، [illegible] والسمل
الثوب الخلق . والسمل في آخر البيت : بقية الماء .

ويحض على معاملة الرقيق بالحسنى في أبيات كثيرة منها قوله :(١)

أسأتَ بعبدكَ في عسفهِ ... وحمّلت عيرَكَ ما لم يطقْ ...

. . .

إذا كسرَ العبدُ الإناءَ فعدَّهُ ... أداةً له إنَّ الإناءَ إلى الكسرِ..(٢)

رقيقكَ أسرى في يديكَ فلا تكنْ ... عنيفاً عليهمْ واتقِ اللهَ في الأسرِ

. . .

ولا تثبتنْ قرنَ العبدِ شارحاً ... وصيغة إذ صار من كرهما(٣)..

ويحض على رحمة الأعمى والأصم :

تصدّقْ على الأعمى وخذْ بيمينهِ ... لتهديَهُ وامننْ بإفهامكَ الصمّا

وهو من دعاة المشاركة في النعم ، وإلى إكرام الضيف ، ويقبح الحروب وإراقة الدماء في حب دولة ، ويعد الإقدام على ذلك بعداً عن السداد والرشاد :

فإنْ ترشدوا لم تخضبوا السيفَ من دمٍ

ولمْ تلزموا الأميالَ سبرَ الجرائحِ (٤)

١) اللزوميات ج ٢ ص ٣٠٨

٢) اللزوميات ج ١ ص ١٤٧ وفيه [illegible]

٣) اللزوميات ج ١ ص ٢٣٨ ، [illegible]

٤) اللزوميات ج ١ ص ٨٤ وفيه [illegible]

[illegible]

وصاني في الكلام على أغراض شعره ما يدل على شدة عطفه على الإنسان والحيوان.

رأفته بالمرأة

وقد نظر إلى المرأة من حيث إنها سبب النسل لذي نفس وجه البسيطة [illegible] ، [illegible] وأملا من [illegible] ونظر إليها من حيث إنها هي [illegible] حس وشعور ، وموضع لصنع البر والجميل ، فأولاها من عطفه [illegible] ونهى [illegible] عما أعطاه الرجل ، لأنه يعتقد أن الأجر يلتمس في كل نفس [illegible] ، وإذا [illegible] في شعره على المرأة تبين لنا أن السبب في [illegible] في [illegible] عليه وهما موطن العار والشنار ، وإفراطه في [illegible] في [illegible] ، [illegible] ومن [illegible] ، ومن [illegible] ، ومن [illegible] والتعصب ، ونهى عن [illegible] وفضل [illegible] على [illegible] وأوصى أن يزاد برها وحظها من الإرث ، كما [illegible] ذلك في الكلام على [illegible] في أغراض شعره [illegible] الإنسان [illegible] في [illegible] المعري من الرحمة والرأفة بكل ذي نفس [illegible] لا [illegible] في كثير من [illegible] ، وحسبك دليلا على هذا إعراضه عن أكل [illegible] ، [illegible] عن أكل [illegible] لما وصفه له الطبيب [illegible] في كلامه ما يدل على [illegible] كرهه [illegible] هو [illegible] على [illegible] في [illegible].

هدم زوجه

كان [illegible] العلاء فقيرا [illegible] زاهدا في الحياة وما فيها ، وكانت أمه تقوم [illegible] حياتها ، فلما توفيت كانت حاجته شديدة إلى من يخدمه

ويصلح أموره ، ولا يتأتى مثل ذلك إلا من امرأة ولو أراد الزواج لوجد في بنات عمه وغيرهن من لا يأباه ، ولكنه أشفق أن يحمله الزواج على إنفاق أكثر مما كان ينفقه ، فيضطر إلى أن يقبل شيئاً من إخوته أو بني عمه أو أخواله أو غيرهم ، فآثر أن يصاحب الجهد والتعب مدة حياته ، ولا يبذل ماء وجهه بسؤال

وربما أضيف إلى هذا ما [illegible] من [illegible] والإنفاق عليه ، وهو عاجز عن القيام بأمر نفسه مستطيع بغيره . وهناك شيء آخر ربما كان له أعظم أثر في إعراضه عن الزواج ، وهو رأيه في الولد وإشفاقه مما يلاقيه في حياته من [illegible] كل حي ، كما يشير إلى ذلك قوله (١)

إذا ما اسْتَهَلَّ الطِّفْلُ قالَ وُلاتُهُ ... وإنْ صَمَتُوا عابَ الخُطوبَ ورَشَقَها

وقوله في أبيات منها (٢)

فإمّا أنْ يُرَبِّيهُ عدوًّا ... وإمّا أنْ يُرَبِّيهُ سقيماً ..

وربما خاف ألا يصلح في نسله ، فيكون ذلك منقصاً له في حياته ومسيئاً لسمعته في حياته وبعد مماته ، ويشعر بهذا قوله : (٣)

لو آنَّ بَنِيَّ أفْضَلُ أهلِ عصري ... لما آثَرْتُ أنْ أحْظَى بِنَسْلِ

فكيفَ وقدْ علمتُ بأنَّ مِثْلِي ... خسيسٌ لا يُجيءُ بغيرِ فسْلِ

(١) اللزوميات ج ص ٣٠٣

(٢) اللزوميات ج ص ٣٤٣ [illegible]

(٣) اللزوميات ج ص ٢١٨ ، و [illegible]

وشيء آخر وما كان هو أعظم باعث له على عدم الزواج وهو أنه كان شديد الغيرة ، [illegible] في [illegible] الطبع [illegible] ، حتى [illegible] يريد منع [illegible] ولا الخروج [illegible] الحج [illegible] و[illegible] و[illegible] و[illegible] ونحو ذلك [illegible] وسترها في [illegible] ، [illegible] حتى منه ما لا [illegible] ، ولا [illegible] على [illegible] . وقد [illegible] في [illegible] ، على [illegible] في شعره ، الدعوة إلى [illegible] ، [illegible] إلى عدم الزواج وهذا [illegible] ، [illegible] في الكلام على الزواج والنسل [illegible] .

تقواه

[illegible] أن أبا العلاء كان شديد [illegible] ، [illegible] على [illegible] ، وقد كان [illegible] الصلاة [illegible] من شيء [illegible] ، يدل على ذلك مثل قوله[1]

وشاهد خالقي أن الصلاة له ... أجل عندي من دري وياقوتي

وقد حض عليها في مواضع من شعره كقوله[2]

خذوا سيري فهن لكم صلاح ... وصلوا في حياتكم وزكوا ..

وقوله[3]

إذا كنت في دار الشقاء مصليا ... فإنك في دار السعادة سابق

إذا الحزم لم يبصر بفضل[4] صلاته ... فذلك عند من يد الدهر آبق

(١) اللزوميات [illegible] عندي .

(٢) اللزوميات [illegible] ١٨١

(٣) اللزوميات [illegible] ٢٩٨

(٤) في اللزوميات [illegible] .

ولم يحدثنا التاريخ أنه ترك صلاة في سفر ولا حضر ولا صحة ولا مرض، ولما عجز عن القيام كان يصلي قاعداً، وكان يصوم الدهر ما عدا أيام الأعياد، ولم تجب عليه زكاة ولا حج. ومن تتبع نثره لم يجد فيه ما يخالف التقى، وفي أقواله ما يدل على أنه كان يحب التقى والصمت وعمل الخير والإخلاص في العمل، وأنه يرى التقى أفضل ذخيرة، وذكر الله خير ما يتكلم به المرء، وهذه طائفة من كلامه في ذلك

ليشغلْ بذكرِ الله عن كلِّ شاغلٍ ... فذلكَ عند اللُّبِّ خيرُ كلامِ (١)

* * *

ومَنْ يُبْلَ بالدُّنيا وسوءِ فَعالِها ... فليس له إلا التعبُّدُ والنُّسكُ (٢)

* * *

فعليكَ بالتقوى ذخيرةَ ظاعنٍ ... إنَّ التقيَّةَ أفضلُ الأذخارِ (٣)

* * *

ومنْ يدَّخرْ لطولِ العيشِ مالاً ... فإنَّ تقايَ عندَ اللهِ ذخري (٤)

* * *

أعدُّ أسنى الرِّبحِ فعلَ التقى ... ولا أكونَنَّ من الخاسرين (٥)

(١) اللزوميات ٢ ص ٢٤٦.
(٢) اللزوميات ٢ ص ١٨٢
(٣) اللزوميات ٢ ص ١٦٤
(٤) اللزوميات ٢ ص ١٥٤
(٥) اللزوميات ٢ ص ٢٨٥

وأنه يرى الناسكين خير الناس

ذَوُو النسك خيرُ النّاسِ في كلّ موطنٍ
وَزِيُّهُمُ بَيْنَ المعَاشِرِ خَيْرُ زِيّ (١)

وأن المصيبة بالدين أجل من المصيبة بالموت

مُصيبةَ دينِه لوْ كانَ يَدْري   أجلُّ من المصيبةِ بالدّفينِ (٢)

* * *

وقد ذكرنا عند الكلام في اعتقاده بالله ما يشهد أنه من الأدعياء العرب

(١) لزوميات ٥ ص ٣٤٧
(٢) لزوميات ٥ ص ٢٢٩

رجاؤه وخوفه

الرجاء

«الرجاء في اللغة الأمل والإرادة ، يقال : رجا الشيء إذا أراده ، وقال بعضهم : هو ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة ، وقال آخر : هو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما ، وقال آخر : هو لغة الأمل ، وعرفاً : تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا ، وفي المصباح : «ويستعمل الرجاء بمعنى الخوف ، لأن الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجاه» ، وفي التاج «إنما يستعمل الرجاء بمعنى الخوف إذا كان معه حرف نفي ، ومنه قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا[1] ﴾ المعنى : ما لكم لا تخافون لله عظمة » ونقل نحو ذلك عن الفراء

والرجاء مقام من مقامات السالكين ، وهو عند فريق من الصوفية ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده بعد أن تتوفر فيه جميع الأسباب التي تكون داخلة تحت اختياره ، فإذا آمن الإنسان بالله ، وقام بكل ما يجب عليه من الأعمال الظاهرة ، ونزع ما في صدره من غل وحقد ، وطهره من الأخلاق الذميمة والعقائد الزائفة ، ثم انتظر ثواب الله وعفوه كان انتظاره هذا رجاء محمودا ، وإن لم تتوفر جميع هذه الأسباب وانتظر الثواب أو العفو كان انتظاره هذا غروراً مذموما ، وهذا ما أراده يحيى بن معاذ[2] بقوله «من أعظم الاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو

(١) سورة نوح الآية (١٣) .

(٢) أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، واعظ زاهد ، من أهل الري ، أقام ببلخ ومات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ [illegible] العروسي على شرح الرسالة القشيرية ١ / ١١٩ ، وطبقات الصوفية ١٠٧ – ١١٤

وتوقع القرب من الله بغير طاعة . . . » .

وفي كلام أبي العلاء أمثلة عقلية تدل على أنه كان حسن الظن بالله ، واسع الرجاء في رحمته وعدله ، كثير الطمع بعفوه ، وهذه جملة منها

وَمَا كَانَ ٱلْمُهَيْمِنُ وَهُوَ عَدْلٌ ... لِيُقْصِرَ حِيلَتِي وَيُطِيلَ لَوْمِي [١]

. . .

إِنْ أُدْخَلِ ٱلنَّارَ فَلِي خَالِقٌ ... يَحْمِلُ عَنِّي مُثْقَلَاتِ ٱلْعَذَابِ [٢]

. . .

أُؤَمِّلُ عَفْوَ ٱللهِ وَٱلصَّدْرُ جَائِشٌ ... إِذَا خَلَجَتْنِي لِلْمَنُونِ ٱلْخَوَالِجُ [٣]

. . .

أَأَخْشَى عَذَابَ ٱللهِ وَٱللهُ عَادِلٌ

وَقَدْ عِشْتُ عَيْشَ ٱلْمُسْتَضَامِ ٱلْمُعَذَّبِ [٤]

. . .

وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ آتِ خَيْرًا أُعِدُّهُ ... لَآمُلُ إِرْوَاءً بِغَيْرِ ذَنُوبِ [٥]

. . .

لِيَفْعَلِ ٱلدَّهْرُ مَا يَهُمُّ بِهِ ... إِنَّ ظُنُونِي بِخَالِقِي حَسَنَهْ [٦]

لَا تَيْأَسُ ٱلنَّفْسُ مِنْ تَفَضُّلِهِ ... وَلَوْ أَقَامَتْ فِي ٱلنَّارِ أَلْفَ سَنَهْ

. . .

(١) اللزوميات ج ص ٢٥٢
(٢) اللزوميات ج ص ٥٦
(٣) اللزوميات ج ص ٧٣
(٤) اللزوميات ج ص ٤٥
(٥) اللزوميات ج ص ٤٧ ، ومنها : [illegible] ، والذنوب : الدلو إذا كان فيه ماء
(٦) اللزوميات ج ص ٢٧١

الخوف

والخوف في اللغة الفزع ، وقال الراغب : الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ، كما أن الرجاء توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة .

والخوف مقام من مقامات السالكين ، وهو عند بعض المتصوفة عبارة عن تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل . وليس الرجاء مضاداً للخوف ، بل كل منهما باعث على مجاهدة النفس والحض على الطاعة المقربة من الله ، ولكن أحدهما بطريق الرغبة والثاني بطريق الرهبة .

والخوف قد يكون من المخلوق ، وهو إما أن يكون سببه ذنب الخائف ، كمن جنى على رجل أقوى منه فهو يخاف انتقامه ، وإما أن يكون سببه طبيعة المخوف منه كالأسد والنار ونحوه .

وقد يكون الخوف من الخالق ، وهو قد ينبعث عن ارتكاب الإنسان ما نهاه الله عنه . وقد ينشأ عن معرفة الله وصفاته ، فإن من يعرف أن الله شديد العقاب ، وأنه لا يسأل عما يفعل ، وأنه لا يجب عليه إثابة الطائع بل يجوز عليه معاقبته ، لا يأمن عقاب الله . وقد ينشأ الخوف مما يتوقعه الانسان من المكاره قبل الموت ، كزوال نعمة وسلب النعم من الآفات والسقم ، أو بعد الموت كالقبر وما في القيامة من حساب وعذاب ودخول نار .

والخوف من الله إما أن يكون خوفاً من عذابه ، وهو خوف عامة الناس ، وإما أن يكون خوفاً من الله نفسه ، وهو خوف الخاصة العارفين من صفات الله ما يوجب الحذر منه وأدركوا معنى قوله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وأشد الناس خوفاً أتقاهم العلماء العارفون صفات الله التي توجب الخوف منه

وللصالحين أحوال مختلفة ، وقد وقع في كلام المعري ما يدل على أنه شارك القوم في نواح كثيرة ، فلقد كان فريق منهم يرى أنه حقير في نفسه ، وأن أعماله لا تؤهله لدخول الجنة فيستعيذ بالله من النار . وقد روي عن عبد الله بن المبارك [1] أنه خرج يوماً على أصحابه فقال لهم : « إني اجترأت البارحة على الله وسألته الجنة » . ومن هذا النوع قول أبي العلاء .[2]

يا رِضْوَ لا أرْجُـــو لِقَا ... ءَكَ بَلْ أخافُ لِقَاءَ مالِكْ

وفريق منهم يتذكر ما بينه وبين الموت من الخطر الذي يخاف منه سوء الخاتمة ، وعدم الثبات على الهدى ، ويتذكر ما بعد الموت من حساب وعذاب فيغلب عليه الوجوم ، وقد روي أن الحسن البصري [3] ما ضحك أربعين سنة . وقيل لسعيد بن جبير [4] : إنك لم تضحك قط . فقال : كيف أضحك وجهنم قد سعرت ، والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت !

وإليك أمثلة من كلام أبي العلاء تمثل الخوف ، مما يخشاه المرء في حياته وبعدها ويتوقعه من شر ومكروه فيهما وما يخشاه من ربه .

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي الحنظلي بالولاء ، التميمي . ولد سنة ١١٨ هـ وتوفي بهيت سنة ١٨١ هـ . انظر تذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٣ وشذرات ١ : ٢٩٥ .

(٢) اللزوميات ٢ ص ١٩١ .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد ، تابعي ، إمام . ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١١٠ هـ .

(٤) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي بالولاء ، تابعي ، ولد سنة ٤٥ هـ وتوفي سنة ٩٥ هـ . انظر الوفيات [illegible] .

الخوف من عناء الحياة

ضَحِكْنا وكانَ الضِّحْكُ مِنّا سَفاهَةً (١) . . . .

إلى آخر البيتين .

الخوف من الله :

أمّا الحياةُ فلا أرجو نوافِلَها ‏ ‏ ‏ ‏ لكِنّني لإلـهي خائِفٌ راجِ (٢)

الخوف من الخلود في النار :

يا هُونَ ما أوْعدَ اللهُ العِبادَ بِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ إنْ صارَ جِسْمي في تَحْرِيقِهِ رِمَما (٣)

وإنّما هُوَ تَخْليدٌ بِلا أمَدٍ ‏ ‏ ‏ ‏ تَمْضي الدُّهورُ وَصالي النّارِ ما رُحِما

الخوف من تغير الحال

لا يُعْجِبَنّكَ إقْبالٌ يُرِيكَ سَناً ‏ ‏ ‏ ‏ إنّ الخُمودَ لَعَمْري غايةُ الضَّرَمِ (٤)

. . .

يَتَمَنّى راغِبٌ فَما تَكْمُلُ الرَّغْـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـبَةُ حتّى يُهْدَمَ النِّسْيانُ (٥)

. . .

(١) اللزوميات حـ ١ ص ١٨٢ ، وعجز البيت : [illegible] .
(٢) اللزوميات حـ ١ ص ٧٧ .
(٣) ورد البيتان في رواية واحدة [illegible] في اللزوميات حـ ٢ ص ٢٤١ — ٢٤٢ وبهذا كانت ثانية البيت الأول منها [illegible] منها .
(٤) اللزوميات حـ ٢ ص ٢٤٧ .
(٥) اللزوميات حـ ٢ ص ٢٦٣ .

فراقب الله إن السعد يتبعه ... نحس وإن لجمع الدهر تفريقا (١)

الخوف من الله وسخطه ومن تفريطه في حقوق الله وإفراطه في هوى نفسه

أخوف ربي من سخطه ... وتفريط نفسي وإفراطها (٢)

. . .

لولا حذاري أن الله يسألني ... عما فعلت لقلت عندي الكلف (٣)

وهناك أمثلة عديدة من حوادث تدل على أنه كان كثير الخوف والوجوم من خوفه من الله ومن عقابه ، وقد ظن بعض الأدباء أن هذا من باب التشاؤم ، وقد تقدم الكلام فيه .

الخلوص في الأعمال

الأعمال التي تصدر من الإنسان أنواع : منها ما هو من عمل القلب ، وهو النية والقصد ، ومنها ما هو عمل الجوارح ، وهذه ثلاثة أنواع طاعة ، ومباح ، ومعصية . وكل واحد منها لا يخرج في العاقبة عند وقوعه من نية وقصد ، وللنية مع كل واحد شأن .

أما الطاعة فتتوقف صحتها وثوابها على النية ، وتنقلب مع النية معصية ، كالوضوء والرد بالصلاة أن يظهر أنه من أهل النسك .

وأما المباح فينقلب بالنية إلى طاعة ومعصية ، كما لو أعطى درهماً إلى فقير ليسد به رمقه ، أو ليشتري به خمر

(١) اللزوميات ج ص ٣٠٤
(٢) اللزوميات ج ص ١٨٠
(٣) اللزوميات ج ص ٢٩١ .

وأما المعصية فلا تؤثر فيها النية ولا تقلبها طاعة ، كما لو سرق درهماً ليتصدق به .

فالنية هي التي تميز الغرض المقصود من الطاعة والعمل المباح .

الإخلاص

وقد اختلفت كلمة القوم في معنى الإخلاص وتعريفه ، بسبب اختلاف مقاماتهم وأحوالهم ، وبالنظر إلى تنوع درجات الإخلاص ، واختلاف السائلين عنه ، ولعل أقرب ما يقال فيه إلى الصواب هو أن يريد الإنسان بعمله وجه الله تعالى فقط ، ولا يمر بباله شيء من الحظوظ النفسية العاجلة أو الآجلة ، وهو شرط في كل عبادة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (١)

ومما لا ريب فيه أن الإنسان محفوف بالشهوات منغمس في الحظوظ ، فلا يتسنى له تنقية قلبه منها بسهولة ، ولذلك قال بعض العلماء : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا .

ثم إن العمل قد يكون خالصاً محضاً بأن لا يريد به إلا الله ، وقد يكون رياء محضاً بأن يريد به غير الله ، وقد يكون ممزوجاً منهما بأن يريد به وجه الله وشيئاً آخر من الحظوظ الدنيوية أو الأخروية أو منهما .

وقد اتفقت كلمة الجمهور على أن الإخلاص سبب للثواب ، وأن الرياء سبب للعقاب ، واختلفوا في المشوب منهما ، فقيل : إنه لا ثواب له . وقال قوم : إذا كان الباعث دينياً ونفسياً وكانا متساويين تساقطا ، وكان العمل لا له ولا عليه ، وإن كان الرياء هو الغالب ، فالعمل ليس بنافع ، بل يفضي إلى العقاب لكنه أخف من عقاب الرياء المحض ، وإن

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ١١٠ .

كان الباعث الديني هو الغالب فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني ... إذ لم يكن خالصاً لله فليس بنافع .

وأبو العلاء كان يحب الإخلاص في العمل ويحض عليه في مثل قوله :

إذا ما فعلت الخير فاجعله خالصاً

لربك وازجر عن مديحك ألسنا (1)

. . . .

إذا خلصت الخلاق بر ... فلست من ضوائرك الضواري (2)

وقد وافق القوم في أن الرياء محبط للعمل في مثل قوله :

إذا قيل : إن الفتى ناسك ورام الجمال فلا نسك [له] (3)

وله في باب الأخلاق أقوال وآراء يمكن أن نلخصها فيما يأتي :

١ - إن النسك الظاهر والتقشف شعار الصالحين ليسا من الخير في شيء ، وإنما الخير في ترك الهوى وتطهيرها من الأخلاق الذميمة ، وهذا يتجلى في مثل قوله (4) :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد

وإنما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غل ومن حسد

(١) اللزوميات هـ ص ٢٦٤ .
(٢) اللزوميات هـ ص ١٥٦ .
(٣) اللزوميات هـ ص ٢٠٩ .
(٤) اللزوميات هـ ص ١٠٩ .

فالصوم في رأيه كف النفس عن شهواتها الظاهرة، وتطهيرها من شرور الباطنة والظاهرة، وليس هو عبارة عن منعها عن الطعام والشراب والجماع فقط، وعلى هذا يرى أن القول الباطل مبطل للصوم، مفيت للغاية المقصودة منه، مذهب للثواب المتوقع منه وهذا معنى قوله [1]:

إذا القومُ صاموا فعافوا الطعامَ　　وقالوا المحالَ فقد أفطروا

وقال في (الفصول والغايات ص ٢٨): «صوم الأبد أفضل من صوم المفطر على حرام فإذا صمت عن الآثام فعند ذلك صم عن الطعام..»

وقد قال بعض المحققين: الصوم أقسام: صيام العوام وهو الصوم عن مفسدات الصيام، وصيام الخواص وهو الصوم عنها وعن إطلاق الجوارح في غير طاعة، وصيام خواص الخواص، وهو حفظ قلوبهم عما سوى الله، فصومهم دهر كفطر العيد، ولا يفطرون بصنائع يوم الدين، فإذا شاهدوا مولاهم ونظروا إليه عند ذلك أفطروا.

فأبيات أبي العلاء المتقدمة تدل على أنه يريد بالصوم صوم الخواص، ويجوز أن يكون أراد به صوم خواص الخواص.

وأما قوله

أنا صائمٌ طولَ الحياة وإنما　　فطري الحِمامُ ويومَ ذاك أُعيِّدُ

فالظاهر أنه يريد به الصمت الأخير.

٢ – إن الإنسان مهما فعل من أنواع النسك لا يعد ناسكاً إذا لم يمسك نفسه عن أطماعه، من يعد ناسكاً محبة الدنيا وهذا يظهر في

(١) اللزوميات ج ١ ص ١٣٥

مثل قوله(١):

حُجَّ وصَلِّ وطُفْ بمكّةَ زائراً سبعينَ لا سبعاً فلستَ بناسكِ

جَهِلَ الدِّيانةَ مَنْ إذا عَرَضَتْ لهُ أطماعُهُ لم يُلْفَ بالمُتَماسِكِ

٣ ـ إن كل عبادة يجب أن تكون خالصة لله، لا يراد بها إلا تعظيمه وامتثال أمره، يدل على هذا قوله(٢):

وأعبُدُ اللهَ لا أرجو مثوبَتَهُ لكنْ تعبُّدَ إعظامٍ وإجلالِ

٤ ـ إن الواجب على الإنسان أن يعمل الخير، لأنه خير، لا طمعاً في الثواب المترتب عليه.

فلتفعلِ النفسُ الجميلَ لأنّهُ خيرٌ وأحسنُ لا لأجلِ ثوابِها(٣)

٥ ـ إن ترك الواجب أقرب إلى الله من فعله إذا لم يكن خالصاً لله:

إذا رامَ كيداً بالصّلاةِ مُقيمُها فتارِكُها عمداً إلى اللهِ أقربُ(٤)

فمن ترك الصلاة عمداً كفره، والصلاة لغير الله شرك، وهو أعظم من تركها عمداً. وقال في (الفصول والغايات): «صلاة المنافق صلاة النار، وطهارة الخلد أبلغ من طهارة الجسد بالماء».

الرياء

يقال راءيت الرجل إذا أريته أني على خلاف ما أنا عليه، هذا هو الأصل فيه، والرياء عند المتقين ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١٨٩
(٢) انظر [illegible] أبي العلاء ص ١١ [illegible]
(٣) اللزوميات ج ١ ص ٥٢
(٤) اللزوميات ج ١ ص ٣١.

به ، وقال بعضهم : هو إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا .
والعمل لغير الله [illegible] وقد يكون الرياء مما لا يوجب كفرا ، كما [illegible] أو [illegible] وهو [illegible] ، أو [illegible] وهو [illegible] ومن هذا النحو ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب [illegible] قال [illegible] لنا وللرمل [illegible] كنا [illegible] به المشركين وقد أهلكهم الله [illegible] [illegible] [illegible] فلا نحب أن نتركه [illegible] ومعنى قوله [illegible] [illegible] القوة [illegible] بالرمل ليعلموا [illegible] ومنهم ولا [illegible] عن محاربتهم ، وقد أهلكهم الله ، فما للناس حاجة اليوم الى ذلك .

وفي كلام أبي العلاء أبيات كثيرة تدل على أنه كان يحكم [illegible] ، على الناس [illegible] ، وهو يريد [illegible] الصفة كقوله (١) :

إذا ما سألوا عن مذهبي فهو بيّن ... وهل أنا إلا مثل غيري أبله

ومن هذا النوع قوله (٢) :

رأيتك [illegible] لي [illegible] ... [illegible] ودين العالمين [illegible]

وقد يخلف الإنسان ظنّ عشيره ... وإن راق منه منظر ورواء

[illegible] لا يراد [illegible] حقيقة [illegible] من [illegible] يصرح [illegible] هذا لو كان حقيقيا ، وإنما يراد منه أن هذه الخصلة [illegible] في جميع الناس حتى يكاد كل واحد منهم [illegible] ، لأنهم [illegible] [illegible] ، أو لم يرح في [illegible] ، [illegible] هذا قوله بعد البيتين المتقدمين :

إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده ... بنصح فإنا منهم برءاء

(١) اللزوميات ج ص ٣٢٩

(٢) اللزوميات ج ص ٢١

النفاق

ومن هذا القبيل ما جاء في كلامه من ذم النفاق وأهله وفشوه في أصناف الناس وطبقاتهم. والنفاق، في الأصل، مصدر نافق اليربوع إذا دخل في نافقائه، وهو موضع يرققه من جحره، فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، وقيل إن جحره اليربوع سبعة: القاصعاء والنافقاء وغيرهما. ومن النافقاء اشتق النفاق في الدين، والنفاق فعله، وهو الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر، فهو نافق منافقة ونفاقا، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو ستر الكفر وإظهار الإيمان وعقد القلب (١).

وقد تكرر ذكر هذا اللفظ وما تصرف منه اسما أو فعلا في الأحاديث النبوية، ولا يلائم تفسيره بهذا المعنى في كثير من المواطن كقوله ﷺ: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني (٢) وقوله: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب ...» وهذا حديث صحيح (٣) وقوله: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدّث كذب ...» وهذا حديث صحيح (٤). إلى غير ذلك من الأحاديث، ولا يصح تفسيره هنا بالمعنى السابق، أي إظهار الإيمان

(١) وبهذا يتبين أن قول الحافظ ابن حجر الأثر وهو: «النفاق لغة مخالفة الباطن» إلى آخره. فيه نظر لأن المعنى إسلامي. (ج)

(٢) والبيهقي وغيره وأحد أسانيد أحمد ثقات. (ج)

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم. (ج)

(٤) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود والنسائي. (ج)

وإبطان الكفر ، ولذلك فسر ابن الأثير الحديث الأول ، فقال : أراد بالنفاق هاهنا الرياء لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن . ونقل المناوي ذلك عن الزمخشري ، وقال الحافظ ابن حجر : النفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه

وقال القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٢) النفاق إذا كان في القلب فهو الكفر فأما إذا كان في الأعمال فهو معصية ، ثم أورد الحديث المتقدم « أربع من كنّ فيه ... »

وقد توسع بعض الأدباء فاستعمل لفظ النفاق وما اشتق منه في كل ما كان فيه إظهار غير ما في الباطن وإبطان غير ما في الظاهر ، سواء أكان من الأعمال الدينية أم من غيرها ، فإذا أظهر له محبة وأبطن غيرها عدّه منافقا ، وإذا جاراه في استحسان شيء واستقبحه عده منافقا ، وهكذا .

وأبو العلاء أكثر التذمر ممن كان على هذه الشاكلة في مثل قوله في السقط (١) :

ويُظهِرُ لي مودَّتَهُ مَقَالاً ... ويُبغِضُني ضميراً واعتِقادا

وقوله في اللزوم (٢) :

أراهُم يَضحكون إليَّ غِشّاً ... وتَغشاني المشاقِصُ والحِظاءُ

فلَسْتُ لهمْ وإنْ قرُبوا أليفاً ... كَما لمْ تأتلفْ دالٌ وطاءُ

---

(١) شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٥٦٧ .

(٢) اللزوميات ١ ص ٢٢ ، والمشاقص : مفردها مشقص ، وهو الطويل أو العريض من السهام أو النصال ، والحظاء : الصغار

ومن يتأمل أقوال أبي العلاء في هذا الموضوع يتضح له بجلاء تام أن هذا الخلق الذميم تفشّى بين الناس واستطار شره ، وقلما خلا منه أحد حتى الأخلاء والخلصان فكر :

يُصاحِبُكَ الخِلُّ بخُلّةٍ وَضَميرُهُ   عَبوسٌ وَضاعَ الوُدُّ لولا مُرافِقُهُ(١)

وإذا امتحن خليله لا يجد عنده غير النفاق :

وَما عِندَ خِلِّكَ غَيرُ النِّفاق   وما خِلْتُهُ ناسِياً فَاذكُرِ(٢)

وقد رافق هذا الشر حتى أصبح النفاق تحته تتقى به شر الأعداء ، وعادية الحدثان ، وقد ضعف تأثيره وحدته لطول العهد ، وأخذ الناس يؤيدونه دون أي كآبة

أضحى النِّفاقُ دُروعاً يُستَجَنُّ بها   مِنَ الرَّدى ويُقوّي سَردَها الحَلِفُ(٣)

وأصبح الإنسان عرضة للردى والخسران إذا لم يلجأ إلى هذا الحصن الحصين ، ويتحلى بهذه البضاعة التي لا يروج غيرها في أسواق الناس ، وقد اضطر أبو العلاء في مجاراة الناس والتظاهر بما يأتون ويحبون على ما يشعر به قوله (٤)

أُنافِقُ في الحياةِ كَفِعلِ غَيري   وَكُلُّ النّاسِ شأنُهُمُ النِّفاقُ

لأنه إذا لم يجارهم في هذا المضمار اضطر إلى أن يعيش معزولاً عنهم ،

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٣٠ .
(٢) اللزوميات ج ١ ص ١٧
(٣) اللزوميات ج ٢ ص ٢٩٢ ، وورد في ج ١ صدرها
(٤) اللزوميات ج ٢ ص ٣٠٠ .

منفرداً ، لأنه لايجد وصلاً بريئاً من هذه الخصلة كما يشعر به قوله(١) :

تحيّرْ فإمّا وَحدةٌ مثلُ ميتةٍ ... وإمّا جليسٌ في الحياةِ مُنافقُ

وقد قدمنا أنه كان يحكم على نفسه بما يحكم به على غيره من أبناء زمانه ، ولا يريد حقيقة ، وربما وجد أن هذه الخصلة تعمّ أبناء زمنه كلهم فهو يذمهم ويذم نفسه معهم لأنه منهم ، ولا يكاد واحد منهم يكون خالياً منها . وإنما فعل ذلك لأنه كان يعتقد أن النفاق لا يجلب خيراً ولا يجرّ خيراً ، وأنه داء عضال وعثرة لا تقال ، كما قال (٢)

يُنافقونَ وما جرّ النّفاقُ لهُمْ ... خيْراً فعثْرتُهمْ مُعيٍ تلافيها

وقوله في الفصول والغايات :

« صففتُ الآدق ، فإذا دينا مدق ، وصليتُ من مداراة العالم ، بما يضير غيرةَ الفؤاد ، فاخترتُ الوحدة على حسن الصدق(٣) » . إلى آخر ما تقدم يدل على أنه اختار الوحدة بدلاً من مداراة الناس بما لا يضيره فؤاده .

دينه ومعتقده

اتفقت كلمة المتقدمين والمتأخرين على أن أبا العلاء واسع العلم ، كثير الاطلاع والحفظ ، ذكي فطن ، شاعر مفلق . واختلفوا في دينه واعتقاده على أنحاء شتى ، فنقل ابن الجوزي عن أبي زكريا أنه قال : « قال لي المعري : ما الذي تعتقد ؟ فقلت له : ما أنا إلا شاك . فقال : وهكذا شيخك » . وزعم

(١) اللزوميات ﻫ ص ٢٩٩ .
(٢) اللزوميات ﻫ ص ٣٣٦ .
(٣) كذا في الأصل . (ج)

وفريق أنه في حيرة، ومنهم ابن دقيق العيد محمد بن علي المتوفى سنة ٧٠٢ هـ،

وقال فريق: إنه كان لا يثبت على نحلة، ولا يبقى على قانون واحد، بل يجري مع القافية إذا حصحصت. ونقل هذا القول عن السلفي. وقيل إنه شيعي، وقيل معتزلي، وقيل حنفي، وقيل يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع وإنكار الرسل (١) وتحريم الحيوان وإيذائه حتى الحيات والعقارب (٢). وقال ابن الشحنة في روضة المناظر (٣): إنه ترك أكل اللحم خمساً وأربعين سنة على مذهب الهنود، وترك البيض واللبن، وحرم إتلاف الحيوان.

وقال ابن كثير (٤): إنه لا يأكل اللحم، ولا اللبن ولا البيض، ولا شيئاً من حيوان، على طريقة البراهمة الفلاسفة. وقال اليافعي (٥) يرى رأي الحكماء المتقدمين إذ لا يأكلون اللحم لكيلا يعذبوا الحيوان إذ لا يرون إيلام الحيوان. وقال [illegible] (٦) كان متهماً في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحماً ولا يؤمن بالبعث والنشور. وقال في مرآة الزمان (٧): إنه يرد على الرسل، ويعيب الشرائع، ويجحد البعث. وقال الذهبي (٨): رسالة الغفران في مجلد، قد احتوت على مزدكة

(١) [illegible] (٣)

(٢) [illegible] (٣)

(٣) [illegible] روضة المناظر لابن الشحنة

(٤) [illegible] البداية والنهاية لابن كثير

(٥) « « ص [illegible] لليافعي

(٦) « « ص ٧٢ [illegible]

(٧) « « ص ١٤٤ عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي

(٨) « « ص ١٨٩ عن تاريخ الإسلام للذهبي ومزدكة مذهب مزدك [illegible] الثنوية التي ترد العالم إلى أصلين هما النور والظلمة، وأن الخير [illegible] والشر [illegible]

واستخفاف . وقال في المنتظم عن ابن عقيل (١) . إن أبا العلاء كافر في الظاهر ، مسلم في الباطن ، على عكس المنافق .

ومنهم من قال إنه سحر ، واستدل على ذلك بأنه من الصوف الخشن سحره وزهده .

وزعم بعض المستشرقين أنه قرمطي ، وزعم آخرون أنه دروزي ، وآخرون أنه من أصحاب التقية ، وزعم بعض المعاصرين أنه جامع للمتناقضات فهو مؤمن كافر ، بر فاجر ، تقي زنديق ، وما شئت أن تقول فيه فقل . وزعم آخرون غير ما تقدم .

ومنهم من جزم بصحة دينه وقوة يقينه ، ومنهم من قال إنه تاب وارعوى وأناب . ومنهم من قال : هو جوهرة جاءت إلى هذا الوجود وذهبت ، وهذا القائل هو الشيخ كمال الدين الزملكاني المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، ومن احتذى على مثاله .

وأكثرهم على أنه كافر أو زنديق أو ملحد أو متهم في دينه ، وقلما تكلم أحد فيه ونجا من مثل هذه النعوت ، وفيهم من أطال به بل على ما يقول لا استطاع أن يأتي بشيء .

أسباب تكفيره ورميه بالزندقة ونحوها

ولعل قائلا يقول : ما السبب في تألب الناس على تكفيره والطعن في دينه ؟ فنقول : من استقرى حياة أبي العلاء ، وأمعن النظر فيها وفيما وهبه الله من المواهب الفطرية والكسبية ، وما تيسر له من الحظوة عند الملوك والأمراء وأعيان الأمة ، وجد أسبابا كثيرة للطعن فيه . من أعظمها الحسد ، وتشدد العلماء في الدين ، وحب الظهور ، والولوع بالإغراب والوهم . ولكل واحد من هذه الأمور سبب يوجبه أو أسباب تقتضيه .

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢ ، عن المنتظم لابن الجوزي — وما هنا للمؤلف تلخيص الخبر .

الحسد

أما سبب الحسد ، فإن الله وهب أبا العلاء من الفطنة ، وقوة الحافظة ، وحصافة العقل ، ودقة التفكير ، وسعة الخيال ، وغزارة القريحة ، وفيض الخاطر ، وسعة العلم ما لم يهبه لكثير من الشعراء والعلماء . وآتاه من العفة والقناعة والشمم ما لم يؤته كثيراً منهم . ورزقه بسبب ذلك من الحظوة عند عظماء الدولة والأمة ما لم ينل معشاره كثير من العلماء والشعراء ومنحه من سيرورة الذكر والشهرة ما لم يتح لغيره في عصره ، فكانت الملوك والأمراء وعظماء الأمة يتنافسون في إكرامه والاحتفاء به ، ويكلفونه أن يصنف لهم الكتب والرسائل . وكان الفضلاء يقصدونه من كل حدب وصوب ، حتى قال ابن العديم(1) « وما علمت وزيراً مذكوراً ، أو فاضلاً مشهوراً ، مر بمعرة النعمان في ذلك [العصر و] الزمان ، إلا وقصده واستفاد منه ، أو طلب من تصنيفه ، أو كتب عنه » .

وقد بذل له الخلفاء والأمراء وأصحاب الكلمة النافذة أموالاً جمة فأباها على ضيق ذات يده ، وكان غيره من العلماء والشعراء يبذل ماء وجهه في أعتاب الأمراء والمثرين ، ويجوب الآفاق ليزيد ثروته الزائدة عن حاجته . فهذه الحظوة عند الأمراء ، والمنزلة عند الكبراء ، وتلك المواهب ، أججت نار الحسد في قلوب أعدائه وخصومه ، فكانوا يكيدون له ، ويتربصون به السوء ، وقد يدفع الحسد صاحبه إلى استصغار كل كبير ، واستحسان كل قبيح ، ويزين له ما يأباه الدين والمروءة ، وزادهم حسداً وحقداً عليه أنه أحدث في النظم والنثر ما لم يوفقوا إلى مثله ، حتى

(1) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٦٥ ، عن الإنصاف والتحري ـ لابن العديم

أخمد جذوتهم ، وأخمل ذكرهم ، فمكثوا يدأبون في إخمـاد جذوته ، وإخمال ذكره ، ولم يجدوا سبيلاً يوصلهم إلى غايتهم أيسر من الطعن في دينه

التمرد في الدين

كان أبو العلاء يعتقد أن كل عقل نبي ، ولذلك كان يعول في أحكامه على العقل ، ويأبى أن يتركه صدى . وكان حراً في تفكيره حراً في إبداء آرائه ، فلا يداري ولا يداجي ، وقد تصدى في كلامه إلى كثير من الملل والنحل ، وعرض على كثير من معتقدات أهل كل ملة ، وخص رؤساء المذاهب والنحل والملوك والأمراء والفقهاء والشعراء بالنقد اللاذع ، والتهكم الممض ، في مثل قوله (١) :

إنما هذه المذاهب أسبا ... ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء

وقوله (٢) :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقوله (٣) :

ولم آمن على الفقهاء حبساً ... إذا ما قيل للأمناء جوزوا

وقوله (٤) :

وما شعراؤكم إلا ذئاب ... تلصص في المدائح والسباب

(١) اللزوميات ج ١ ص ٢٦ .
(٢) اللزوميات ج ١ ص ٢٣ .
(٣) اللزوميات ج ١ ص ١٧٣ .
(٤) اللزوميات ج ١ ص ٥١

وقوله (١) :

تَقولُ الغُواةُ الخضرُ حيٌّ عليهمُ   عَفاءٌ نعم ليلٌ من الفتن اخضرّا

وقوله (٢) :

ما اسودَّ حامٌ لذنبٍ كان أحدثه   لكنْ غريزةُ لونٍ خطّه الملكُ

وقوله (٣) :

لم يسقكمْ ربُّكم عن حُسنِ فعلكمُ   ولا حماكمْ غماماً سوءُ أعمالِ

إلى غير ذلك مما يأتي عند الكلام على إيمانه واعتقاده في المزاعم ، وقد يتضح مما ذكرنا وما يأتي أنه لم يتخير لنقده قولاً ليناً ، ولا سلك أسلوباً لطيفاً ، وربما كان عنفهم بالحقائق الصريحة ، ويقرعهم بالحجج الدامغة ، وربما واجههم بالتهكم اللاذع ، فوقع في أضعاف كلامه كثير مما لا يرتضيه المتشددون في الدين ، فحكموا عليه بالكفر ، وإن لم يكن فيه ما يوجب الكفر أو المروق ، والعلماء ، لا سيما الفقهاء منهم ، يسارعون إلى التكفير على الشبهة ، ويحكمون بالإلحاد على الظن ، ويصلون الحنق على الباحث ، ولا يتحرون في البحث والتحقيق ، وهم أسمح الناس بالتكفير والرمي بالزندقة ، وسنرى ما يدل على ذلك .

يجب أن لا ننسى أن مخطئة الناس في مزاعمهم وإنكار شيء من معتقداتهم من شأنه أن يثير سخطهم ونقمتهم ويحمل صداقتهم عـداوة . وقديماً قال الأول : ما ترك لي قول الحق صديقاً

(١) اللزوميات ج ص ١٣٧ ، وفيها : « يقول ... »
(٢) اللزوميات ج ص ١٨٣ ، وفيها : « خطها الملك ... »
(٣) اللزوميات ج ص ٢١٥

حب الظهور

إذا نظر الإنسان نظر مدقق منصف في كتب أبي العلاء، وفيمن كتب فيه، رأى كثيراً منهم لم يستطع أن يفهم كلام أبي العلاء على وجه صحيح، ولا أن يدرك مرامي كلامه الدقيقة، ونكته اللطيفة، وقد يأتي أحدهم بشيء من كلام المعري على أنه حجة له في زعمه، فيكون حجة عليه، وقد يتصرف في القول على وفق ما يريده، لا على وفق ما يدل عليه اللفظ والمقام، وتؤيده القرائن، ولكنه اعترض على المعري ليقال: إنه اعترض عليه، وانتقده ليقال: إنه انتقد أبا العلاء. ولو أنعم النظر فيما يقول لتكشف عن غرائب يبدي فيها الجهل، وسقطات تدل على جهل فاضح وفهم سقيم.

الولوع بالإغراب

وقد رأيت فريقاً من الكتاب والمصنفين يسقط لأبي العلاء هفوة، أو يقف على شبهة، وقد ظفر بشيء يوجب الطعن في دينه، فيضخم ويجسم، كأنه اهتدى إلى ما لم يهتد إليه غيره من أسرار الكائنات، أو أتى بما لم يستطعه أحد من المعجزات، وقد يظهر للمتأمل أن كثيراً من هؤلاء أغرب فيما كتب عن عبارته، وعثر فيما قال عثرة لا تقال، ودل فيما استدل به على جهل في العلم وسقم في الفهم ووهن في التفكير.

اللؤم

ورأيت فريقاً آخر يلصق بأبي العلاء ما هو بريء منه، وآخر يحرف كلامه عن مواضعه، وآخر يتقول عليه أموراً لا علم له بها، يريد بذلك

بإهلاكه وتصيير بيته إخوانه ، وقد قال للمنازي(١) « حسدني قوم فكذبوا عليّ وأساؤوا إليّ » ومن هؤلاء كثير من تلامذته وأوليائه .

وقد نقل ياقوت (ج ١ ص ١٧٩) وغيره عن ابن العديم عن أبي اليسر المعري ، وهو شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء ، أن أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة ، قصداً لهلاكه ، وإيثاراً لإتلاف نفسه فقال

حاولَ إهواني قومٌ فما ... واجهتُهم إلا بإهوانِ
يخرِّشوني(٢) بسعاياتهم ... فغيَّروا نيّةَ إخواني
لو استطاعوا لوشَوا بي إلى الـ ... ـمرّيخ والشهب وكيوانِ

وقال أيضاً(٣)

غُرِيتُ(٤) بذمّي أمةٌ ... وبحمد خالقها غُريتُ
وعبدتُ ربي ما استطعـ ... ـتُ ومن بريّته بريتُ
وفرتني الجهّـالُ حا ... سدةً عليّ وما فريتُ
سعَروا عليّ فلم أحِسّ ... وعندهم أني هريتُ

(١) هو أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي ، المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ، عن الوفيات والقفطي في إنباه الرواة .

(٢) في معاهد التنصيص « يحرشوني » (ج) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٤ ، والأبيات كلها ج ٢ ص ٥ في شرح التنوير .

(٣) عن تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١ ، ٢٧ ، ٢٩ .

(٤) غرِيَ به : أولع به .

وهذه الأبيات السبعة ليست في ديوانه ، وفيها روايات مختلفة ، وهي مذكورة كلها أو بعضها في (الوافي بالوفيات) ، و (النكت) و (المعاهد) و (أوج التحري) وغيرها . وروى الصفدي في النكت بعد الأبيات الأخيرة هذا البيت :

وجميعُ ما فاهوا به ... كذبٌ لعَمْري حنبريتُ (١)

وقد أكثر أبو العلاء من ذم الحسد والحساد ومكايدهم ، مما يدل على أن للحسد في نفسه أثراً عميقاً ، وسنذكر شيئاً من كلامه في ذلك

ما كابده بتكفير حساده وأعدائه

حاول أعداء أبي العلاء أن يلتمسوا مغمزاً في علمه ، واجتهدوا ليجدوا مطعناً في سيرته ، فما وجدوا . فعمدوا إلى الدين سلاحاً لحربه ، والغض من كرامته ، وهو أقرب شيء تستثار به العامة ، وأمضى سلاح يتخذه المفسدون لمحاربة أهل الفضل ، فأسرعوا إلى تكفيره أو رميه بالإلحاد أو الزندقة ، أو ما شاكل ذلك من النعوت الممقوتة . وقد اختلفوا في الأسباب التي توجب تكفيره ، والطرق التي تؤدي إليها

فمنهم من كفره بأبيات لا توجب التكفير ، وفي نسبتها إليه شك ، وفي مقدمة هؤلاء ياقوت ، فقد جعله ملحداً ، وروى له البيت المتقدم (٢) .

في اللاذقيةِ فتنةٌ ... ما بين أحمدَ والمسيحْ

. . . .

وليس فيها ما يدل على إلحاد أو كفر ، وما فيها من ركاكة يشهد بأن المعري بريء منها ، وأنها ليست من صنع كلامه

(١) نكت الهميان [illegible] أبي [illegible]
(٢) معجم البلدان « اللاذقية »

ومنهم من زعم أن المعري عارض القرآن الكريم ، أو السور والآيات بكتاب الفصول والغايات ، كابن الجوزي [١] ، والباخرزي ، والذهبي ، وياقوت . وزعم بعض المتعصبين أنه تذكر النبي ﷺ في (الفصول والغايات) لا خمس مرات ، وأنه لم يعارضه معارضة ، وإنما نسجها مشابهة وقد بينا بطلان هذا كله في الكلام على (الفصول والغايات)

ومنهم من ألصق بالمعري شيئاً من أقوال غيره ، ليتمكن من الطعن فيه . ومن هؤلاء ياقوت ، فقد أورد أبو العلاء في (رسالة الغفران) أبياتاً لسمير بن أدكن مطلعها [٢] :

يقولُ أبو حفصٍ علينا بدرّةٍ ¦ رُويدكَ إنّ الحقّ يصفو ويرسُبُ

فقال ياقوت : « وهذا يشبه أن يكون شعر المعري ، فقد نحله هذا اليهودي ، أو أن إيراده واستلذاذه به من أمارات سوء عقيدته ومذهبه » . وهذا خطأ من ياقوت ، لأنه هو أورد هذه الأبيات ، فيجوز للقائل أن يقول : إن إيراده الأبيات المذكورة من أمارات سوء عقيدته ومذهبه ، كما قال ذلك في أبي العلاء . وياقوت أحد المفرطين في التعصب على أبي العلاء ، ولو استطاع أن يجعل كل أقواله مكفرة لما تأخر .

ومنهم عبد الوهاب السبكي ، فإنه نسب في (طبقات الشافعية ج ٣ ص ٩٧) هذين البيتين :

كَمْ عاقلٍ عاقلٍ أعيتْ مذاهبُهُ ¦ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزُوقا
هذا الذي تركَ الأوهامَ حائرةً ¦ وصيّرَ العالِمَ النّحريرَ زِنديقا

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨٠ ، ٩٨ ، ١٥١ ، ١٩٢ .
(٢) رسالة الغفران ـ تحقيق بنت الشاطئ ـ ط ١ ص ٢٧٢ .

إلى أبي العلاء ، وقال : قبحه الله ما أجرأه على الله ! . وهذان البيتان لابن الراوندي ، كما ذكر ذلك في (معاهد التنصيص ص ٧١) وأورد ابن السبكي بيتين نقضاً على أبي العلاء ، في وزنهما خلل ، وفي عربيتهما لحن ، وفي تأليفهما ركاكة وضعف ظاهر لمن اطلع عليهما .

ومنهم أبو الحسين الجزار ، فقد قال من قصيدة مدح بها برهان الدين ابن الفقيه نصر (١) :

وفي علمِ العَرُوضِ دَخلتُ جَهلاً — وَغُصتُ بِحفتي في كُلِّ بَحرِ
فَأذكَرَني بِهِ التَّفعيلُ بيتاً — تَضمَّنَ نصهُ الشيخُ المعرّي
مُفَاعلَتُنْ مُفاعلَتُنْ فعُولُنْ — حَديثُ خرافةٍ يا أُمَّ عمرو

وقد نسب الشطر الأخير إلى أبي العلاء ، وهو من بيت لعبد الله ابن الزبعرى ، على ما نقله الجاحظ في كتاب (الحيوان) وأوله

حياةٌ ثُمَّ موتٌ ثُمَّ نَشرٌ — حَديثُ خرافةٍ يا أُمَّ عَمرو

وروي بغير هذا الوجه ، ونسبه ابن قتيبة في كتاب (الأشربة ص ٤٣) إلى أبي نواس ، وروايته

حيـاةٌ ثُمَّ موتٌ ثُمَّ بعثٌ — حديثٌ ..

وأكثر الناس يتعصب لكل من أنكر على غيره شيئاً باسم الدين ، ويتابعه على أقواله من غير تثبت ولا تبصر ، وإذا اتهم إنسان بشيء ألحق الناس به كل ما هو من جنس ما اشتهر به بغير تحقيق ، وعلى

(١) ترجمته [illegible] ص ٤٨ من [illegible] ، ونشرت في ملحق المشرق

هذه الطريقة إذا رأوا بيتاً فيه مجون أو خلاعة ألحقوه بأبي نواس، وإذا رأوا بيتاً فيه إلحاد أو زندقة ألحقوه بأبي العلاء.

وزعم بعض المتعصبين على أبي العلاء أنه خرج ليلة الى بعض مراقي موسى عليه السلام، ورفع رأسه الى السماء، وقال: يا رب كلمني، فإني أفصح من موسى، قال ذلك مرارا، فلم يجبه أحد، فأنشد هذين البيتين (١):

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَلَوْ نَاراً نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

وهذا افتراه بعض من قال ذلك، والبيتان هما من نظم عمرو بن معدي كرب، وقيل لدريد بن الصمة، كما ذكر ذلك ابن نباتة في (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٢٢١ و ص ٣٢٧).

ومنهم من نسب اليه ما لا أصل له في شيء من كتبه التي وصلت الينا، ومن هؤلاء القفطي، والذهبي، وابن الجوزي، وسبط ابن الجوزي، ومن لف لفهم، فقد رووا له هذين البيتين (٢):

فلا تحسبْ مقالَ الرُّسْلِ حقاً ... ولكنْ قولُ زُورٍ سطَّرُوهُ

وكانَ الناسُ في عيشٍ رغيدٍ ... فجاؤوا بالمحالِ فكدَّرُوهُ

ورووا له كثيراً من مثل هذا.

(١) [illegible]

[illegible] ص ٩٧، [illegible] ص ٣٥٥، ٥٧٤.

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء صفحات ٢٢، ٣٢، ١١٧، ١٥٠.

ومنهم من كان يحرف قول أبي العلاء من صورة لا تخالف ما يقتضيه الدين إلى صورة توجب الحكم عليه بالكفر، ومن هؤلاء: أبو الفداء، والذهبي، وابن الشحنة، فقد رووا هذه الأبيات (١):

أتى عيسى فبطّلَ شرعَ موسى وجاءَ محمدٌ بصلاةِ خمسِ
وقالوا لا نبيَّ بعدَ هذا فضلَّ القومُ بينَ غدٍ وأمسِ

إلى آخر الأبيات على هذا الوجه، والمعروف في البيت الثاني:

وقيلَ يجيءُ دينٌ غيرُ هذا . . . .

وهو المذكور في ديوانه (لزوم ما لا يلزم)، وهو على هذه الرواية صحيح لا شك فيه، ولكنهم حرفوه ليكفروا صاحبه.

ومنهم من كفره بغير سبب ولا مناسبة، ومن هؤلاء الزمخشري؛ فإن أبا العلاء رثى الشريف الموسوي، وهو ببغداد، بقصيدة وصف فيها النار بأبيات، منها قوله (٢):

حمراءُ ساطعةُ الذوائبِ في الدجى ترمي بكلِّ شرارةٍ كطِرافِ

فأورده الزمخشري في تفسيره في سورة المرسلات ثم قال: «وشبهها بالطراف، وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن، ولقد عمي، جمع الله له عمى الدارين».

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء صفحات ١٨١، ١٩٦، ٢٣١ ولزوم ما لا يلزم ص ١ [illegible] ونصه ما:

دعا موسى فزال وقام عيسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجيء دين غير هذا وأودى الناس بين غد وأمس

(٢) شروح سقط الزند ج ٣ ص ١٣٢٧، وتعريف [illegible] ٤٨ من [illegible]

وهذا البيت أجمل بيت قالته العرب في وصف القبر في أعم ، وليس فيه ، بل ولا في القصيدة كلها ، ما يدل على شيء مما زعمه الزمخشري

وقد أنكر عليه هذا الافتراء جماعة منهم فخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) حيث قال : «وزعم صاحب (الكشاف) أنه ذكر ذلك معارضة لهذه الآية ﴿ ترمي بشرر كالقصر (١) ﴾ وكان الأولى له أن لا يذكر ذلك» وأطال الكلام في تفسيره ج ٨ ص ٣١٧ .
ومنهم صدر الأفاضل الخوارزمي ، حيث قال ، بعد أن نقل قول الزمخشري : ولا أدري من أين له أنه قصد الزيادة على تشبيه القرآن مع المعلوم أن القصر أعظم من الطراف ، ولكن الزمخشري مع فضله كان شديد الزماع كثيرا .

وأنا أعتقد أن أبا العلاء ، لما نظم هذا البيت ، لم تخطر بباله هذه الآية الكريمة ، ولكن الزمخشري عمي عما في البيت من جمال وروعة ، وأبصر ما ليس فيه ، فافترى على صاحبه . ومنهم الشيخ السعدي ، فإن سعد الدين التفتازاني ذكر في شرحه (المختصر على متن التلخيص) قول أبي العلاء (٢) :

والَّذي حارَتِ البَرِيَّةُ فِيهِ ... حَيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمادِ

ثم قال : يعني تحيرت الخلائق في المعاد الجسماني ، والنشور الذي ليس بنفساني ، بدليل ما قبله :

بانَ أَمرُ الإِلهِ واخْتَلَفَ النّا ... سُ ، فَداعٍ إِلى ضَلالٍ وَهادِ

(١) سورة المرسلات
(٢) شروح سقط الزند ق ٣ ص [illegible]

يعني بعضهم يقول بالمعاد وبعضهم لايقول به» .

فقال الشيخ مصطفى بن محمد البناني في (تجريده على المختصر ج ١ ص ١٨٨) : « قوله : يعني بعضهم يقول بالمعاد ، وبعضهم لايقول به ، لايبعد أن يكون تقديم القول بالمعاد في تفسير البيت ، مع أن الظاهر هو اللف والنشر المرتب ، بناء على أن مراد الشاعر بالداعي إلى الضلال هو القائل بالمعاد بناء على ما اشتهر في التواريخ من أن أبا العلاء ملحد منكر للحشر ، ويومىء إليه بيته المشهور عند من له ذوق سليم وهو قوله (١) .

يدٌ بخمسِ مئينَ عسجدٍ وُديتْ ... ما بالُها قُطعتْ في رُبعِ دينارِ

ونقل ذلك عن العبري . وهو استدلال غريب من البناني والعبري ، لأن أبا العلاء ذكر في هذه القصيدة ما يدل على المعاد كقوله (٢) :

خُلِقَ النّاسُ لِلبَقاءِ فَضَلَّتْ ... أُمّةٌ يحسَبونَهم للنَّفادِ
إنّما يُنقَلونَ مِنْ دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شِقْوَةٍ أو رَشادِ

وأمثال هذا كثير في أقوال المتقدمين والمتأخرين ، وسبق أن الصفدي نقل عن كتاب (الأربعين) قول الفخر الرازي في قول أبي العلاء (٣) . « فقلتم لنا صانع قديم » وزعم أن الرازي قال عن أبي العلاء : « وقد هذى هذا في شعره » . وليست هذه الجملة في كلام الرازي .

(١) اللزوميات ح ١ ص ١٥٢ وفيها : « فُديت » .

(٢) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٩٧٨

(٣) انظر في ذلك تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٢ وحاشيته (٢ و ٣) عن الوافي بالوفيات ـ للصفدي ، وروى هذا الشطر في اللزوميات ح ١ ص ١٩٨ : « قلتم لنا خالق حكيم » وتمامه « قلنا صدقتم كذا نقول » ...

النظر في الأقوال والمزاعم المتقدمة ونفي أدلتها

الشك

أما من ذهب إلى أنه شاكّ، فدليله قول التبريزي: «وما أنا إلا شاك»، وقول أبي العلاء: «وهكذا شككت». وقد روى هذا الخبر جماعة (١) منهم ابن الجوزي في (المنتظم)، وياقوت في (إرشاد الأريب) وسبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) وغيرهم، وكلهم اقتصر على هذا القدر، ولم يعين الشك في أي شيء حتى ينظر فيما يترتب عليه من التكفير أو التفسيق أو غيرهما، فإن أراد أنه شكّ في الله، فهو باطل وافتراء، لأن له كثيراً من الأقوال الدالة دلالة صريحة لاتحتمل الشك على وجود الله وصفاته، وسنأتي بأمثلة منها. وإن أراد الشكّ في الكتب أو الأنبياء أو الرسل أو الملائكة أو الآخرة فهو باطل أيضاً، تشهد به أقواله الكثيرة الصريحة في ذلك، وسترى كثيراً منها، والتكفير بشيء منهم لايعتدّ به عند العلماء. وإن أراد الشكّ بغير ما ذكر، فلا نستطيع الحكم عليه حتى نعلم ما هو. واستدل بعض المعاصرين على شكه في الآخرة بقوله في مرثية أبيه (٢)

طلبتُ يقيناً من جُهينة عنهمُ ... ولن تخبريني يا جُهينَ سوى الظن

فإن تعهديني لا أزال مسائلاً ... فإني لم أُعطَ الصحيح فأستغني

(١) راجع ما قدمناه في هذا الكتاب صفحات ١٩ و ٧٧ و ١٤٤

(٢) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٩٢٤ – ٩٢٧ وفيه « سوى ظن »

وهذا وهم وباطل ، لأنه يريد بقوله هذا أنه طلب من جهينة التي يقال في المثل : « عندها الخبر اليقين » أن تخبره خبراً عمن مات ، فلم تستطع أن تخبره ، لأن أحوال الموتى لا يعلمها إلا الله ، وهو حريص على أن يعلم مصير أبيه ، ليطمئن باله ، ولذلك يلح بالمسألة ، ما دام لم يقف على الصحيح . وليس في هذا شيء من الكفر ولا الشك في الآخرة بل صرح في هذه القصيدة بالآخرة وما فيها في مواطن ، منها قوله (١) :

فيا ليت شعري هل يحطُّ وقارُهُ ... إذا صار أُحْدٌ في القيامة كالعهن

وقوله (٢) :

وَهَلْ يرِدُ الحوضَ الرَّوِيَّ مُبادِراً ... .

وقوله (٣) :

. . . . وقدْ وُعِدا من بعده جنّتي عدنِ

إلى غير ذلك من الأبيات .

ويحاول فريق من الأدباء أن يجعل الشك مذهباً لأبي العلاء ، ويستدل على ذلك بمثل قوله (٤) :

إنما نحنُ في ضلالٍ وتعليـ ... ـلٍ فإنْ كنْتَ ذا يقينٍ فهاتِهْ

ولحُبِّ الصحيحِ آثرتِ الرُّو ... مُ انتسابَ الفتى إلى أمّهاتِهْ

جهِلوا مَنْ أبوهُ إلاَّ ظنونا ... وطَلا الوحشِ لاحقٌ بمَهاتِهْ

(١) المصدر السابق ص ٩١١

(٢) شروح سقط الزند ٣ ص ٩١١ [illegible]

(٣) المصدر السابق ص ٩٢٢ [illegible]

[illegible]

(٤) اللزوميات ١ ص ٢

ومن البديهي أن أبا العلاء لا يريد أن يقرر عقيدة دينية في هذه الأبيات ، حتى يترتب عليه حكم بالكفر أو نحوه . وإنما يريد أن يبين فيها أمرين :

أحدهما : جهالة الناس في عصره ، فإنهم في ضلال وتضليل ، يبنون أمورهم على الظن ، ولا يتحرون اليقين فيها ، أو لا يجرؤون على إظهار اليقين ، لما يترتب عليه من المفاسد والأضرار

والثاني : تهوين المرأة بالاحتفاظ بمعايبها ، لاسيما امرأة [illegible] ، وكلا الأمرين لا علاقة له بالعقائد الدينية ، وإنما هو من باب الإسراف في الظن أو من باب التصريح بالحقيقة الواقعة في العقل ، وهو إن أساء إلى المرأة قد أحسن إلى الأدب والحقيقة بهذه الصورة الرائعة والمعنى البديع ، وزعم صاحب (ذكرى أبي العلاء)(١) أن أبا العلاء لم يؤمن بأن آدم شخص حقيقي ، واستدل على ذلك بقوله(٢) :

قالَ قومٌ ، ولا أدينُ بما قا لوهُ : إنّ ابنَ آدمَ كابنِ عِرسِ
جَهِلَ النّاسُ ما أبوهُ على الدّهـ ـرِ ولكنّهُ مُسمّى بِحِرسِ
في حديثٍ رواهُ قومٌ لقومٍ رَهْطِ طِرْسٍ مُستنسَخٍ بعدَ طِرْسِ

وابن عرس : دويبة دون السنور ، أشتر أصلم أصك لها ناب ، وتجمع على بنات عرس ، والحرس : الدهر ، يريد أن قوماً زعموا أن آدم لا أب له ، كما أن ابن عرس لا أب له ، وآدم على زعمهم شيء لا حقيقة . وأبو العلاء صرح بأنه لا يدين بما دان به هؤلاء . فادعى صاحب

(١) ذكرى أبي العلاء ـ طه حسين ـ ط ٢ ص ٣٧

(٢) اللزوميات ـ ص ٣٢٥

(الذكرى) أن المعري لايؤمن بأن آدم شخص حقيقي ، وحمل قوله : « لا أدين عابد » من باب التقية ، وعده غريب وأغرب من كل غريب ، لأن أبا العلاء أثبت وجود آدم في عدة مواطن في كلامه وجوز أن يكون قبله آدم ، بل صرح بقوله(1)

وما آدمٌ في مذهبِ العقلِ واحدًا . . . .

كما سيأتي

وبعد ما تقدم فإن الشك باب من أبواب البلاغة ، وأسلوب بديع من أساليب البلغاء ، قد يتعمدونه لنكتة طريفة ، لا تؤدى بغير الشك كما تؤدى به ، ألا ترى أن زهيراً قال في هجاء آل حصن :

وما أدري ولستُ إخالُ أدري ... أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

فالظاهر أنه لم يعرف أن آل حصن رجال أم نساء ، مع أنه يعرف ذلك ، لأن في هذه الصورة دلالة على قرب الشبه بين الرجال والنساء ، حتى لا يكاد يفرق بينهم ، ولا يستطيع أن يميز أحدهما من الآخر ، فهو أجمل من قوله « هم نساء » وأقرب إلى التصديق ، وأحسن من قوله « هم يشبهون نساءهم » ، أو ما شاكل ذلك من الصور .

وكان المتقدمون يسمون هذا النوع التشكك ، والمتأخرون يسمونه « تجاهل العارف » وهو من ملح الشعر وطرف الكلام وكلام البلغاء طافح بمثل هذه الصور ، ولا يراد به الشك حقيقة ، وإنما يراد به نكتة طريفة إما مبالغة في تقارب الشبهين ، أو الإيناس أو إظهار التحير الذي لا يعقله المخاطب ، أو التوبيخ لمن يدعي المشكوك فيه ، أو المبالغة في مدح أو ذم

(1) اللزوميات ج ١ ص ٢٣١ وتمام البيت « ولكنه عند القياس أوادم » .

أو تحقير، أو تدله في الحب، أو غير ذلك مما هو مبسوط في كتب البديع والأدب. وفي القرآن الكريم كثير من هذه الصور مثل قوله تعالى لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس...﴾ (١) وقوله: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء﴾ (٢) فإن هذه الصور وأمثالها لا يصح أن يراد بها الشك حقيقة، لاستحالة ذلك على الله. وكذلك نفي اليقين قد يراد به غير ظاهره. فقد يراد به جعل الخبر أو الأمر صعباً حقيقة أو ادعاء، وقد يراد به تعجيز المخاطب أو تكليفه بثبات اليقين فيما يتعذر عليه أو يشق، كنفي اليقين عن حالة الموتى والآخرة، ومعرفة الأب الحقيقي، وما يكون في المستقبل. وأبو العلاء يجري على مثل هذا في كلامه، ولا يصح أن يجعل كل شك، أو يجعل نفي اليقين في كل موضع، موضعاً للكفر، ألا ترى أن قوله (٣):

أصبحتُ في يومي أسائلُ عن غدي ... مُتحيِّراً عن حالِه مُتندِّسا

أمّا اليقينُ فلا يقينَ وإنّما ... أقصى اجتهادي أن أظنَّ وأحدِسا

وهو صحيح، لأنه لا يعلم ما في غد إلا الله.

الحيرة

وأما قول من قال إنه في حيرة، فإنه رأى في كلام أبي العلاء ما يدل على تناقض في الرأي - بحسب زعمه - فحكم على ما رآه بحسب

(١) سورة المائدة / ١١٦

(٢) سورة النازعات / ٢٧.

(٣) اللزوميات ص ٢٩٦، وتندس [illegible] وأحدس أظن وأخمن

الطاهر . ولكن هذا القائل لم يعش الحيرة في شيء ، لعمر ما هي وما يترتب عليها . وظاهر كلامهم أنه في حيرة في اعتقاده بالله ، وبالآخرة ؛ وقد مرّ وسيمر ما يدل على بطلان هذا .

عدم الثبات على نحلة واحدة

وأما من قال : إنه كان لا يثبت على نحلة واحدة ، بل يجري مع القافية إذا حصلت . . . . فقد عرفنا أنه في الإسلام والتقوى أكثر من غيره لأنا إذا استقرينا مراميه المتعلقة باعتقاده لا نجد في ثمانية منها واحدة صريحة توجب الطعن في دينه ، ووجدنا المتأخر منها ، ونظرنا إلى قوة الأدلة وتعددها وصراحتها اضطررنا إلى الحكم بصحة إيمانه وسلامة اعتقاده ، وإذا أسقطنا الأدلة لتعارضها ، اضطررنا إلى أن نحكم بالترجيح ، وهو يخبرنا بأنه كان صوّاماً قوّاماً برّاً تقياً . وسيأتي إيضاح هذا وبسطه .

التشيع

وأما من قال إنه شيعي ، فقد استدل على تشيعه بقوله في لزوم ما لا يلزم (١) :

لَقَدْ عَجِبُوا لِأَهْلِ البَيْتِ لمّا ... أَتاهم عِلْمُهُم في مَسْكِ جَفْرِ (٢)
ومِرْآةُ المُنَجِّمِ وهي صُغْرَى ... أَرَتْهُ كُلَّ عامِرَةٍ وقَفْرِ

(١) اللزوميات ج ١ ص ٤٥٤

(٢) الجفر ولد المعز إذا بلغ أربعة أشهر ، وجفر جنبه وفصل عن أمه وأخذ في الرعي فهو جفر والأنثى جفرة . قال الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص ٢٩ : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، وإلى هذا الجفر —

ـــ أشار أبو العلاء المعري في قوله: لقد عجبوا لأهل البيت ... وظاهر كلامه يدل على أن قوله: وأين [illegible] ... ولذلك لا يصح لأن ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ هـ قبل ولادة أبي العلاء. وقد ذكر ذلك ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ص ٨٤ حيث قال: وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هارون بن سعد العجلي، وكان رأس الزيدية [illegible] وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب لهم فيه الإمام كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة .... إلى آخر ما قال. وقد نقل شيئاً من ذلك في مرآة الجنان ج ٣ ص ٢١٧ مع تغيير قليل. راجعها. ثم قال اليافعي [illegible] على يد [illegible] صاحب المغرب وقصته وحليته واسمه ...

ومثله لابن تيمية في (منهاج السنة ج ١ ص ٢٣١) فقد قال: ثالثاً الكذب على هؤلاء في [illegible] من أعظم الأمور ولا سيما على جعفر بن محمد الصادق فإنه ما كذب على أحد ما كذب عليه حتى نسبوا إليه كتاب الجفر والبطاقة والهفت واختلاج الأعضاء وأحكام الرعود والبروق [illegible] التي ذكر كثيراً منها أبو عبد الرحمن السلمي ... حتى نسبوا إليه كتاب (رسائل إخوان الصفاء) من كلامه

ومثله للسيد الشريف في (شرح المواقف ج ٦ ص ٢٢) عند قول العضد «[illegible] ولا يبعد أن يكون أحدنا عالماً بالجفر والجامعة» وهما كتابان لعلي رضي الله عنه قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما. وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى — رضي الله عنهما — إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك فقبلت منك عهدك. إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم. ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت. ورأيت أنا بالشام نظماً أشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين ا هـ

وفي كشف الظنون: الجفر والجامعة عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً. والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل، والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل. وقد ادعى طائفة أن الإمام علياً رضي الله عنه وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر. وهذا علم توارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم [illegible] ولا يقف في هذا الكتاب حقيقة إلا المهدي المنتظر .... ـــ

قال صاحب [illegible] خلاص [illegible]

لكي الحساني من [illegible]

أبي العلاء يدلان [illegible]

أمرَ الواحدُ فافعلْ ما أمر [illegible]

أطهرِ الجيفةِ [illegible]

أيُّها المُلحِدُ لا تعصِ [illegible]

إنْ تَعُدْ في الجسمِ يوماً رُوحُه [illegible]

[illegible]

وهي الدنيا ذاهبة أبدا [illegible] وواردة إثر زمر

يا ما لمستغن لا تحقر [illegible] أعتيق ساد فيها أم عمر

[illegible] ولم يدل [illegible] هو

[illegible] في [illegible] ([illegible]) و (لزوم

ما لا [illegible]) [illegible] على ذلك ، كقوله في [illegible] وقد

ذكر الشافعي [illegible] و وهو [illegible] قول [illegible] ، وقد كثر

في [illegible] من الشيعة » . وقوله : [2] [illegible] في علي

[illegible] » وقوله [3] و واعتقاد الكاسانية في

[illegible] [illegible] في لزوم

ما لا يلزم [4]

لعمرك ما أسر بيوم فطر ولا أضحى ولا بغدير خم

وكم أبدت تشيعها عدي لأجل تنسك سلاف قم

وهو [illegible] الإمام [illegible] ومن [illegible] يكون [illegible]

وهو قول [5]

والناس في ضلة لمن متتبع امام الغلو [6] وناصبي شار

---

(١) [illegible] ص ٣٩٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٩

(٣) المصدر السابق ص ٤٤٠

(٤) لزوميات [illegible] ص ٢٩١ [illegible] .

(٥) لزوميات [illegible] ص ١٠٣ [illegible] علي [illegible] السلام.

(٦) كذا في الأصل وفي اللزوميات أيضاً ، ولعلها : « الغلو » .

على أن أبا العلاء مدح ورثى كثيراً من أهل البيت الطاهر .

من ذلك قصيدته الحائية التي أجاب بها الشريف أبا إبراهيم موسى بن أحمد أبو إسحق ؟ وهي في (السقط (١) ج ١ ص ٥٦) .

وقصيدته النونية التي أجاب بها الشريف أبا إبراهيم موسى أيضاً : وهي في (السقط (٢) ج ١ ص ٩)

وقصيدته الميمية التي يجيب بها محمد [illegible] وهي في (السقط (٣) ج ١ ص ١٤٠)

وقصيدته الميمية التي رثى بها أبا إبراهيم . وهي في (السقط (٤) ج ١ ص ٢٠١)

وقصيدته الفائية التي رثى بها الشريف أبا أحمد والد المرتضى والرضي : وهي في (السقط (٥) ج ٢ ص ٥٥)

وسيأتي أن له كتاباً جمع به فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وروى له القفطي هذه الأبيات . (٦)

شهدتُ بأنّ الكلبَ ليس بنابحٍ   يقيناً وأنّ الليثَ في الغابِ [illegible]

(١) شروح سقط الزند ق ١ ص ٢٣٢ ، ومطلع القصيدة
الاح وقد رأى [illegible] ... [illegible]

(٢) شروح سقط الزند ق ١ ص ٤٣٥ ، ومطلع القصيدة
علاني [illegible] ... [illegible]

(٣) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٦٦٣ ومطلع القصيدة
[illegible] لعمري أن [illegible] ... [illegible] والأيام [illegible]

(٤) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٩١٩ ، وفيها [illegible] أبا إبراهيم العلوي ويخاطب أولاده ، ومطلع القصيدة
[illegible] ... [illegible]

(٥) شروح سقط الزند ق ٣ ص ١٢٠٤ ، ومطلع القصيدة
أودى [illegible] ... [illegible]

(٦) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٦١ عن إنباه الرواة للقفطي

وأنّ قريشاً ليس منها خليفة ... وأنّ أبا بكر شكا الحيف من عمر

وأنّ عليّاً لم يُصلّ بصحبه [illegible] ... وما ذو [illegible] أعظم من البشر

[illegible]

[illegible] وهي [illegible]

الاعتزال

ونُسب [illegible] مذهب المعتزلة ، واستدل بما يوهم ذلك من [illegible] ولا [illegible] مذهبهم ، [illegible] رأى جملة من كلامه توافق شيئاً من آرائهم ، فعده من [illegible] في (الغيث المسجم) : (١)

[illegible]

زعم الجهول ومن يقول بقوله ... أنّ المعاصي من قضاء الخالق

إن كان حقاً ما يقول فلمَ قضى ... حدّ الزنا وقطع كفّ السارق

[illegible] عنها مذكور في [illegible] الأدباء ، وهذان البيتان لم نرهما فيما وصل إلينا من كتبه

[illegible] (٢) وما يدل على حسن [illegible] أورد [illegible]

[illegible]

إن كان حقاً ما زعمت . . . .

(١) [illegible] للصفدي

(٢) [illegible]

فقد جعلها دليلاً على [illegible] و [illegible] أبو العلاء ،
وعلى [illegible] من شعره [illegible] ولا
ما يوجب [illegible] . [illegible] هذا [illegible] قوله (١)

إن كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلم على ما يفعل

وأبو العلاء يوافق [illegible] في [illegible] ،
ولكنه [illegible] في كثير من آرائهم [illegible]
منهم . [illegible] رؤسائهم من [illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible] قوله (٢)

ومعتزلي لم أوافقه ساعة أقول الذي [illegible]

وقوله : (٣)

واستغفر الله واترك ما حكى لهم أبو الهذيل وما قال ابن كلاب

وإذا وافق الإنسان أصحاب مذهب أو نحلة في [illegible] ،
لا يجب أن يكون من [illegible]
في كثير من الأصول والفروع [illegible] يكون [illegible] من مذهب
حتى يلتزم كل ما [illegible] .
[illegible] في [illegible] الكلام على [illegible] في شعره

(١) [illegible] ص ١٩٨
(٢) [illegible] ص ١٩٤
(٣) اللزوميات [illegible]

الجبر

وأما من قال : إنه جبري ، فإنه رأى في بعض أقواله ما يوهم الجبر ، فحكم عليه بذلك من غير أن يستقري جميع أقواله . وسيأتي في الكلام على الجبر أن أقواله في ذلك مختلفة ، منها ما يوهم الجبر المحض ، ومنها ما يقف فيه موقف الشاك ، ومنها ما ينقل فيه آراء غيره ، ومنها ما يصرح فيه بأنه غير جبري كقوله[1] :

وإنْ ساءلوا عنْ مذهبي فهو خشيةٌ … مِنَ اللهِ لا طَوقاً أبثُّ ولا جَبْرا

وأنه يرى في الجبر نسبة الظلم إلى الله تعالى في مثل قوله[2] :

إنْ كانَ منْ فِعْلِ الكبائرِ مُجبَراً … فعقابُهُ ظُلمٌ على ما يَفعلُ

وأكثر أقواله وأصرحها يدل على أنه غير جبري كما سيأتي .

البرهمية

وأما من قال : إنه برهمي ، فقد استدل على ذلك بأنه لم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة ، وأنه كان لا يرى إيلام الحيوان . وهذا كلام أبي العلاء في جوابه إلى داعي الدعاة[3] : « . . ومشهورٌ أن الأم إذا ذُبِحَ ولدُها وجدتْ عليه وجداً عظيماً ، وسهرت لذلك ليالي ، وقد أُخِذَ لحمه ، وتوفّر على أصحاب أمه ما كان يوضع من لبنها ، فأي

(١) اللزوميات [illegible] ١٣٠

(٢) انظر [illegible] حاشية ١

(٣) داعي الدعاة هو أبو نصر بن أبي عمران داعي الدعاة بمصر ، انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١١٦ و ١٢٩ عن إرشاد الأريب لياقوت الحموي

ذنب لمن تحرّج عن ذبح السليل ، ولم يرغب في استعمال [illegible] ، ولا يزعم أنه محرم ، وإنما تركه اجتهاداً في التعبد ، ورحمة للمذبوح ، ورغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والأرض [illegible] ، ثم ذكر الحديث الشريف : « [illegible] الطير في وكناتها » والآية الكريمة (١) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ [illegible] فإذا سمع من [illegible] هذا [illegible] ، ولا لوم عليه إذا طلب التقرب من رب السموات والأرض [illegible] كقاصد محرم وإن كان ذلك ليس بمحظور [illegible] (٢) [illegible] على ترك أكل الحيوان ، أن الذي لي في السنة [illegible] وعشرون ديناراً ، فإذا أخذ خادمي [illegible] ، بقي ما لا يعجب [illegible] تقدم هذه [illegible] في [illegible] ورحمة للمذبوح ، ورغبة [illegible] الله [illegible] على [illegible] في العقلة ، ولا يرضى أن [illegible] الناس [illegible]

وقد ذكر أن النبي ﷺ [illegible] من [illegible] عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) [illegible] (٣)

وروى ابن الوردي أن أبا [illegible] محمد بن علي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ [illegible] ابن الوردي [illegible] السيوطي في [illegible] ص ٦) [illegible] بن النحاس محمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٦٩٨ هـ [illegible] أن يكون [illegible] في [illegible] وكانت له [illegible]

(١) سورة المائدة آية ٩٥ .

(٢) [illegible] أبي العلاء [illegible]

(٣) تتمة المختصر لابن الوردي [illegible] ٣٨

(ح)

ص ٢٤٦) أن داود بن يزيد القرناطي السعدي المتوفى سنة ٥٧٣ هـ كان يأكل الشعير [illegible] كل [illegible] الأولى ، لأجل المداخل والمكاسب

وفيها في ص ٢٧٨ [illegible] أحمد الدلائي المتوفى سنة ٦٤٨ هـ كان [illegible] بالأندلس ، وكان لا يأكل [illegible] ، ولا سيما بعد حدوث الفتن ، فإنه قطع أكل اللحم

وقال [illegible] ، لم [illegible] على من ترك اللحم [illegible] حصوص وقد قال [illegible] وزهد فيه [illegible] الذي فيه لبن وعسل [illegible] رضي الله عنه [illegible] وعملا في يوم صائف [illegible] ، والكتب مشحونة بترك السلف [illegible] في [illegible] ، والرحمة للحيوان من [illegible] والشاة إن رحمتها رحمك الله وقد تركه [illegible] قربا إلى الله تعالى ، وعد ذلك في مناقبهم ومحاسنهم [illegible] الامتناع من أكل اللحم تركا للأخرى [illegible] ي ، هـ

[illegible] مما روي عن [illegible] رحمك [illegible] رسول الله [illegible] أرحم الشاة [illegible] رسول الله [illegible] أحد [illegible] والشاة إن رحمتها رحمك الله »

والتاريخ مكتظ بأخبار المتدينين الذين أمسكوا عن تناول الأطعمة والأشربة المباحة، زهداً منهم وورعاً في التقرب إلى الله، ولم ينكر عليهم أحد ذلك. وأبو العلاء المسكين يقول للناس: «لا أعتقد أن اللحم حرام، وأتركه اجتهاداً في التعبد». وهم يقولون له: «أنت برهمي تعتقد حرمته، شئت أم أبيت».

المزدكية

وأما نسبته إلى المزدكية، فأغرب من نسبته إلى ما قبلها، لأن مزدك كان يستحل المحارم، ويسوي بين الناس في الأموال والنساء، فيأخذ مرأة هذا ويعطيها إلى ذاك... ونعرف من أحوال أبي العلاء وأقواله أنه كان يشدد في حجب المرأة، فيمنعها من الصعود إلى السطح، ومن الخروج إلى الحمام، والعرس، والمأتم، والمسجد، ومن الذهاب إلى الحج ومن التوسع في علم القراءة والكتابة، ومن دخول الوليد عليها، ونحو ذلك مما يبدو في كلامه ... على شدة غيرته عليها، وكان ... زواج الحرائر وقد قال في اللزوم[1]:

برئتُ إلى الخلاقِ من أهلِ مذهبٍ ... يرونَ من الحقِّ الإباحةَ للأهلِ

وقال في اللزوم[2]:

قد أعرستْ عرسُ الأميرِ بتابعٍ ... صرعٍ فأينَ حليلُها المغيارُ

فالحكم عليه بعد هذا بأنه مزدكي لا يعدو أحد أمرين: إما أن يكون قائله جاهلاً بالمزدكية وبأبي العلاء معاً، وإما أن يكون مفترياً على أبي العلاء.

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢١١

(٢) المصدر السابق ص ١٣١

وستأتي تتمة القول في هذا ، عند الكلام على رأيه في الزواج ، وفي المذاهب والنحل

الدرزية

لبعض الأدباء ولع شديد بالإتيان بالغريب ، واستنباط الأحكام من الأدلة والحوادث ، ولو كانت على وجه بعيد ، كأن أحدهم يظن أن الناس يتقبلون منه كل ما يقوله من غير أن يعرضوه على محك العقل والنقد . وإذا لم يرَ من يرد عليه قوله اعتقد أن قضيته مسلمة لا يختلف فيها اثنان ، وربما كان السكوت عنه حجة لقوله أو رأيه . وقد ذهب بعض المتأخرين إلى أن أبا العلاء كان يعتنق المذهب الدرزي* ، واستدل على رأيه هذا بأن [illegible] الدعوة درزية في عنوانها ، وأنه تنوخي ، وأكثر التنوخيين [illegible] دعوة [illegible] وأنه من المعرة ، وقد كانت شمالي سورية من مبادئ تلك الدعوة ، وأن في شعره شبهاً لما جاء في المذهب الدرزي ، وأنه ذكر البعض [illegible] وهذه الحجة [illegible] ، وأعتقد [illegible] عندهم [illegible] إلى غير ذلك من الاستنباط الغريب .

[illegible] على حقيقة المذهب الدرزي ، [illegible] من الصحة وعدمها ، [illegible] في أقوال العلماء والأدباء يدل [illegible] على [illegible] هذا المذهب .

ومن ذلك أنه ذكر [illegible] في مواضع من [illegible] وحض على تركه وعلى قطع [illegible] ، وعلى عدم تعليم [illegible] ، ونحو ذلك مما لا يتفق مع المذهب الدرزي . وذكر في رسالة الغفران ص ١٥٢ ، مذهب الحلولية ، ثم قال(١) : « وتؤدي هذه النحلة إلى التناسخ ، وهو

(١) انظر ما سبق ص ٤٠٢ حاشية ١

مذهب عتيق يقول به أهل الهند، وقد كثر في جماعة من الشيعة، نسأل الله التوفيق والكفاية». ثم قال في ص ١٥٧ : «والحلولية قريبة من مذهب التناسخ». ثم أورد قصتين عمن يقول بالتناسخ، وقال في (لزوم ما لا يلزم)(١) :

يَقُولُونَ: إِنَّ الجِسْمَ يُنْقَلُ رُوحُهُ ... إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يُهَذِّبَهَا النَّقْلُ
فَلَا تَقْبَلَنْ مَا يُخْبِرُونَكَ ضَلَّةً ... إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْ مَا أَتَوْكَ بِهِ العَقْلُ

وقال فيه(٢) :

مَضَى قَيْلُ مِصْرَ إِلَى رَبِّهِ ... وَخَلَّى السِّيَاسَةَ لِلْخَابِلِ
وَقَالُوا يَعُودُ فَقُلْنَا يَجُوزُ ... بِقُدْرَةِ خَالِقِنَا الآئِلِ
إِذَا هَبَّ زَيْدٌ إِلَى طَيِّئٍ ... وَقَامَ كُلَيْبٌ إِلَى وَائِلِ

وهذا وأمثاله، مما سيأتي، يدل على أنه لم يكن يعتقد ما يعتقده أهل هذه النحلة.

القرمطية

زعم بعض المستشرقين أن أبا العلاء كان يدين بمذهب القرامطة، وبنى قوله هذا على شبه واهية، وتلقفها فريق من المؤلفين بكل غريب من غير بحث ولا تدبر. والدليل على بطلان هذا الزعم أن أبا العلاء كفّر القرامطة، ولعنهم وفضّل عليهم الجاهلية، وأغرق في التنديد بهم في

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١٩٥ .
(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٢٢٤ وأكثر [illegible] من أن [illegible] رجعة [illegible]

(رسالة الغفران[1] ص ١٤٥ وص ١٤٧) وفي (لزوم ما لا يلزم)
ولا أعلم كيف يستجيز هؤلاء أن يقولوا إن أبا العلاء يدين بمذهب بعض
أصحابه ويكفرهم ويقول فيهم[2] :

إنما هذه المذاهبُ أسبا ... بٌ لجذب الدُّنيا إلى الرؤساء
كالذي قامَ يجمعُ الزَّنجَ بالبَصْـــرةِ والقرمطيِّ بالأحساء

وستأتي تتمة القول في القرامطة على وجه لا يبقى معه شك في أنه
لم ينتحل هذه النحلة

التقية

وقد زعم فريق أن أبا العلاء كان من أهل التقية ، يبطن غير ما يظهر
من العقائد ، كما أنه كان يدخل الغموض في كلامه والغريب في لغته
ليخفي مقاصده وأغراضه ولا يصرح بها تقية ، واستدلوا على ذلك بدلالة
هي أوهى من بيت العنكبوت ومن البديهي أن الإنسان لا يلجأ إلى
التقية إلا إذا مرض يخاف فيه فتنة أو شرًّا ، أو يخشى أذية وانتقاما
وأعظم هذه المواطن حضرة الأمراء والوزراء والكبراء ، ورؤساء المذاهب
والعقائد والأديان والشرائع ونحوها من المواطن التي تثير أهل الحول
والطول ، أو تستثير الدهماء والغوغاء . وقد رأينا أبا العلاء في كثير من
هذه المواطن ، إن لم نقل في كلها ، غير مبال في بحثه ، ولا وجل في
إبداء رأيه وقد صرح بالكثير من الأمور التي هي أجدر من غيرها بالتقية ،

(١) أنظر الرسالة تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٣٧٨ و ٣٨٥
(٢) اللزوميات ج ١ ص ٢٦

وجبهه الكبراء والرؤساء بالنقد اللاذع والتنديد القارص ؟ ولم يحسب لأحد حسابا ... دون التنبيه من يقول في معرض عصره :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤها (1)

. . .

ساس البلاد شياطين مسلطة ... في كل مصر من الوالين شيطان (2)

. . .

فإني أرى الآفاق دانت لظالم ... يغر بها بعد ويشرب خمرها (3)

إلى غير ذلك من الأبيات الأخرى في الكلام على السياسة . ويقول في الشرائع (4) :

إن الشرائع ألقت بيننا إحنا ... وعلمتنا أفانين العداوات

ويقول في الأديان (5) :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... ويهود حارت والمجوس مضلله

ويقول في رؤسائه (6) :

يتلون أسفارهم والحق يخبرني ... بأن آخرها مين وأولها

. . .

(1) اللزوميات ج ١ ص ٢٣

(2) اللزوميات ج ٢ ص ٢٦٢ وفيها « ساس الأنام »

(3) اللزوميات ج ١ ص ١٣٨ .

(4) اللزوميات ج ١ ص ٦٧ وفيها « ... » وأودعنا ...

(5) اللزوميات ج ٢ ص ٢٠٦

(6) اللزوميات ج ٢ ص ٢٤ .

فما العظات وإن راعت سوى حيل ... من ذي مقال على ناس تحولها

. . .

يدعون في جمعاتهم بسفاهة ... لمليكهم فيكاد يبكي المنبر[1]

. . .

ولم آمن على الفقهاء حبساً ... إذا ما قيل للأمناء جوزوا[2]

ويقول في الناس عامة

قالوا فلان جيد فأجبتهم ... لا يكذبوا ما في البرية جيد[3]

. . .

قـل أبو عالمنا آدم ... ونحن من والدنا أفسل[4]

ولم يدع صنفاً من الناس إلا قرّعه بمثل هذه الصراحة القارصة. فقد تناول الملوك والكبراء، والشعراء والخطباء والوعاظ والقصاص والفقهاء والمتكلمين والنحاة والعدول والتجار ورؤساء النصارى واليهود وغيرهم من أرباب النحل، ولم يسلم من نقده حي ولا ميت، وسلك في جميع هذه المواطن سبيل الصراحة الواضحة، ولو كان عنده شيء من التقية لكانت

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١٢٣ وفيه [illegible] .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٣
(٣) اللزوميات ج ١ ص ٩٧ ، وفيه [illegible] .
(٤) اللزوميات ج ٢ ص ١٠٢ ، وفيه [illegible] لا [illegible] .

في هذه المواضع أولى منها في غيرها . ومن الأدلة الواضحة على براءته من التقية قوله في حضور الجمعة (١) :

وهل ليَ خيرٌ في الحضور وإنما ... أزاحم من أخيارهم إبلاً أخرنا

فقد صرح بأنه لا يرى خيراً في حضورها ، وكان في وسعه أن يقول : إنه لا يجب عليه لأنه مريض ولأنه اشترط في وجوبها سلامة البدن ، ولكنه أراد أن يحافظ على القصد الذي أراده من الاستتار حتى عن غيرهم .

وأصرح منه قوله (٢) :

وينفر عقلي مغضباً إن تركته ... سدى واتبعت الشافعيَّ ومالكا

وقوله (٣) :

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهداً ... وأرحل عنها ما إمامي سوى عقلي

وقد أشرنا إلى ذلك في مواطن من هذا الكتاب تدل على أن أبا العلاء سبح وحده في جرأته الأدبية .

★ ★ ★

(١) اللزوميات جـ ١ ص ٣٨
(٢) المصدر السابق ص ١٨٥
(٣) المصدر السابق ص ٣١

خلاصة ما أراه في اعتقاد أبي العلاء

رأيت من المفيد ، قبل أن أبين رأيي في عقيدته ، أن أذكر مقدمات تيسر لنا الوصول إلى النتيجة بسهولة ، وهي

الأولى – تصح لنا صحة ما ذكره المؤرخون من أن أبا العلاء كان محسوداً على فضله ، وأن حساده وأعداءه كانوا يتقولون عليه ويفترون عليه ، وكانوا يضعون على لسانه الأبيات قصداً لإهلاكه ، ولكن لم يتسن لنا أن نميز منهم شيئاً من تلك الأبيات ، لتعذر مدى ذلك الافتراء ، ولم نميز بينه وبين شعره الحقيقي

وأن الشيء المحرف منها من (لزوم ما لا يلزم) ليس بالكثير ، فكتب (رسالة الضبعي) إلى مصر لذويه يشكوهم إليه ، وذكر أن في بعض نسخاً من هذا الكتاب بريئة من التحريف والعبث

وأنه صنف كتاباً في الرد على من طعن فيه من معارضته القرآن – وفي ظنون من أبيات منه جوهر من (لزوم ما لا يلزم) وكفروه بسببها – وقد سماه (زجر النابح) ، ثم ضعفوه فيه أبيات من ذلك الموضع كتاباً آخر سماه (بحر الزجر) و (نجر الزجر) وبين فيه تحريف ووجوه الأبيات ومعانيها التي يريدها منها . ولو تيسر لنا الاطلاع على تلك الرسالة وهذين الكتابين لكشفت لنا وجوه عديدة تعين على الدرس والبحث

الثانية . تصح لنا ومستخلص مما ذكرناه وما سنذكره أن كثيراً حرفوا أبياتاً من كلام المعري لأسباب مختلفة ، فمنهم من فعل ذلك ليتخذ منه مصراً في ذم المعري ، ومنهم من فعله منتصراً لغيره ، ومنهم من فعله

بعدم فهمه كلامه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا أمثلة كثيرة من هذا القبيل ولكننا نكتفي بالإشارة إلى ما سبق وما سيلحق .

الثالثة : أن كتب المعري التي وصلت إلينا معمورة بالشعور الإسلامي وليس في شيء منها مستمسك لأعدائه إلا ثلاثة : (الفصول والغايات) و (رسالة الغفران) و (لزوم ما لا يلزم)

أما الفصول والغايات : فقد زعم بعض المتقدمين أنه عارض به السور والآيات ، واقتفى أثرهم بعض المتأخرين ، وزعم فريق أنه ليس بين الفصول والغايات وبين القرآن الكريم معارضة ، وإنما هي مشابهة ، وهذا يدل على أن باب التقوّل لا يزال مفتوحا في هذا العصر ، وقد بينا بطلان هذا كله في الكلام على الفصول والغايات .

وأما رسالة الغفران : فقد زعموا أن فيها تهكما واستهزاء بكثير من الأمور الدينية الخفية التي لا يستطيع أحد أن يعلمها ، ولا ندري أخفيت على صاحبها ولم تخف على غيره أنه أراد برسالة الغفران التهكم والاستخفاف . وإذا قيل إن كلامه في بعض المواطن يحتمل ذلك ، نقول إن الاحتمال يضعف الدليل ، ويبطل الاستدلال به ، وأكثر كلام الناس يحتمل مثل ذلك ، والحكم على الاحتمال لا قيمة له في نظر العلم .

وأما لزوم ما لا يلزم ، وهو أكثر ما يعول عليه الطاعنون في دين أبي العلاء ، وأكثر ما عبث به وحرف من كلامه ، فقد طبعت منه نسخة مملوءة بالتحريف والغلط ، وعبث الشراح بتصحيح بعض الكلمات وفي تفسيرها وشرحها ، كما بينا ذلك في الكلام على لزوم ما لا يلزم ، وعلى هذا فلا يأمن الإنسان من تحريف يقع في الأبيات التي تتعلق بعقيدة أبي العلاء ، أو خطأ في تفسيرها

الرابعة أن لزوم ما لا يلزم ديوان شعر، والشاعر فيه يبالغ في بعض الأمور، ويتجوز في بعض آخر، وقد يتخيل غير الواقع واقعاً، ويقول ما لا يعتقده حرصاً على نكتة أو عذوبة، ويضطر المعنى ولا يخطر في باله ما يترتب عليه، ويقول ما لا يفعل، ويهيم في كل واد، وقد يعرض نفسه للمؤاخذة في كلامه حرصه على نكتة أو غرض يريده، كما وقع لذي الرمة في قوله (١):

ما بال عينيك منها الماء ينسكب . . . .

ولجرير في قوله (٢):

أتصحو أم فؤادك غير صاح . . . .

وقوله (٣):

تعرّضت تيم لي [عمداً] لأهجوها كما تعرّض لاست الخارئ الحجرُ

وقد يأتي في كلامه دعابة أو غزل، كما قال أبو العلاء (٤):

لا تقيّد عليّ لفظي فإني مثل غيري تكلّمي بالمجاز

وقد كان الأمر على ما ذكرناه، فليس من الحق والعدل أن نزن أقواله في (لزوم ما لا يلزم) بما نزن به النصوص الشرعية، من آيات القرآن الحكيم، وحديث النبي الكريم، ولأن نحذر في كلامه عن

(١) ديوانه صفحة [illegible] وما بعدها [illegible] من كلمة معروفة [illegible]
(٢) ديوانه ص ٩٧ [illegible] مطلع قصيدة [illegible] عبد الملك بن مروان وعجزه [illegible] عشية [illegible]
(٣) ديوانه ص ٢٨٣ وهو [illegible] من قصيدة [illegible] الفرزدق، وورد [illegible] في [illegible]
(٤) اللزوميات ج [illegible] ص ١٧٥

ما يعثرون به في أقوال العلماء في كتب الدين ، ولا أن يدقق في مذهبهم ومقاصدهم مثل ما يدقق في كتب العقائد ؛ لأننا لو سلكنا هذا السبيل لوجدنا أكثر الشعراء كفرة وملحدين ، من حيث لا يشعرون ولا يقصدون .

وإن تشدد بعض العلماء في مثل هذا تساهل فيه بعض آخر أن يطعن في عقيدة الإمام الغزالي لقوله : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، ولا يعتقد عاقل منصف أن الغزالي يريد بكلمته هذه نسبة العجز إلى الله تعالى . وكذلك كفر بعضهم ابن الرومي بقوله (١) :

كثرت موبقاتُ بورانَ حتى ضاقَ عنها عفوُ الغفورِ الرحيمِ

وكفر فريق أبا الطيب بقوله (٢) :

وكلُّ ما خلق الله وما لم يخلقِ

محتقرٌ في همتي كشعرة في مفرقي

وكفر فريق ابن نبيه بقوله (٣) :

اللهُ أكبرُ ليس الحسنُ في العربِ .

وأمثال هذا كثير .

الخامسة : أن أبا العلاء جرى على طريقة المعتزلة والحكماء النظريين ، بجعل العقل أساساً لجميع آرائه ، ورده عليهم بعض كل عقل نبياً ، وعلى هذا الأساس ذهب في (الفصول والغايات) إلى أن الله يقدر على المستحيلات ؛

(١) ديوانه شرح كامل كيلاني طبعة القاهرة ص ١١٥ القصيدة ١٣٩ .

(٢) انظر العرف الطيب ص ٣٤ ومجمع ... في محل أرمي ... أبي الطيب المتنبي .

(٣) ديوانه طبعة القاهرة .

لأن عدم القدرة عيب وعجز، والعجز صفة نقص يجب أن ينزه الله عنه فقد قال في (الفصول ص ١٧٤، ٢٠): «يقدر الله على المستحيلات، رد الفائت وجمع الجسمين في مكان وما لا تحتمله الألباب، إذ كان لا ينسب إلى عجز ولا انتقاص ...» وفي اللزوم كثير من هذا القبيل.

ولا نستطيع أن ننكر أن كثيراً من الأمور الشرعية يقصر العقل عن إدراك حكمة الشارع فيه، فإنكار أبي العلاء بعض الشرائع لقصور عقله عن إدراك حكمتها، لا لمجرد الاعتراض على الشرائع. ولو تسنى للإنسان أن يطلع على قلوب العلماء، لرأى فيها من الإنكار أضعاف ما ظهر على لسان المعري، ولكنهم يستترون ولا يبدون ما في ضمائرهم وأبو العلاء اجترأ وأظهر للناس ما في قلبه.

السادسة: قد يكون فيما نقل من أقوال المعري، بيت أو شطر أو جملة، يوهم الحكم عليه بسوء الاعتقاد، ويكون في جانبها أبيات وأقوال كثيرة صريحة في الدلالة على حسن اعتقاده، فيتمسك الطاعنون بالبيت أو الشطر على ما فيه من خفاء أو نظر أو شبهة، ويعرضون عن الأبيات الصريحة الكثيرة. ولم يلتفتوا إلى قوة الأدلة ولا إلى تكاثرها ولا إلى رجحان الصريح على غيره، ولا إلى ترجيح المتأخر على المتقدم

مع أن القاعدة عند العلماء، أن الدليل إذا طرقه الاحتمال كساه ثوب الإجمال، وسقط به الاستدلال؛ وأن الصريح من الأدلة يرجح على غيره، إذا كانا متساويين في القوة. وأن الأدلة المتعددة أقوى من الدليل الواحد، إذا كانت متساوية في طريق الإثبات. وأن الأدلة المتساوية في القوة إذا تعارضت تساقطت. وليست لدينا نصوص تاريخية موثوق بها تعين لنا زمن كل قول من أقوال أبي العلاء حتى نجعل المتأخر منه

بعضها المتقدم . فهذا فرضت أن أقواله الدالة على إيمانه مساوية لأقواله الدالة على كفره من كل وجه ، وجب أن نحكم بسقوطها معاً حتى لا يكون العمل بأحدهما ترجيحاً بغير مرجح ، ووجب أن نلتمس دليلاً آخر من غير أقواله نستدل به على إيمانه أو كفره ، ولم يبق لدينا إلا حياته العملية . والتاريخ يحدث أنه كان يصوم الدهر ، ولم يعهد أنه ترك الصلاة حتى ترك الحياة ، وكان طاهر اللسان واليد والذيل ، ولم يعرف أنه أساء إلى أحد أو أضر بأحد أو جهر بمنكر ، أو اقترف كبيرة ، أو ارتكب ما يخالف الدين والأدب ، ولم ينقل عن أحد من الناس على كثرة من كانوا يستقطون عثراته ، ويتقصون عن زلاته وهفواته ، أنه شذ في شيء من أعماله عن سنن الشريعة الإسلامية .

وهذا القدر كاف في الدلالة على صحة إيمانه وبراءته ، نقول هذا معترفين من حساده وأعدائه ، على أن أقواله الدالة على إيمانه أكثر عدداً من أضدادها ، وأشد ثبوتاً وأكثر صراحة ووضوحاً

السابعة أن بعض خصومه أو حساده ، إذ رأوا في كلامه شبهة ، هم نسبته إلى الإلحاد تمسكوا بها ، وجعلوها من الأدلة القطعية . ورب أسطورة لا حقيقة لها ، كما فعل الزمخشري في نعت الهدي وصف به القدر (١) ،

(١) [illegible] من منه أبي العلاء [illegible] أبي أحمد السعدي والد الشريف الرضي والمرتضى وهو

[illegible]

وقد علق الزمخشري عليه [illegible] قصيدة على تشبيه القرآن العظيم بالقصص [illegible] في [illegible] شرح التقصد .

انظر شروح سقط الزند ج ٣ ص ١٢٣١ ، ومعجم [illegible] ص ٣٦١

ويقوت في أبيات كثيرة من ذكرى(1) والثاني في قوله(2) :

. . . .   فداعٍ إلى ضلالٍ وهادِ

وإذا رأينا في كلامه ما يوجب [illegible] من الأدلة القطعية علونا هذا تقيه ، ولسنا إذا جرينا على هذه الطريقة الفاسدة ، نستطيع أن نحكم بالكفر على كل إنسان ، حتى في قوله : « لا إله إلا الله » فنجعل قوله « لا إله » نفياً للإله ، وهو موجب الكفر ، ونجعل قوله « إلا الله » من باب التقية . وهذا غاية في السخف والعسف .

الثامنة : قد أنكر الناس على أبي العلاء مواطن كثيرة من قوله ، يكاد ينحصر معظمها في أمور

الأول : [illegible] بالعقيدة بالله ، وينحصر في قوله بجحد [illegible] أثبت الله جميع الصحف التي [illegible] أهل السنة ، ونفى عنه ما نفوا ، ولم يشذ عنهم

(1) [illegible] ص ٣٧٦ [illegible]

(2) [illegible]

إلا في مسائل الزمان والمكان ، وحصل أنه قدر على التعبير وقد نسبه بعضهم إلى الجبر ، ورجح هو [illegible] منه ، واستدل على بطلانه . ومن يره الإنسان في بعض أفعاله ، يوهم الجبر ، فهو من نوع ما يعوده نفسه في شئون أمره الاختيارية [illegible] الإرادة أو الكسب ، ومن [illegible] يصحح هذا والاستدلال عليه

الثاني : ما يتعلق بالكتب السماوية

أما القرآن فقد [illegible] في مواضع كثيرة ، ويذكر جواز [illegible] ، ووصفه في (رسالة الغفران في ص ١٥٨)[1] وصفاً [illegible] على [illegible] حرج من قلب مفعم بالإيمان الصحيح ، وقد تقدم أن الدروحي دخل عليه في وقت خلوته فسمعه ينشد أبياتاً [illegible] من [illegible] ثم قال : [illegible] من تكلم بهذا في القدم [illegible] على هذا [illegible] الكتب السماوية لم ينكرها ، [illegible] أهل العلم [illegible] في مثل قوله[2]

ألا إنّما الحبرُ المِدادُ بكاذبٍ [illegible] تكتب العلماء والأحبار

وقوله[3]

ألا إنما توراتكم [illegible] الكميت مُحلّله

الثالث : ما يتعلق بالأنبياء والرسل

لا يجد الباحث في كلام أبي العلاء [illegible] على إنكاره الرسل ، وعلى [illegible] واحد منهم ، بل [illegible] الصلاة عليه .

(١) انظر رسالة [illegible] ص [illegible]

(٢) اللزوميات [illegible] ص [illegible]

(٣) المصدر السابق ص [illegible]

وقد مدح محمداً ﷺ في مواضع من شعره، وحسبك منها قصيدته التي يقول في أولها(١)

دعاكم إلى خير الأمور محمد   وليس العوالي في القنا كالسوافل

وتوعد بالعقاب، لو استطاعه، من أنكر نبوة موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم في قوله(٢)

قالت معاشر لم يبعث إلهكم   إلى البرية عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا للقوم مأكلة   وصيّروا لجميع الناس ناموسا
ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا   حتى يعود حليف الغيّ مرموسا

ولا [illegible] في هذه [illegible] في أحد من الأنبياء، إلا قوله في داود عليه السلام حين تكلم في النسل والإنسان، ففيها شيء من الشذوذ، ولكن يمكن [illegible] حسناً، [illegible] راو واحد، وقد ذكر له [illegible] من هذا النوع ولكنها ليست في شيء من كتبه [illegible].

الرابع: الملائكة

لقد ذكر أبو العلاء الملائكة في نثره ونظمه، ولم [illegible] عن [illegible] إيجادهم [illegible] وجودهم في الأرض، وذكرهم في مواضع من [illegible]، [illegible] فقد قال في لزوم ما لا يلزم(٣)

لست أنفي عن قدرة الله أشبا   حَ ضياء بغير لحم ولا دم

(١) [illegible] ص [illegible]
(٢) [illegible] ص [illegible]
(٣) المصدر السابق ص ٢٥٨

وقال فيه (١)

إنْ لم يكن في سماءٍ فوقنا بشرٌ   فليس في الأرض أيضاً تحتها ملكُ

وقال في السقط ٢

هوَ مثلُه في الفضل إلا أنَّهُ   لمْ يأتِه برسالة جبريل

وفي (رسالة الملائكة) ٣ أتى على طائفة منهم، وذكر أسماء بعضهم وأعمالهم في ص ٥ – ٨ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٤٣ وغيرها

وفي (رسالة الغفران) ذكر رضوان والملائكة في ص ٨ ، ١٨ ، ٥٤ – ٥٥ – ٥٦ – ٥٩ – ٦٠ – ٧٣ – ٧٤ وغيرها.

وذكر الملك في (ملقى السبيل) ص ١٤ – ١٥

وذكره في (الفصول والغايات ج ١ ص ٧٣).

وذكر الملك والملائكة في رسائله ٤ في ص ٩ ، ٦٠ ، ١٠١ ، ١٦ وغيرها

الخامس الجن

زعم بعض الأدباء أن أبا العلاء ينكر الجن، وهذا الزعم باطل لأنه صرح بذكر الجن في مواضع من كلامه منها قوله في (لزوم ما لا يلزم ٥)

مَنْ لي بأني وحيد لا يصاحبني   حيٌّ سوى الله لا جنٌّ ولا إنس

١) اللزوميات ج ٢ ص ١٨٣

٢) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٨٧٣

٣) [illegible] ص ٨١ [illegible]

٤) الرسائل – الناشر عطية

٥) اللزوميات ج ١ ص ٣٠١

وقوله في سقط الزند (١) :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنًا عدّوه من صنعة الجنِّ

وذكر الجن في (رسالة الغفران) في مواضع متعددة وذكر أشعارًا على ألسنتهم، وذكرهم في (رسالة الملائكة ص ٤٠، ٤١) ولم ينكر وجودهم لا تصريحًا ولا تلميحًا، وقد قال إنه لم يعرف شخص الجن، وما صح عنده أن المراد تنقضي ... من الجن، وكلا الأمرين لا يوجب كفرًا ولا زندقة، وسيأتي تتمة القول في هذا الموضوع

السادس : الحشر

في (اللزوميات) وحدها أكثر من ... بيت كلها صريحة في ذكر الحشر، أو ما يكون فيه من جنة ونار أو حساب أو ميزان، أو ذكر الآخرة وما يقع فيها، كقوله (٢)

اعمَلْ لأخراكَ شروى مَنْ يموتُ غدًا

واذأبْ لدنياكَ فعلَ العابرِ الباقي

وقوله (٣)

ومتى شاء الذي صوّرنا أشعَرَ الميتَ نشورًا فنُشرْ

وفي (سقط الزند) عدد كبير من ذلك كقوله (٤)

فإن أستطعْ في الحشر آتكَ زائرًا وهيهاتَ لي يومَ القيامة أشغالُ

---

(١) شروح سقط الزند ق ٢ ص ٩١٧

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٢٠٣

(٣) المصدر السابق ج ص ١٦٨

(٤) انظر ما سبق ص ٣٠٥ حاشية ٢

وفي (ملقى السبيل) ذكر الآخرة في مواضع كقوله (١) :

نفتُ عن الأخرى فلم أثنه ... وفي سوى الذُّر هجرتُ الكرى

. . .

« والعين تنحدر تدمع ... والشخص بالأقصبه ... وفي الآخرة يكون المجتمع (٢) » . و (رسالة الغفران) كلها دالة على الحشر وما فيه وفي (رسالة الملائكة) ذكر الملائكة والجنة ، وما فيها من فاكهة ومتع ، وماء الحيوان ، وطوبى ، والنار ، وغيرها . وذكر في (الفصول والغايات) النار ([ج ١] ص ١) والآخرة (ص ٢٣ و ١٤٣) ، والحشر (٤١ و ١٣٥) ، والقيامة (٤٨ و ٨٠) ، والبعث (١٣٥) ، وفي غير هذه المواضع ، وذكر مثل ذلك في (رسالة المنيح) (٣) ورسالته الى خاله ، وفي [illegible] سكن وغيره ولو جمعنا أقواله في الحشر وما يتعلق به مما وصل إلينا من كتبه ، على قلتها ، لخرج منها كتاب عظيم ، وكلها صريحة في الدلالة على ما تقدم ، وقد تمسك بعض الباحثين بقوله (٤) :

تحطمنا الأيامُ حتى كأننا ... زجاجٌ ولكن لا يُعادُ لنا سبكُ

فجعله منكراً للبعث به ، وسيأتي بطلان ذلك ، وإيضاح هذه المسألة والاستدلال عليها

(١) ملقى السبيل [illegible] ص ٢٢٨ [illegible]

(٢) [illegible] ص ٣١٣ [illegible]

(٣) [illegible] ص [illegible] ٦٧ [illegible]

(٤) اللزوميات [illegible] ص ١٨٧ [illegible]

تحطمنا [illegible] ولكن لا يعاد [illegible]

وبعد هذه المقدمات نقول :

إن الحكم على إنسان بالتكفير أو الزندقة حكم شرعي ، والأحكام الشرعية طرق معروفة وشروط لابد من رعايتها حتى يكون الحكم صحيحا

منها أن الإنسان لايجوز أن يحكم عليه بالكفر ، إلا إذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ، أو أمراً مجمعا عليه .

ومنها أن الحكم على إنسان بالكفر بسبب قوله لايكون صحيحا إلا إذا ثبت بدليل صحيح أنه تكلم بذلك القول على هذا الوجه المكفر .

ومنها أن الدليل لايكون موجباً للحكم إلا إذا كان صريحاً في دلالته على التكفير ، سالماً من الاحتمال والمعارضة بدليل يساويه في القوة أو يزيد عليه . ولم يتوفر ذلك كله في شيء من الأسباب المنسوبة إلى أبي العلاء ، فقد ثبت عندنا أن كثيراً منها من عبث النساخ والشراح ، وتأول المتأولين ، وغيرة الغيورين ، وتحريفهم عمداً أو جهالة ، وتعارض الأدلة المتناقضة . وعلى هذا لانستطيع أن نحكم حكما جازما بكفر أبي العلاء أو زندقته ، لفقد الدليل الصحيح على ذلك ؛ فترجع القضية إلى تكفيره على سبيل الشك والاحتمال ، وهذا لاقيمة له في نظر العلم ، ولا يزن جناح بعوضة عند العلماء .

ونحن لانحاول في كلمتنا هذه أن ننزه أبا العلاء من كل ما ألصق به ، ولا أن نجعله في مصاف الصحابة والتابعين ، ولا في منزلة الأولياء المقربين ، ولا أن ننكر أن في كلامه مايوجب مؤاخذته ، والحكم عليه بمثل ماحكموا ، إن صح مانقلوه ، وإنما نريد أن نبين أن تكفيره يتوقف على ثبوت مانسب إليه من الأقوال المكفرة بطريق صحيح ، وهذا لم يمكن للأصحاب في عصرنا . وإنا لاننكر فوق ذلك أن في أسئلته التي

نسبوه الى الكفر بسببه ، وفي غيره أيضاً ، ما لم تستعد مدارك الأمة بعدُ لإدراك حقيقته فيه . ومتى ما تستعد الأمة لفهمه ، ولا بد أن يأتي يوم يدرك الناس فيه مراميه من أقواله ويفهمونها حق الفهم ، فيعرفون من هو أبو العلاء وما هو

والذي أعتقده أن أبا العلاء ما كان يتعمد الكفر في تلك الأقوال ، ولا يرى فيها ما يوجب الكفر ، لأننا رأينا كثيراً من العلماء والحكماء والشعراء من يتكلم بالكلمة ، يريد أن يقرر بها رأياً ، أو يعرب فيها عن معنى استجاده ، ولا يلتفت الى ما يترتب عليها من الوجهة الدينية أو الأدبية . وقد يجوز أن لا ينتبه الى ذلك . ومن هذا القبيل ما وقع من الغزالي ، وابن رشد ، وابن سينا ، وأمثالهم ، فإن المشهور من حال كل منهم أنه كان مؤمناً بالله ، وانه يريد ان يوفق بين الحكمة والشريعة الإسلامية ، ولكنه وقع في كلامه ما لا يوافق الشريعة ، إما لعدم تنبهه ، وإما لأنه كان يعتقد أن ذلك القول لا يوجب الكفر ، ولكنه لم يتعمد الكفر في قوله . وفرق عظيم بين تعمد القول المكفر وبين وقوعه من غير انتباه الى ما يترتب عليه ، أو وقوعه مع اعتقاد انه غير مكفر لشبهة

وقد بينت في الكلمة التي ألقيتها في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ونشرت في (ص ٢٨١) من الكتاب الذي نشره المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م وسماه بهذا الاسم ، طرفاً مما ذكرناه هنا ، وزدته في بعض النواحي . وسيأتي تتمة القول في معتقده ، وبيان ما آخذه به العلماء من أقواله ، عند الكلام على فلسفته إن شاء الله تعالى

لزوم بيته

كان أبو العلاء ، في عنفوان شبابه ، ينحط في حالة سجن واحد وهو العمى فلما عاد من بغداد وعزم على الانفراد أضاف إلى الأول سجناً ثانياً وهو لزوم بيته ، وسمى نفسه رهن المحبسين . وقد نص على ذلك بقوله من قصيدة درعية في (السقط ج ٢ ص ١٧٣ [١]) :

لِذاكَ سَجنتُ النفسَ حتّى أرَحتُها

من الإنسِ ما إخلاءُ رَبعٍ بإخلالِ

وقد تقدم بعض أبيات منها في الكلام على إجماعه على الانفراد والعزلة

ثم لما أمعن في التفكير ، ودرس الحياة وما فيها درساً عميقاً ، أضاف إليهما سجناً ثالثاً ، وهو حبس الروح في الجسد فأصبح في ثلاثة سجون كما قال [٢] :

أَرَاني في الثلاثةِ من سُجُوني ... فلا تسألْ عن الخبرِ النَّبيثِ
لِفقدي ناظِري ولُزومِ بَيتي ... وكَونِ الرُّوحِ في الجسدِ الخَبيثِ

ولما عاد من بغداد أرسل كتاباً إلى أهل المعرة ، يؤذنهم فيه بما عزم عليه من الانفراد والعزلة ، ويسألهم بعدم زيارته . ثم أقام في منزله مدة طويلة محتجباً لا يدخل عليه أحد . ولكن الناس توسلوا بوسائل شتى حتى دخلوا إليه للزيارة والتلمذة وغيرهما . وقد كتب ابن أخته أبو صالح محمد ابن المهذب إلى أخيه أبي الهيثم قصيدة يذكر فيها شوقه إلى لقاء أبي العلاء

(١) انظر شروح السقط ق ٤ ص ١٨٨١ وفيها : « ما أخلاه ... »
(٢) اللزوميات ج ١ ص ٧٢ وفيها « وكون النفس ... » .

ومنها يقول (١) :

فَكُنْ حاملاً مِنّي إليه رِسالةً ... تَبِينُ ليما (٢) في هضاب أبانِ

وإنْ قالَ : أخشى مِن فُلانٍ تَشَمُّما ... فقُلْ : ما فلانٌ عِندَنا كَفُلانِ

هُوَ الخِلُّ ما فيه اختلالُ مودّةٍ ... فلا تَخْشَ مِنْهُ زَلَّةً بضَمانِ

وإنْ خُنْتُ عَهْداً أوْ أسأتُ خليقةً ... ولم يَكُ شأْني في المودّة شاني

فلا أحْسَنَتْ في الحَرْبِ إمْساكَ مقبضي ... يَميني ولا يُسْرايَ حِفْظَ عِنانِ

لعلّ حياتي أنْ تعودَ نضيرةً ... لدَيْهِ كما كانَتْ وطِيبَ زَماني

ثم فتح بابه للزوار والشعراء ، فكانوا يفدون إليه من كل حدب وصوب . ولم أوفق لمعرفة اليوم الذي فتح فيه لزواره ، ولا معرفة سبب الأجر الذي حمله على ذلك . وكان يتذمر أحيانا من ملازمة البيت ، ويتمنى حينا منية لأمر يريده ، قال في سقط الزند ج ٢ ص ١٥٦ ، (٣) .

مَا لي جَلِسُ الرَّبْعِ كالميتِ بَعْـــدَ السَّنعِ لم آسَفْ ولم أَنْدَمِ

عَلَى أُناسٍ مَنْ يُعاشِرْهُمُ ... تَعُورُهُ فيهِمْ عِشْرَةُ المُكْرِمِ

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٨ ، وقد أورد ... هذه القصيدة في الإنصاف والتحري ، ومطلعها :

شمس ... لا ... وإن كان ... شعار

(٢) كذا في الأصل ولعلها ... في الله

(٣) شروح السقط ق ٤ ص ١٨٠ .

وتطرق إلى هذا المعنى في رسالته إلى أبي [illegible] صدقة بن يوسف الفلاحي حيث قال (١) «فعهدي بي أحلاس ربع، كأنني بعد ثلاث أو سبع. » وقال في «الفصول والغايات» [ج ١] ص ٢٩٧ ، «[illegible] أنا حي كالميت أو ميت كالحي، قد تنزلت [illegible] وهرلة» وقد تقدم.

وقال نحواً من هذا في (رسالة الملائكة ص ٣) «وأنا أنا معدن من الندب إن لا أكن لبيد [illegible] فشبيه بلبيد». وقد قال البطليوسي في (شرح السقط ص ١١٩٦) «وكان المعري متقشفاً كثير الصوم والصدقة، تسمع به [illegible] هيبة لا تفهم، وكان لا يقرع أحد عليه الباب حتى تطلع الشمس، فإذا سمع قرع الباب عرف أن الشمس قد طلعت فقطع تلك الهيبة، وأذن في الدخول عليه. وكان لا يرى أكل اللحم ولا شرب المسكر ولا النكاح وكان ذا عفة ونزاهة نفس، إلا أنه كان مخالفاً لما عليه أهل السنة».

حلية أبي العلاء

لم نعثر في كلام أحد من المتقدمين على وصف جامع لحلية أبي العلاء، وإنما ورد منها طرف في كلامهم، وفي كلامه طرف آخر، وهذا ما عثرت عليه من الكلامين.

قامته

روى ياقوت (ج ١ ص ٣٠٧) (٢) أن صالح بن مرداس لما حصر المعرة خرج شيخ قصير أعمى يقوده رجل. فقال: هذا أبو العلاء. وكان كما قال. وقال أبو العلاء في رسالته إلى أبي الحسن [illegible] وقد قصر اسمه(٣) «وما كفاني ذلك، مع قصر الجسم، حتى يضاف إليه قصر الاسم».

(١) رسائل أبي العلاء المعري [illegible]
(٢) إرشاد الأريب [illegible]
(٣) رسائل أبي العلاء المعري [illegible] ص ١٣٠

نحافته

يدل قوله في اللزوم (١)

تحفّوا بالكلام وأكرموني على ما كان من جسد نحيل

وقوله في رسالته إلى داعي الدعاة عن نفسه (٢) « فإذا سعد بدنه بمصحة ، ضربت عليه ، لأنها عدوة من كان مثلها » يدل على أنه كان قليل اللحم نحيف الجسم . وقد كان من طبيعي أن يبقى المعدة ويكتفي بما تطهوه ذكاء .

انحناء قامته

وقد حنت قامته من الضعف ، وعجز عن القيام والقعود في آخر عمره كما قال عن نفسه في رسالته إلى داعي الدعاة (٣) إن شخصه أشبه العود المحني ، وإنه ضعف حتى عجز عن القيام في الصلاة ، فإنما يصلي قاعداً ، وقد لا يستطيع عجز عن القعود ، فربما صلى ناعساً .

عيناه

تقدم أن الجدري أصابه في سنة الرابعة ، فذهب ببصره ، فكانت عينه اليمنى بادرة ، وقد غشيها بياض ، وكانت اليسرى غائرة ، فكان كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلا .

(١) اللزوميات ج ١ ص ٢١٩ .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٣١ [illegible]
(٣) المصدر السابق ص ١٣٢

وجهه

وقد أثر الجدري في وجهه ، ولم يكن له وجه [illegible] ، بل كان فيها سوء وتخدش

أسنانه

ولم تلبث الأيام أن تركت أسنانه [illegible] ، حتى لا تسمح له [illegible] الوجبة من الطعام . وقد قال في اللزوم ( )

فمن أخذت منه الليالي وإنني لأشرب منه في إناء مثلّم
وأوذن بظلم الثغر ضاحٍ وحندس متى ينظرا في نيّر العين يظلم

والظاهر أن أسنانه وأضراسه [illegible] قبل أن يبلغ الخمسين . يدل على ذلك قوله في رسالة أرسلها جواباً لأبي الحسن محمد بن سنان الخفاجي (٢) « ولأسنان [illegible] ، وضعف [illegible] . وتقطعت رحى أسنان [illegible] طحنها على نفسي .. ولم يبق إلا أن يخلو مكانها العامر ، وإن [illegible] ما في الفم أحوال ، [illegible] من أجل ذلك مشدداً ، وجعلت [illegible] الكلمة شيئاً .. فإذا قلت الفصل ظن أني أقول الفشل ، والشيء [illegible] . »

وهذه الرسالة جواب عن كتاب كتبه إليه محمد بن سنان ، يخبره فيه أن صاحب حلب يطلب من أبي العلاء أن يضع له كتاباً يذكر فيه [illegible] على معنى (كليلة ودمنة) ، فوضع له كتاب (القائف) . وقد

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٤٤ [illegible]
(٢) [illegible] أبي العلاء [illegible] ص ٢٢١

السلطان هو عزيز الدولة أبو شجاع فاتك بن عبد الله الرومي ، مولى منجوتكين ، ولي حلب من قبل المصريين سنة ٤٠٧ هـ ، وقتله مملوكه الهندي سنة ٤١٣ هـ وكان أبو العلاء عمل لعزيز الدولة كتاب (الصاهل والشاحج) كما سيأتي . فيكون جوابه لابن سنان نحو سنة ٤١٠ هـ أو سنة ٤١٢ هـ ، ويكون مبدأ ذهاب أسنانه في ذلك العهد تقريبا .

سمعه

يدل قوله في رسالته الى داعي الدعاة(١) : « وقد علم الله أن سمعي ثقيل ... » ، وقوله لابن أخيه (٢)

أجِدَّكَ ما تَرَكْتَ وأنتَ قاضٍ   تَعَهُّدَ مُقْعَدٍ أعمى أصمّ

على أن سمعه ثقل في آخر عمره .

شعره

كان شعره أسود ، وقد وخطه الشيب قليلا قبل رحلته الى بغداد ، ولذلك قال في قصيدة قالها فيها(٣) :

طَوَيْتُ الصِّبا طَيَّ السِّجِلِّ وزارني   زَمانٌ به للشَّيْبِ حُكْمٌ وإسجالُ

(١) انظر ما سبق ص ٤٣٣ حاشية ٢ .
(٢) [illegible] أبي العلاء ص ٤٩٧ من [illegible] . لابن أخيه [illegible]
من مقطعة له . وفي الديوان [illegible]
أعد الله ما أسدى حلالا   [illegible]
(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٥٢ .

ولكن شعره لم يبيض كله ، وإنما تأخر شيبه ، وقد قال في قصيدة [illegible] في القسم الأول بعد رجوعه من بغداد (١) :

وحالت كلّي سوى شيبٍ تجاوزني ... ولم يبيّض على طولِ المدى الشعرا

ويطلق [illegible] أن هذه القصيدة قيلت في سنة ٤٠٠ هـ ، ويظهر من كلامه أنه كان غير مستحسن تأخر شيبه عن وقته ، فقد قال من أبيات (٢) :

أيا مفرقي هلّا ابيضضتَ على المدى ... فما سرّني أن بتَّ أسودَ حالكا

قبيحٌ بفودِ الشيخِ تشبيهُ لونِه ... بفودِ الفتى والله يعلمُ ذلك

وقال (٣) :

تأخرَ الشيبُ مني مثلُ مقدمه ... على سواي ووقتُ الشيبِ قد حضرا

ويرى أنه لا يسره أن يكون لون شعره لون شعر الشباب ، وأن يكون ضعفه ضعف الشيوخ كما قال (٤) :

وما ينفعُ التغريبُ والضعفُ واقعٌ ... إذا كان لونُ الرأسِ غيرَ هجانِ

وكان لا يخضب شعره ، وإنما يعتقد أن

من يخضبِ الشعراتِ يُحسبْ ظالماً ... ويُعدَّ أحرى كالظليمِ الخاضبِ (٥)

(١) شروح السقط : ق ٤ ص ١٧٤٣ ، ورواه الخوارزمي : « ... يجاوزني » .
(٢) اللزوميات ٢ ص ١٨٥
(٣) اللزوميات ٢ ص ١٤٠ وفيها « [illegible] الشيب عني [illegible] حضرا » .
(٤) اللزوميات ٢ ص ٢٧٥ [illegible] التغريب : التشبه بسواد شعر الشباب [illegible] . وهجان [illegible] [illegible] (التغريب) مضمومة الأخير في اللزوميات .
(٥) اللزوميات ١ ص ٥١ ، [illegible] ذكر النعام إذا [illegible] ، أو [illegible] ، [illegible] الدم [illegible] .

والشَّيْبُ في أَوْنِ الحُسامِ فلا تَدَعْ   جَسَدَ النَّجيعِ على الحُسامِ القاضِبِ

ولعله يكره الخضاب ، لأن فيه تغييراً لما ارتضته الطبيعة ، وشيئاً من الغش والتمويه . وقد رغب بنفسه عن الشعر المكذوب فقال (١)

ومِنْ هوَى الصِّدْقِ في قولي وعادتِهِ   رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرَّأْسِ مكذُوبِ

وقد قطع على نفسه عهداً لشعره أن لا يروعه بمقراض يقصه ، ولا بماء يخضبه ، حيث يقول (٢) :

أيُّها الشَّيْبُ لا يُرِيبُكَ مِنْ كَفِّـــي مقصٌّ ولا يُواريكَ حظرُ

وله أبيات يفضل بها الشيب على الشباب وهي في (اللزوميات ج ٢ ص ٢٢٦) (٣)

خَبِّرِيني ماذا كَرِهْتِ مِنَ الشَّيْـــبِ فلا عِلْمَ لي بذنبِ المَشيبِ

أضياءُ النَّهارِ أمْ وَضَحُ اللُّؤْ   لُؤِ أمْ كونُهُ كَثَغْرِ الحبيبِ

واذْكُري لي فضلَ الشَّبابِ وما يَجْــمَعُ مِنْ مَنْظَرٍ يَرُوقُ وطيبِ

غَدْرُهُ بالخليلِ أمْ حُبُّهُ لِلْــغيِّ أمْ أنَّهُ كَدَهْرِ الأريبِ

ومن مرجحاته الرائعة قوله في (اللزوميات ج ١ ص ١٢٧) (٤)

هِيَ قالتْ لمّا رَأَتْ شَيْبَ رَأْسي   وَأَرادَتْ تَنَكُّراً وازْوِرارا

(١) [illegible] ص ١٨٢

(٢) [illegible]

[illegible] ص ٣٠١

(٣) [illegible] ج ٥ ص ٧٣ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٧

(ج)

وقد ذكرت الأبيات في [الكلام على] أسلوبه . ويدل قولــه من قصيدة درعية في (السقط ج ٢ ص ١٧٢)(١)

وَقَد طَالَ فَوقَ الأَرضِ كَوني وَشَبَّهت
نَعَاماً بِجَوني عَاذلاَتي وعُـــذَّالي

• • •

وَلَمْ تَغدرِ الأَيامُ بَينَ مَفارِقي — وأرجائها كَتنا لِأدهمَ جوّالِ

على أن الكبر ذهب بشعر رأسه حتى لم يدع فيه ، كتنا لبرغوث أدهم . وقد أجمل ما أثره الكبر في شعره وجسمه بقوله (٢) .

بَقيتُ حتّى كَسا الخدَّينِ جونُهُما — ثُمَّ استَحالَ ومَسَّ الجِسمَ تَخديدُ

ضعفه وإقعاده

يدل قوله المتقدم في ابن أخيه :

« تَعَهّدَ مُقْعَدٍ أَعمى أصمٍّ(٣) »

وقوله في رسالته إلى داعي الدعاة : « وأُصيبت في آخر عمري بالإقعاد ، وعداني عن النهضة عادٍ » . وقوله في رسالة أخرى إليه : « وأنه عجز عن القيام في الصلاة وإذا اضطجع عجز عن القعود ... » . على أنه مني بالإقعاد فلم يستطع القيام ولا القعود بنفسه .

(١) الشروح ق ٤ ص ١٨٧٨ و ١٨٨٠ ، والنعام : نبت أبيض . والجون : الأسود . وتغدر : أي تترك ، وقال الخوارزمي : « من أدهم جوال : القمل » .
(٢) اللزوميات ص ٩٥ .
(٣) انظر ما سبق ص ٤٣٥ حاشية ـ ٢ ـ .

وقد صور شخصه بصورة تنم على ما كان يعتوره من العلل ، في مثل قوله (١) :

شَخْصِيَ هذا غَرَضٌ لِلرَّدَى ... ولم يزلْ معدنَ عِصيانِ
مِنْ كُلِّ فنٍّ فيهِ أُعْجُوبَةٌ ... كأنَّه جامعُ سُفْيانِ

هذا ما أمكنت معرفته من حالته الصحية ، وما أثر فيها الزهد والهرم . وأما القوى الباطنة فلم يعترها خلل ولا آفة في شيء منها ، إلا قبيل موته ، فإنه [illegible] على بعض [illegible] شيئاً [illegible] فيه ، [illegible] من [illegible] ، فأخبرهم بقرب موته كما سيأتي .

من قام بتعهده وخدمته

رجع أبو العلاء من بغداد ، فوجد أمه قد ماتت ، وقد عمّ علينا تفصيل حياته المنزلية ، لأن ما وصل إلينا من تاريخ حياته لم يكشف عن ذلك . وكل ما عثرنا عليه من [illegible] في أقوال المؤرخين والعلماء رأي [illegible]

قال القفطي (٢) : [illegible] ذكر في رسالة له في حديث أبي [illegible] ، كانت له خادمة عجوز تسمى [illegible] ، [illegible] في [illegible] [illegible] ، [illegible] أخوها ، فأرادت الخروج إليه ، ولحقت أبا العلاء علة ، فأظهرت أن خروجها إليه وأنه محتاج إليها ، وكانت [هذه العجوز] [illegible] له [illegible] وتصلح له القدر ، وتوقد النار ، وعزم على [illegible] [illegible] على [illegible] ، لئلا يدرككما ما يدرك الآدميين إذا [illegible] في [illegible] مثل ذلك ، وجد في بعض الروايات في [illegible] [illegible] محمود [illegible] [illegible] ، [illegible]

(١) اللزوميات ج ٢ ص ٢٨١
(٢) انظر [أبو العلاء وما إليه] ص ٨٩

لغلامه قنبر [illegible] خدم أباه [illegible] وانظر المربع أين هو [illegible] »(١) وذكر في جوابه إلى داعي الدعاة أن خادمه كان يأخذ من ماله بعض ما يجب. وذكر ابن العديم في ترجمة أبي محمد عبد الله بن أبي المجد أخي أبي العلاء أنه تولى خدمة عمه بنفسه وكان يؤثره (٢) وذكروا أن رجلاً كان معه في رحلاته ، ولكن التاريخ لم يدل لنا اسم واحد ممن صحبه إلى بغداد أو حلب أو غيرهما ، والمرء كان يكابد عنتاً من خادم كان لا يطيعه ، كما يشعر به قوله (٣)

وَمِنْ عَنَاءِ اللَّيَالِي خَادِمٌ صَغِرٌ ... إِنْ يُؤْمَرِ الأَمْرَ يَفْعَلْ غَيْرَ مَا أُمِرَا

ومن مجموع هذه الأقوال لا نستطيع معرفة الحقيقة ، لأن ابن أخيه كان صاحباً ، ومن البعيد أن يقوم بنفسه بكل ما يتطلبه عمه من تهيئة طعام وغسل ثياب وآنية وما شاكل ذلك ، والذي أظنه أن ابن أخيه كان يخدمه في تقديم طعامه ولبسه وما يحتاج إليه في مجالسه ، وقد يتولاه بنفسه ، وأما ما عداه فإنه يقوم به خدم ابن أخيه أو خدمه ، وهو يتولى الإشراف على ذلك ويتعهده.

مرضه الأخير ووفاته

صاحب أبو العلاء البؤس من المهد إلى اللحد ، وكانت الأوصاب والعلل تنتابه حيناً بعد آخر. قال أبو البصر شاكر [illegible] : « وكان أبو العلاء كثير الأمراض [illegible] » وقد أشار في مواطن من شعره إلى ما ينتابه

(١) ورد [illegible] في [illegible] صفحات ١٥٣ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٣٢٩ [illegible]

(٢) [illegible] ص ٤٩٦ عن الإنصاف والتحري [illegible]

(٣) اللزوميات ص ١٤١

مر الزمان وتعب الحياة ، وما كان يعتوره من العلل ، من ذلك قوله في اللزوم (١) :

وأَخْلَقَنِي مَرُّ الزَّمانِ وَكَدُّهُ ... فصارَ أديمي كالسِّقاءِ المُرَمَّمِ

وقوله في (السقط ج ٢ ص ١٧٣) (٢) :

أَبِالِمَنَ الأمراضِ والعلمُ واقعٌ ... بعلّةِ يومٍ جانَبَتْ كلَّ إبلالِ ...

وقد قدمنا آنفاً ما كان يشكوه من الضعف والخلل ، ولم يتبين لنا ما هو مرضه الذي توفي به ، غير أنهم ذكروا أن الأطباء وصفوا له في مرضه فرُّوجا ، فمسه بيده وقال : « استضعفوك » ويروى : « استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد ؟ » . ولم ينص أحد على أن هذا يوصف في مرضه هذا . ذكر القفطي أنه لما حضرته الوفاة ، أتاه ابن أخيه عبد الله بقدح من سكنجبين فامتنع من شربه فحلف ابن أخيه أيماناً مؤكدة أنه لا بد أن يشربه ، فقال مجيباً عن يمينه :

أعبدَ اللهِ خيرٌ من حياتي ... وطولِ ذَمائها موتٌ مُريحُ
تُعَلِّلُني لِتَنفَعَني (٣) بذاري ... لعلّي أستريحُ وتستريحُ

وقد مرض ثلاثة أيام ، ومات في اليوم الرابع ، وكان عنده بنو عمه ، فقال لهم في اليوم الثالث : اكتبوا عني ، فتناولوا الأقلام والدُّوِيّ ،

(١) اللزوميات ج ص ٢٤٥ .
(٢) وفي الشروح ق ٤ ص ٨٧٩ .
(٣) كذا في الأصل ولعله محرفة عن « تنفسي » فتأمل (ج) انظر مرشد القدماء ص ٦٤ ، عن إنباه الرواة – القفطي . والذماء : بقية النفس .

فأملى عليهم غير الصواب ، فقال ابن أخيه القاضي عبد الله : أحسن الله عزاءكم في الشيخ ، فإنه ميت ، فمات في اليوم الثاني

وكان المختار بن بطلان إذ ذاك في المعرة ، فحدثه بعض الطلبة أن أبا العلاء قد أملى عليهم شيئاً فغلط فيه ، فتنبأ ابن بطلان بأن ذاته قاربت الذبول ، لأن من كان مثله في قوة العقل والذكاء لا يدركه الخطأ فيما يملي إلا إذا اضطربت قواه وفسد مزاجه . ولم يبين لنا أحد ما الذي أملاه وغلط فيه وإنما نروي ذلك المتأخر عن المتقدم ، على ما فيه من غموض وإبهام

سبب موته

وقد اتفقت كلمة القوم على أنه مرض فمات ، إلا ابن الهبارية [1] ، فإنه زعم أنه سم نفسه فمات لأمر داعي الدعاة بإحضاره إلى حلب ، وقد تبين بطلان ذلك .

يوم وفاته

اختلفت كلمة القوم في يوم وفاته ، فقيل : ليلة الجمعة ، وقيل : يوم الجمعة ثاني ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ ، وقيل : في ثالثه ، وقيل : في الثاني عشر منه ، وقيل : في الثالث عشر منه

مجموع عمره

قدمنا أنه ولد في ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ ، وذكرنا هنا أن وفاته في ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ مع الاختلاف في يومي الولادة والوفاة ، فيكون مجموع عمره ٨٦ سنة تقريباً .

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٤٦ عن مرآة الزمان وص ٣٢٧ عن عقد الجمان

وصاياه

ذكر ابن خلكان ، والذهبي ، والصفدي وغيرهم (١) : أن أبا العلاء لما قارب الموت أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت :

هٰذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وما جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ

ورواه بعضهم

هٰذا جَنَاةُ أبي عَلَيّ . . . .

بالتاء لا بالهاء ، والجناة : ما يجنى من الشجر كالجنى ، أو واحدة الجنى . وقال (في تتمة المختصر) : « إنه كان يقوله ويكرره في مرض موته » . ولم أر هذا البيت على قبره ، ولا أعرف أحداً ذكر أنه رآه عليه ، وهو غير موجود في شيء من كتبه التي اطلعنا عليها فلعل من أوصاهم بكتابته لم ينجزوا وصيته .

وفي (أوج التحري) وغيره أن هذا البيت متعلق باعتقاد الحكماء ، فهم يقولون : « إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه لأنه يتعرض للحوادث والآفات » .

وقال في (الفصول والغايات ص ٧٩) : « أُوصيكم إنْ نفعت الوَصاة ، إذا نُقِلْتُ عن موردِ جُرَعِكم وعِدٍّ ، ألاّ يبيجَ عليَّ آسٍ ، ولا يكثر حوليَ العُوّاد ، ولا تبكينّ عندي باكية ، ولا يجلسْ نادبي في النُّدّاب » .

(١) انظر الصفحات ١٥٦ ، ١٨١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٨ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ من تعريف القدماء بأبي العلاء .

وله وصايا أخر يحض بها على أخذ صبره، ومتابعته على آرائه، وسنذكر بعض منها في مواطنه

قبر أبي العلاء

في المعرة مسجد، يقال له مسجد أبي العلاء، ومقام أبي العلاء، وضريح أبي العلاء، وهو في أطلق القبلة. وله باب صغير من الغرب، يدخل منه الى ساحة، ويقابل الباب المذكور غرفة صغيرة لها قبة، وفي وسط الغرفة قبر أبي العلاء، وطوله ١٢٥ سانتيم، وعرضه ٧٥، وفوقه حجران قائمان مكتوب عليهما بالخط الكوفي، وطول الحجر الذي عند رأسه متر واحد. وفي جنوبي هذه الغرفة غرفة ثانية تزيد في طولها عن الأولى نحو متر. وكلا الغرفتين متجهتان الى الغرب. وفي جنوبي الساحة مسجد فيه محراب يتجه بابه إلى الشمال. وفي شرقيه وشرقي الغرفتين ساحة فيها بئر ماء، وبعض شجيرات من التين والرمان. وكانت فيها قبور كثيرة، فأخذ معظمها جيران المسجد، وضموها في صحن دورهم، وبقي فيها قبر طوله نحو مترين، وارتفاع شاهدته نحو متر.

هذه خلاصة صفة المسجد التي كان عليها يوم هاجرت من المعرة سنة ١٣١٩ هـ، ورأيته مراراً بعد ذلك على هذه الصفة. وأصل هذا المسجد، ساحة من دور أهله بني سليمان والغرفة التي فيها القبر ليس لها إلا باب يتجه إلى الغرب، وبناؤه حادث، وقد زاره القفطي سنة [illegible]، ورأى عليه خشارة يابسة، وهو على غاية من الإهمال. ثم زاره علاء الدين بن العطر الوداعي سنة ٦٧٩ هـ فرآه قد دثر ولصق بالأرض، وهذا يؤيد أن البناء الذي فوق القبر حادث، وقد رأيته مراراً كما رآه القفطي والذهبي وفي سنة ١٣٤٤ هـ الموافق سنة ١٩٢٥ ميلادية عزمت الحكومة السورية

على بناء ضريح لأبي العلاء، ثم وقفت عن العمل بسبب الثورة السورية، ثم أصدرت طوابع بريدية في سنة ١٣٥٣ هـ يوافق سنة ١٩٣٤ م نقش عليها رسم أبي العلاء، ثم هدمت البناء [illegible] في سنة ١٣٥٨ هـ يوافق سنة ١٩٣٩ م، ووضع الحجر الأساسي من البناء المذكور، ثم تم بناؤه على شكله الحاضر بعد حين. أما الحجارة التي على قبره، وما كتب من كتابات، فقد سقطت الأولى منها وفي هذا القبر والمسجد الحديث في (تاريخ ١٥١ هـ)، على أن الحكومة هدمت بناءه الأخير وبنته على نمط أحسن، فبناء، وإن كان لا يرضيه أبو العلاء والناس أيضاً.

ما فعل على قبره بعد موته

روى ياقوت (ج ١ ص ١٧١) [١] أن أبا العلاء لما مات أنشد على قبره أربعة وثمانون شاعراً مراثي. وفي تاريخ ابن الوردي [٢]: «قرئ على قبره سبعون مرثية». وقال غيره [٣]: «حضر على قبره في أسبوع واحد مائتا ختمة». وفي (أوج التحري [٤])؛ «اجتمع على قبره ثمانون شاعراً، وختموا في أسبوع واحد مائتي ختمة، وقرئ على قبره سبعون مرثية». والغالب على الظن أن أكثر من رثاه من أهل المعرة، ومن التنوخيين الذين كانوا يقرؤون عليه. فقد ذكر ناصر خسرو [٥] أنه كان في جميع أوقاته يحيط به مائتان من الطلاب.

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨ ٢ عن تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي.
(٣) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء، الصفحات ٣٠٠، ٣١٤، ٣٤٠ عن تاريخ الإسلام — للذهبي، ولسان الميزان — لابن حجر، ومعاهد التنصيص — للعباسي.
(٤) أوج التحري — للمديني — ص ٣٢ تحقيق الدكتور [illegible] كلاس.
(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦٣، عن سفرنامه — ناصر خسرو.

الذين رثوه

ذكرنا أن الذين رثوه في قبره أربعة وثمانون أو سبعون ، ولم يتعين لنا من رثاه بعد ذلك على غير قبره ، كما أننا لم نعلم من رثاه إلا نفراً يسيرا منهم : علي بن الهمام على قول ياقوت (١) ، وعلي بن همام على قول غيره (٢) وقد نقلوا عنه هذه الأبيات من قصيدة طويلة .

إنْ كُنْتَ لمْ تُرِقِ الدِّمَاءَ زَهَادَةً … فَلَقَدْ أَرَقْتَ اليَوْمَ مِنْ عَيْنَيَّ دمَا

سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ في البِلادِ كَأنَّهُ … مِسْكٌ فَسَامِعُهَا يُضَمِّخُ أو فَمَا (٣)

وتَرَى الحَجِيجَ إِذَا أَرادُوا لَيْلَةً … ذِكْرَاكَ أَوْجَبَ فِدْيَةً مَنْ أَحْرَمَا

يريد أن ذكرك طيب ، والطيب لا يحل للمحرم فإذا ذكرك وجبت عليه فدية . ويقول إنه أشار في البيت الأول إلى ما كان يعتقده ويتدين به من عدم الذبح وقال الديلمي (٤) ، وقول تلميذه : لم ترق الدماء زهادة ،

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، انظر تعريف القدماء ص ٧٧
(٢) رأيت في [illegible] محمد بن [illegible] وقد توفي سنة ٤٢٢ هـ ، وهمام بن [illegible] وهو صاحب التاريخ ، وقد أدرك أبا العلاء ، وأظن [illegible] هو [illegible] ، [illegible] أبي العلاء [illegible] (ج)
(٣) في المساعد وأوج التحري [illegible] وروي « فسامعه يضمخ » وروي « حيث [illegible] » [illegible] « فسامعة يضمخ . . » وهذه الأبيات رواها ياقوت في (معجم الأدباء) وصاحب (مسالك التحبير) و (نكت الهميان) و (الوفيات) و (اليافعي) و (أوج التحري) وغيرهم ، وكلهم نقلوا عن ابن همام ، إلا ياقوت فإنه قال : ابن الهمام (ج) .
(٤) الديلمي ـ أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري ص ٣٢ تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

لم يعط من المعنى ما قالوه ولو أراده لقال ملقة وقوله « رماده » رد على من يقول : إن عدم إراقة الدمع مخالفة للمروءة » .

ورثاه الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حصينة المعري . وهو صاحب ينتسب إلى أسحم بن [illegible] التنوخي عند أبي العلاء . وكان أبو الفتح من الشعراء المجودين ولد قبل سنة ٣٩٠ هـ وتوفي سنة ٤٥٧ هـ وقد قيل : إن أبا العلاء جمع شعر الأمير هذا ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات . وهذا ما وقفنا عليه من رثائه لأبي العلاء (١) :

العِلْمُ بَعْدَ أبي العَلاءِ مُضَيَّعُ ... والأرضُ خاليةُ الجوانبِ بَلقَعُ
أوْدَى وقد مَلأَ البلادَ غرائباً ... تسري كما تسري النجومُ الطُّلَّعُ
ما كُنْتُ أعلمُ وهْوَ يُودَعُ في الثرى ... أنَّ الثرى فيه الكواكبُ تُودَعُ
جَبَلٌ ظننتُ وقد تزعزعَ رُكنُهُ ... أنَّ الجبالَ الراسياتِ تزعزعُ
وعجبْتُ أنْ تسعَ المعرَّةُ قبرَهُ ... ويضيقُ بطنُ الأرضِ عنهُ الأوسعُ
لو فاضتِ المُهجاتُ يومَ وفاتِهِ ... ما استكثرتْ فيهِ فكيفَ الأدمُعُ
تتصرّمُ الدُّنيا وتأتي بعدَهُ ... أممٌ وأنتَ بمثلِهِ لا تسمَعُ
لا تجمعِ المالَ العتيدَ وجُدْ به ... من قبلِ تركِكَ كلَّ شيءٍ تجمَعُ
وإنْ استطعْتَ فسِرْ بسيرةِ أحمدٍ ... تأمنْ خديعةَ من يغُرُّ (٢) ويخدَعُ

(١) انظر أوج التحري للسديدي ص ٣٨ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني .
(٢) في معجم الأدباء : « غر » .

رَفَضَ الحياةَ وماتَ قبلَ مَماتِهِ ... مُتطوِّعاً بأبَرِّ ما يُتطوَّعُ

عَيْنٌ تُسَهَّدُ للعفافِ وللتقى ... أبداً وقلبٌ للمُهيمنِ يخشعُ

شِيَمٌ تجمّلُهُ فهنَّ لمجدِهِ ... تاجٌ ولكنْ بالثناءِ يُرَصَّعُ

جادتْ ثراكَ أبا العلاءِ غمامةٌ ... كندى يديكَ ومُزْنهُ[1] لا تُقلِعُ

ما ضيَّعَ الباكي عليكَ دموعَهُ ... إنَّ الدموعَ على سواكَ تضيَّعُ[2]

قصدتْكَ طلابُ العلومِ ولا أرى ... للعلمِ باباً بعدَ بابِكَ يُقرَعُ

ماتَ النُّهى وتعطلتْ أسبابُهُ ... وقضى التأدُّبُ والمكارمُ أجمعُ[3]

وهذه الأبيات رواها ياقوت في (معجم الأدباء) وابن الوردي في تاريخه (٤)

ورثاه أبو الرضا عبد الواحد بن الفرج بن نوب المعري المتوفى سنة ٤٨٠ هـ ، هكذا ذكره صاحب (فصول الحكماء) وذكره العماد في (الخريدة) في رجل بن أبي حصن المعري ، ونقله عن العماد صاحب (بدائع البدائه ص ١٧١) وذكر الصفدي في (نكت الهميان) اسمه

---

(١) في أوج التحري « سيبه » (ج)
(٢) في معجم الأدباء « إن بكاءه على سواك مضيع »
(٣) « « « « وقضى العلا والمجد بعدك أجمع »
(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٩ ، عن تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي .

عبد الوهاب بن [illegible] ، وذكر في [illegible] عبد الواحد ، ولم [illegible] عن شيء من [illegible] الأولى (١)

سمرُ الرماحِ (٢) وبيضُ الهندِ تشتجرُ ... في حدِّ ثأرٍ والأقدارُ تعتذرُ

الدهرُ فقدُ (٣) أهلِ العلمِ قاطبةً ... [illegible] في ذا العصرِ قد قُبروا

فإنْ تُرى تلكَ دارُ العلمِ عاطلةً ... [illegible] قد ترعرعَ منها الركنُ والحجرُ

العلمُ تعدلُهُ عشرٌ [illegible] منفصلةً ... [illegible] قيسٌ مالَهُ وترُ

كيف رؤي في النوم بعد موته

قال أبو العلاء ، [illegible] في [illegible] وحساده حتى لم يبق ، [illegible] في [illegible] على [illegible] في [illegible] ، [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] من [illegible] ، [illegible] كثير من يصدق ما يقول ، [illegible] في [illegible] على [illegible] : إحداهن [illegible] ، وهي [illegible] على [illegible] في [illegible] والثانية [illegible] ، وهي المتأخرة

(١) انظر [illegible] ، ٢٨ ، [illegible]

(٢) [illegible] (ج)

(٣) في بعض [illegible] (ج)

الرؤيا [illegible]

نقل القفطي، والذهبي، والصفدي، وابن [illegible]، واليافعي، وصاحب معاهد التنصيص، وغيرهم [illegible] في [illegible] على أبي العلاء: « [illegible] وقد تذاكرنا إلحاده، ومعنا غلام [illegible] من أهل الخير والسنة، أو الفقه، فلما كان من [illegible] في منامي البارحة شيخاً ضريراً، وعلى [illegible] يرفع بها إلى وجهه، فيقضم منها، ثم يردها، وهو يستغيث، فقلت وقد هالني ما رأيت منه: [illegible] الملحد، فعجبنا من ذلك، واستطرفناه، حيث [illegible] من أمره ».

الرؤيا الخامسة

وقال القفطي: [illegible] (٢) « كنت في سن الصبا، ودون [illegible] في [illegible] أبي العلاء، لما رأيته من ظواهر [illegible] في [illegible]، فرأيت ليلة في النوم، كأني قد [illegible] في مسجد كبير، في [illegible] صفة كبيرة، وفي الصفة [illegible] حصير مفروش من غير نسيج، وعليه رجل مكفوف سمين،

(١) [illegible] ١٩٣، ١٥٢، ٣٢٨، ٣٤٤.

(٢) [illegible] أبو عمرو عثمان الكرجي [illegible] لأن أبا عمرو توفي [illegible] ٦ [illegible] الذهبي [illegible] (ح) [illegible] الصفدي.

متوسط البياض ، ورأسه مائل إلى جهة كتفه الأيسر ، وهو مستقبل القبلة في جلسته ، وإلى جانبه شخص ، وكأني جئت إليه فقعدت ، وكأني واقف أسفل الصفة ، ومعي ذو ... ونحن ننظر إليه ، وهو يتكلم بكلام لم أفهم منه شيئاً ، ثم ... في أثناء كلامه مخاطباً لي : ما الذي حملك على الوقيعة في ديني ؟ وما يدريك لعل الله غفر لي ؟ فسكتت من قوله ، وسألت عنه من إلى جانبي ، فقال لي : هذا أبو العلاء المعري فانتبهت منزعجاً للرؤيا ، واستغفرت الله في ... ولم أعد إلى الكلام في حقه إلا بخير . ومرت على ذلك سنون ، فلما كان في سنة خمس وستمائة أرسلني من كنت في صحبته بحلب إلى القوم ... في جبل بهراء(١) في خصومهم ، لإصلاح ما بينهم وبين أمير من أمراء الدولة ، يعرف بأحمد بن علي بن أحمد ، وكان قد جنى عليهم ، فلما عدت ، اجتزت بالمعرة ، فدخلت للصلاة في جامعها ، وعندما شاهدته رأيته قريباً مما رأيته في المنام ، فذكرني من ذلك ما أنسيته من طول المدة ، ونظرت فإذا الصفة في جانبه الشرقي ، وهي قريب مما رأيته ، ووجدت فيها رجلاً عليه هيئة الصلاح ، ... فلم يمثله ، فقصدته وسألته عما يفعله ، فقال : إن هذا الجامع إذا احتاج إلى حصر حصل له النوب من هذا الوقف ، ... أنا منهم عن ذلك ، وقد آلت التولية إلي ، فصرت لذلك ، فعجبت من أمر الرؤيا . وقربها مما رأيته من الصفة بعد حين .. » .

* * *

(١) بهراء ... من العرب ... الأصطخري ... جبل اللكام [illegible]

المقالة الثالثة

شهرة أبي العلاء ومنزلته

شهر أبو العلاء [illegible] ، [illegible] ، حتى بلغ [illegible] من أعيان حلب [illegible] من [illegible] ، [illegible] ، وأوا من [illegible] فاستبشروا [illegible] بما رأوا منه .

ولم يكد يبلغ العشرين من عمره ، حتى طار [illegible] ، [illegible] من علمه وأدبه ما حدثنا به بقوله(۱) :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

فلأت الآفاق ، وذاعت شهرته في [illegible] ، [illegible] (۲) :

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمس ضوؤها متكامل

وكانت [illegible] في [illegible] العراق والفرس [illegible] ومصر والمغرب والأندلس [illegible] أشعاره كما كان كثير من [illegible] الشعر ، ويحترمون عوده ، ويرجعون إليه في المعضلات العلمية والمشكلات الأدبية .

---

(۱) [illegible] ج ۲ ص ٥٢٥

(۲) المصدر السابق ص ٥٢٣

ولما ذهب إلى بغداد ، وكانت يومئذ ملتقى الشعوب والأمم ، وينبوع المدنية العربية ، اتصل بكثير من رجالها ، وحضر كثيراً من مجالس العلية ، وأبان في بعضها عن علم واسع وأدب جم ، وتبسط في الرواية والحفظ ، وذكاء باهر ، فازدادت بذلك شهرته

ثم لما عاد إلى المعرة ، قصده طلاب العلم من عرب وعجم ، وأقبل الناس عليه يأخذون عنه ، وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار ، وأتاح الله له [illegible] ، [illegible] ذلك [illegible] ، و [illegible] ، حتى ضرب المثل بذكائه و[illegible] ، [illegible] في أبي بكر الخوارزمي وهما [illegible] .

ثانياً المعري في [illegible] نظم ونثر

و[illegible] أن رجلاً من الفرس ، والأندلس ، واليمن ، وغيرها من الأصقاع [illegible] ، كانوا يزعمون [illegible] أو [illegible] ، أو [illegible] ، أو [illegible] ، أو [illegible] ، [illegible] كانوا يكاتبونه نثراً ونظماً ، [illegible] من [illegible] ، أو [illegible] نظم قصيدته [illegible] (٢)

غدوتَ مريضَ العقلِ والدينِ فالقني . . . .

انتهت إلى مصر [illegible] من [illegible] بمصر ، وعرض عليه داعي الدعاة من [illegible]

(١) [illegible] ١١٧ [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible] ص ٨٤ . وآخرها [illegible] الأمور الصحائح .

تلاميذه

لم نوفق إلى الوقوف على أسماء جميع [illegible] [illegible] أبي العلاء ، ورووا عنه [illegible] وهم كثير [illegible] ومنهم [illegible] من أهل معرة ، من أقاربه وغيرهم [illegible] وقد ذكر [illegible] على [illegible] عشر عشرة (١) » . وقال الرحالة الفارسي [illegible] (٢) » ولا [illegible] جماعة وافرة من الطلبة [illegible] ويروون [illegible] الشعر والأدب وهم أكثر من [illegible] ،

وسنذكر فيما يلي [illegible]

أسماء من أخذ عنه في المعرة

ما [illegible] ورووا [illegible] في [illegible] على وجه التفصيل — منهم

أبو المظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث الأزدي

[illegible]

إبراهيم بن الحسن البليغ [illegible] أخت [illegible]

إبراهيم بن علي بن إبراهيم الخطيب [illegible]

وكان [illegible] [illegible] وتصديقه [illegible] [illegible] في [illegible] عليه [illegible] وقد ذكر في جملة [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
في [illegible]

القاضي أبو [illegible] بن [illegible] بن أبي الروس المروحي

أبو [illegible] أحمد بن حماد المعري

وهو [illegible] روى [illegible] [illegible] في [illegible] الاسكندرية .

أحمد بن كامل

أبو العباس أحمد بن خلف الممتع المعري .

ذكره ابن العديم (١) [illegible] أبي العلاء وروى عنه من أهل المعرة وذكره أبو العلاء في رسالة الغفران ص ١٧٤)(٢) بقوله : « وسيدي الشيخ أبو العباس الممتع [illegible] في [illegible] [illegible] ح ، وفي قصيد [illegible] » .

أبو مالك أحمد بن الصديد العراقي [illegible]

في معجم [illegible] ج [illegible] ص [illegible] (٣) كان من أهل الأدب والشعر ، روى شعر المعري عنه [illegible] وله [illegible] ، وله مع الحصري [illegible] ، دخل الأندلس ، وكان [illegible] ومدح الرؤساء والأكابر .

أبو الفضل أحمد بن علي بن عبد السيد المعري المعروف بابن زريق .

قرأ على أبي العلاء ، وروى عنه صحة أجزاء من حديث [illegible] أبي الهيثم .

أبو اليقظان أحمد بن محمد بن حواري المعري

أبو الخطاب أحمد بن أبي المغيرة الأندلسي

(١) تعريف القدماء ص ٥١٨ عن الانصاف والتحري — لابن العديم .
(٢) الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٤٥٩ .
(٣) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب

أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

قال ياقوت ج ٣ ص ٣٤٨ [illegible] دخل المعرة ولقي أبا العلاء وروى عنه الباخرزي في دمية القصر ص ٥١ [illegible] ثلاثة أبيات من (اللزوم) وثمانية عشر بيتاً من قصيدة :

يا ساهرَ البرق أيقظ راقدَ السمر (٣) . . . . . .

وقوله :

حيٌّ من أجل أهلهن الديارا (٤) . . . . .

وهو أربعة أبيات ، وقوله في وصف الشمعة

وصفراء لون التبر مثلي جليدة (٥) . . . . . .

وهو أربعة أبيات

الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين [illegible] السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] ص ٩ [illegible]

(٤) [illegible] شروح السقط ق ٣ ص [illegible]

(٥) [illegible] شروح سقط الزند ق ٤ ص ١٧٢٣

كان شاعراً [illegible] روى عن أبي
العلاء [illegible] ابن العديم في
الإنصاف (١)

جعفر بن [illegible] المعري

[illegible]

أبو عبد الله الحسن بن إبراهيم بن محمد [illegible]

[illegible]

الأمير [illegible] المعري

[illegible]
[illegible] بن صالح
[illegible] أن يكون أميراً [illegible] أميراً ،
[illegible] العلوي ، وكان وقد
[illegible] ٤٥٠ هـ ،
[illegible] ابن العديم (٢) :
[illegible] وشرح موضع منه
[illegible]

أبو محمد الحسن بن علي بن عمرو [illegible]

[illegible] أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

السكامري (كذا) [illegible] العلاء »

وقال [illegible] على

كثير [illegible]

وزعم أنه لقي أبا العلاء بن صيان ، ومات [illegible] »

أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي بن محمد [illegible]

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

روى [illegible]

في داره [illegible] (١)

كَمْ بلدةٍ فارقتُها ومعاشرٍ [illegible]

[illegible]

[illegible] (ج ٣

ص ٢٩٧) ، أنه [illegible]

المكثرين منه ، [illegible]

الأسانيد والغرائب [illegible]

(سقط الزند ج ٢ ص ١٣٦ [illegible] (٢)

أبو إبراهيم الخليل بن [illegible]

ذكره في ([illegible]) [illegible] ، وروى

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨٣ [illegible]

(٢) في شروح [illegible] ج ٤ ص ٢٣١

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص [illegible]

السمعي عنه حديثاً رواه عن أبي العلاء بالمعرة ، ويرويه عن أصحاب خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي . وقال ابن العديم (١) : هو الخليل بن عبد الجبار بن عبد الله التميمي القرشي [illegible] ، وتوفي سنة ٥١٠ هـ .

أبو الحسن رشأ بن نظيف بن ما شاء الله المقرىء

وفي (مختصر ابن عساكر) [illegible] بن عامر . وكان ثقة وقرأ على جماعة من [illegible] ، وهو صاحب دار القرآن [illegible] دمشق [illegible] ولد نحو سنة ٣٧٠ هـ وتوفي سنة ٤٤٤ هـ وذكره ابن العديم (٢) ممن قرأ على أبي العـــلاء .

أبو الربيع سليمان بن أحمد [illegible] السرقسطي المتوفى سنة ٤٧٩ هـ عن ثمانين سنة

نقل الذهبي وابن حجر في [illegible] ج ٣ ص ٧٥ عن أبي القاسم الأزجي عن هبة الله بن علي المقرىء [illegible] أنشدنا أبو الربيع السرقسطي ، أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه (٣)

أيا صاحبي [illegible] الحياة وإنما [illegible] ويومَ ذاك أُعيّدُ

وأورد له أبيات أخر .

القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصين عبد الله بن أبي القاسم المحسن بن عمرو بن سعد التنوخي المعري .

كان عالماً جليلاً وشاعراً مجيداً ، ولي قضاء المعرة ، وهو ابن حصين

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥١٨ [illegible]
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ص ٢٧٨ [illegible]

وعشرين سنة ، ورأيت له كتاباً في القوافي في المكتبة الظاهرية في دمشق ، يقول في مقدمته « [illegible] شيخ [illegible] ، [illegible] القصيدة من الرجز تجتمع فيها القافية [illegible] » (١)

أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن جبر القيرواني

نحوي [illegible] ، روى [illegible] أبو [illegible] البطليوسي أبو الحسن علي بن محمد وتوفي بطليطلة سنة ٤٧٢ هـ

القاضي أبو سعد محمد بن غالب بن أبي حصين عبد الله بن أبي القاسم السابق ذكره

عبد الله بن أبي هاشم الحسن بن عمرو بن سعيد التنوخي

أبو محمد عبد الله بن محمد بن حسون بن [illegible]

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي

القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي المجد محمد أخو أبي العلاء

ولد بالمعرة سنة ٣٧٧ هـ ، وكان [illegible] ، وله ديوان شعر ، ورسائل ، وولي القضاء في المعرة سنة ٤٤٣ هـ ، وروى عن أبيه أبي المجد محمد ، وعن أخيه أبي العلاء ، وروى [illegible] ، وكان يكتب له تصانيفه ، ويكتب عنه [illegible] لم يطلب ذلك منه ، وكان يخدمه ويعلله في مرضه ، فقال فيه أبو العلاء : (٢)

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء [illegible]
(٢) المصدر السابق الصفحات [illegible] ص ١٢ في فائت شعر أبي العلاء

وقصرٍ لا ينام الليل عنّي ... وطولُ نهاره بين الخصوم
يكونُ أذىً من فرجٍ مسر ... [illegible] بالدمع من حميمِ
سأنشر شكره في يوم حشر ... أحوز به على الصراط المستقيم

وقال [illegible]

أحمد الله [illegible] أحمد حمداً ... [illegible] حمل ومنك عن أمي
سقتني درّها ودعت [illegible] ... تعوذني ونفثاً أو تسمّي
هممت بأن يخشى الأذى [illegible] ... ورقت وقلبي من كلّ هم
كأنّ الله يسمك خطاب ... [illegible] ولم يخطر بوهمي
حمدتك في الحياة أتمّ حمد ... وأيامي دمست أتمّ ذمّ
أحدث ما ذكت وأنت قصر ... بعين مقعد أعمى أصمّ
حزت الباري أن أجاز كرمه ... أراك معفّراً في [illegible] رغم

وتقدم [illegible] في عبد [illegible]

٤٦٥ [illegible]

أبو المنصور عبد المحسن بن محمد بن علي الصوري البغدادي .

أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأسدي

[illegible] بن محمد بن عبد [illegible] الأبهري [illegible]
[illegible] من أشعار [illegible] روى السقط [illegible]

وكثيراً من شعره عن أبي العلاء، [illegible] وورد [illegible] أبي العلاء وقرأ عليه الأدب» وروى أبو عبد الله [illegible] بأصبهان قال: أنشدنا أبو العلاء [illegible].

غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي[2] [illegible]

وروى ابن العديم[3] عن [illegible] أبي [illegible] المكارم [illegible] قال [illegible] أبا [illegible] المكارم [illegible] أبي العلاء [illegible] وكان الحافظ [illegible] أبي العلاء كثيراً [illegible] الحافظ: هذان الإمامان [illegible] من أجلاء من رأيته من أهل الأدب [illegible] في علوم العرب [illegible] أبي العلاء [illegible] ولا أحد [illegible] ولا [illegible] وقد أدركت [illegible] والعراق، و [illegible] والشام، و [illegible] مصر، و [illegible] وحدثهم. ومن جملتهم أبو إبراهيم [illegible] العرقي [illegible] بيروت، وروى لي عنه حديثاً [illegible] عن [illegible] ابن سليمان القرشي الطرابلسي».

أبو القاسم عبد الله بن علي بن عبد الله [illegible]

سكن ببغداد وكان من [illegible] النحو و [illegible] وكان

(١) الأنساب [illegible]
(٢) شروح سقط الزند: ق ٢ ص ٩٧١ [illegible]
(٣) تعريف القدماء [illegible] ص [illegible]
وقد اختصر المؤلف رواية النص
(٤) النبة ٢٧٠ والأنساب ٢٧٥ (ج)

صدوق [illegible] وله كتب في القراءات [illegible] سنة ٤٥٠ هـ

أبو عمرو [illegible] عثمان بن أبي بكر بن حمود الصدفي

رحل [illegible] الأندلس سنة ٤٣٦ هـ
وروى عن أبي [illegible] العصم

أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم الأندلسي [illegible]

ويعرف بابن أبي [illegible] (٢) [illegible] أبو الخطاب العلاء بن حزم [illegible]

أبو [illegible] علي بن أحمد [illegible]

شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة الهكاري الزاهد (٣)

من ولد [illegible] صخر بن حرب بن أمية [illegible] وفي سنة ٤٨٦ هـ [illegible]

أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم [illegible]

[illegible] وفي [illegible] من العدول الأماثل الفضلاء

[illegible] (ح)
٢ [illegible]
٣ [illegible] (ح) .

لزم أبا العلاء ، وكتب [illegible] ، وكتب من أصحابه الواحد عدة نسخ . وكان حسن الخط والإدراك والضبط ، وقد ذكره أبو العلاء في بعض كتبه أو في مقدمة فهرست كتبه ، [illegible] مشكور [illegible] زمانه ، واجتهدت أن أوفر على [illegible] ، إلا أن أضطر إلى غير ذلك ، فأمددت [illegible] شيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم [illegible] ، ورمي [illegible] وذي [illegible] في [illegible] ، [illegible] ، وكتب أبو العلاء [illegible] بن صالح ، وهما يزكي [illegible] أبي هاشم [illegible] في ذلك

أبو الحسن علي بن عائم الرحبي الكفرطابي المعري

القاضي أبو الحسن [illegible] بن محمد أخي أبي العلاء

ولد سنة ٤٠٥ هـ وكان فاضلا ، سمع على عمه أبي العلاء [illegible] ونسخها بخطه . وقد ولي قضاء المعرة [illegible] سنة ٤٥١ هـ .

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد اللطيف المعري .

المعروف بابن زريق ، ووالد أحمد [illegible] .

أبو الحسن علي بن همام المعري

وهو الذي رثى أبا العلاء بقوله [illegible] [1] :

إنْ كنتَ لم ترقِ الدماءَ زهادةً ... فلقد أرقتَ اليومَ من عيني دما

أبو غانم غالب بن عيسى الأنصاري الأندلسي

ذكره ابن حجر في لسان الميزان ج ١ ص ٢ [illegible] عنه من

(١) انظر [illegible] ص ٤٤٦

روى عن المعري وذكر ابن الأبار في (التكملة) أنه روى عن المعري وروى عنه :

أنا العـــلاء بن سليمانا عماك قد أولاك إحسانا(1)

لو أبصرت عيناك هذا الورى لم يَرَ إنسانُك إنسانا

روى عن ابن العديم أبو القاسم [illegible] بن عيسى بن أبي يوسف الأنصاري ، وقد ترجمه ابن الأبار في التكملة .

القاضي أبو القاسم الحسن بن عمرو بن سعيد بن عمرو التنوخي .

روى [illegible] عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد أبو طاهر محمد بن محمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، قرأ عليه بالمعرة ، وقد ذكره في (لسان الميزان) وذكره السيوطي في (بغية الوعاة) وروى عنه حديثاً في ص ٤٥١ ، رواه عن المعري قراءة عليه بالمعرة ، وذكره ابن العديم (2) فيمن روى عنه .

أبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الوزير . (3)

أبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن البريزي (4)

القاضي أبو سعد محمد بن أحمد

روى عن المعري فوائد كثيرة ، ووجد على حاشية نسخة من

(1) التكملة ٢ : ٩٩٠ [illegible] أولاك إحساناً ، وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء [illegible] ٨ : ٤٦٥

(2) تعريف القدماء [illegible] ص ٥١٦ من الإنصاف والتحري .

(3) ابن العديم (ج)

(4) ابن العديم (ج)

(الجمهرة) يقول فيه : « قال لي شيخي أبو العلاء » وقد ذكره القفطي في (إنباه الرواة) .

أبو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ابن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان التميمي الدارمي البغدادي .(١)

خرج من بغداد سنة ٤٣٥ هـ رسولاً عن الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى صاحب إفريقية المعز بن باديس ، وصحب أبا العلاء في المعرة ، وأنشده قصيدة لامية ، يمدح بها صاحب حلب ، فقال عنها ، وقال له أنت من ناظم ، ثم خرج من إفريقية إلى صقلية ، وتوفي نحو سنة ٤٥٥ هـ وكانت ولادته سنة ٣٨٨ هـ ، وهو من بيت علم وأدب والظاهر أنه روى شيئاً عن أبي العلاء ، لأن أبا بكر بن خير الإشبيلي قال في (فهرست مروياته) : وحدثني بالمقطوعة أيضاً عبد الملك بن محمد ابن هشام عن أبي محمد بن السيد البطليوسي عن أبي الفضل البغدادي عن المعري

أبو اليمن محمد بن المحسن بن أبي مهزول الملقب بالسابق المعري

وكان شاعراً مجيداً عالماً باللغة حسن الخط ، وله رسالة سماها (مجمع الزمان) أو الندمان أتى فيها بكل معنى غريب ، وله شعر مختار وأدب وتوفي بعد المائة الخامسة ، وتجد ترجمته في (معجم الأدباء) و (بغية الطلب) و (ابن عساكر) و (الشذرات) و (بدائع البدائه) وقد استوفيت ترجمته في (تاريخ المعرة) وعدّه ابن العديم فيمن روى عن أبي العلاء من أهل بلده

(١) نفح الطيب ١٠٣/٣ ، ابن العديم ، الصفحة ٢٦٢

أبو النصر محمد بن محمد بن أحمد بن [illegible] النيسابوري النحوي المتوفى سنة ٤٨٩ ه

[illegible] ج ٧ ص [illegible] عن أبي العلاء ، وفي [illegible] العديم [illegible] وفي [illegible] وفاة ص ١٠٠) ابن [illegible] (١) .

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني

وكان [illegible] علي [illegible] وروى عنه [illegible] شرح [illegible] روى عن أبي العلاء ، وعن أبي [illegible] سنة ٤٩٦ ه [illegible] ذكره في الكلام على [illegible] أقوال العلماء في المعري ، والظاهر أنه [illegible] سنة ٥٠٧ ه [illegible]

الشيخ أبو صالح محمد بن [illegible] بن علي بن المهذب المعري .

[illegible] كان [illegible] شاعراً ، حدث بالكثير عن أبي العلاء .

أبو الفضل بن صالح المعري .

ذكره [illegible] وقرأ عليه .

[illegible] بن صدقة [illegible] النحوي أبو [illegible]

كان [illegible] أبو [illegible]
كان [illegible]
فلازمه [illegible]

(١) [illegible] سنة ٤٨٩ ه

[illegible] ، ورجع إلى مصر ، [illegible] ، [illegible] عنه [illegible]
وأرسل إلى [illegible] [illegible] عنه

القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير

قال في معجم [illegible] المعري
[illegible] ، وذكره
ابن العديم [illegible]

أبو غالب همام بن الفضل بن [illegible] علي [illegible]

[illegible]

أبو الحسن يحيى بن علي بن محمد بن [illegible] المعروف بابن زريق المعري

سمع أبي العلاء [illegible] وله تاريخ
على [illegible] سنة ٤٤٢ [illegible])
سنة ٤٣٢ هـ .

أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي

[illegible] سنة ٤٢١
[illegible]
[illegible]
[illegible] ما
[illegible] في
[illegible] .
[illegible] ٤٣٦
[illegible] في
العلاء [illegible] وشا

من تصانيفه، وكان يحثه على الاشتغال بغير (السقط) من كتبه، وكان يقول: أفضل من رأيته ممن قرأت عليه أبو العلاء، ولما قرأ عليه (إصلاح المنطق) طالبه [illegible] متصلاً [illegible] أرب الدراية معه عن ولا تعدد، وإن قصدت الرواية فحدثت عنه عن غيره. وله كتب كثيرة منها (شرح الحماسة) وهي مشحونة بأقوال أبي العلاء وآرائه، وتخريجه في اللغة، ومنها (شرح سقط الزند) و(شرح شواهد [illegible]) و(شرح القصائد العشر) و(المفضليات) وله (تهذيب غريب الحديث) و(إصلاح المنطق) و(مقدمات في النحو) و(الملخص في إعراب القرآن) و(الكافي في العروض والقوافي) وغيرها

وقد تقدم أنه قرأ عليه أكثر من سنتين في قول ابن العديم. وقد تقدم عن القفطي أنه قال إن الخطيب التبريزي قرأ كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد سنة ٤٤٥ هـ على أبي العلاء؛ ولم أر من العلماء من ذكر في أي سنة قدم التبريزي على أبي العلاء، وفي أي سنة فارقه، لكن قولهم إنه قرأ عليه غريب الحديث سنة ٤٤٥ هـ وأنه أقام عنده أكثر من سنتين وأنه قرأ على أبي القاسم التنوخي وهذا توفي سنة ٤٤٧ هـ ويفهم من مجموع هذه الأقوال وأشباهها أنه فارق المعرة نحو سنة ٤٤٦ هـ وأقام فيها نحو ثلاث سنوات قبلها.

أبو الحسن يحيى بن محمد الرازي

قال القفطي (١) [illegible] أبا العلاء، من الطلبة رجل أعجمي يعرف بالكردي وكتب عنه [illegible] كتاب (ذكرى حبيب) فقدم أبو العلاء الى بعض [illegible] كتبه له على الكتاب المذكور وهو

٥٥ ـ أبو محمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي من أهل معرة النعمان:

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٢ عن إنباه الرواة ـ القفطي.

قرأ علي هذا الجزء وهو الجزء الثاني من الكتاب المعروف (بذكرى حبيب) الشيخ الفاضل أبو الحسن يحيى بن محمد بن زكريا أيده الله عزه من أول الجزء الى آخره ودفع لاحم [illegible] في تصحيح نسخة ، وكان ابتداؤه بقراءته لسبع بقين من شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وفرغ من قراءته لثلاث بقين من شهر ربيع [illegible] سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وأجزت له أن يرويه عني على حسب ما قرأه ، ويشهد الله [illegible] معتذر لي هذا القارئ من تقصيري فيما هو علي مفروض من حقوقه ، ولا تعترف بالعجز [illegible] من الأئمة [illegible]

وكتب عبيد بن زيد بن عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان بخط أحمد بن عبد الله ابن سليمان [المعري] في المحرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ،

أبو الفتح بن أحمد السروجي أخو القاضي أبي المهذب عبد المنعم

وسيأتي أنه دخل عليه فوجده [illegible]

أبو عبد الله بن جابر القرطبي

روى عن أبي العلاء شعره [illegible] ذكره [illegible] في [illegible]

* * *

الذين كاتبوه نثرا

[illegible]

أبو القاسم الوزير المغربي الحسين بن علي المتوفى سنة ٤١٨ هـ

[illegible]

له مؤمن ، وكتابا مع [illegible] له [illegible] فمدحه أبو العلاء ، ومدح [illegible] ، وتكلم في [illegible] وذو [illegible] ، واعتذر عن عدم مكافأته أباه [illegible] ، وصلت [illegible] في [illegible] على [illegible] الكتابين وردت من مصر [illegible] سنة [illegible] ٤ هـ [illegible] أبو القاسم [illegible] أبو العلاء بأبيات في لزوم ما لا يلزم أولها : (١)

ليس يبقى الضرب الطويل على الدهـ ـر ولا ذو لعابه [illegible] (٢)

أبو الحسن علي بن منصور بن طالب الحلبي الملقب بدوخلة والمعروف بابن القارح

[illegible] مصر وأدب أبا القاسم [illegible] بالمعرة سنة على [illegible] أبي العلاء [illegible] ص ١٩٢) : « كان حتى الشيخ [illegible] في [illegible] سنة [illegible] (٣) [illegible] أبي العلاء [illegible] ولد سنة ٣٥١ هـ ، وفي [illegible] الغفران ص ١٤٩ [illegible] ولا [illegible] سنة [illegible] في [illegible] وعشرين [illegible] ابن فلان [illegible] كاذب (٤) » اهـ .

[illegible] ص ٣٥٥ [illegible] ٥ - ١٢٤ (٥) [illegible]

(١) [illegible] ص ٣٤٩
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] ص ٣٨٧
(٥) [illegible]

أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان

كان بينه وبين أبي العلاء تزاور وتحاور، كتب إليه كتابا في أمر الخضاب (كتمه ودمه) وأجابه أبو العلاء برسالة ذكر بعضها في (رسائله ص ٢٢١) (١) وفيها يقول: «وأحسبه أدام الله قدرته عتب علي ما عهد من القوة والصبر، ولست كذلك.».

مرجّى بن كوثر المقرىء النحوي المؤدب أبو القاسم.

قال ياقوت: نحوي مليح الخط له (المفيد) في النحو وكتاب في الضاد والظاء، وبينه وبين أبي العلاء مكاتبة (٢).

داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران

اشتهر أن أبا العلاء يمتنع عن أكل الحيوان، ويحض على تركه، واجتناب ما تولد منه، فاتخذ ذلك حساده وخصومه وسيلة للطعن في دينه، وقالوا إنه يدين بدين البراهمة، ومن ذلك قصيدته التي مطلعها: (٣)

غدوتُ مريضَ العقل والدين فالقني لتُخبَرَ أنباءَ الأمور الصحائحِ

كتب إليه داعي الدعاة أبو نصر المذكور كتابا، يذكر فيه أنه مريض بهذا المرض، وقد أتاه مسترشدا، ثم جرت بينهما مكاتبات في هذا الموضوع، والظاهر أن داعي الدعاة كتب إليه ذلك، وهو في بلاد الشام، لأنه يقول في بعض أجوبته: (٤) «فلما رمت في المرامي إلى

(١) انظر الرسائل شرح شاهين عطية.
(٢) البغية ٣٩٠ (ج)
(٣) اللزوميات ص ٨٤ وفيها: «لتسمع»
(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٣٤ عن إرشاد الأريب — ياقوت.

الشام ، وسمعت أن الشيخ يفضل في الأدب والعلم فقصدته قصد موسى للطور أقتبس منه نارا ... » .

وقد نقل ياقوت (ج ١ ص ١٩٤) عن ابن الهبارية « أنه جرت بينهما مكاتبات كثيرة ، ثم في آخرها استحضره إلى حلب ، ووعده على الإسلام خيراً من بيت المال ، فلما علم أبو العلاء ، بعض للقتل أو الإسلام سم نفسه ومات » . ثم قال ياقوت « ولما وقفت على هذه القصة ، اشتهيت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه ، حتى ظفرت بمجلد لطيف وفيه عدة رسائل من أبي نصر هبة الله بن موسى إلى المعري في هذا المعنى ، انقطع الخطاب بينهما على ما تراه ، ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذكره ابن الهبارية من سم المعري نفسه ، وفيها على الوجه بطول ، فلخصت منها الغرض دون تفصح المعري وتشدقه ، ثم أورد ثلاث رسائل لداعي الدعاة ، ورسالتين لأبي العلاء يظهر أثر الحذف والنسخ فيها .

وقال ابن حجر في (لسان الميزان ج ١ ص ٢٠٧) : « وقد طالعت ما دار بينهما بين المعري وداعي الدعاة واستفدت منه ما يتعلق بترجمة المعري ، أنه ذكر عن نفسه ، فإن قضى على وقفا أن أرسع لا أفرق بين البزل والربع . قال ووقعت (١) في آخر عمري بالإقعاد وحكم الله عليّ بالإزهاد ، فصرت من العمى (٢) في حجاب » . وقال في جوابه عن ترك اللحم : « قالوا : إن كان رب لا يريد إلا الخير ، فالشر لا يخلو من أمرين ، إما أن يكون علمه أو لا ، وعلى الأول فإن كان يريده فيجب أن ينسب الفعل إليه ، وإن كان بغير إرادته صار عليه

(١) في ياقوت : « وصبت » (ج)

(٢) وفيه : « من العمى » . (ج)

ما لا يجوز على أصغر الأمراء (١) ، إلا أنه لا يرضى أن يفعل في ولايته ما لا يريد . وهذه عقدة قد جهد المتكلمون في حلها ، فأعوزهم .

ومن تأمل ما قاله ياقوت ، وما نقله من مسخ رسائل أبي العلاء ، وما قاله ابن حجر ، يتبين له الفرق بين المؤرخ العالم والمؤرخ الأديب . ومن تأمل أجوبة أبي العلاء ، يتضح له من خلال كلماته ، أنه كان يستشعر الريبة والخوف من ملاطفة داعي الدعاة وتقصيه عن أمره ، وأنه كان يكبح جماح قلمه ، فلا يسترسل في الجواب .

والذي يمكن فهمه من أجوبة أبي العلاء ، أنه كان يصوم الدهر منذ بلغ ثلاثين عاما ، وأنه ما أكل شيئاً من حيوان منذ خمس وأربعين سنة ، والذي حثه على ذلك أن غلته في السنة نيف وعشرون ديناراً ، يعطي خادمه بعضها ، وأنه لا يزيد في رزقه وزاده ، و [illegible] لم تبق له [illegible] ، وعجز عن القيام في الصلاة ، والقعود [illegible] كان مضطجعاً ، وقد عريت عظامه من اللحم .

وقد كانت من غرائب داعي الدعاة ، أمر الأمراء (٢) أن يجري له ما هو [illegible] أمثاله من لذ الطعام ، وبعثه على حسن صورة ما أبى .

* * *

(١) في ياقوت [illegible] (ج)

(٢) [illegible] ياقوت ج [illegible] ص ١٨٨ [illegible]

[illegible] ص ٢٣٤ [illegible]

[illegible] ياقوت ، وأورد نحو ذلك في ص ٢٧٤ .

الذين كانوا نظراء :

وأما الذين كانوا نظراء فكثيرون منهم

الشريف أبو إبراهيم محمد بن أحمد العلوي

مدح أبا العلاء بقصيدة أولها (١)

غيرُ مستحسنٍ وصالُ الغواني   بعد ستين حجةً وثمانِ

وفيها يقول :

كلُّ علم مفرّق في البرايا   جمعتـــه معرّةُ النعمانِ

فأجابه أبو العلاء بقصيدة وهي في السقط ج ص ٩ (١)

علّلاني فإنّ بيضَ الأماني   فنيت والظلامُ ليس بفانِ

وذكر في ص ٢٤٦ [illegible] ومعرة النعمان . وفي كتاب [illegible] ٣٣٤ هـ [illegible] ٣٥٨ [illegible] ٤١٧ هـ [illegible] (ج)

(١) انظر شروح السقط ق ١ ص ٤٢٥

[illegible] (١)

بِعاذِكَ أَسْبِر الحَشَى القَرِيحَا   وذارِكَ لاتَبِي إلا تُرُوحَا

[illegible] ص ٥٦

الاحَ وَقَدرأى بَرقَاً مُليحَا   سرى فأتى الحمى نضواً طليحا

(١) [illegible] ١٣٧

(٢) [illegible] وهو موسى بن إسحق [illegible] بن إسحق [illegible] موسى

[illegible] أبا إبراهيم [illegible] والممدوح بها [illegible]

[illegible] بالقرآن

[illegible] والأدهان

[illegible]

[illegible] على أن أبا العلاء [illegible]

[illegible]

[illegible] وكان أبوه إسحق [illegible] —

وقال البطليوسي في (شرح السقط ج ٢ ص ٢٠٠) [illegible] أبا العلاء مدح الشريف أبا إبراهيم العلوي بقصيدته التي مطلعها

إِلَيْكَ تَناهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُؤْدَدِ ۝ فَأَبْلِ اللَّيالي والأنامَ وَجَدِّدِ

القاضي أبو الطيب الطبري، طاهر بن عبد الله بن طاهر المتوفى سنة ٤٥٠ هـ

كتب إلى أبي العلاء أبياتاً على روي اللام ألغز فيها بعد أن دخل بغداد، ثم دارت بينهما محاورة ذكرناها في الكلام على بداهته.

أبو القاسم علي بن جلبات العلوي.

مدح أبا العلاء بقصيدة فأجابه بقصيدة مطلعها (١)

يَرُومُكَ والجَوْزاءُ دُونَ مَرامِهِ ۝ عَدُوٌّ يَعيبُ البَدْرَ عِنْدَ تَمامِهِ

وفي (ضوء السقط) من قول أبي العلاء (٢)

أَيَدْفَعُ مُعْجِزاتِ الرُّسْلِ قَوْمٌ ۝ وفيكَ وفي بَدِيهَتِكَ اعْتِبارُ

ويسمى [illegible] ٦٧ [illegible] أحمد [illegible]

ويجوز أن يكون [illegible] أبي العلاء في قصيدة [illegible]

[illegible] (ع)

(١) شروح السقط ق ٢ ص ١٧٣

(٢) المصدر [illegible] ص ٨

إلى آخر الأبيات . أجاب به أبا القاسم بن جليات ، وقد ذكرت ترجمة أبي القاسم في (تاريخ المعرة)

أبو علي البروجردي محمد بن حمد بن فورّجة

كتب إلى أبي العلاء قصيدة أولها (١)

ألا قامَتْ تُجاذِبُني عِناني ... وتسألني بعرضتها مقيلا

فأجابه بقصيدة في (السقط ج ٢ ص ٨٠) (٢) أولها

كَفَى بشُحُوب أوجُهِنا دَليلاً ... على إدمانِنا مَلِكَ الرَّحيلا

أبو الخطاب الجبلي محمد بن علي المتوفى سنة ٤٣٩ هـ

مدحه بقصيدة ، فأجابه بقصيدة في (السقط ج ١ ص ١٥٣) (٣) أولها

أشفقتُ من عبءِ البقاءِ وعابِه ... ومللتُ من أَرْيِ الزمانِ وصابِه

ومدحه بعض الشعراء بقصيدة من [illegible] إسماعيل بن سعيد بن عمرو النحوي

فأجابه بقصيدة في (السقط ج ١ ص ١٩٢) أولها (٣)

يا للمُفضِّل تكسوني مدائحَهُ ... [illegible]

وفي (ضوء السقط) [illegible] بعض [illegible] وقد زاد بيتا في أول القصيدة .

(١) [illegible] ج ٢ ص ١٢[illegible]

(٢) [illegible] ج ٢ ص ٧١٥

(٣) [illegible] ج ٢ ص ٦٧٣

ابن تميم العرقي

كتب [illegible] مرى [illegible] [illegible] لم يعده في مرضه ، فأجابه [illegible] منها قوله في [illegible] ج ٣ ص ٩٨

أمعاني في الهجران [illegible] خلال [illegible] عن [illegible] (١)

[illegible] كثير [illegible] ولكن لم [illegible] من هو [illegible] بعض الأبيات من شعره [illegible] في ([illegible] ج ٣ ص ٣٦) (٢)

أوالي [illegible] الراح بين شعب [illegible] للمدامة أو [illegible]

[illegible] وذكر [illegible] كما في [illegible]

* * *

الذين زاروه في المعرة

[illegible] زاروه في [illegible] ، ولكن من عرف [illegible] منهم قليل ، منهم :

الشيخ أبو سعيد الخوارزمي ، أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن [illegible] المتوفى سنة ٤٤٨ هـ

كان [illegible] أبي الطيب الطبري [illegible] منه ، تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفرائيني ، وقد زار أبا العلاء

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

في المعرة في رمضان سنة ٣٩٨ هـ ، وكان يحمل كتاباً من أبي الطيب الطبري إلى أبي العلاء ، [illegible] ، وكان أبو العلاء بعد العدة للسفر إلى بغداد كما تقدم (١)

الوزير أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب المتوفى سنة ٤٣٧ هـ .

وزر لأبي نصر أحمد بن مروان ، صاحب ميافارقين وديار بكر ، واجتمع بأبي العلاء في معرة النعمان ، فشكا إليه حاله ، وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه ، فقال : مالهم ذات وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ، فقال أبو العلاء : والآخرة أيضاً ؟ ! وجعل يكررها ويتألم لذلك ، وأطرق ولم يكلمه إلى أن قام (٢) وقال [illegible] حدثني أبو نصر بن جهير ، حدثنا أبو نصر المنازي ، قال : اجتمعت بأبي العلاء ، فقلت : ما هذا الذي يروى عنك ويحكى ؟ قال : حسدوني وكذبوا علي ، فقلت : على ماذا حسدوك ؟ وقد تركت لهم الدنيا والآخرة .

ونقل الحافظ ابن عبد الغني المصري المقدسي أن أبا نصر المنازي دخل على أبي العلاء في جماعة من أهل الأدب ، فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر ، فأنشده أبو نصر في وادي بطنان

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم (٣)

(١) ترجمته في [illegible] ٣ : ٢٢ (ح)

(٢) الوفيات ١ : ٥٥ (ح)

(٣) شرح التنوير لأبي العلاء ص ٣٥٩ ، ٤٤٣ ، [illegible] ٣٧ [illegible]

إلى آخر الأبيات (١) فقال أبو العلاء [illegible] أنت أشعر من بالشام »

ثم رحل إلى بغداد ، ودخل عند المعري في جماعة من أهل الأدب ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد ما يحضره من شعره ، حتى جاءت نوبة المعري فأنشد :

لَقَدْ عَرَضَ الْحَمَامُ بِسَجْعٍ ... إِذَا أَصْغَى لَهُ رَكْبٌ تَلَاحَى (٢)

إلى آخر الأبيات ، فقال أبو العلاء [illegible] ومن بالعراق » عطفاً على قوله : من الشام [illegible] وفي ([illegible]) أن المرض الذي وقع بالمعرة بعد نحو عشرة أعوام ، قال [illegible] وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم »

وقال ابن العديم في ([illegible] حلب) [illegible] المعري [illegible] النصاري عمل هذه الأبيات ([illegible]) [illegible] على أبي العلاء ، فلما وصل إليه أنشده الأبيات ، فعمل المعري كلاماً [illegible] المصراع الأول من كل بيت [illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

[illegible] وقد [illegible] أبو العلاء [illegible]

[illegible]

أبو العلاء إلى المصراع [illegible] الذي هو [illegible] كما [illegible] ، ولم أنشده قوله

نزلنا دوحة فحنا علينا . . .

قال أبو العلاء

. . . . حنوّ الوالدات على الفطيم

فقال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أحسن .

وقول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، يدل على [illegible] الزيارة كانت بعد رجوع [illegible] من بغداد . [illegible] [illegible] [illegible] رحل إلى بغداد فدخل عليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأبيات [illegible] كانت من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عرض الأبيات [illegible] كان في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من أن عرض الأبيات [illegible] كان في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم في [illegible] ، ولكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بأن العرض كان في غير هذه [illegible] ، ولعله كان بعد [illegible] أو قبله .

وقد [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أحمد ابن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وأمثل الشعراء [illegible] [illegible] أبي العلاء [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟

(١) [illegible] [illegible] ص ٣٦ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

فقال [illegible] والآخرة أيضاً ! والآخرة [illegible] ! قلت : إي والله ثم قلت له :
لم [illegible] عن [illegible] ؟ [illegible] : رحمة للحيوان
قلت : لا [illegible] تقول [illegible] المعري أنهم يجحدون
ما [illegible] ويحرّمون [illegible] اللحم ، ويتحرّجون [illegible] في [illegible]
والهوام التي خلقت [illegible] والطيور وولدها
وعدمها ولا [illegible] من ذلك [illegible]
[illegible] أعم
ولا [illegible] في [illegible] على [illegible] ،
[illegible] ، ولا [illegible] حتى تعطب ،
[illegible] من [illegible] غير
محسوس عندها [illegible]

على أن المعري [illegible] :

[illegible] سنّ بالعقل
ومن [illegible] الكذب
سحراً من العقل [illegible] مستبقة النمل ».

[illegible] ،
[illegible] كانت قصتها رائعة ،

(١) [illegible]
[illegible] الا
[illegible] قبل
[illegible]
[illegible] (ح)

وبالقرب من [illegible] قال لها الباب ، ويعرف بباب بزاعة ، وقرية أخرى يقال لها تاذف ، وقد ذكرها امرؤ القيس بقوله

ويارُبَّ يومٍ صالحٍ قد شهدتُه   بتاذفَ ذاتِ التلِّ من فوق طرطرا

وطرطر قرية في وادي بطنان [illegible] وقد مررت بطرف هذا الوادي سنة ١٣٥ [illegible] وهو كثير المياه والأشجار بالنسبة إلى تلك الأصقاع [illegible] ساعة لا يرى شجر ولا ماء [illegible] المنازي [illegible] من هذه الطريق القاحلة [illegible] الشمس واشتد به العطش ، فما وصل إلى هذا الوادي رأى تلك البقعة الخضراء قطعة من الجنة

وقد نسبت هذه الأبيات [illegible] إلى المنازي ياقوت في (معجم البلدان) ، [illegible] في ([illegible]) ، [illegible] في [illegible] ص ١٢٤) [illegible] في تاريخه [illegible] ([illegible] الأدب) وصاحب (شذرات الذهب) [illegible] الأوراق) وفي عنوان المرقصات [illegible] الشحنة في [illegible] وغيرهم . على اختلاف في الرواية ، ففي [illegible] والعذب ، وفي بعضها « [illegible] المرقصات »

وذكر في (نفح الطيب ج ٢ ص ٤٩١) أن هذه الأبيات لحمدة أو حمدونة بنت زياد المؤدب ، من وادي آش ، وأنها قالتها من [illegible] بجوار [illegible] فعجيب أن يتفق هذا الجمهور من المؤرخين والرواة على [illegible] إلى المنازي وهي ليست له

أبو الوليد الحسن بن محمد البلخي الدربندي وقد تقدم ذكره

أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ .

قال ياقوت في معجم الأدباء (ج ٤ ص ١٧١): «قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعري: لم أهج أحداً قط، فقلت له: صدقت إلا الأنبياء، عليهم السلام، فتغير وجهه». وروى عنه (ج ٤ ص ١٧٢) أنه قال: عن لي ملحد المعرة: ما سمعت في مرثية الحسين بن علي، رضي الله عنهما، شيئاً. فقلت له: أن تغلط، فقلت له: قد قال شاعر من أهل بلادنا أبياتاً لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... للمسلمين على قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا جازع فيهم ولا متخشع [1]

من أبيات [illegible]، وهي مذكورة في (ج ٩ ص ٢٦٦ من الكامل لابن الأثير). وكان عبد السلام هذا مولعاً بجمع الكتب، وله تفسير كبير قيل إنه في ثلاثمائة مجلد كبار، على قول السبكي في طبقاته (ج ٣ ص ٢٣٠) وثلاثة على قول ابن حجر، منها سبعة في الفاتحة؛ وقد قال في (لسان الميزان ج ٤ ص [illegible]) وله توسع في العربية [illegible]، وكان طويل اللسان تارة [illegible] وتارة [illegible]، وطريقته مع أبي العلاء في هذا تقدم من النوع الثاني

(١) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر

من ذرية مالك بن طوق التغلبي [illegible] له تصانيف كثيرة ، ضاقت يده في بغداد حتى [illegible] وجدت [illegible] بكم رغيفين كل غداة وعشية [illegible] على [illegible] ووصل في آخر عمره عن بغداد [illegible] شعبان [illegible] سنة ٤٢٢ هـ [illegible] ج ٣ ص ٣٢ [illegible] أبو العلاء [illegible] أبو العلاء [illegible] من الدراهم ، وكتب إليه هذه الأبيات

أيشتد [illegible] من [illegible]

* * *

[illegible]

[illegible] أهديت خمسين [illegible] وساري
وقلت [illegible] ثلاثين [illegible] تكشف [illegible]

وذكر بعضهم [illegible] في بغداد ، كان أبو العلاء [illegible] في [illegible] ولكن [illegible] في [illegible] في بغداد ، ولكن [illegible] هذا قوله [illegible] هو في بغداد [illegible]

وتين يديه [illegible] عيش [illegible]

إلا أن يريد أن كثر طاب ماؤه [illegible] ، وهي في طريقه والدراهم التي [illegible] لا [illegible] إلا [illegible] للشرب والطهور ، كناية عن قلتها ، وكلام التبريزي في [illegible] ص ٨٣)(١) [illegible] « فبالشام تهذيب [illegible] » في القاضي عبد الوهاب المالكي

وقد عرف أن المعري ولد سنة ٣٦٣ هـ [illegible] أن تكون هذه الأبيات قيلت في نحو سنة ٤٠٣ هـ ، وأن يكون أبو العلاء ذكر [illegible] وسكت عما [illegible] الشعر ، وزعم بعض [illegible] القاضي عبد الوهاب [illegible] ٤٢٢ هـ ، ويكون [illegible] في أبي العلاء [illegible] في « [illegible] حاضري [illegible] عشرين حولا [illegible] ٤٢٢ هـ ، وأبو العلاء ذكر [illegible] القاضي [illegible] إلى أبي القاسم التنوخي بعد عودته من بغداد ، وهي في [illegible] ج ٢ ص ١٣٩ (٢) وأبيات [illegible] :

والمالكي ابن نصر [illegible] [illegible] بلاد [illegible] الناس [illegible]
إذا تفقه أحيا مالكا جدلا [illegible] ويُنشر [illegible] تضليل [illegible] شعرا

• • •

ثم قال فيها :

[illegible] حاضر [illegible] عشرين حولا [illegible]

وذكر [illegible] في [illegible] ص ٢٥ [illegible] عبد الوهاب خرج في آخر عمره إلى مصر فمات بها سنة ٤٢٢ هـ » وقال البطليوسي

(١) انظر [illegible] ص ١٧٣٣
(٢) [illegible] ص ٧٤ [illegible]
[illegible] مصر

ص ١٢٣٢) . [illegible] يخاطب بها [illegible] القاضي عبد الوهاب بن نصر ، وكان مجتازاً بالمعرة ، [illegible] ثلاثين درهماً ، [illegible] وكان أبو العلاء [illegible] وهذا [illegible] ، لأن أبا العلاء ما تلمذ على أحد بعد ما جاوز العشرين كما تقدم .

أبو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي المعروف بصريع الدلاء

قتيل الغواني [illegible] والغواني [illegible] ذي الرمة [illegible] سمعه علي بن عبد الرحمن وقال : سمعه محمد بن عبد الواحد [illegible] البصري [illegible] بمصر سنة ٤١٢ هـ . وتوفي بها في تلك السنة ، وطلب من أبي العلاء [illegible] وما [illegible] شيئاً من شعره ، [illegible] بأبيات ، [illegible] في السقط ج ٢ ص ٣٤ ، (٣) [illegible]

تفهّمْ يا صريع البيْن شكرى ... أنت مِن مُستقِلّ مُستقيل

دُعيت بصارع فتداركتْهُ ... صناعةُ فَرْدٍ إلى فتيـــلِ

. . .

وفيها يقول

قد استحييتُ منك فلا تكلني ... إلى شيءٍ سوى عُذرٍ جميل

وقد أعددتُ ما حقّي عليه ... قبيحُ الهجو أو شتمُ الرسول

. . .

(١) انظر شروح السقط
(٢) المصدر السابق
(٣) شروح سقط الزند ج ٢ ص ١٤١

وآخرها :

وإنْ يكُ ما نعشتُ به قليلاً فلي حالٌ أقلُّ من القليل

وترجمته في (الوفيات [illegible]) و ([illegible] أبي الفداء) وابن الوردي

أبو الحسن علي بن محمد التهامي

سيأتي ذكره في الكلام على قراءته .

أبو محمد بن سندي القسري .

روى ابنه القاضي أبو عبد الله محمد بن سندي القسري ، قال : « حدثني أبي ، قال أتينا عند أبي العلاء المعري ، في الوقت الذي كان [illegible] علي عنه شعره معروف [illegible] لا [illegible] في [illegible] . نقل ذلك ابن العديم [illegible] في الكلام في قوله هذا

أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي

وقد ذكرنا في ذكاء أبي العلاء أنه زاره في المعرة ، واستنشده شعره وحذّره الناس .

أبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالجبُّلي المتوفى سنة ٤٣٩ ه

وهو [illegible] من العربية [illegible] في [illegible] كان شاعراً مجيداً ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة ، ورثيه فقال أبو العلاء قصيدته : (٢)

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء [illegible] عن [illegible] والمعري [illegible] لابن العديم

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٧١

كذا زعم ياقوت في (معجم الأدباء ج ٣ ص ٥١) وقال السمعاني : « كتب إليه أبو العلاء هذه القصيدة » . وقال ابن خلكان (ج ٢ ص ٢٢٦) : هذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء إلى أبي حمزة حسن بن عبد الله الفقيه الحنفي ، وهي نسيج ، ونقله عن ابن العديم

ويذكر جمهور أن هذه القصيدة ، رثى بها أبا حمزة الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد التنوخي المعري المتوفى سنة ٤٠٨ هـ لأنه يقول فيها

قصد الدهر من أبي حمزة الأوّ ... اب مولى حجى وخدن اقتصاد

ر ، كانها في الحقيقة في أخي أبي حمزة ، لأنه يقول فيها

وسكر للمحسن الأجر [illegible] ... ودود رغماً لآنف الحسّاد

وليصبر عن أخيه نفساً وإن با ... ن أخيه جرائح الأكباد

وفي (الأنس القريب) ، فقد يرثي به أحد أقاربه من بني حمزة ، وعزّى فيها أهله

وعلى كل حال ليست هذه القصيدة من المشاعرة أو المساجلة في شيء ، وهذه هي المعرفة ومن القصيدة التي كتبها أبو العلاء إلى أبي الخطاب الجبلي في (السقط ج ١ ص ١٥٣)[1] وعدد أبياتها ٢٢ بيتاً وأولها

أشفقت من عبء البقاء وعابه ... ومللت من أري الزمان وصابه

وكان أبو الخطاب نصيراً تمدح شعره ومدحه بقوله

(١) وفي الشروح ق ٢ ص ٧١٥

عجبَ الأنامُ لطولِ همّةِ ماجدٍ أوفى به قِصَرٌ على أضرابهِ

سهمُ الفتى أقصى مدًى من سيفهِ والرمحِ يومَ طعانهِ وضرابهِ

وأشار الى خروجه من العراق بقوله

هجرَ العراقَ تقربًا وتغربًا ليعودَ من سمطِ العلا بغرابهِ

ويشير الى أن أبا الخطاب مدحه بشعر ، فأجابه بهذه القصيدة بقوله

ألبستني حُلَلَ القريضِ ووشيهِ متفضلًا ورفلتُ في أثوابهِ

وصلتَ شعرك [illegible] رياضه [illegible] سواه من أدرى أولى به

فأجبتُ عنهُ مقصرًا عن شأوهِ [illegible] مقصر عن طلوع ثوابه

وذكر ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٦) [1] [illegible] الشام ، وهو المعري ، وعاد ضريرا وله شعر ، [illegible] الى البلاد ، ثم عاد الى بغداد ، [illegible] وكان [illegible] خبيث ، وذكر له [illegible] الخطيب (ج ٣ ص [illegible]) [illegible] في حداثته الى الشام ، فسمع بدمشق ، ثم [illegible] الى بغداد ، [illegible] وأنه كان رافضيا ، ثم روى عن أبي القاسم علي بن الحسن التنوخي ، قال [illegible] أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لقيته ، يجيب [illegible] الخطاب الجبلي ، عن بيت كان مدحه [illegible] ، ثم ذكر القصيدة [illegible] وهذا يدل على أن هذه القصيدة قيلت قبل سفره الى بغداد

(١) الكامل

محمد بن أبي بكر الحاقي

ذكر ابن العديم عنه أنه قال : (١) ارتحلت أريد المعرة ، لألقى أبا العلاء بن سليمان ، فبينا أنا في بعض طريقي ، وإذا بشاب حسن الصورة ، وهو أعور راكب على عير ، ومعه شخص وضيء الوجه يشبه عينه بعضه ، فلما انتهى إلى آخر [illegible] قال له الشاب الأعور منشداً :

إنْ كنتُ خُنتُكَ في الهوى ... فحُشِرتُ أقبحَ من فضيحهْ

قال الحاقي : فرمت أن أزيد على هذا البيت شيئاً ، ثم استعصى لكثرة طربي به ، إلى أن انتهيت إلى المعرة ، ودخلت على أبي العلاء بن سليمان ، وكان من حديثي معه ، أن تذاكرنا في أبيات من الشعر ، ذكر منها بيت جميل قاله وهو :

إنَّما تسرحُ آسادُ الشَّرى ... حيثُ لا تُنصبُ أشراكُ الحدَقْ

فقال : لقد أتاه ببصيرة وإن عمي بصره . فقلت له : أتعرف لمن الشعر ؟ قال : لا . فحثثته عليه ، فوجدناه لبشار بن برد ، ثم خلوت معه ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت : أنا فلان . فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ! فأنشدته ، ثم انتهى حديثي معه إلى أن حكيت له حكاية الشاب الذي لقيته في طريقي ، وأنسيت أن أقول له إنه كان أعور ، فلما أنشدته

إنْ كنتُ خُنتُكَ في الهوى ... فحُشِرتُ أقبحَ من فضيحهْ

قلت له : لم أستطع أن أزيد على هذا البيت شيئاً فأسرع أن قال لي : فهلا زدت عليه

وجحدتُ نعمةَ خالقي ... وفقدتُ مُقلتيَ الصحيحهْ

(١) [illegible]

قال . فقلت : والله ما كان إلا غيره [illegible] هذا [illegible] ؛ فمضت إحدى شبابه في سنة [illegible] ولعله تحريف عن شب إحدى عينيه ، أي ذهبت .

أبو الحسن المختار بن بطلان المتطبب البغدادي المتوفى سنة ٤٥٥ هـ .

ذكر القفطي (١) أن ابن بطلان كان [illegible] أبا العلاء المعري ، وكان قبل موته بالمعرة ، فحدثه بعض الطلبة أن أبا العلاء [illegible] ، فغلط فيه ، فتنبأ ابن بطلان بأن ذلك [illegible] ، كما تقدم ونقل في ([illegible]) عن ابن بطلان أنه ذكر أبا العلاء المعري في جملة من فقد من العلماء

أبو الحسن الدلفي المصيصي

قال الثعالبي في تتمة اليتيمة ج ١ ص ٩ ، : وكان صاحبي أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر ، وهو ممن [illegible] قديماً وحديثاً ، في مدة ثلاثين سنة ، [illegible] شاعراً ظريفاً ، يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل في كل فن من الجد والهزل ، [illegible] أبا العلاء [illegible] على مصر [illegible] في الحسن [illegible] والعصا ، [illegible] وحضرته يوماً وهو يجيب عن كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء :

وافى الكتابُ فأوجبَ الشكرا ... فضممتُه ولثمتُه عشرا

وفضضتُه وقرأتُه فإذا ... أحلى كتابٍ في الورى يُقرا

فمحاهُ دمعي من تحدّرِه ... شوقاً إليك فلم يدع سطرا

(١) [illegible] أبي العلاء [illegible] القفطي

فحفظها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الإخوان » . هذا هو نص (تتمة اليتيمة) وقد نقله ياقوت (ج ١ ص ١٧٢) عن (اليتيمة) والصواب عن (تتمة اليتيمة) وفي روايته « وهو من لبيب قديماً وحديثاً » . وبدا هو أخي كتب في الورى . وزاد ياقوت بعد الأبيات الثلاثة قوله : قال وأنشدني لنفسه :

لستُ أدري ولا المنجمُ يدري ... ما يُريدُ القضاءُ بالإنسانِ

غيرَ أني أقولُ قولَ محقٍّ ... قد يرى الغيبَ فيه مثلَ العيانِ

إنّ مَن كان محسناً قابلتْـ ... ـهُ لجميلٍ عواقبُ الإحسانِ

هذه رواية ياقوت وفي (تتمة اليتيمة) :

. . . . محسناً قابلتهُ بجميلٍ عواقبُ . . . .

والأبيات الثلاثة الأول ، والرابع لم ترد في ديوان أبي العلاء ، والأبيات الثلاثة الأخيرة ، لم ينسبها الثعالبي الى أبي العلاء ، وإنما نسبها لأبي القاسم المحسن بن عمرو . المعري ، في ترجمته في (تتمة اليتيمة) فتوهم ياقوت أنها لأبي العلاء .

وقد نقل هذه القصة عن الثعالبي جماعة ، منهم [1] صاحب (معاهد التنصيص) ، والصفدي في (الوافي بالوفيات) وفي (نكت الهميان) نقلوا من قوله : « كما يحمده عيري على الصبر » ونقل ابن العديم الى قوله : « . . . كما في رؤية الثلاء والصعد » ونقل البديعي في (أوج التحري ص ٤) مع الأبيات الثلاثة الأول

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء صفحات ٢٠٥ ، ٢٨٦ ، ٣٣٦ ، ٥٥٨

وأبو الحسن الدلفي .

قال الميمني (ص ٥٥)(١) « وبه اشتهر . محموده في التطلب عنه ، موجوده في (الصبح المنبي) وهو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن الدلفي المصيصي النحوي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ » ونقل عنه صاحب (العبه ص ٥٢) عن ياقوت .

وفي ذيل (تعريف القدماء ص ٣) : هو أبو الحسن علي بن مأمون الدلفي المصيصي ، وقد روى عنه الثعالبي (ج ١ ص ٢٢ ج ٢ ص ٢٨٦) هكذا قالوا . وكلا أبوي الحسن كان معاصراً للثعالبي ولأبي العلاء ولكن الذي نقل عنه الثعالبي في (تتمة اليتيمة) هو أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر كما تقدم . والذي ظهر لي بالاستقراء أن أبا الحسن الدلفي المصيصي النحوي واسمه محمد بن عبد الله والذي ذكره الثعالبي في (اليتيمة) ذكره في صور مختلفة فهي (الجزء الأول ، ص ٢٠٦) قال أبو الحسن المصيصي ، ثم قال المصيصي وفي (ص ٢٢٠ ، ٢٢٢) أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وفي (ص ٢٢٣ ، ٣٥٢) المصيصي وفي (ص ٢٤٧) علي بن مأمون المصيصي وفي (ص ٥٣٥) أبو الحسن المصيصي الشاعر وفي (الجزء الثاني ص ١٣٦) أبو الحسن المصيصي وفي (ص ٢٨٦) علي بن مأمون المصيصي ولم يذكر في موضع من هذه المواضع أنه دلفي أو نحوي .

ولم أجد نصاً يدل على أن الثعالبي نقل عن الأول ، ولا نصاً يدل على أن الثاني دلفي فتأمل ، ونذكر أن الأول توفي سنة ٤٦٠ هـ والثعالبي توفي سنة ٤٢٩ هـ وكان لقيه وعمره دون ثلاثين عاماً ، فمن روى عنه هذه القصة فيجب أن يكون عمره فوق الثمانين .

---

(١) أبو العلاء وما إليه

أبو محمد الخفاجي الحلبي

وسيأتي ذكره في الكلام على مراسلته

هبة الله بن موسى المؤيد في الدين ؛ وسيأتي في الكلام على حفظه

أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور

قال ابن عساكر في ترجمة عبد المحسن الصوري : « وذكر أبو العلاء بن سليمان كان يعجب بعبد المحسن الصوري بشعر الشامي ، فحدث أن أبا الفتيان ابن حيوس حضر عند أبي العلاء المعري فأنشده أبو العلاء أبياتاً لعبد المحسن الصوري ، وقال : لمن هذه ؟ فقال : لقد قصرت ، فقال له أبو الفتيان : هو أشعر من طريقك ، [illegible] ، وهو على جودته ، وهم [illegible] به يعرفون »

··········

منزلته عند الملوك والأمراء وعظماء الناس

حاول أبو العلاء أن ينقطع عن الناس، ويقبع في منزله، ولكنه لم يوفق إلى ذلك، فاضطر الناس إلى أن يقبلوا عليه في معتزله، وأن ينبسط جاهه عند العظماء في الشفاعات، ويحقق أمله في الدرس والإملاء والتأليف و[illegible].

وقد ذاع صيته في العاصمة وغيرها، وزعم أهل الفضل [illegible] و[illegible]، وأكبروا مكانته وعلمه، وطمعوا في الاستفادة منه، فكان لا يمر بالمعرة رجل مشهور إلا قصده واستفاد منه، أو طلب منه [illegible] جواب عن مسائله أو تصنيف كتاب باسمه.

وقد كان فريق من العظماء يراسله أو يمدحه، ويلتمس الوسائل للتعرف إليه، ولم يكن أبو العلاء ممن يمدح أو [illegible]، ولا الأغنياء حتى يظن أن الناس يتوقعون منه صلة، أو [illegible] منه [illegible]. [illegible] كانوا [illegible] شعره [illegible] ويحفظونه [illegible] شعره [illegible] [illegible]

ومن قديم ما وصل إلينا من أخبارهم [illegible] [illegible] حرصوا من [illegible]، وكان [illegible] [illegible]، إلا أن كثيراً من [illegible] لم [illegible] ولا ذكر اسم [illegible] صاحبها. ومنها ما ذكر [illegible] لفظ [illegible] و[illegible] فلان، ومنها ما [illegible] وما [illegible] عليه، وغير ذلك من [illegible] البحث و[illegible] في [illegible] في دراسة آثاره [illegible] في [illegible] ج ١ ص ٨٧):

[illegible] إحدى [illegible] كر [illegible] عشر [illegible] لأبي العلاء في [illegible] [illegible].

ومنه في (ج ١ ص ١٤٧) [illegible] بعض الأمراء [illegible] [illegible] ذكر [illegible] منا [illegible] [illegible] ولم يعلم من [illegible] الدولة صالح بن مرداس، [illegible] ذكر اسم [illegible] [illegible] [illegible] يدعوه [illegible] [illegible]

ومنه في (ج ١ ص ١٧٤) : « وقال وكان أبو عبد الله بن السقا الكاتب سأله أن يعمل قصيدة في صاحبه يصف له ما شاهده من الود والإخلاص منه ... » ثم أورد ثلاثة وعشرين بيتاً على روي الدال الموصولة بالهاء ،

ومنه ما جاء في (السقط ج ٢ ص ٢١٣) : « وقال على لسان امرأة ترثي بهائس الدرع وذلك أن زوج ... » . وفي (ص ٢٠٩) : « وقال على لسان سائق الحج ... » وفي (ص ١٢٣) : « وقال على لسان رجل يخاطب امرأة ... » وأمثال هذا كثير في السقط

وفي رسائله كثير من الرسائل أصدرها عن هذه النصوص منها رسالة كتبها إلى والي السلطان يشفع في صديق له كان عميلاً . وهي في (ص ٥٣ من رسائله) (١) .

ويؤيد البحث صحة على إثباته أن أكثر رسائله ... ، وأكثر الوجوه فيها لا يسمون ، وإنما يقول فيه : « سيدي أو فلان أو سيدي الشيخ ... » أو ما شاكل ذلك .

وإليك طرفاً من الأخبار الدالة على حرمته عند العظماء في زمانه

الدولة العلوية بمصر وحلب :

ذكروا أن المستنصر العلوي صاحب مصر ، بذل لأبي العلاء ما لبيت المال في المعرة من مال فلم يقبل منه شيئاً

وأن الحاكم العلوي أعجبه ... ، فأرسل إلى عزيز الدولة ، والي حلب ، أن يحمله إلى مصر فاعتذر .

وأن داعي الدعاة كتب إلى تاج الأمراء أن يضاعف حرمته عند الخاص والعام ، وأن يجري عليه ما يدعو إليه حاجته ، فجمع ... فلم يقبل شيئاً

وأن الوزير الفلاحي (٢) كتب إلى عزيز الدولة في شفاعة عن لك المتوفي ... وأمثاله أن يعفي أبا العلاء ومعرة النعمان ... ، وسمح له بخراج المعرة في حياته ، وأن

(١) رسائل أبي العلاء المعري — لشاهين عطية

(٢) هو علي بن جعفر بن فلاح وزير الحاكم (ج) .

ذلك كله ، وكان عزيز الدولة قد يطلب من أبي العلاء أن يصنف له تصانيف ويعظمه ويقبل شفاعته .

وكان أنوشتكين الدزبري أمير حلب ودمشق يثني على أبي العلاء ، ويسأل عنه ، ويوجه إليه بالسلام .

وأن أبا القاسم الوزير المغربي استدعاه الى مصر .

وأن صالح بن مرداس وهب له أهله ، ورفع الحصار عنها وأطلق السجن من أهلها . الى كثير من مثل هذا

وسنذكر أن رجلاً من المعريين سأله أن يصنف له كتاباً ، فوضع له (سيف الخطبة) وأن أبا الفتح عبد الله بن إسماعيل سأله وضع كتاب ، فوضع له (الحلي والحلل) الى غير ذلك مما يأتي ذكره في وصف كتبه وأسبابه .

وقد ذكرنا شيئاً مما رفع له من العلماء والشعراء ، وسنذكر شيئاً آخر مما يدل على علو مكانته بين العلماء والشعراء والكبراء .

أقوال العلماء فيه

اتفقت كلمة العلماء على أن أبا العلاء عالم لغوي ، شاعر حكيم ، ذكي فطن ؛ واختلفوا في عقيدته ، حتى إن الرجل لو وجد يمدح عقله وعلمه وذكاءه ، ثم يقدح في معتقده وكفره . ومنهم من اقتصر على مدحه ، ومنهم من اقتصر على ذمه . وهذه جملة من أقوالهم .

أما ما قيل في مدحه فكثير منه :

أن شيخ الإسلام علي بن أحمد الهكاري ، سئل عنه فقال هو رجل من المسلمين (١) .

ونقل السلفي عن القاضي أبي المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجي (٢) .

وأن جميع أصحاب القاضي أنه سمعه يقول : دخلت على أبي العلاء في المعرة ذات يوم في خلوة ، على غير علم منه . وكان يتردد إليه ويقرأ عليه فسمعته ينشد :

(١) وفيات ج ١ ص ٣٤٦ وغيرها (ح)

(٢) رواها في معاهد التنصيص ص ٦٧ والذهبي في تاريخ الإسلام وابن ... الحسن وابن تغري (ح)

كَمْ نُودِرَتْ عادَةٌ كُماتٌ ... وَغُمِّرَتْ أُمُّها العَجُوزُ(1)

أحرَزَهـا الوالِدانِ حوزاً ... وَلَيْسَ حِرْزٌ لها حَرِيزُ

يَجُوزُ أنْ تَنْتَهِي المنايا ... والخُلْدُ في الدَّهْرِ لا يَجُوزُ

ثم [illegible] ، [illegible]

[illegible] يوم [illegible] [illegible] يوم [illegible] يوم [illegible](2) ، ثم صاح وبكى بكاءً شديداً ، وطرح وجهه على [illegible] ، ثم [illegible] رأسه ، ومسح وجهه ، وقال : [illegible] من تكلم بهذا في القدم ، سبحان من هذا كلامه [illegible] ثم [illegible] عليه ، فرد علي ، وقال : من أنت ؟ [illegible] أرى في [illegible] عبد [illegible] فقال : لا [illegible] من كلام الخلق ، وتلوت [illegible] من كلام [illegible] ، [illegible]

[illegible] كان [illegible] من [illegible] الأدب . . . . . وله [illegible] وحكى لي من [illegible] على [illegible] من [illegible] ، [illegible]

(1) [illegible] وهذه الأبيات من شعره [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(2) [illegible]

ولا أعلم من كان يعرفه بعد هذا غيره . وكان علامة عصره ، وأخذ عنه الناس ، وسار إليه الطلبة من الآفاق ، وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار » .

وقال الذهبي : « كان آية في الذكاء المفرط ، عجب في الحافظة » ثم ذكر قصة التبريزي وجاره الأعجمي ، وقصة أبي العلاء ما دار بينهما باللغة الأذربيجانية . ثم قال : « وهذا أمر معجز ، وقد نقل عن جماعة من الحفاظ ، وما يحكى عن [illegible] ، ومن [illegible] وغيرهما ، فهو أمر قريب من الإمكان ، لأن حفظ ما يفهمه الإنسان ويعرف تراكيبه ومفرداته سهل ، وأما أنه يحفظ ما يسمعه ولا يعرف مفرداته ولا مركباته ، وهو أمر ما يكون [illegible] من سؤال عنه عن أهل تلك اللغة [illegible] . وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمراً باهراً » .

ونقل عن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني أنه قال في حقه : « هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت » .

وقال السيوطي فيه : « كان غزير الفضل شائع الذكر ، وافر العلم غاية في الفهم ، عالماً باللغة ، حاذقاً بالنحو ، جيد الشعر ، جزل الكلام شهرته تغني عن صفته وفضله [illegible] » (1) ثم ذكر قصة التبريزي وجاره .

وقال الباخرزي فيه : « ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب » (2)

وقال ابن الأثير فيه : « وعلمه أشهر من أن يذكر » (3)

(1) بغية الوعاة ص ١٣٦ وما بعدها
(2) دمية القصر ص ٥ [illegible] طبعة [illegible] حلب سنة ١٣٤٩
(3) الكامل ٩ : ٢٣٨ حوادث سنة ٤٤٩

وقال ياقوت (١). «كان غزير العلم، شائع الذكر، وافر العلم، غاية في الفهم، عالماً باللغة، حاذقاً بالنحو، جيد الشعر جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته، وفضله ينطق بسجيته.» إلى أن قال. «وسمعه لا يرتضي مستنداً، واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً» ثم ذكر قصة التبريزي وحفظه، وقال: «وهذه غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ، وأن كثير الاستحسان لقوله

أسالتْ أتيَّ الدَّمعِ فوقَ أسيلِ ومالتْ لظلٍّ بالعراقِ ظليلِ»

الأبيات.

وقال في (معاهد التنصيص): «وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمراً باهراً. وتصانيفه كثيرة جداً، وشعره كثير إلى الغاية، وأحسنه (سقط الزند)»

وقال الذهبي (٢) «ويقال عنه إنه كان يحفظ كل ما يمر بسمعه. وكان عجباً من الذكاء المفرط، والاطلاع التام على اللغة، وشواهدها».

وقال الخطيب في (تاريخ بغداد) (٣). «كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالماً باللغة حافظاً لها».

وقال السمعاني في (الأنساب) والقفطي في (إنباه الرواة) مثل قول البغدادي.

وقال ابن الأنباري في (نزهة الألباء): «كان غزير الفضل،

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء صفحات ٦٧، ٨٠، ٨١، ٨٢ عن إرشاد الأريب لياقوت.

(٢) تاريخ الإسلام، عن تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٩١

(٣) تاريخ مدينة السلام ٤/٢٤٠.

وافر الأدب ، عالماً باللغة ، حسن الشعر ، جزل الكلام ، وصنف تصانيف كثيرة ، وأشعاراً جمة (١) »

وقال ابن الجوزي في (المنتظم) : « وله أشعار كثيرة ، وصنف في اللغة ، وأملى فيها كتباً . وله بها معرفة تامة (٢) ... »

وقال سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) : « وصنف في اللغة ، وأملى فيها كتباً ، وله بها معرفة تامة . ولا خلاف في صحة عقل الرجل وغزارة فضله وصحة سمعه ، وأنه أوحد زمانه ، وله التصانيف الحسان »

وقال أبو الفداء في (المختصر) : « وكان عالماً لغوياً شاعراً (٣) » .

وقال ابن الوردي في (تتمة المختصر) : « وله التصانيف المشهورة ، والرسائل المأثورة ... وكان متضلعاً من فنون الأدب (٤) .. »

وقال ابن فضل الله العمري في (مسالك الأبصار) : « وكان مطلعاً على العموم لا يجوز في عصره من أحد بطرف متبحر في اللغة ، متسع النطاق في العربية ، جامع الشعوب الطرق الأدبية ، ندرة في العالم ، ومقدوره في بني آدم ، ولم يلد مثله الملوان ، ولا يوجد شبيه به في (٥) » .
وقد أطال في مدحه ووصفه .

وقال اليافعي في (مرآة الجنان) : « المعري الشاعر المشهور ، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة ، والرسائل البديعة المأثورة ، والزهد

(١) ... ج ١ ص ٤٢٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٤
(٢) المنتظم في أخبار الأمم ج ٨ ص ١٨٤ طبعة حيدرآباد سنة ١٣٥٨
(٣) المختصر في أخبار البشر ج ... ص ١٤٩ طبعة الآستانة سنة ١٢٨٦
(٤) تتمة المختصر في أخبار البشر ... ص ٤٤٩ طبعة ... سنة ١٢٨٥
(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢١٨

والذكاء المفرط ، كان متضلعاً من فنون الأدب [illegible] . وكان علامة عصره في فنون . . (١) » .

وقال ابن حجر في ([illegible]) : « الغزي شاعر مشهور ، كان عجباً في الذكاء المفرط ، والاطلاع على اللغة [illegible] (٢) » .

وقال [illegible] في [illegible] : « [illegible] الغزي صاحب الدواوين ، [illegible] في الشعر والفقه [illegible] . وكان علامة دهره (٣) . . »

وقال [illegible] في [illegible] : « [illegible] ذكر [illegible] العراقي والمحرور [illegible] المنظوم والمنثور [illegible] »

المنتقصون له

وقال الصفدي في [illegible] ص ٢٩٧ [illegible] بن مكي بن [illegible] بن [illegible] الكسي المتوفى سنة [illegible] هـ كان يتعصب لأبي العلاء المعري ، ويتعرب [illegible] عليه شعره ، [illegible] الأدب والعلم ، لأنه أمر [illegible] »

وقال السيوطي في ([illegible]) : « [illegible] الحدوي وسنة ثمان أو تسع »

وأما ما قيل في ذمه فنذكر منه ما يأتي

قال الذهبي [illegible] ([illegible]) في مجلدة قد احتوت على [illegible] واستحسان [illegible] والذي يظهر [illegible] مفتخراً ، لم [illegible] من الأدب »

(١) [illegible] سنة ٤١٩ [illegible] مصر [illegible] سنة ٣٢٩

(٢) [illegible] ١ [illegible] ٣ [illegible] سنة ١٣٢٩

(٣) [illegible] ص ٢٩٩

(٤) [illegible] ١ [illegible] ٢٢٨ [illegible] مصر سنة ١٢٩٣

وقال في (العبر): «ولعله مات على الإسلام، وتاب من كفرياته، وزال عنه الشك والارتياب». وقال غيره فيه: «كان يرمى بالإلحاد في شعره، وأشعاره دالة على ما يزن به». وأورد من شعر شعر إلحاده غرض النقمة.

وقد نقل السيوطي في (بغية الوعاة) ما قاله ياقوت، والصفدي، والذهبي، وابن العديم، ولم يذكر رأيه فيه، وإنما ذكر أنه أسند حديثاً في الطبقات الكبرى.

ونقل عبد الرحيم العباسي (١) ما ذكره ياقوت، والصفدي، والتبريزي، والقزويني، والسلفي.

ونقل ابن الوردي في (تاريخه ج ١ ص ٣٥٧) ما قال ابن خلكان، وياقوت، وابن العديم، وذكر قصة الصوف الخشن، وأن بعض الناس زعم أن المعري قتلهم بدعائه وتهجده، وبعضهم زعم أنه قتلهم بسحره ورصده. وكان ابن الوردي يتعصب له لكونه من المعرة، ثم اطلع على كتاب (استغفر واستغفري) و(لزوم ما لا يلزم) فبغضه وتبرأ منه، ثم وقف على كتاب (ضوء السقط) فكان عنده مستمسكاً يعتمد أبي العلاء موضحاً لصحة اعتقاده. وسيأتي تمام ذلك

ونقل ابن قاضي شهبة في (طبقات النحاة واللغويين ص ١٧٨) «وزعم بعضهم أنه أقلع عن ذلك وتاب، وقال قصيدته التي أولها:

يا مَنْ يرى مدَّ البعوض جناحها … في ظلمةِ الليلِ البهيمِ الأليَلِ

ويرى مناطَ عروقِها في نحرِها … والمخَّ في تلك العظامِ النُّحَّلِ

امنُنْ عليَّ بتوبةٍ تمحو بها … ما كان منّي في الزمانِ الأوّلِ

(١) انظر كتابه الموسوم (معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص).

وذكر الصفدي في (نكت الهميان ص ١٠٣) رحلته إلى طرابلس، واختباره باللاذقية، وما عنه بكلام راهب فيها، ثم قال: «والناس مختلفون في أمره، والأكثرون على إكفاره وإلحاده». وأورد له الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الأربعين (١) قوله:

قلتمْ لنــــا صانعٌ قديمٌ   قلنا صدقتمْ كذا نقولُ (٢)

إلى آخر الأبيات الثلاثة. ثم قال: «وقد هذى هذا في شعره».

وأورد مثل هذا في (الوافي بالوفيات) ثم أورد قول القزويني، والمعري، والتبريزي، ثم قال: «وأما الشيخ شمس الدين الذهبي فحكم بزندقته، وذكر عنه ما نقل الحافظ السلفي من أنه تاب وأناب». ثم ذكر أدلة تدل على أن أهل الحسد كانوا يضعون على لسانه أشعاراً يقصدون بها هلاكه ثم قال: «وأما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على من له ذوق». ومن الأشياء التي ذكرها وقد وهم فيها في (لزوم ما لا يلزم) و (استغفر واستغفري) فما به حيلة، وهو كثير كما سيأتي.

---

(١) هذه الأبيات ذكرها فخر الدين الرازي في كتاب الأربعين في مسألة حدوث العالم، في أن له قديم أزلي، قال: «برهانه» وهي في ص ٩٥ من كتاب الأربعين وروايته: «قلتم لنا صانع حكيم»، ورواية لزوم ما لا يلزم «قلتم لنا خالق حكيم» وليس في كتاب الأربعين: «وقد هذى هذا في شعره» وإنما عد [illegible] جملة واحدة وراجعه إن شئت. ورواها الذهبي في أوج التحري ص ٤٠، ونقل قول الرازي وقد هذى هذا في شعره (م).

(٢) [illegible] زعمتم بلا زمان   ولا مكان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء   معناه ليست لنا عقول

ونقل عن ابن دقيق العيد أنه كان يقول في أبي العلاء : « هو في حيرة » ثم أورد قصة وزير محمود بن صالح ، والضيوف الخمسين ، وأبياتاً قيلت في الرد عليه ، وذكر قوله (١) :

خُلِقَ النــــاسُ للبَقاء . . . .

إنّما يُنقَلون من دار أعمـا ل . . . .

وقوله (٢) :

ضحكنا وكان الضّحك منّا سفاهة . . . .

وبعض المتن الأولى اعتبرها المعدد ، والنص الأخيرين إنكاراً له . ورأى . . وعنده الأشياء كثيرة في كلامه وهو متناقض » . وعلى ما في البيتين الأخيرين .

قصة الضيوف الخمسين

قال سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) قال الغزالي (٣) « وحدثني

---

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٣١ ، وشروح سقط الزند ، ق ٣ ص ٩٧٨ وتكملة البيت

. . . ضلّت أمّة يحسبونهم للنفاد

. . . إلى دار شقوة أو رشاد

(٢) اللزوميات ج ص ١٨٢ وتمام البيت

. . . وحقّ لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطّمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

(٣) انظر الجزء تعريف القدماء الصفحات ١٥٢ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٣٢٦ ،

يوسف بن علي بأرض الحركان (١) ، قال : دخلت معرة النعمان وقد وشي (٢) إلى وزير محمود بن صالح ، صاحب حلب ، أن المعري زنديق ، لا يرى إفساد الصورة ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل ، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة إلى حلب ، وبعث خمسين فارساً ليحملوه ، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة ، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان ، وقال له : يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة ، الملك محمود يطلبك ، فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام ، ويركب تنوخ (٣) الذل والعار ! فقال له : هون عليك [يا عم] فلا بأس علينا ، فلي سلطان يذب عني ، ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليل ، ثم قال لغلامه (وقد تقدم ذكر اسمه) : انظر أين المريخ ؟ فقال : في منزلة كذا وكذا ، فقال : زنه ، واضرب تحته وتداً ، وشد في رجلي خيطاً ، واربطه إلى الوتد ، ففعل غلامه ذلك ، فسمعناه وهو يقول : يا قديم الأزل ، يا علة العلل ، يا صانع المخلوقات وموجد الموجودات ، أنا في عزك الذي لا يرام ، وكنفك الذي لا يضام ، الضيوف الضيوف ! الوزير الوزير ! ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا بهدة عظيمة ، فسأل عنها ، فقيل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها ،

(١) هكذا ورد في مرآة الزمان ، وهكذا نقلها ... عنه ، ولم أجد لقب الحركاني في معجم البلدان ، ولا في غيره مما لدي من الكتب (ج) .

(٢) في تاريخ [illegible] [illegible] وزير محمود بن صالح [illegible] أبا نصر محمد بن الحسن [illegible] أبي العلاء [illegible] الوزير أبي نصر محمد بن الحسن ابن النحاس الحلبي (ج) .

(٣) كذا في الأصل (ج)

فقالت [illegible] وعند [illegible] [illegible] [illegible]
طرّ ، لا ترعدوا [illegible] [illegible]

قال يوسف [illegible] [illegible] [illegible]
من أن أبث [illegible] [illegible]
ثم قال [illegible] ، وأملى علي

باتوا وحتفي أماني مصوّرة [illegible] لم يحضروا مني على [illegible]

ثم أورد بعد هذا البيت [illegible] وذكر [illegible] [illegible] .
أولها :

أستغفر الله [1] في أمني وأوجالي . . . .

ووصلها بقوله : « باتوا وحتفي » وذكر [illegible] وقد
أثبتناها كما ذكرها الصفدي في ([illegible]) [illegible]

أستغفر الله في أمني وأوجالي من غفلتي وتوالي سوء أعمالي
قالوا هرمت [2] ولم تطرق تهامة في مشيه [illegible] ولا [illegible] أحمال
فقلت : إني ضرير والذين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مثالي [3]
ما حج جدّي ولم يحجج أبي وأخي ولا ابن عمي [illegible] يعرف [illegible] خالي
وحج عنهم قضاءً بعدما ارتحلوا قوم سيقضون عني بعد ترحالي

(١) [illegible] والآداب [illegible] [illegible]
(٢) في [illegible] [illegible] (ج)
(٣) في الأصل [illegible] (ج)

[illegible] ٣٣

فإنْ يَعُودُوا بِغُفرانٍ أَفُزْ مَعَهُمْ ... أَوْلا فإنّي بنارٍ مِثلَهُمْ صالِ
ولا أَرُومُ نَعيماً لا يَكونُ لَهُمْ ... فيهِ نَصيبٌ وَهُمْ رَهْطي وأَشكالي
فَهَلْ أُسَرُّ إذا حُمَّتْ مُحاسَبَتي ... أمْ يَقتضي الحُكمُ تَعْسَاي وتَسآلي [1]
مَنْ لي بِرِضوانَ أدعوهُ فيرحمني ... ولا أُنادي مع الكفّارِ أمثالي [2]
بانوا وختمي أمامهمُ مصوّره ... وَبِتُّ لمْ يَخطُروا مني على بالِ [3]
وفَوَّقوا لي سِهاماً من براهيم ... فأصبحت وُقعاً مني بأميالِ
فما ضلوعات إذ حسبني ملائكة ... وجدتهم بين طوّاف وقفّالِ
لقيتهم بعصا موسى في ... فرعون ملكاً وبحتَ آلِ إسرال
أقيمُ حمدي وحمدهمُ لذكر له ... وأذكرُ الذكرَ أبكاراً بآصالِ
عيدين أفطر ... عيد الأضاحي وهو عيد شوّال

(١) في [illegible] (ج)

(٢) في [illegible] أي أقول له : [illegible] مع الكفار [illegible] (ج)

(٣) وفي [illegible]
وفي [illegible]

[illegible] ... ولا [illegible] كالأمثال
[illegible] ... [illegible] ومكال
[illegible] ... [illegible] (ج)

إذا تنافست الجثال في حلل [illegible] العُدم سربالي

لا آكلُ الحيوانَ الدهرَ [illegible] واصلي

وأعبــدُ الله لا [illegible] جلالِ [1]

أصونُ ديني عن جَعلٍ [illegible] بأجعـــالِ

وهذا النص [illegible] وهو

يخالف [illegible]

وكيف أقربُ طعمَ الشهدِ [illegible] ذاتِ صِفال

نهيتُهُم عن حرامِ الشرعِ كلِّهم [illegible] المعزل العالي

بعد قوله : « لا [illegible] (أوج

التحري ص ٣٤ ، [illegible]

كان [illegible] ، يقولون [illegible]

والفلسفة : إنه كان على عادة [illegible]

عليهم [illegible]

ونقل هذه القصة [illegible])

وفي ([illegible] .

[illegible]

لابن أبي أصيبعة ، وذكر [illegible]

صاحب ([illegible] ، وذكره ،

---

[1] في [illegible]

[illegible] وردي قصيدة محمود مخلة ، ورواه عن هؤلاء ، وفي الروايات تفاوت في [illegible] . وأكثرهم قالوا : إن مدحه محمود بن سليمان ، إلا صاحب طبقات الحنفية [illegible] ذكر [في ص ٧٧١) [أنه] مدح [illegible]

وقد أنكر صاحب ذكرى [illegible] هذه القصة ، فقال : « إنها تكذيب (١) نفسها ، [illegible] فيه ، ولم يكن أبو العلاء يلتمس الشعر ، ولا يعرف الاصطلاحات » [illegible] (٢) أيضا واستدل على ذلك بأمور منها :

١ [illegible] من النجوم إلا ما يلزم المتأدب .

٢ [illegible] أن قوله « بقديم الأزل . . » لا يشبه كلام المعري .

٣ : أن محموداً ابن شبل الدولة بن صالح لا ابن صالح

٤ : أن ولاية محمود حلب بعد وفاة المعري بثلاثة أعوام .

٥ [illegible] على [illegible] أحد من [illegible] أبي العلاء ، كأبي [illegible] ، وابن العديم ، والقفطي ، ولا أحد من [illegible]

والاعتراض [illegible] والخامس ليس بمقنع ، لأننا لا نعلم حقيقة علم المعري بالنجوم ، ولا نستبعد أن يقول : « [illegible] قديم الأزل » لأن ذلك جرى على لسان بعض الحكماء من قبله ، ولأننا لم نطلع على جميع أخبار المعري ، ولا على تاريخ أبي غالب ، وابن العديم ، وإذا لم يذكرها القفطي وغيره ، فلا يلزم أن لا تكون معروفة عند غيره ، لأن عدم ذكر الشيء لا يستلزم عدمه ، ويجوز أن يكون هؤلاء لم يطلعوا على ذلك أو اطلعوا عليه ولم يذكروه لعلة .

(١) ذكرى أبي العلاء ط٣ ص ٢٠٧ ـ لطه حسين .
(٢) أبو [illegible] ص ٢٤٧ ـ [illegible]

على أن القفطي ذكر نحو عشرة أبيات من القصيدة ، أي [illegible] ص الثالث والرابع . ويمكن أن يقال أيضا : إن أسلوب [illegible] من أسلوب المعري في شعره ، فإنه ألمّ بكثير من معاني هذه القصيدة في مثل قوله (١)

وضرورة بالمعنيين [illegible] [illegible] [illegible]

. . .

وقوله (٢)

أنا صائمٌ طولَ الحياة وإنما فطري الحمام ، ويوم ذاك [illegible]

. . .

وقوله (٣)

يا رضوى لا أرجو لقاءك [illegible] [illegible]

وفي [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] في هذه القصيدة ، وأسلوبه [illegible] [illegible] [illegible] ، من حيث [illegible] التأليف ، وطلاوة [illegible] ، [illegible] الوصف . وفي هذه القصيدة [illegible] وركيكة لا يعرف مثلها في شعر المعري ، [illegible] قوله : « [illegible] [illegible] أمثالي » وقوله : « [illegible] [illegible] في [illegible] »

وخلاصة القول : [illegible] في هذه [illegible] [illegible] [illegible] لأسباب وقد ذكر [illegible] [illegible] أبي العلاء [illegible] [illegible] [illegible] من

(١) اللزوميات [illegible] ٧٨ [illegible]

[illegible]

(٢) انظر ما سبق الصفحات ٣٧٣ [illegible]

(٣) انظر ما سبق ص ٣٦٨ وراجع [illegible]

ذكره في [illegible] جميع [illegible] ، وهذا لا يوجب أن لا يكون [illegible] ، فمن الجائز أن [illegible] في الشعر [illegible] وكن وقوع [illegible] على الصوف في وقت [illegible] .

[illegible] (١) [illegible] ج ٩ ص ٢٦٦) في [illegible] [illegible] على ذلك ، ومثل [illegible] : [illegible] الأ[illegible] أخاف أحداً سواك » .

[illegible] ج ١ ص [illegible] بعد أن مدحه : « ومكث [illegible] ، لأنه كان يرى رأي [illegible] حيوان ، فقبه تعذيب له . [illegible] كذا) ، وأوصى [illegible] .

هذا جناه أبي [illegible] . . . .

[illegible] يقولون : [illegible] [illegible] والآداب ، ثم ذكر [illegible]

إن كنت لم تر [illegible] . . . .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

وقال : وقد أشار في البيت الأول الى ما كان يعتقده ويتدين به من عدم الذبح . وقد صرح أبو العلاء في (لزوم ما لا يلزم) بأن الوالد يجني على الولد .

وقال السلفي [illegible] في جزء [illegible]

وقال أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ في (دمية القصر ص ٥٠) : وأبو العلاء ضرير ، ماله في أنواع الأدب ضريب ، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألد محجوج . وقد طال في ظلال الإسلام إناؤه ، ولكن ربما رشح بالإلحاد إناؤه . وعندنا خبر بصره ، والله العالم ببصيرته ، والمطلع على سريرته . وإنما تحدثت الألسن بإساءته ، لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن ، وعنونه بالفصول والغايات [illegible] السور والآيات ، وأظهر من نفسه تلك الجناية ، وجذ بها ما بينه وبين [illegible] العزيز الحكيم [1] حتى قال القاضي أبو جعفر قصيدة أولها :

كَلْبٌ عَوَى بِمَعرّةِ النُّعْمانِ ... لما خلا عن رِبْقةِ الإيمانِ
أَمَعَرَّةَ النُّعْمانِ ما أَنْجَبْتِ إِذْ ... أَخرجتِ منكِ معرّةَ العميانِ

وذكر أنه لم يجد في [illegible] لكتابه ، فرجع الى [illegible] عن أبي العلاء وذكر ثلاثة أبيات من [illegible] وعشرين بيتاً من (سقط الزند) [illegible] لم يجد في

(١) [illegible]
[illegible]

السقط ما يصلح لكتابه، والظاهر أنه [illegible] فهمها الأدلة، حتى أرشده إليه [illegible].

وقال في وصفه [illegible] وشعره شعر الأعمى، أعني شاعر معرة النعمان، وما كان [illegible] عن معرة العميان».
وقال ابن الجوزي (١) في تاريخه: [illegible] الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي (٢)، والتوحيدي [illegible]، وأبو العلاء [illegible] وأشدهم على الإسلام التوحيدي، لأنهما صرحا، وهو مجمجم ولم يصرح».

[illegible] في [illegible] الإسلام» من لم [illegible] ابن الراوندي والمعري [illegible] وأما أبو العلاء [illegible] كان يبالغ في عداوة الأنبياء،

(١) [illegible] ابن الجوزي [illegible]
[illegible] وأعطه له [illegible]
[illegible] طريقة ابن جرير [illegible]
[illegible] سنة ٥٠٨ هـ [illegible] وتوفي سنة ٥٩٧ هـ (ج)

(٢) هو أحمد [illegible] منسوب إلى راوند، وقد شطت في الأنساب [illegible] وابن الجوزي [illegible] الراوندي [illegible] ويريد [illegible] وفاته [illegible] سنة ٣٢٥ هـ [illegible] (ج).

(٣) أبو [illegible] كثيرة [illegible] ولما اقلت به [illegible] أحرقها [illegible] (ج)

[illegible]

ولم يزل متخبطاً في نفسه ، خائفاً من القتل إلى أن مات بحسراته » .

وقال في ترجمته في « المنتظم » : « وكانت أحواله تدل على اختلاف عقيدته » . ثم حكى قول التبريزي : « وهكذا أظنك » حين قال له : ما أنا إلا شاك . ثم قال : « وكان ظاهر أمره يدل على أنه يميل إلى مذهب البراهمة ، فإنهم لا يرون ذبح الحيوان ، ويجحدون الرسل . وقد رماه جماعة من العلماء بالزندقة والإلحاد ، وذلك أمر ظاهر في كلامه وأشعاره . وأنه يرد على الرسل ويعيب الشرائع ويجحد البعث . ونقلت من خط [أبي] الوفاء بن عقيل [1] أنه قال : من العجائب أن المعري أظهر ما أظهر من الكفر البارد الذي لا يبلغ منه مبلغ شبهات الملحدين ، بل قصر فيه كل التقصير ، وسقط من عيون الكل ، ثم اعتذر أن لقوله باطناً ، وأنه مسلم في الباطن ، فلا عقل له ولا دين لأنه تظاهر بالكفر . وزعم أنه مسلم في الباطن ، وهذا عكس قضية المنافقين والزنادقة ، حيث تظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر ... » . ثم قال : « قال المصنف (ابن الجوزي) : وقد رأيت للمعري كتاباً سماه « الفصول والغايات » يعارض به السور والآيات ، وهو كلام في نهاية الركة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته » . ثم أورد جملة منه ، وقال : « وكله على هذا النمط البارد » .

وقال ياقوت في « إرشاد الأريب ج ١ ص ١٧٧ » : « وإنه قرأ بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي [2] في كتاب له : أن جماعة

(١) هو علي بن عقيل شيخ الحنابلة ببغداد ولد سنة ٤٣١ هـ وتوفي سنة ٥١٣ هـ وله مشاركة في كثير من العلوم وله في الفقه والنظر والدراية (ج) .
(٢) كان يرى رأي الشيعة وتوفي عن سنة ٤٦٦ هـ ... ج ١ ص ٢٦٨ (ج) .

نطوا على أسلوب القرآن . وأظهر ذلك قوم ، وأخفاه آخرون . ومما نظم منه قوله أبي العلاء في بعض كلامه : أقسم بخالق الخيل . والريح الهابة بليل . بين الشرط [illegible] ومطالع سهيل . ان الكافر لطويل الويل . . . . » .

وهذه القطعة من [illegible] في (الفصول والغايات ح ١ ص ٢٥٢) وقد تقدم الكلام [illegible]

وقال [illegible] (ج ٦ ص ٢٣٤) في ترجمة الوجيه بن الدهان « حضر الوجيه [illegible] ، الى [illegible] ، وحضرها يومئذ [illegible] ، فجرى حديث المعري ، فذمه الحاضرون . وقال [illegible] من [illegible] . فقال له الوجيه : وأي شيء [illegible] الكتاب ؟ [illegible] كان [illegible] القرآن ، فقال له . أحدثت في [illegible] ، [illegible] ان هبة الله ، وقال له [illegible] مثل هذا ؟ قال : نعم ، لا يجوز ان يكون هذا الكتاب [illegible] ، أو [illegible] أو دونه ، فإن كان مثله أو خيرًا منه ، [illegible] ذلك ، فلا يجب أن يفرط في مثله ، وإن كان دونه ، [illegible] ، فتركه معجزة للقرآن ، فلا يجب [illegible] ، [illegible] قوله ، ووافقه ابن هبة الله على الحق [illegible] » .

وقال [illegible] ص ١١٨ (١) « والناس في أبي العلاء مختلفون ، فمنهم من يقول [illegible] ، [illegible] أشياء مما ذكرنا . ومنهم من يقول : [illegible] يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة ، والقناعة باليسير ، [illegible] عن أعراض الدنيا » .

وقال (ص ١٧٠) « وكان متهمًا في دينه ، يرى رأي البراهمة ، لا يرى إفساد الصورة ، ولا [illegible] ، ولا يؤمن بالرسل والبعث والنشور » .

(١) [illegible]

ثم قال : « وقد أوردنا من شعره ما يستدل به على سوء معتقده ، ويحرك بعضه [illegible] ، وحدث [illegible] أبو [illegible] الصابي : أنه بقي [illegible] وأربعين سنة [illegible] ، [illegible] إدام الحيوان ، ويقتصر على ما ينبت [illegible] ، ويظهر دوام الصوم » . ثم نقل [illegible] ، وقوله الآخر [illegible] « وهكذا شيخك » . ثم أورد [illegible] من [illegible] ما لا يلزم) منها أربعة أبيات أولها [illegible]

ألا فانعموا واحذروا في الحياة [illegible] نسمى مزيل النعم

وأربعة أخرى يقول فيها (٢)

دعا موسى وزال وقام عيسى [illegible] محمد بصلاة خمس

(١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ص ٢٥٨ [illegible]

[illegible]

(٢) أولها

[illegible]

[illegible] ص ١١٢ [illegible]

وأربعة أخرى أولها (١)

وجدتَ الشرعَ تخلقه الليالي كمــا خلقَ الرداءُ الشرعبيُّ

وقوله : (٢)

إذا ما ذكرنا آدماً وفعالـه وتزويجه بنتيه لابنيه في الدُّنا
علمنا بأنّ الخلق من أصل ريبةٍ وأنّ جميع الناس من عنصر الزّنا

ثم أورد أبياتاً [illegible] من يهود خيبر ، [illegible]
أذكر ، لما أجلى عمر بن الخطاب أهل الذمة عن جزيرة العرب وهو : (٣)

(١) وتمامهـا :

[illegible]

* * *

وأشدى [illegible]
[illegible]

[illegible] لأبي العلاء ص [illegible] ص ٣٤٣ [illegible]
[illegible]

(٢) الأبيات مما لم يرو [illegible] ، أنظر [illegible] شعر أبي العلاء جمع [illegible]
ص ١٣ [illegible]

(٣) تمام الأبيات :

مكانك لا تتم حولة ساقط لتعلم أن الزاد فيه عصب
[illegible] علينا ولكن دولة ثم تذهب
[illegible] تارتها البادي الذي هو أكذب
[illegible] [illegible]

[illegible] ص ٣٢٧ ، [illegible] لأبي العلاء
ص ١١٣ — ١١٤ .

يَصُولُ أبو حَفْصٍ عَلَيْنَا بِدِرَّةٍ رُوَيْدَكَ إنَّ المرءَ يَطْفُو ويَرْسُبُ

ثم قال ياقوت بعد أن ذكرها : وهو يعني أن يكون شعره هذا يحمله هذا اليهودي ، وأن يورد مثل هذا ويستشهد به من أمارات سوء عقيدته ، وقبح مذهبه . ثم أورد أبياتاً تدل على سوء اعتقاده ، منها قوله : (١)

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ ما بالُها قُطِعَتْ في رُبْعِ دِينارِ

ثم قال ياقوت : وكان المعري حماراً لا يفقه شيئاً ، وإلا فالمراد بهذا بيّن ، ولو كانت اليد لا تقطع إلا بخمسمائة دينار ، لكثر [illegible] في الدنيا ، ولو كانت اليد تفدى بربع دينار ، لكثر من يقطعها ويؤدي ربع دينار دية .

وبعد أن أورد كثيراً من الأبيات الدالة على كفره بتصريحه ، قال : و نقلت هذا كله من [illegible] تاريخ غرس النعمة (٢) [illegible] في كتاب (فلك المعاني) (٣) أن كثيراً من [illegible] خالق من الباري ويستلبه بما فيه من الحكمة و [illegible] . وقد

(١) هما بيتان في اللزوميات ص ١٥٢ وأولها :

[illegible]

انظر [illegible] ص ١١٥

(٢) هو أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الملقب غرس النعمة ، له ذيل على تاريخ والده الذي هو ذيل على تاريخ ثابت بن سنان الذي هو ذيل على تاريخ ابن جرير ، وتوفي غرس النعمة سنة ٤٨٠ هـ (ج)

(٣) فلك المعاني لأبي علي محمد بن محمد المعروف بابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٩ هـ رتبه على اثني عشر باباً على ترتيب البروج (ج)

قال أبو العلاء [illegible] معري ، مع تخلفه ، ودعواه الطويلة العريضة ، و[illegible] بالحكمة [illegible]

وَ[illegible] قَتْلِ [illegible] عمْدًا [illegible] أَنْتَ لِقَتْلِهَا مَلَكَيْنِ
وَزَعَمْتَ أَنَّ [illegible] ما كان أعماهُ [illegible] الحالَيْنِ (١)

[illegible] القتل كالموت ، والموت كالقتل ، [illegible] والحق وحلاوته ، والهدى و[illegible] عنه ولم يبال .

عدوت [illegible] العقول الصحائح (٢)

[illegible] بمصر ، [illegible] ، [illegible] ووعده [illegible] الإسلام [illegible] يختار القتل أو الإسلام [illegible] .

(١) [illegible]

[illegible] ص ١٣١ [illegible]

[illegible] (ح) [illegible] ص ١٨ :

[illegible]

وقال ياقوت في معجم البلدان في الكلام على [illegible] . قال المعري المتهم : الاديب [illegible] وقد تقدم .

وقال أبو الفداء في تاريخه ج ٢ ص ١٦ [illegible] [أي عن أبي العلاء] شعر [illegible] المذهب مذهب الهنود [illegible] وترك أكل البيض واللبن ، ولا يحرم [illegible] ويكره [illegible] (كذا) [illegible] وله [illegible] في [illegible] من شعره [illegible] قوله

عَجِبْتُ لِكِسْرَى وأشياعه ... وغسل الوجوه ببول البقر
وقولِ النصارى إلهٌ يُضَامُ ... ويُظلمُ حيّاً ولا يَنتصرْ
وقولِ اليهودِ إلهٌ يحبُّ ... رشاشَ الدماءِ وريحَ القتر
وقومٍ أتوا من أقاصي البلاد ... لرمي الجمار ولثم الحجر
فوا عجباً مِنْ مقالاتهم ... أيعمى عن الحق كلُّ البشرْ

ومن ذلك قوله

زَعموا أنني سأُبعثُ حيّاً ... بعد طول المقام في الأرماس
وأجوزُ الجِنانَ أرتعُ فيها ... بين حور هناك أو أكياسِ
أيُّ شيءٍ أصاب عقلك يا مسـ ... ـكين حتى رميت بالوسواسِ

ومن ذلك قوله

أتى عيسى فبطلَ شرعَ موسى ... وجاء محمدٌ بصلاةِ خمسِ
وقالوا لا نبيَّ بعدَ هــــذا ... فضلَّ القومُ بينَ غدٍ وأمسِ

إلى آخر الأبيات الأربعة

ومن ذلك قوله

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت ... ويهودُ هطرى[1] والمجوسُ مضلَّله
قسمَ الورى قسمين هذا عاقلٌ ... لا دينَ فيه ودَيِّنٌ لا عقلَ له

وقال ياقوت في ج ٥ ص ١٣٢ من (إرشاد الأريب) إنه «قال أبا الحسن علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٦٠١ ﻫ ممن تقدم من العلماء ، فيزري على الشعراء ... عن أحد منهم ... ذكرت له المعري ... وقال لي ... ولعلك ... الأدب يعني ، من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر في مجلسي؟ » .

وذكر في (ص ١٣٨) في جملة كتب شميم كتاب (الإشارات المعرية) ... ولم ... هو ... (ياقوت ج ٥ ص ١٢٩) و (البغية ص ٣٢٣) .

(١) كذا في الأصل ، وفي الديوان : « ويهود حيارى » .
ويقال : هطر الكلب اذا قتله أو ضربه بالخشبة . وهاطرى : بسكون الطاء قرية بمصر من وأى كان أكثر أهلها اليهود (ع)

ما ألفه العلماء في مدحه والانتصار له ، أو في ذمه والنيل منه

[illegible]

الكتب المؤلفة في دفع طعنه والاعتذار عنه

[illegible] إلينا منها فيما نعلم

كتاب دفع المعرة عن شيخ المعرة

[illegible]

[illegible]

[illegible] ج ٢ ، ٤٢

[illegible]

[illegible]

ومنها كتاب وضعه الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي المتوفى سنة ٦٦٦ هـ المعروف بابن العديم وسماه: (الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري)

[illegible]

[illegible]

وقد اطلعت على [illegible]

[illegible]

ومنها كتاب [illegible] بأخبار أبي العلا

[illegible] الشافعي [illegible] ٨٥٦ هـ [illegible]

[illegible]

[illegible] واشعار جيدة مشهورة [illegible]

[illegible] بأخبار أبي العلا »(1).

(1) [illegible]

ومنها كتاب اسمه أوج التحري عن حيثية المعري

للشيخ يوسف البديعي المتوفى نحو سنة ١٠٧٣ هـ، وقد اطلعت على [illegible] الكتب في مكتبة [illegible] في دمشق [illegible] خطية مؤرخة في سنة ١٠٥٤ هـ، [illegible] ١٣٦٣ هـ [illegible] ١٩٤٤ م [illegible]

. . .

الكتب والرسائل التي ألفت في الطعن به أو الرد عليه

ومنها كتاب نصر الاعيان على شعر العميان

لابن الوزير اليمني (صاحب [illegible] الحق على الخلق) وصفه في [illegible] من شعر [illegible] العلاء

ومنها [illegible]

وضعه أبو منصور [illegible] نحو [illegible] سنة ٤٤٨ هـ [illegible] (١)

ومنها كتاب الإشارات [illegible]

[illegible] ذكره

ومنها كتاب [illegible] القارح

ذكره [illegible] في ج ٦ ص ٢٤٦ في ترجمة [illegible] كتاب [illegible] القارح [illegible] المعري [illegible]

(١) [illegible] ٢٨١ (ج)

ومنها كتاب المطاول

[illegible]

كتب المعاصرين في أبي العلاء [illegible]

ذكرى أبي العلاء

[illegible] في سنة ١٩١١ م [illegible]

[illegible]

[illegible] ... لا [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] فقد أفاض في الكلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

الذين ردوا عليه بعض أقواله وهجوه نظماً

منهم أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم الملقب [illegible] الأخسيكثي

والأخسيكثي [illegible] سنة ٥٢٨ هـ

[illegible]

[illegible] أبو محمد الحسن [illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible] الحمـا [illegible]

[illegible]

[illegible] من شـ[illegible] [illegible]

[illegible] وفي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ٥١٠ [illegible]

[illegible]

[illegible]

قوله

صيبة ... أعلاها وأرحب ... [illegible] حكمة ...

[illegible]

[illegible]

... الأرض أسلاها وأرحب ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تقدّم صاحب التوراة موسى ... وأوقع بالخسار من اقتراها

فقال رجاله وحي أتاه ... وقال الآخرون : بل افتراها

وما حجي إلى أحجار بيت ... كؤوس الخمر تشرب في ذراها

إذا رجع الحكيم إلى حجاه ... تهاون بالشرائع وازدراها[1]

[illegible]

جزاك الله من أعمى لعين ... تصدر به [illegible] في عماها

[illegible]

[illegible] إن الحكم [illegible] [illegible] بالشرائع وأذراها

[illegible] الحديث [illegible] ولكن ليس يدري [illegible]

[illegible] المتوفى سنة [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] من ربقة الإيمان

[illegible] أخرجت منك معرة العميان

[illegible]

عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها [illegible]

وأكثرهم لم يبهم [illegible]

[illegible]

ذكاء أبي العلاء

[illegible]

ما قيل في حفظه وحسه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال الذهبي [illegible] والإصلاح [illegible]

[illegible] إنه كان يحفظ ما يسمعه [illegible]

وقال الصفدي [illegible] وكان عجباً في الذكاء المفرط والحافظة [illegible]

[illegible]

[illegible] وأحسها [illegible]

[illegible]

وذكر [illegible] الصفدي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الذهبي في [illegible]

[illegible]

وحكوا عن تلميذه أبي زكريا التبريزي [illegible] قال [illegible] كنت [illegible] في مسجد أبي العلاء في معرة [illegible] بين يديه [illegible] أقرأ عليه شيئاً من [illegible] ، وكنت [illegible] عنده سنتين [illegible] أحداً من أهل بلدي ، فدخل المسجد مفاجأة (١) بعض جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته ، وتغيرت من الفرح فقال لي أبو العلاء : ما أصابك ؟ فحكيت له [illegible] جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من بلدي منذ سنتين ، فقال [illegible] وكلمه [illegible] حتى أتم النسق (٢) [illegible] شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت [illegible] وقعدت بين يديه [illegible] لي [illegible] هذا [illegible] هذا لسان [illegible] ولا [illegible] في [illegible] منه أو يزيد عليه [illegible] فجعل جاري [illegible] يتعجب غاية العجب ويقول [illegible] كيف حفظ شيئاً لم يفهمه [illegible] ياقوت في (معجم الأدباء) والذهبي في [illegible] وصاحب ([illegible]) [illegible] في [illegible] ([illegible] الجليس) والسمعاني في [illegible] والصفدي [illegible] و [illegible] وغيرهم [illegible] ، وبعضهم [illegible] أقمت عنده سنتين » ، وقال بعضهم [illegible] حسن الحفظ » . وقال الصفدي : [illegible] وقال الذهبي [illegible] وهذا من أعجب العجب .. » (٣)

(١) [illegible] مفاجأة (ج)

(٢) [illegible] (ج)

(٣) [illegible] ٢٨٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣ [illegible] ٣٤ ، ٤١٤ ، ٥٥٦ [illegible]

ورواها الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ٨٢ في مبحث الذكاء المفرط عند المتقدمين ، عن عبد الوهاب حيث قال : « ومنهم أبو العلاء بن سليمان المعري ، ومن عجيب حكاياته أن أبا زكريا التبريزي كان يقرأ عليه ، فأتاه رجل وصل من عند أهله من تبريز ، فجاء حلقة أبي العلاء ، فسأل عنه فأخبر ، فجلس في بعض شأنه ، فقال له أبو العلاء : ما تريد به ؟ قال : [illegible] رسالة من عند أهله ، فقال : هم حتى توصلها إليه ، [illegible] مشافهة ، قال : فاسمعنيها حتى توصلها إليه ، قال : إنها بالفارسية ، قال : لا عليك أن تسمعنيها ، ولا يسقط منها حرفاً ، فأوردها عليه ، فلما جاء التبريزي أخبر أن رجلاً جاء من تبريز ومعه رسالة من أهلك ، فقال : ليتك أحفظتها منه ، فإني مشوق إلى ما يرد من أخبارهم ، [illegible] قال : [illegible] فلما رأى أبو العلاء [illegible] لا عليك إني حفظتها منه وحفظتها ، ثم أملاها عليه فجعل التبريزي يضحك مرة ويبكي مرة ، فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه ، فقال : تارة يجيء ما يسرني فأضحك وتارة يجيء ما يحزنني فأبكي ».

وروى القاضي أبو الحسن أحمد بن علي بن الزبير المصري في [illegible] [illegible] ، عن [illegible] بن موسى المؤدب في [illegible] ، وكان [illegible] أبي العلاء [illegible] ومراسلة ، قال : كنت أسمع من [illegible] أبي العلاء وما أوتيه من [illegible] في [illegible] فيكثر تعجبي منه ، فلما وصلت المعرة قصدت [illegible] المعري [illegible] على [illegible] ، فحضرت إليه واتفق حضور [illegible] معي ، وكنت [illegible] يجمع [illegible] الشعر [illegible] عرفته ولا اشتغلت بها ، فتحدث معي حتى حدث [illegible] العربي ، فأرشدته

[illegible] أبي العلاء [illegible] الحديث [illegible] يجري من [illegible] قريبة [illegible] وأذكر [illegible] كانت ليس [illegible] كلامه بالفارسية ، [illegible] يحرف [illegible] [illegible] الأبصار [illegible]

وكان لأبي العلاء جار [illegible] بعض [illegible] [illegible] العربي فأشار إليه أبو العلاء [illegible] وأبو العلاء يصغي إليه ، إلى أن فرغ من كلامه [illegible] الرجل ثم قدم جار أبي العلاء العجمي [illegible] فذكر له حال الرجل وطلبه له ، [illegible] الرجل بالفارسية ، [illegible] وجماعة من أهله ، [illegible] في [illegible] لنبي ص ١٠) وفي (أوج التحري ص ٦ [illegible] فضل الله العمري في (مسالك الأبصار) (٢)

(١) تعريف القدماء بأبي [illegible] صفحات [illegible]

(٢) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء صفحة [illegible]

وقال ابن العديم [illegible] من [illegible] ذكاء أبي العلاء [illegible] رجل من أهل المعرة معاملة [illegible] فيها حوائج [illegible] وكان [illegible] في [illegible] مشرفة [illegible] محسنة السمان له [illegible] والعلاء [illegible] لا عبث [illegible] وهو [illegible] إلا أيام يسيرة ، فوجد السمان [illegible] في الحانوت ، فقابل بها ما أملاه [illegible] حرف واحد » . وقد أورد هذه القصة في [illegible] ١٢) وفي (أوج التحري) وفي (طبقات النحاة واللغويين ص ١٧٣) وفي (مسالك الابصار) [1] .

[illegible] دخل بغداد لم يعرض عليه شيء من [illegible] يحفظ كل شيء سمعه ، وطلبوا [illegible] فأحضروا دستور الخراج في الديوان ، [illegible] عليه ذلك مياومة ، وهو يسمع الى ان فرغوا من ذلك [illegible] كل ما اوردوه عليه . وهذه القصة في (طبقات النحاة واللغويين ص ١٧٤) و (مسالك الابصار) [2] .

(١) [illegible] ص ١٩ [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

ونقل عن [illegible] في ([illegible]) [illegible] محمد [illegible]

[illegible] بغداد رسولاً عن الخليفة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إلا رسول [illegible]

[illegible]

[illegible] ج ٢ ص ١٠٣ [illegible]

[illegible]

وفي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذه القصة رويها ابن العديم [illegible] رواية [illegible] فقال له [illegible] التهامي [illegible] كيف عرفتني؟ فقال: لأني سمعتك تنشد ومن غيرك [illegible] حالك أنك تنشد من قلب قريح فعلمت أنك [illegible] »

ويقال [illegible] ابن التهامي بعد هذه القصيدة بسبع عشرة سنة [illegible] وأبو العلاء [illegible] من الشعر [illegible]

هل لوخدنا إلا أن تلوح خيامها ... فيقضي بإدناء السلام [illegible]

[illegible] أبو العلاء، وقال له [illegible] » فتكون [illegible] الأولى في نحو سنة ٣٨٣ﻫ وعمر أبي العلاء نحو عشرين سنة

ويروى أن صبيا أتى أبا العلاء، فقال له [illegible]

وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

. . .

ما قيل في ذكائه

وفي ابن العديم [illegible] أبو العلاء [illegible]
وتحدث الناس [illegible]

([illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أن أبا العلاء كان له [illegible] [illegible] دراهم [illegible] تحت كل [illegible] مكانها شيئا [illegible]

(البداية والنهاية) [illegible] (عقد الجمان)

[illegible]

وفي [illegible] (روضات الجنات) [illegible] أبي العلاء [illegible] [illegible] رأس الجدي [illegible] الآكلة» . وروى ذلك زكريا بن محمد القزويني في (آثار البلاد وأخبار العباد)؛ عجائب البلدان

وفي ابن العديم والقفطي [illegible] الذهبي [illegible] أبي العلاء [illegible]

وفي (عجائب [illegible]) [illegible] أبا العلاء [illegible] حيوان يحمل حملا [illegible] ويعدو في النهوض

[illegible]

[illegible]

[illegible] بئر القرامطة [illegible]

أنه صيرت إليه شيئاً من ذلك [illegible]. روى ذلك ابن العديم والبديعي وغيرهما بروايات متقاربة .

وقال أبو الحسن علي بن [illegible] في كتابه [illegible] قال : وحدثني [illegible] الشيخ أبي العلاء مع بعض [illegible] من المعاني [illegible]

صلّت لعصا الضرب قدماها   إذا أرادت رشداً أغواها

يودّ أن الله قـــد أفناها »

[illegible] الشيخ ، وذكر فيها [illegible] هذا نصف [illegible] ابن [illegible] المرض [illegible] دماه [illegible] إذا أرادت رشداً [illegible] أغواها [illegible] وهو [illegible] في المعرة » ، هكذا رواه [illegible] وأنشد أبو العلاء

ضلت العصا [illegible]   يودّ أن الله قد أعماها

١ هكذا في الأصل (م)

٢ هكذا في الأصل (م)

٣ [illegible] (م)

٤ [illegible]

[illegible] قال للوزير المغازي : ومن بالعراق، بعد مضي بضع عشرة سنة [illegible]

[illegible]

وفي بعض هذه النوادر ما يستبعده العقل، وتنكره العادة، وقد [illegible] من ذلك معرفة الكلمات التي وضع له بعض [illegible] تعبير كاتبي القافية في بيت النمر بن تولب من[1] [illegible] وأعظم منه استطاعته [illegible] لفظ قليل، وغير ذلك [illegible] لا يمكن حصره.

ولو [illegible] كل شيء لكنت غير مبالغ، [illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

(1) [illegible] ص ٣٢ [illegible]

الذي كان بين يديه شعره المعروف بلزوم ما لا يلزم ، فأملى في ليلة واحدة ألفي بيت ، فكانت تستكتب [illegible] على قريب من خمسمائة بيت ، ثم يعود إلى الفكرة ويعمل [illegible] كتب [illegible] مذكورة » (١)

وهذه الرواية لا تخلو من مبالغة ، إذ ما كانت ألفي بيت تستغرق أكثر من ليلة ، فكيف يمكن حفظها وإملاؤها وكتابتها في ليلة ؟ ويجوز أن يقال : إنه كان حفظها وأعدها من قبل ، ثم كان يفكر في تذكرها ثم يمليها ، ولكن هذه [illegible] على قريب من خمسمائة بيت ، لا تخلو من المغالاة على أي وجه فسرت .

وقال القفطي : « وذكر أنه قرئ بمصر يوماً أن الوليد لما تقدم بعمارة جامع دمشق ، [illegible] لا [illegible] إلا على حجر ، [illegible] عليهم وجود حجر [illegible] ، وأعدوا لهم أمثالاً مرسومة ، ووجدوا في حائط مكان أصل كثير الحجارة ، يبحثون في صفهم ، فأعلموا الوليد أمره ، وقالوا نجعل رأسه ، فقال : اتركوه واحفروا [illegible] لتنظروا أمره [illegible] على حجر أم لا ، ففعلوا ذلك ، فوجدوا في الحائط باباً ، وعليه حجر مكتوب بقلم مجهول ، فأزالوه عنه [illegible] بالحس ، ودخلوا في [illegible] من الأصابع ، فبعث حروفه ، وطلبوا من يقرؤه فلم يجدوا [illegible] ، وبعث الوليد للترجمة من الآفاق حتى حضر منهم رجل يعرف بقلم اليونان [illegible] الرومي (٢) ، فقرأ الكتابة الموجودة فكانت : باسم الموجد الأول [illegible] ، لما أن كان العالم محدثاً ، لاتصال أمارات الحدوث به ، وجب أن يكون له

(١) [illegible]

(٢) في [illegible] (ح)

[illegible] والسلام

[illegible]

من ذلك ، رفع ابو العلاء راسه وانشد في [illegible]

[illegible] قوم ما الحجيج ومكة   كما [illegible] قوم [illegible]

[illegible]

[ماطى] الجزء الذي هي مسطورة عليه » (٤)

[illegible] في (لزوم ما لا يلزم)

[illegible] (٥)

[illegible] (م)

٢ [illegible] (م)

٣ [illegible] (م)

٤) [illegible]

٥ [illegible] ص ٢٢٦

سيسأل ناس ما قريش ومكة   كما قال ناس ما جديس وما طسم

أرى الوقت يمحو أنفساً بعد أنفس   ويمحو فما يبقى الحديث ولا الرسم

لقد جحد أهل الملحدين فأثلموا   ـه ولم يثبت برافعه وشم

وفي العالم العلوي يحيل ممون   وشخص فقير شدما اختلف القسم

ويكون الفتى في رهطه غير عزة   على أن داء الدهر ليس له حسم

ويرد أجسام المرء حتى إذا أوى   إلى العنصر الترب لم يوذ الجسم

. . .

ثقته بعلمه واعتداده بنفسه

كان أبو العلاء — كما قلنا — شديد الذكاء، سريع الفطنة، كثير التعجب بالنفس، إذا سمع شيئاً حفظه، وإذا حفظ شيئاً رسخ في ذهنه فلم ينسه، وإذا رسخ شيء في ذهنه استطاع أن يتصرف فيه تصرف الفنان الحاذق؛ ولم يكن مثله بالكذب والتدليس والغرور، وقد عرف مكان هذه الخلال من نفسه، فوثق بها وعول عليها إذا يقول ويكتب. وقد أخطأ هذه الثقة مراراً فلم يرده إلا يقيناً بها، وقد أنشد في العراق قوله

ويوشع ردّ يوحا بعض يوم   وأنت متى سفرت رددت يوحا

بالياء المثناة، فقيل له: بوحا، بالباء المفردة، واحتجوا عليه بما ذكره ابن السكيت في ألفاظه، فلم يحد عن اعتقاده، وقال لهم: هذه النسخ التي بأيديكم غيرها شيوخكم، فأخرجوا النسخ العتيقة، فأخرجوها فكان كما قال.

وفي (الأنساب ص ٥٩٨) [illegible] عشرة شيوخ، ولكن أخرجوا ما في دار العلم من [illegible]، وذكر أن ذلك كان في حفلة ابن المحسن التنوخي(١)، والقصة في (لسان العرب) و(تاج العروس) (والاقتضاب ص ٢٨٠) وفي [illegible] الأثير [illegible] على وزن [illegible]، [illegible] بالباء الموحدة [illegible].

و[illegible] في [illegible] مع محمد بن عبد الله بن سعيد حين كان يقرأ عليه [illegible] وكتاب [illegible] فأمله أبو العلاء، ولفق له تلاميذه كلمات [illegible] في [illegible] [illegible] أو [illegible] عليهم هذا.

وقال القفطي: [illegible] نسخة من كتاب إصلاح المنطق بقراءة [illegible] بن الخطيب أبو زكريا التبريزي قرأه على أبي العلاء، [illegible] متصلاً، وقال له: إن [illegible] ولا [illegible]، وإن [illegible] عند [illegible]، [illegible] من أبي العلاء بشعر [illegible] على تصحيح اللغة، كما وجدها ابن السكيت مصنف (إصلاح المنطق) [illegible]، [illegible] ابن السكيت لم يصادف اللغة [illegible] واكثروا، كما وجدها أبو العلاء في زمانه»(٢).

ولعل أظهر موضع [illegible]، [illegible] على [illegible]، [illegible] (رسالة الملائكة)، [illegible] في موضع [illegible]، [illegible] يدل على ذلك.

(١) وفي شرح السقط للبطليوسي [illegible] ٢٢٩ [illegible] كما [illegible] [illegible] (ح)

(٢) [illegible] القفطي

كقوله من «الأول» في الكلام في «سدس»: «والذي أعتقده أن النون زائدة، ولا أمنع أن يكون «فعللا»». وقوله في «طوس»: «والذي أذهب إليه، إذا حملناها على الاشتقاق، أنها من دواب الماء». وقوله: «ولا أمنع أنه يجيء الفعل على «فعلى» وإن لم يذكره المتقدمون». وقوله: «ولا أمنع أن يخالف الأول مخالف».

وقوله من «الثاني»: «[illegible] في كلامهم مثل «اسفرجل يسفرجل». [illegible] معهود في كلامهم [illegible]». وقوله في «وهن»: «[illegible] وهن لم يذكره أحد من المتقدمين فيما أعلم». وقوله: «ولم يستعمل «الثلق» ولا «الثق» ولا «الدث»». وقوله: «ولم يستعملوا في الأفعال الماضية ما يجتمع فيه الفاءات غير «عب» و«ضب»». وقوله: «لم يجئ على «أفعلة وأفعيل» إلا «أفعل»»، إلى غير ذلك مما ذكرته في مقدمة (رسالة الملائكة) التي طبعت في دمشق سنة ١٣٦٣ هـ، ومما هو مذكور في الرسالة المذكورة نفسها، وقد نجد مثل هذا في رسائله أيضا، كقوله في رسالته إلى أبي عثمان [illegible] (١): «والغال معهود في شعر العرب، زعم سعيد بن مسعدة أنه لم يسمعه، وقد جاء [illegible] زهير وبعضهم يرويه لأوس».

وقال في اللزوم مثلا [illegible] (٢):

مفعول غيرك في الأفعال معتقد ... كما تعذر في الأسماء فعلول

* * *

(١) [illegible] ص ١٣.

(٢) [illegible] ص ١٩٢.

اعتقاده بنفسه

[illegible]

وإني وإن كنت الأخير زمانه   لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل(١)

[illegible]

فاسمع كلامي وحاول أن تعيش به   فسوف [illegible] بعد اليوم [illegible](٢)

[illegible] كما كان [illegible] في [illegible]

خذي رأيي وحسبك ذاك مني   على ما فيَّ من عوجٍ وأمتِ(٣)

[illegible] كان أمره في صلاح وفلاح .

خذوا سيري فهنَّ لكم صلاحٌ   وصلوا في حياتكم وزكّوا(٤)

وكان فريق من الناس [illegible] على ما آتاه الله من فضله ، فهم لا يألون جهداً في الافتراء عليه ، وقلب الحقائق التي يرشدهم :

(١) شروح سقط الزند ج ٢ ص ٥٢٥ .
(٢) اللزوميات [illegible] ص ٤٨ .
(٣) اللزوميات [illegible] ص ٩٧ .
(٤) المصدر السابق ص ١٨٤ .

لحى الله قوماً إذا جئتهم بصدق الأحاديث قالوا كفر (١)

وهم يحاولون بذلك تشويه سمعته ، وإخفاء [illegible] ، ولكنهم لا يستطيعون [illegible] ويأبى الله إلا أن يتم نوره الذي [illegible]

[illegible]

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوؤها متكامل (٢)

. . . .

كتبه

كان لأبي العلاء خزانة كتب [illegible] كان فيها [illegible] الأول . وهو [illegible] إلى أن انتهى إلى ما عند الرحل .

[illegible] كان في [illegible] من الكتب [illegible] كثير من [illegible] والكتب التي [illegible] التي وصلت إلينا وهي كثيرة جداً

(١) لزوميات [illegible] ص ٧

(٢) شروح سقط الزند [illegible] ص ٥٢٢

كتّابه

من المعلوم أن أبا العلاء كان مضطراً بعماه، لا يتأتى منه أن يدوّن ما يريد أن يكتبه، وقد اتخذ عدداً من الكتّاب، منهم من كان يكتب له بأجره، ومنهم من كان يكتب له بدون شيء. وقد ذكر ابن الوردي في تاريخه (ج ص ٣٥٨) أن أبا العلاء كان يملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلوم. ونقل في (مرآة الزمان) عن التبريزي: إنه كان لأبي العلاء عشرة من الكتّاب، في كل [illegible] على الآخر وهم يكتبون.

وذكر [illegible] (ج [illegible] ص ١٧) [illegible] فهرست كتبه من خط أحمد [illegible] أبي العلاء [illegible] فهرست كتبه [illegible] الشيخ أبو الحسن علي [illegible] أبي [illegible].

وذكر [illegible] أن أبا العلاء كان [illegible] رجال من الكتّاب الموجودين [illegible] (٢) يكتبون [illegible] في الناس [illegible] من العلم والشعر والتصنيف، وقد كتب له جماعة من أهل معرة النعمان، وفي [illegible] كان له أربعة رجال يكتبون عنه ما يمليه. وفي (مسالك الأبصار) [illegible] أربعة من الكتّاب [illegible] وغير هؤلاء من الكتّاب الذين يتعبون ويحصرون» (٣)

(١) [illegible] الأبصار [illegible] (ج).

(٢) [illegible] (ج).
[illegible]

(٣) [illegible] الأبصار [illegible] المصري

والذي يمكن فهمه من عبارات المتقدمين أن له كتاباً يجري عليهم ورقاً وتحرير [illegible] ليسوا كذلك ، ولكن لم أر من ذكر الذين كانوا في جرايته [illegible] إلا ذكر [illegible] طائفة من كتابه ، ولم يبيّنوا كل واحد من أي [illegible]

وأخص [illegible]

أبو محمد عبد الله [illegible] محمد بن عبد الله بن سليمان ، وهو الذي تولى خدمته

وتعهده ، وكتب تصانيفه بخطه [illegible] وأكثر [illegible] وقد تقدم ذكره [illegible]

ومن [illegible] محمد [illegible] ذكره

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ومنهم [illegible]

[illegible] كتب [illegible] أبي العلاء [illegible] ذكره [illegible]

لأبي الحسن يحيى بن محمد [illegible] سنة ٤٤٨ [illegible]

له ولد اسمه منار ، ولعله محرف عن منار وخط يده [illegible] من تصانيف

عم أبيه أبي العلاء تدل على فضله وحسن [illegible]

ومنهم جعفر بن أحمد [illegible] جعفر [illegible]

[illegible] مع أبي العلاء في [illegible] من [illegible]

وكتب الكثير عنه ، [illegible] كثيراً من كتب الأدب [illegible]

وخطه على غاية من الصحة [illegible]

ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم المعري ، لزم أبا العلاء وكتب كتبه بخطه وكتب من المصنف الواحد عدة نسخ وقد تقدم ذكره .

ومنهم أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله بن أبي هاشم المتقدم ذكره ، كتب له من تصانيفه ، ووضع له أبو العلاء كتاباً سماه (المختصر الفتحي) وكتاباً يعرف [illegible] ، وقد مر ذكرهما [illegible] وقد كان هو ووالده [illegible] في [illegible] ، وكان يعول في نسخ ما يؤلف من [illegible]

[illegible] بني أبي هاشم لا ألحاق [illegible] في [illegible] وفي [illegible] من هذا الكتاب مخطوط قوم [illegible] بني أبي هاشم [illegible] جرت عادتهم أن ينسخوا ما أملاه [illegible]

ومن [illegible] كتب معظم كتبه بخطه وكتب عدة في النسخ [illegible] كما تقدم

****

[illegible] الجزء [illegible] وبه [illegible] الأول وأوله :

[illegible] أبي العلاء المعري

[illegible]

فهرس الكتاب *

* [illegible]

الصفحة	
	تمهيد
١	[illegible]
	أول [illegible] بأبي العلاء المعري في [illegible]
٢	ألفاظ أبي العلاء وصعابه
٨	آراء العلماء والأدباء فيه [illegible]
	الحاجة إلى شعره المتعمق فيه
٩	سبب تأليف هذا الكتاب .
١٠	الغاية من وضع هذا الكتاب .
١١	تقسيم الكتاب وترتيبه .

* * *

مقدمة الكتاب

الصفحة	
١٤	لمحة عن الشعر والشعراء .
١٤	تقسيم الشعراء
١٥	علاقته بالشعر ومنزلته من الشعراء
١٥	عناية العلماء بأبي العلاء .
١٨	**مولد أبي العلاء**
٢٢	سبات أو المعرة القديمة

الصفحة	
٢٦	إضافتها إلى حمص وغيرها
٢٦	تسميتها ذات القصور
٢٧	المعرة من العواصم
٢٧	المعرة من الثغور
٢٧	النسبة إلى معرة النعمان .
٢٨	المعرة في شعر أبنائها
٣١	المعرة قبل الإسلام
٣٢	المعرة بعد الإسلام
٣٣	موقع المعرة ووصفها في كلام المتقدمين
٣٨	المعرة مركز البريد في القديم
٣٩	[illegible]
٤١	وصف المعرة الآن
٤٩	**أسرة أبي العلاء**
	نسبه وكنيته ولقبه
٥٠	لقبه .
٥	[illegible]

الصفحة	
٥٣	[illegible]
٥٦	[illegible]
٦٤	[illegible] العلاء
٦٥	[illegible]
٦٦	[illegible]
٦٦	[illegible]
٧٠	ما يطلبه من الا[illegible]
٧١	الحياة السياسية في عصر أبي العلاء
٧١	[illegible]
٧٧	الدولة [illegible]
٨٧	[illegible] في
	[illegible] أبي العلاء في [illegible]
	[illegible]
٩٣	[illegible]
	عهد أبي العلاء
٩٩	[illegible]
	[illegible]
	[illegible]
	[illegible]

الصفحة	
	حادثة من الحوادث التي وقعت في
	عهد أبي العلاء بالعراق وغيرها
[illegible]	[illegible] في شعر أبي العلاء
[illegible]	[illegible] في [illegible] وشعره
[illegible]	الحياة الدينية في عصر أبي العلاء
[illegible]	[illegible] والخلاف في العقائد
[illegible]	[illegible]
[illegible]	الحيــــاة العقلية
[illegible]	انواع العـــلوم
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] والبديع
[illegible]	[illegible]

الصفحة

١٤٥ مسارح
١٤٧ تقويم البلدان والجغرافيا
١٤٨ [illegible]
١٤٩ الفلسفة
١٤٩ [illegible]
١٥١ [illegible]
١٥٢ طريقة [illegible]
١٥٥ الأدب
٥٥ الخط
١٥٦ الكتب
١٥٨ النقد

١٦٦ الشعر
١٦٧ أغراض الشعر
١٦٧ المعاني
٦٨ فنون الشعر
١٦٨ الرواية

* *

[illegible] الأولى

١٧٣ نشأة [illegible]

الصفحة

٧٤ [illegible]
١٧٦ [illegible]
٧٧ [illegible]
٧٩ [illegible]
٨٢ [illegible]
٨٠ [illegible]
٨٥ [illegible]
١ ٤ [illegible]
٨ [illegible]
٨١ [illegible]

١٨٨ رحلاته

٨١ [illegible]
٩١ [illegible]
٩٦ [illegible]
٢ ٢ [illegible]
٢ ٦ [illegible]

٨ ٢ رحلته في بغداد

٢١١ [illegible]
٢١٧ [illegible]
٨ ٢ طريقه إلى بغداد

الصفحة	
٢١٩	دخوله بغداد
٢٢[illegible]	[illegible] في بغداد
٢٢٢	[illegible] في بغداد
٢٣[illegible]	الذين عرفهم ببغداد
[illegible]	[illegible]
٢٤٤	[illegible]
٢٤٤	[illegible]
٢٥٢	[illegible]
٢٥٧	المجالس العامة في بغداد
٢٥٩	[illegible]
٢٦٤	حنينه الى المعرة وهو في بغداد
٢٦٧	عزمه على مفارقة بغداد [illegible]
٢٧١	[illegible]
٢٧٦	متى خرج من بغداد
٢٧٧	[illegible]
٢٨٠	إجماعه [illegible] والعراق وسبب ذلك
٢٨١	متى حدثت له فكرة [illegible] كان ذلك ؟
٢٨٢	متى جاهر بالعزلة [illegible] كان ذلك ؟

صفحة	
٢٨٦	ماذا فعل بعد رجوعه إلى المعرة ؟
٢٨٦	[illegible]
٢٩[illegible]	[illegible] على [illegible]
	[illegible]

. . .

[illegible]

صفحة	
٢٩٥	حياة أبي العلاء في المعرة بعد عودته من بغداد
٢٩٥	[illegible]
٢٩٧	[illegible]
٣٠[illegible]	[illegible]
٣٠[illegible]	[illegible]
٣٠٣	[illegible]
٣٠٤	[illegible]
٣٠٥	[illegible] و[illegible] وورائه .
٣٠٨	مسكنه .
٣٠٩	[illegible]
٣١٣	[illegible]
٣١٥	كرمه و[illegible]
٣١٦	[illegible] على [illegible] مدة [illegible]

الصفحة	
٣٢١	وليه المناصب
٣٢٣	القول الجامع فى خلاله وسيرته
٣٢٣	صبره .
٣٢٤	احتماله للأذى .
٣٢٥	شجاعته وعدله
٣٢٥	لين جانبه .
٣٢٥	طهارة يده وذيله ولسانه
٣٢٦	زهده
٣٣٠	حبه فى العمل [illegible]
٣٣٣	[illegible]
٣٤٤	[illegible]
٣٤٥	[illegible] فى [illegible]
٣٤٨	[illegible]
٣٤٨	صدقه .
٣٤٩	جرأته
٣٤٩	الثقة
٣٥٠	[illegible]
٣٥٠	تواضعه
٣٥٢	صبره
٣٥٣	كرهه الظلم
٣٥٦	رأفته ورقة قلبه

الصفحة	
٣٥٨	[illegible]
٣٦[illegible]	[illegible]
٣٦[illegible]	عدم [illegible]
٣٦٢	[illegible]
٣٦٥	[illegible]
٣٦٥	[illegible]
٣٦٧	[illegible]
[illegible]	[illegible]
٣٧١	الإخلاص
٣٧٤	[illegible]
٣٧٦	[illegible]
٣٧٩	[illegible]
٣٨١	[illegible]
٣٨٢	الحسد
٣٨٣	[illegible] فى [illegible] .
٣٨٥	حب الظهور
٣٨٥	ولوعه [illegible]
٣٨٥	[illegible]
٣٨٧	ما كان يشيعه حساده وأعداؤه

الصفحة	
٣٩٤	[illegible] الأقوال [illegible]
	وفي أدلته
٣٩٤	[illegible]
٣٩٨	[illegible]
٣٩٩	[illegible] أبي [illegible]
٣٩٩	[illegible]
٤٠٤	[illegible]
٤٠٦	[illegible]
٤٠٦	[illegible]
٤٠٩	[illegible]
٤١٠	[illegible]
٤١١	القرمطة
٤١٢	الفقه
٤١٦	**خلاصة ما آراه في اعتقاد أبي العلاء**
٤٣١	لزومه بيته
٤٣٢	حلية أبي العلاء
٤٣٢	هيئته
٤٣٣	محادثته
٤٣٣	[illegible]
٤٣٣	[illegible]

الصفحة	
٤٣٤	[illegible]
٤٣٥	[illegible]
٤٣٥	[illegible]
٤٣٥	شعره
٤٣٨	[illegible]
٤٣٩	من كان يتعهده ويخدمه .
٤٤٠	مرضه الأخير ووفاته
٤٤٣	[illegible]
٤٤٣	يوم وفاته
٤٤٣	خروج نعشه
٤٤٣	[illegible]
٤٤٤	قبر أبي العلاء
٤٤٥	ما قيل على قبره بعد موته .
٤٤٦	المدفن ورثاؤه
٤٤٩	كيف رؤي في النوم بعد موته .
٤٥٠	الرؤيا السيئة .
٤٥٠	[illegible]

* * *

المقالة الثالثة

٤٥٥	**شهرة أبي العلاء ومن أخذ عنه**
٤٥٧	تلاميذه .

الصفحة		الصفحة	
٤٥١	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٤٧٤	[illegible]		[illegible]
٤٧٩	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٤٨٣	[illegible]		[illegible]
٥[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٥٠٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٥٠٧	[illegible]		[illegible]
٥٠٨	[illegible]	٥٥[illegible]	[illegible]
٥١١	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٥٢٩	[illegible]	٥٥٩	[illegible]
	[illegible]	٥٦٢	[illegible]
٥٣٢	[illegible]	٥٦٣	[illegible]
	[illegible]	٥٦٤	[illegible]

* * * * * * * * * * * * *

ص
٢٤
٤٤
٤٩
٧٨
٨٥
٨٧
٩٤
٩٥
٩٦
٠٢
٠٤
٢٧
٢٨
٤٦
٥٧
٦٢
٨٩
٠٤
٠٥
١٣
١٦
٢١
٤٧
٤٨
٤٩

تصويب أغلاط الكتاب

ص	س	الصواب
٢٤	٨	فرضها
٤٤	١٢	[illegible]
٤٩	٣	أبوه
٧٨	١٩	[illegible]
٨٥	١٣	[illegible]
٨٧	١٦	[illegible]
٩٤	١٠	[illegible]
٩٥	١١	[illegible]
٩٦	١٥	[illegible]
١٠٢	١٣	[illegible]
١٠٤	٦،٣	[illegible]
١٢٧	١٠	إذا
١٢٨	١٥	[illegible]
١٤٦	٢٤	[illegible]
١٥٧	٦	ودلت
١٦٣	٢٦	١٤٨ ، ١
١٨٩	١٥	[illegible]
٢٠٤	١٥	[illegible]
٢٠٥	٩	[illegible]
٢١٣	١٢	[illegible]
٢١٦	١٢	[illegible]
٢٢١	١٦	[illegible]
٢٤٧	١٧	٥ — [illegible] ...
٢٤٨	٢٠	[illegible]
٢٤٩	٩	٦ — [illegible] ..
٢٦٢	[illegible]	[illegible]
٢٦٤	١	[illegible]
٢٨٤	٧	[illegible]
٣٠٥	٨	[illegible]
[illegible]	٣	[illegible]
٣٤٩	١٢	[illegible]
٤٢٤	١٨	[illegible]
٤٣[illegible]	٧	[illegible]
٤٣١	٥	[illegible]
٤٣٢	٩	[illegible]
٤٣٦	٩	[illegible]
٤٥٦	١١	[illegible]
٤٧٦	١٣	[illegible]
٤٧٩	٥	[illegible]
٤٨[illegible]	٢٦	[illegible]
٤٨٢	١٤	مدائحه
٤٨٤	١٢	يروى عنه ويحكى
٤٨٥	٧	من بالشام
٤٨٥،٤٨٦	٣،١٣	[illegible]
٤٨٧	١٤	[illegible]
٤٩١	١٣	[illegible]
٤٩٤	١٠،١١	[illegible]
٥٠١	٢	[illegible]
٥١٧	٢٠	[illegible]

استدراك

جاء في الصفحة ١٩٣ (ذ) من كتاب الذكرى لطه حسين حذف منه المؤلف بعض الجمل التي مست به ناقلة ، ولدى الرجوع إلى النص في مجلته رأيت أنه يحسن إثبات جملة مكانها محذوف في السطر ١٣ من الصفحة كي تستقيم العبارة فتصبح : ومن الواضح أن مؤنس المدني قد كان ظاهر يستحسن هذا الصبي [الذي دنا من الرشد] أن يتردد في المكاتب ويدرس فيها العلم [ملاحظة والتفكير فيه] . . .

* * *

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University